



العدد ١ يناير ١٩٨٠ المجلد ١٧



المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية

المجلة الاجتماعية القومية

تصدر عن :

المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية

بريد الجزيرة ـ القاهرة

رئيس التحرير :

الأستاذ الدكتور أحمد محمد خليفة

نائب رئيس التحرير :

الدكتورة نادية سالم
الدكتورة زينب رضوان

لجنة النشر

د. عادل عازر   د. أحمد المجدوب

د. نهى فهمى   د. حسين المكاوى

د. نادية سالم

ثمن العدد	تصدر ٣ مرات سنويا	الاشتراك السنوى
٣٠ قرشا	يناير . مايو . سبتمبر	٩٠ قرشا

المحتويات

العدد الأول — يناير ١٩٨٠ — المجلد السابع عشر

« اللارأى فى قياسات الرأى العام »
بالدول النامية

الدكتورة ناهد صالح*

يعد موضوع اللارأى The No Opinion من الموضوعات التى استحوذت حديثا على اهتمامات العلماء والباحثين المعنيين بظاهرة الرأى العام ، والذين تتخطى اهتماماتهم اجراء استطلاعات وقيـــاسات للرآى العام ، الى محاولة فهم هذه الظاهرة ، ودراسة أبعادها الاجتماعية والسوسيولوجية ، مع الارتكاز على أساس منهجى سواء فى البحث أو فى التحليل ، أو فى التفسير ٠

ورغم حداثة الاهتمام بموضوع اللارأى - اذ يرجع الاهتمام العلمى به الى الستينات - الا أنه يفرض نفسه حاليا على العديد من المؤتمرات المتخصصة فى موضوع الرأى العام ، وبالذات تلك التى تولى اهتمامها للجوانب النظرية والمنهجية فى دراسة وتفسير ظاهرة الرأى العام ، والتى تبحث فيما وراء نتائج مسوح الرأى العام وقياساته ٠ وقد تبلور هذا الاهتمام النظرى فى صورة بحوث منهجية ، عبرت رصد أبعاد المشكلة الى محـــاولة فهمها أو تفسيرها ، ثم الوصول الى حل للمشكلات المصاحبة لها ، وفى مقدمتها مشكلة « التحيز » الناجمة أساسا عن اغفال من لا رأى لهم ، أحيانا عند رصد نتائج قياسات الرآى العام ، وغالبا عند تحليلها أو تفسيرها(١) ٠

بدأت مشكلة اللارأى « كمشكلة تعانى منها قياسات الرأى العام فى الدول المتقدمة وبالذات تلك التى توصف نظمها السياسية بالديمقراطية ٠ الا أنه بدخول الدول النامية ميدان البحث العلمى ، وميدان البحث العلمى الاجتماعى بالتحديد ، وببدء خطواتها الحذرة فى ميدان قياسات الرآى العام ومسوحه ، بدأت المشكلة تتضح حدتها ، وتأخذ أبعادا جديدة فى تحليلها وتفسيرها ، كان من أهمها أن وضعت المشكلة فى سياقها الاجتماعى الثقافى ، بجانب السياق المنهجى الذى كانت تعالج عادة فى اطاره ٠

---

* خبير أول بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ٠

ومن هذا المنطلق بدأت تطرح عدة تساؤلات منهـــا : لم ترتفـــع نسبة « اللارأى » فى استطلاعات الرأى العام بصـــورة لافتة للنظر فى الــــدول النامية ؟ ٠ هل ظاهرة الرأى العام ظاهرة كامنة فى المجتمعات النامية ؟ ٠ ألا يوجد رأى عام حقيقى فى تلك المجتمعات ؟ ٠ هل من ترصدهم استطلاعات الرأى العام على أنهم لا رأى لهم ، هم فعلا لا رأى لهم ؟ أم أن المشكلة هى افتقار للمعرفة ، أو بالتحديد نقص فى المعلومات بحيث ترادف فئة — لا رأى فئة — « لا أعرف » ؟ أم أن اللارأى هو تعبير كيس عن عدم الرغبة فى ابداء الرأى أو عدم الرغبة فى المشاركة فى موضـــوع الرأى ؟ ٠ وما العـــوامل التى وراء ذلك؟ ٠ وما علاقة اللارأى من جهة بالرآى المساير من جهة أخرى؟٠ هل تفسير مشكلة اللارأى يكمن فى الانساق السياسية للدول النامية؟ ٠ أم فى طبيعة البناء الاجتماعى بعامة ، وما يحدده من أوضاع اجتماعية لفئات اجتماعية به بخاصة ؟ أم يكمن فى العمليات الاجتماعية وفى عملية التنشئة الاجتماعية بالذات ؟ ٠ واذا أخذنا المشكلة من بعدها المنهجى طرحت أسئلة من نوع آخر ٠ فهل يرجع ارتفاع نسبة اللارأى فى قياسات الرأى العام الى عيوب منهجية فى استطلاعات الرأى العام فى الدول النامية ؟ وهل هى عيوب خاصة بالمعاينة ؟ ٠ أم بأداة الاستبار ؟ ، أم بموقف الاستبار ذاته ؟ ٠ هل تهتم قياسات الرأى العام فى تلك الدول بدراسة خصائص من لا رأى لهم ؟ ٠ وهل تضع هذه الفئة فى اعتبارها عند تعميم نتائج استطلاعات الرأى العام ؟٠ وهل تهتم باعطاء أوزانا لمن لا رأى لهم ؟ وما مدى التحيز عموما فى معالجة نتائج استطلاعات الرأى العام فى الدول النامية الناجمة عن وجود فئة من لا رأى لهم ؟

تحاول هذه الورقة الاجابة على بعض التساؤلات التى تتناول مشكلة اللارأى فى استطلاعات الرأى العام فى الدول النامية وذلك من خلال أبعاد ثلاثة :

أولا : البعد السياسى
ثانيا : البعد السسيولوجى
ثالثا : البعد المنهجى

أولا : البعد السياسى :

لتناول مشكلة اللارأى فى استطلاعات الرأى العام وقياساته فى بعدها السياسى ، لابد أن نضعها فى سياق مشكلة أكبر وهى الخاصة بوضـــع قياسات الرأى العام فى الدول النامية ، مقارنا بوضعها فى الدول المتقدمة ٠

اذا رجعنا الى توزيع مراكز ومعاهد وهيئات قياس الرأى العام على خريطة العالم ، نجد أنه فى الوقت الذى تفتقر فيه أغلب الدول النامية الى هيئات علمية لقياس الرأى العام بها ، تتوافر مثل هذه الهيئات فى الدول المتقدمة ، بصرف النظر عن طبيعة نظامها السياسى • بحيث تبدو المشكلة لأول وهلة مشكلة حضارية ترتبط بمدى التقدم الحضارى للدولة الذى يواكبه التقدم فى مجال البحث العلمى ، والبحث العلمى الاجتماعى ، وبالتالى فى بحوث الرأى العام وقياساته •

ولكن اذا تعمقنا فى الموضوع آكثر ولم نكتف بمجرد وجود مركز أو معهد لقياس الرأى العام أو عدم وجوده فى الدولة ، الى الطبيعة البنائية والوظيفية لمعاهد قياس الرأى العام • وحاولنا أن نربط بينها وبين طبيعة الايديولوجية السائدة فى الدولة وجدنا الاختلاف أعمق من أن يكون فقط اختلافا حضاريا يرتبط بالمستوى الحضارى الذى بلغته الدولة ، بل هو اختلاف يرتبط ارتباطا أساسيا بالبناء السياسى فى المجتمع •

من هنا كان من الطبيعى أن نجد اختلافا جوهريا ، كميا وكيفيا ، بين مجموعة الدول المتقدمة بالنسبة لاستطلاعات الرأى العام بها ، وذلك وفقا لطبيعة النظام السياسى السائد فيها • اختلافا فى مدى انتشار هيئات قياس الرأى العام بها ، وفى مدى خضوعها لرقابة الدولة أو سيطرتها ، اختلافا بالنسبة لطبيعة الموضوعات التى تتناولها وكيفية تحليلها ، بل وأهم من ذلك كله اختلافا فى حجم مشكلة « اللارأى » فى استطلاعات الرأى العام بها ، وفى طبيعة العوامل المفسرة لهذه المشكلة •

فاذا آخذنا على سبيل المثال الاتحاد السوفيتى وباقى دول الكتلة الشرقية(٢) ، وقارناها بالولايات المتحدة الأمريكية ودول أوربا الغربية ، وجدنا أنه على الرغم من وجود أجهزة لقياس الرأى العام فى كل منها ، الا أن الاختلاف الجوهرى فى أبنيتها السياسية انعكس على بناء ووظيفة هذه الأجهزة ، بل وعلى مدى الوعى بأهمية قياسات الرأى العام فى ترشيد القرارات ، وخاصة القرار السياسى •

ففى الوقت الذى بدأ فيه الوعى بأهمية قياسات الرأى العام مبكرا فى الولايات المتحدة الأمريكية ودول أوربا الغربية ـ بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة ـ كان الاتحاد السوفيتى لا يزال يعتبر البحث الاجتماعى الامبريقى ، علما اجتماعيا « بوجوازيا »(٣) • وظل الوضع كذلك حتى بداية الستينات ، وبانتصافها بدأت تتغير هذه النظرة لتفسح المجال لهذا النوع من البحوث ،

وبالتالى لقياسات الرأى العام ، التى بدأت فعلا منذ هذا التاريخ فى كل من الاتحاد السوفيتى وتشيكوسلوفاكيا ، وألمانيا الشرقية ورومانيا وبولندا . الا انه يلاحظ أنه بينما تتعدد المعاهد الخاصة بقياس الرأى العام فى الدولة الواحدة ، سواء فى الولايات المتحدة الأمريكية أو فى دول أوربا الغربية ، وتتعدد الهيئات المستقلة غير التابعة لرقابة الحكومة وسيطرتها ، ذلك بجانب مراكز ومعاهد قياس الرأى العام القومية ، نجد الوضع مختلفا تماما فى دول الكتلة الشرقية حيث تخضع عادةمعاهد وهيئات قياس الرأى العـــام تماما لسيطرة الدولة وتوجيهها ورقابتها . ومن هنا كانت ندرة هذه المعـــاهد والهيئات فى الدولة الواحدة من جهة ، وبالتالى قلة قياسات الرأى العام التى تجرى بها من جهة أخرى ، مقارنة بوفرة معاهد وراكز وهيئات قياس الرأى العام فى الدول الغربية ، وبالتالى غزارة قياسات الرأى العام بها — حيث أصبحت عملية قياس الرأى العام عملية روتينية تبدأ ببداية الاسبوع وتعلن نتائجها قبل نهايته .

ولعل نقطة الاختلاف الرئيسية بين مجموعة الدول المتقدمة ، والتى تلعب طبيعة النظام السياسى دورا رئيسيا فى اظهارها بالنسبة لقياس الرأى العام ، هى طبيعة الموضوعات التى تتناولها هذه القياسات .

فبينما تصطبغ استطلاعات الرآى العام وقياساته فى دول أوربا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية أساسا بالصبغة السياسية ، بحيث أصبح قياس الرأى العام يعنى اليوم قياسا للرأى العام ازاء موضوع سياسى ، نجد ندرة فى استطلاعات الرأى العام وقياساته التى تتناول موضوعات سياسية أو جوانب سياسية ، فى دول الكتلة الشرقية ، حيث ينصب أغلبها على مسوح عن قضاء وقت الفراغ ، أو عن مدى الرضاء عن العمل ، أو استطلاع لآراء المستمعين لبرامج الراديو ، أو لآراء المشاهدين لبرامـــج التليفزيون ، أو استطلاع لآراء المستهلكين ازاء السلع والخدمات وتفضيلاتهم بالنسبة لها ، وما الى ذلك من الموضوعات التى تدرج تحت قياسات الرأى العام واستطلاعاته، وتنشر نتائجها فى الشكل المتعارف عليه لنشر نتـــائج استطلاعات الرأى العام ، رغم كونها ليست بالموضوعات الهامة أو الحيوية فى البناء السياسى والاجتماعى للمجتمع ، وبالتالى فهى موضوعات تفتقر الى أولى المقومات التى تدخلها فى نطاق قياسات الرأى العام واستطلاعاته(٥) .

نخلص من هذا الى أن هناك ارتباطا بين طبيعة مقومات البناء السياسى للدولة وبين وضع قياسات الرأى العام بها — بحيث يمكن افتراض أنه حيث تكون الديمقراطية أحد المكونات الأساسية للبناء السياسى للـــدولة تتعدد

الهيئات التى تجرى قياسات للرأى العام بها ، وتقل أو تكاد تنعدم رقابة الدولة عليها ، وتغزر استطلاعاتها، التى نتجه فى جانب كبير منها الى المسائل الحيوية فى المجتمع ، وهى عادة المسائل ذات الطابع السياسى ٠ وفى الوقت ذاته تقل نسبة من لا رأى لهم حيث يتيح المناخ الديمقراطى فرص تكوين التنظيمات التى تساعد على صياغة الرأى ، والقنوات التى تتيح فرص التعبير عنه ، وفى هذه الحالة ينحصر البعد السياسى فى تفسير ظاهرة اللارأى ليتيح لكل من البعد السوسيولوجى والبعد المنهجى فرصة أكبر فى تفسيرها ٠ ولعل هذا الموقف يتضح بصورة أدق متى انتقلنا الى دراسة مشكلة اللارأى فى الدول النامية ٠

اذا رجعنا ثانية الى خريطة توزيع مراكز ومعاهد قياس الرأى العام فى العالم الثالث ، نجد أنه منذ منتصف الستينات بدأ ينتشر عدد لا بأس به منها ، يرتبط معظمها بأجهزة معينة فى الدولة كالجهاز الاعلامى مثلا ، أو غيره من الأجهزة الرسمية بها ، الا أن الصورة الغالبة لا تزال هى افتقار غالبية الدول النامية لأجهزة قياس الرأى العام التى تستخدم الأساليب العلمية الموضوعية سواء فى اجراء قياسات للرأى العام ، أو فى عرض أو تحليل أو تفسير نتائجها ، ولا أدل على ذلك من استعراض الوضع بالنسبة للقارة الافريقية أو على نطاق أضيق بالنسبة للمنطقة العربية ٠

وندرة الهيئات العلمية المختصة بقياس الرأى العام فى الدول النامية ، مسألة لها أبعادها الحضارية والسياسية ٠ فهى فى الوقت الذى تعد فيه جزءا من مشكلة حضارية أكبر ، وهى مشكلة البحث العلمى الاجتماعى فى نلك الدول ، فهى أيضا تمس بل ترتبط بمشكلة سياسية أساسية تنبع من أن العديد من الدول النامية لم يحصل على استقلاله السياسى الا منذ وقت قريب ، وبالتالى لم يبلور بعد ايديولوجية واضحة له ، بل لا تزال معظم الدول النامية تتخبط بين القطبين الايدلوجيين : الاشتراكية من جهة ، والرأسمالية من جهة أخرى ، وبالتالى لم ترس دعائم نظامها السياسى بمؤسساته المختلفة ، ولم يتوفر لها المناخ الديمقراطى الذى فى ظله تبرز الحاجة الى قياسات الرأى العام لترشيد القرار ، والقرار السياسى بالذات(٦) ٠

كان من الطبيعى والوضع كذلك ، أن نجد العديد من الدول النامية لا يجرى أى قياسات علمية للرأى العام ، بينما نجد البعض الآخر يقصر قياسات الرأى العام على موضوعات اجتماعية تتناول وسائل الاعلام مثلا ،

أو أية موضوعات اجتماعية أو اقتصادية أخرى ، ليست ذات حساسية للنظام السياسى • الا أن من المسلم به أن اهتمامات الرأى العام ، تتعدى الاهتمام بالمسائل الاستهلاكية أو الاعلامية • بحيث يمكن القول أن قياسات الرأى العام تصبح لها دلالتها وأهميتها ، فقط ، متى تناولت المسائل الحيوية والمتوقدة فى الحياة العامة ، وهى المسائل التى يوضع عادة حائل بينها وبين اجراء استطلاعات للرأى العام • هذا وقد بدأت بعض الدول النامية تهتم باجراء قياسات للرأى العام تتناول جوانب أو موضوعات ذات طبيعية سياسية تماما ، الا أن الملاحظ أنها تجرى هذه القياسات لاستخدامها كسلاح سياسى، اما لتأييد سياسات الدولة ، أو لتأكيد التغيير فى هذه السياسات أو فى أولوياتها(٧) • ومن هنا يصدق القول بأن « الرأى العـــام يقاد بدلا من أن يقود »(٨) •

وعموما ففى الدول النامية التى بدأت تنمى نظامها الديمقراطى ، بدأت تزدهر بها بالتالى قياسات الرأى العام ، ولكن مع ذلك تظل حقيقة أن طبيعة البناء السياسى للدولة النامية لايسمح بأن تقف كافة الموضوعات على قدم المساواة من حيث امكانية اجراء استطلاعات للرأى العام عنها(٩) •

هذا هو وضع قياسات الرأى العام بعامة فى الدول النامية اذا ما نظرنا اليها نظرة جشطلتية فهى نادرا ما تجرى ، واذا أجريت فهى تتناول موضوعات لا تمس الجوانب السياسية ، واذا مستها فبقدر محسوب ، وهى عادة تقوم بها هيئات حكومية أو تجرى تحت الاشراف الكامل لها • وفى ضوء هذه المعالم يهمنا الآن مناقشة موضوع « اللارأى » فى استطلاعات الرأى العام وقياساته فى الدول النامية التى تسمح باجراء مثل هذه الاستطلاعات •

لكى يقاس الرأى العام ، لابد من وجود رأى عام ازاء موضوع القياس ، ولكى يوجد رأى عام لابد من توافر متطلبات صياغة الرأى والتعبير عنه ، وبدون تحقيق ذلك تصبح النتيجة كما من استطلاعات الرأى العام ، التى لا تقيس أو تعبر عن الرأى العام ، وانما قد تعبر عن آراء بعض الأفراد دون البعض الآخر ،الذين تظهرهم هذه الاستطلاعات تحت فئة « من لا رأى لهم » أو قد تغفلهم تماما •

ويرجع ذلك أول ما يرجع الى أن الكثير من الدول النـــامية تتجـــه باستطلاعات الرأى العام وقياساته الى موضوعات آمنة ، موضوعات ليست محل اهتمام فعلى من جانب الرأى العام ، ومن ثمة يفتقر موضوع قياس الرأى

العام ، الى العنصر الأساسى الذى يجعله صالحا كموضوع لقياس الرأى العام فعلا • وهو عظم الأهمية التى يمثلها مع وعى الجمهور به ، لذلك نجد كثيرا من الموضوعات التى تتناولها استطلاعات الرأى العام فى الدول النامية تصلح أساسا موضوعات لبحوث اجتماعية أو بحوث اجتماعية نفسية ، أو بحوث تتناول الآراء أو الاتجاهات ، ولكن لا تصلح كموضوعات لقياس الرأى العام ازاءها • فالرأى العام لابد أن تنصب قياساته على مسائل هامة ، مسائل حيوية ، مسائل متوقدة فى الحياة العامة على حد قول بوجارت Bogart.

ولابد أن تكون موضوعات قياس الرأى العام موضوعات خلافية تحتمل الرأى والرأى المعـــارض ، موضوعات مطروحة للنقاش ، موضوعات تغذيها مصادر متعددة للمعلومات وللاخبار •

فجوهر الرأى العام هو تصادم الأفكار واختلاف الآراء والتأويلات بالنسبة للظاهرة الواحدة أو الموضوع الواحد محـــل قيـــاس الرأى العـــام أو استطلاعه(١٠) • هذه الأمور ترتبط جميعها من جهة ارتباطا مباشرا بمدى تحقق المناخ الديمقراطى فى الدول النامية ، والذى فى ظلـــه فقط يمكن أن تجرى قياسات موضوعية وعلمية عن الرأى العام ، وتقدم من جهة أخـــرى تفسيرا لارتفاع نسبة من « لا رأى لهم » سواء عبرت هذه النسبة عمن لا أرى لهم فعلا ، أو كانت تعبيرا عن عدم الرغبة فى ابداء الرأى ، أو أخفت نقصا فى المعلومات ازاء موضوع استطلاع الرأى ، أو عكست عـــدم الاهتمام به أساسا •

وقد لخص هذا الموضـــوع عـــالم الاجتمـــاع ستوتزول Stoetzel بقوله أن الرأى العام هو ذلك الرأى الـــذى يرغب الفرد فى أن يعبر عنه صراحة ، بل يرغب فعلا فى أن يوقع عليه باسمه(١١) •

وهذا بلا شك أمر يصعب تحقيقه فى كثير من الدول النامية ، التى لم تنم نظامها الديمقراطى بعد ، ولم تبلور حتى اليوم قنوات صياغة الرأى والتعبير عنه •

مجمل القول أنه يمكننا تفسير ظاهرة « اللارأى » فى استطلاعات الرأى العام بالدول النامية — حتى بالنسبة للموضوعات غير السياسية فى بعدها السياسى على أساس غياب النظام الديمقراطى ، هذا النظام الذى يتيح امكانية اجراء استطلاعات للرأى العام فى المسائل الهامة والحيوية فى حياة المجتمع ، والذى يساعد على توفير المناخ الديمقراطى الصالح لتكوين رأى عام ، بتوفير المعلومات وتعدد مصادرها وباتاحة نفس الفـــرصة لابداء الرأى والرأى

المعارض ، وتكوين التنظيمات التى تسهم فى صياغة الرأى العام ، والقنوات التى تساعد على التعبير عنه ، المناخ الذى يشعر فيه الفرد بأن الرأى العام له دوره فى ترشيد القرار ، المناخ الذى يحد من ظاهرة « الاغتراب »(١٢) التى تعد ظاهرة « اللارأى » بلا شك أحد المظاهر المعبرة عنها فى الـــدول النامية ٠

ثانيا : البعد السوسيولوجى :

اذا نظرنا الى مشكلة « اللارأى » فى استطلاعات الرأى العام فى بعدها السوسيولوجى وجدنا أن المشكلة جزء من مشكلة أكبر ، لا تقف عند طبيعة النظام السياسى السائد فى الدولة النامية ، بل تتخطاه الى بقية الجوانب الأخرى المميزة للبناء الاجتماعى ولثقافة العديد من الدول النامية(١٣) ٠

فهناك موضوعات اجتماعية تماما ، يشعر الجمهور بأهميتها ويكـــون واعيا بها ، وتتاح حرية تداول الرأى والنقاش فيهـــا ، ومع ذلك توضح استطلاعات الرأى العام ازاءها ، ارتفاعا ملحوظا فى نسبة من لا رأى لهم ، بل فى نسبة الممتنعين عن الادلاء بآرائهم ٠ وقد يرجع البعض هذا الى أن عدم توافر المناخ الديمقراطى فى الدولة النامية ينعكس على عملية التعبير عن الرأى، بصرف النظر عن طبيعة موضوع استطلاع الرأى، سواء أكان موضوعا سياسيا ذا حساسية ، أو موضوعا أبعد ما يكون عن السياسة كالرأى فى برامـــج الاذاعة والتليفزيون مثلا ، وتفسير هذا فى اطار ظـــاهرة « الاغتراب » أو « اللامبالاة » التى تسود هذه المجتمعات ٠

واذا تركنا هذا التفسير جانبا ، رغم أهميته ، وحاولنا أن نلقى بعض الضوء على الجوانب السوسيولوجية التى قد تفسر هذه الظاهرة فى الدول النامية ، وحتى بالنسبة لتلك التى بدأت تخطو خطواتها الأولى فى طـــريق النظام الديمقراطى ، وجدنا بعض المتغيرات الاجتماعية التى يمكن أن تقدم تفسيرا لها ، فطبيعة المجتمع ريفيا كان أو حضاريا تبدو مرتبطة بصـــورة واضحة بظاهرة اللارأى فى استطلاعات الرأى العام فى الدول النامية(١٤) ٠ فهناك تمايز واضح بين المجتمعات الريفية والمجتمعات الحضارية ، سواء من حيث البناء الاجتماعى أو الأنماط الثقافية أو المستوى الحضارى فى كـــل منها ، وينعكس هذا التمايز على استطلاعات الرأى العـــام سواء من حيث العمليات المنهجية فى استطلاع الرأى ، أو من حيث مضمون نتائج استطلاع الرأى ، والتى فى مقدمتها نسبة من لا رأى لهم بالنسبة لموضوع استطلاع الرأى ٠ فاذا فحصنا نسبة من لا رأى لهم فى بعض استطلاعات الرأى العام

التى تجرى على مستوى الــدولة بمجتمعاتها الريفية والحضرية ، لاحظنا أن نسبة من لا رأى لهم ترتفع فى الريف عنها فى الحضر ، ولا تقتصر هــذه الملاحظة على استطلاعات الرأى العام ، بل تنطبق أيضا على أسئلة الرأى التى قد يتضمنها أى بحث من البحوث الاجتماعية التى تتنــاول ريف المجتمــع وحضره(١٥) ٠

هنا لابد أن نربط هذه الحقيقة بواقع المجتمع الريفى ، فاذا افترضنا أن المسألة محل استطلاع الرأى لا تقل أهميتها فى المجتمع الريفى عنها فى المجتمع الحضرى ، كأن كانت تمس مثلا مصالح مباشرة للجمهور أو قيمــا راسخة لديه ٠ فان تفسير ارتفاع نسبة اللارأى فى المجتمع الريفى عنها فى المجتمع الحضرى يمكن أن نرجعها لأول وهلة الى نقص المعلومات حول موضوع استطلاع الرأى العام ، ويؤيد هذا محدودية انتشار وسائل الاعلام فى الريف عنها فى الحضر ، وخاصة أن هناك شبه اجماع على أهمية هذا العامل فى تفسير ظاهرة اللارأى ، سواء فى الدول المتقدمة أو الدول النامية فى المجتمعات الحضرية أو فى المجتمعات الريفية ٠ ولكن اذا تركنا جانبا هذا الاتجاه فى التفسير وخاصة أنه حيث يمس موضوع الرأى مصلحة أو قيما لها أهميتها فى المجتمع ، لا تكون وسائل الاعلام هى المصدر الهام لصياغة الرأى ازاءها ، وخاصة فى المجتمعات الريفية حيث يلعب القادة غير الرسميين دورا بارزا فى التأثير على الرأى العام وفى توجيهه(١٦) ، لذلك كان من المنطقى أن نفحص جوانب البناء الاجتماعى فى المجتمعات الريفية فى الدول النامية التى قد تقدم تفسيرا لارتفاع نسبة اللارأى فى استطلاعات الرأى العــام بها عنه فى مجتمعاتها الحضرية ٠

ولا شك أن بناء السلطة فى المجتمع الريفى لكثير من الدول النامية يقدم أحد التفسيرات لهذه الظاهرة ٠ فحيث النسق القرابى يكون نسقا قبليا ، أو نسق العائلة الكبيرة ، نجد أن اتخاذ القرار والتعبير عن الرأى ، وابداء رأى معارض ، يخضع لضوابط معينة اذ ينشأ الفرد اجتماعيا على أن ليس من حقه - ما دام يشغل وضعا اجتماعيا معينا سواء نتيجة للتسلسل القرابى أو للسن أو للجنس داخل النسق القرابى القبلى - ابداء الرأى ، أو أن يكون له رأى ازاء العديد من الموضوعات ، وخاصة تلك التى تتناول القيم والتقاليد السائدة ، وقد عبرت دراسة ولسون وأرمسترونج عن ذلك حيث ذكرا أن أن من أهم الصعوبات التى تعترض استطلاعات الرأى العام فى الهند وفى المجتمعات الريفية بها بالذات عدم ادراك الشخص الذى يستطلع رأيه بأن عليه أن يدلى برأيه هو ، بل عادة لا يدرك الأفراد أن كل فرد له رأيه ، بل

يسلم الكثيرون بأن هناك عددا محدودا نسبيا من الأفراد فقط هو الذى لديه الاجابات الصحيحة ، وأن توجيه الأسئلة الى غير هؤلاء هى مضيعة للوقت ومن هنا تكون الاجابة بلا أعرف أو بلا رأى لى بل لقد ذكرا أنهما عندما كانا يجمعان بيانات عن الجوانب الشخصية ، جاءت اجابة البعض « انه من الأفضل أن تسأل عمدة القرية فهو يعرف أفضل منا » ويفسر هذا الموقف بجانب طبيعة بناء السلطة فى المجتمع الريفى ، بأن الريفى فى كثير من الدول النامية يكون حكمه القيمى على جميع الأشياء فى حدود الصواب والخطأ فأى رأى سيدلى به هو اما رأى خاطىء أو رأى صائب • ومن هنا يأتى امتناعه عن ابداء الرأى أو تهربه من الاجابة بطريقة أو بأخرى • ولا يقتصر هذا الوضع على المجتمعات الريفية بل هى سمة ثقافية تميز بعض المجتمعات الحضرية فى الدول النامية أيضا • فقد أكد الباحثان نفسهما أن محاولة التخلص من الاجابة أو الامتناع عن الادلاء برأى ، أو عدم الرغبة فى التعبير عن رأى فردى ، توجد أيضا فى أعلى المستويات الأكاديمية بالجامعات الهندية(١٧) •

ومن السمات الثقافية التى تسود بعض الدول النامية وتبدو بصورة أوضح فى مجتمعاتها الريفية هى « سمة المجاملة "Courtesy" » وتبدو هذه السمة أوضح ما يكون فى شعوب جنوب شرق آسيا بالذات(١٨) حيث تمثل احدى العقبات فى طريق استطلاعات الرأى العام ، والتى ينجم عنها أحد أمرين • اما أن تأتى نتائج استطلاعات الرأى العام غير معبرة عن الرأى العام الحقيقى ، بل تكون معبرة فقط عن مجموع الآراء التى رأى المستبرون أنها ترضى المستبر ـ حيث كانوا حريصين على مجاملته باعطائه الاجابة التى يعتقدون أنها ترضية ، واما تتضمن النتائج ارتفاعا فى نسبة اللارأى ـ حيث حرص المستبرون هنا على عدم ابداء رأى قد لا يتفق ورأى المستبر مما يتعارض مع سمة ثقافية أساسية فى مجتمعتهم وهى المجاملة •

مجمل القول ، أن هناك جوانب فى البناء الاجتماعى والنسق الثقافى فى الدول النامية وخاصة فى مجتمعاتها الريفية ، تقدم تفسيرا لارتفاع نسبة من لا رأى لهم فى استطلاعات الرأى العام التى تجرى بها ، منها طبيعة بناء السلطة فى المجتمع ، والمجتمع الريفى بالذات ،وخاصة حيث يستند هذا البناء على النظام القبلى ، الذى يخضع فيه تسلسل السلطة لقواعد صارمة ، ويكون اتخاذ القرار وحق ابداء الرأى قاصرا على من يشغل مكانة معينة فيه فقط ، وكذلك الحال حيث يسود نظام الطوائف الاجتماعية المغلقة كما هو الوضع فى الهند مثلا ، حيث يسلم البعض بعدم حقهم فى ابداء الرأى ، أو بأن هناك أفرادا معينين فقط هم الذين يحق لهم الادلاء بآرائهم(١٩) • من جهة أخرى فان طبيعة المجتمع الريفى فى الدول النامية كمجتمع محلى تسوده العلاقات الأولية

تجعل الفرد حريصا على عدم ابداء رأى مخالف للآراء السائدة فى هذا المجتمع والتى عادة تلعب التقاليد والقيم الراسخة فيه دورا كبيرا فى تشكيلها وصياغتها • ومن هنا اما أن يأتى رأى الفرد مسايرا لتقاليد المجتمع وقيمه ، وهذا قد يفسر التجانس المميز لاستطلاعات الرأى العام فى المجتمع الريفى عنها فى المجتمع الحضرى ، واما يمتنع عن الادلاء برأيه مؤثرا أن يذكر أنه لا يعرف أو أن لا رأى له • بالاضافة الى هذا ، فقد أوضحت البحوث بعض السمات الثقافية التى قد تؤدى الى تحيز استطلاعات الرأى العام فى الدول النامية أو الى ارتفاع فى نسبة اللارأى بها وهى سمة الحرص على المجاملة كما سبق أن ذكرنا(٢٠) •

اذا كانت طبيعة المجتمع ريفيا أو حضاريا ، تنعكس على حجم ظاهرة « اللارأى » فى استطلاعات الرأى العام ، فتزيد من حدتها فى المجتمعات الريفية عنها فى المجتمعات الحضرية ، الا أن هناك عاملا آخر لا يمكننا اغفال تأثيره على هذه الظاهرة ، وبصرف النظر عن كون المجتمع مجتمعا ريفيا أو حضريا ، وهو عملية التنشئة الاجتماعية ، فالقيم التى توجه الأسرة فى تنشئة أفرادها اجتماعيا والقيم التى تنشئهم عليها ، تختلف فى الكثير من الدول النامية عنها فى الدول المتقدمة • فبينما تتجه عملية التنشئة الاجتماعية التى تقوم بها الجماعات الاجتماعية والمؤسسات الاجتماعية المختلفة فى أغلب الدول المتقدمة والغربية بالذات ، الى غرس قيم معينة فى الفرد ، منها الاستقلال ، والحرية ، والفردية ، والاعتماد على الذات ، والصراحة ، وتنمى فيه القدرة على تكوين الرأى ، والتعبير عنه ، والقدرة على النقد والتقويم • نجد الوضع يشذ عن ذلك فى كثير من الدول النامية ، حيث ينشأ الطفل على أن الطاعة والاحترام تتضمن عدم ابداء الرأى المخالف أو عدم مناقشة الرأى ، كما تنمى فيه الخضوع والتبعية وعدم تحمل المسئولية(٢١) • ثم لا تلبث أن تتلقاه المؤسسات التعليمية لتدعم لديه الكثير من مضمون هذه القيم وتنميها ، بحيث تسهم فى النهاية فى عدم قدرة الفرد على تكوين الرأى أو التعبير عنه ، أو تكوين رأى مخالف للرأى المطروح ، ما دام النظام التعليمى يقوم على أساس التلقين والحفظ لا على أساس ابداء الرأى والنقاش فالتقويم • ثم تأتى من جهة أخرى وسائل الاعلام لتسهم بدورها فى الحد من قدرة الفرد على تكوين الرأى أو التعبير عنه ، سواء عن طريق مضمون المادة الاعلامية(٢٢) التى تهتم أساسا بعنصر الترفيه والتسلية ، وتغفل أو تتجنب عرض القضايا التى تهم الرأى العام ، أو عن طريق أسلوب عرض المادة الاعلامية ، حيث تقتصر على عرض وجة نظر معينة ، وتبتعد على قدر المستطاع عن أسلوب الحوار والمناقشة ، الذى يتضمن عرض

الرأى والرأى المعارض عرضا موضوعيا للوصول الى أبعاد المشكلة محل النقاش • ومن ثم يمكن افتراض أن وسائل الاعلام تسهم فى ارتفاع نسبة اللارأى فى استطلاعات الرأى العام ازاء القضايا التى تهم الرأى العام ، ويكون اسهامها فى ذلك اسهاما مباشرا ، وذلك باغفالها أو بفشلها فى تزويد الجمهور بالمعلومات عن القضايا الهامة التى هى محور اهتمام الرأى العام ، ويكون اسهامها اسهاما غير مباشر ، بفشلها فى المساعدة على تنمية قدرة الفرد على تكوين الرأى ، والتعبير عنه ، والنظر الى الأمور نظرة نقدية تقويمية •

ولا يسعنا ونحن نتناول ظاهرة اللارأى هذه فى بعدها السوسيولوجى، الا أن نشير الى أن بعض الاوضاع الاجتماعية لفئات معينة فى المجتمع قد تسهم فى تفسير هذآه الظاهرة • ويكفى أن نرجع الى نتائج استطلاعات الرأى العام لنجد أن نسبة اللارأى كما ترتفع بين الريفيين عنهـا بين الحضريين ، فانها ترتفع أيضا بين الأميين عنها بين المتعلمين ، وبين كبار السن عنها بين الشباب(٢٣) ، وبين النساء عنها بين الرجال • واذا كنا قد حاولنا تفسير ارتفاع هذه النسبة بين الريفيين ، واذا كان التفسير الذى يقدم عادة لارتفاعها بين الأميين هو أن الأمية تقف حائلا دون الوصول الى معلومات عن الكثير من الموضوعات التى تهم الرأى العام ، سواء نتيجة لعدم القدرة على الوصول اليها ، أو عدم الرغبة فى ذلك ، أو عرم الاهتمام بذلك • واذا كان التفسير الذى يطرح لارتفاع نسبة اللارأى بين كبار السن عنها بين الشباب ، يعكس مدى الاهتما بقضايا المجتمع والاندماج فيها ، فان الذى يعنينا هنا هو تفسير ارتفاع نسبة اللارأى بين النساء عنها بين الرجال فى استطلاعات الرأى العام فى الدول النامية •

فالوضع الاجتماعى للمرأة فى أغلب الدول النامية ، والناجم الى حد كبير عن اعتمادها اقتصاديا على الرجل ، يبدو ارتباطه ارتباطا مباشرا بارتفاع نسبة اللارأى فى استطلاعات الرأى العام بين النساء عنها بين الرجال •

فالمرأة منذ طفولتها توجه الى أن موضوع اهتمامها الأساسى هو البيت والزواج والزوج والأبناء والأسرة • أما الاهتمام بالعمل أو بالمسائل العامة وبقضايا المجتمع فهى أمور من شأن الرجل وحده ، الذى عليها الامتثال لرأيه ، سواء فى دورها كابنه ، أو فى دورها كأخت لأخ ، أو فى دورها كزوجة • ثم تأتى التقاليد لتحد من فرص تعليم المرأة أو توجه تعليمها الى مجالات معينة فحسب ، ثم لتمنع المرأة من العمل ، أو لتحصر فرص عملهـا فى نطـاق محدود(٢٤) ، ثم تحاصرها وسائل الاعلام لتؤكد لديها بشكل مباشر أو غير مباشر ما حرصت أساليب التنشئة التقليدية والتقاليد على تأكيده ، فى رسمها لحدود الدور الاجتماعى للمرأة سواء فى نطاق الأسرة ، أو فى نطاق العمل

أو فى نطاق المجتمع المحلى ، أو المجتمع الكلى(٢٥) . فاذا كان الكثير من المجتمعات فى الدول النامية تحرص جمباعاتها ، ونظمها الاجتماعية ومؤسساتها الاجتماعية ، على تضييق مجال اهتمام المرأة بحيث تصرفها عن الاهتمام بقضايا المجتمع التى هى لب موضوعات قياس الرأى العام ، وتغرس فيها قيم الطاعة والاستسلام والخضوع والاتكالية(٢٦) والاعتماد على الرجل والسلبية والحياء والخجل ... اخ التى ترتبط بلا شك بعدم قدرتها على تكوين الرأى أو التعبير عنه ، وتؤكد لها أن الرأى هو رأى الرجل ، وأن عليهاالامتثال له ، حتى فى أهم القرارات التى تحدد مجرى حياتها سواء بالنسبة للتعليم أو العمل أو الزواج أو حتى بالنسبة للقرارات الخاصة بالبيت أو بالأسرة أو « بمملكتها » على حد تعبير وسائل الاعلام وغيرها ، الأمر الذى يخلق أو ينمى لديها الشعور بعدم أهمية الرأى الذى ستدلى به . فمن الطبيعى ومن المنطقى أن نجد ارتفاعا ملحوظا فى نسبة اللارأى بين النساء فى الدول النامية . فنحن نستطلع رأيها بالنسبة لموضوعات لا تمثل اهتماما لديها ، ونحن نطالبها بابداء رأيها وهى عملية لم تنشأ أو تتعود عليها ، ونحن نطالبها بأن تدلى برأيها فى حين أن خبراتها تؤكد لها أن ليس لرأيها أية قيمة. وبالتالى يكون من المنطقى أن تأتى اجابتها لا أعرف أو « لا رأى لى » .

هذه هى فقط بعض النقاط التى قد تفسر ظاهرة اللارأى فى بعدها السوسيولوجى فى الدول النامية وفى مجتمعات معينة داخل الدول النامية وفى فئات معينة بها ، والتى تصلح جميعها لأن تكون موضع بحوث للمهتمين بعملية تكوين وصياغة الرأى العام ، نضيف اليها البعد الطبقى بالذات ، والذى حال عدم تناول استطلاعات الرأى العام له فى أغلب الدول النامية دون مناقشته فى هذه الورقة .

ثالثا : البعد المنهجى :

من المنطقى فى معالجتنا لظاهرة اللارأى فى استطلاعات الرأى العام فى الدول النامية فى بعدها المنهجى ، أن نعالجها فى اطار المراحل المنهجية المتتالية التى يمر بها استطلاع الرأى العام ، منذ اختيار موضوع استطلاع الرأى حتى نشر نتائجه ، حيث تلقى كل مرحلة من هذه المراحل ضوءا يساعد على تفسير هذه الظاهرة ، أو على توضيح مسئوليتها فى تحيز نتائج استطلاعات الرأى العام أو فى عدم موضوعيتها .

سبق أن أوضحنا أن اختيار موضوع استطلاع الرأى العام يلعب دورا واضحا فى تحديد حجم هذه الظاهرة ، وأكدنا أن كل موضوع ليس بالضرورة موضوعا صالحا لاستطلاع الرأى العام ازاءه ، فهناك موضوعات قد تصلح

لمسح اجتماعى ، أو بحث اجتماعى يتناول الرأى ولكنها لا تصلح كموضوع لاستطلاع أو قياس الرأى العام - اذ لكى نقيس الرأى العام لابد أولا من وجود رأى عام ازاء موضوع القياس • والا فكيف نقيس شيئا لا وجود له ؟ وهذا يستلزم توافر عناصر معينة فى موضوع استطلاع الرأى ، منها أن يمثل الموضوع أهمية فى المجتمع محل استطلاع الرأى العام ، وأن يكون موضوعا خلافيا مطروحا للمناقشة ، وبالتالى تتوافر عنه المعلومات التى تجعل الجمهور على وعى به ، سواء على المستوى المعلن أو غير المعلن ، ومن ثم يتكون رأى عام ازاءه ويصبح موضوعا صالحا لقياس أو استطلاع الرأى العام(٢٧) ، ما دام المناخ السياسى لا يحول بصورة أو بأخرى دون حرية التعبير عن الرأى • أما اختيارنا لموضوع يفتقر الى أى من هذه العناصر فان النتيجة تكون قياسيا لشىء لا وجود له ، وبالتالى تكون نتيجة استطلاع الرأى العام مجموعة من الأرقام تعبر فقط عن آراء مجموعة من الأفراد - لا يمثلون الرأى العام بأى حال من الاحوال - مع ارتفاع نسبة الاجابات التى تعبر عن اللارأى أو عدم الرغبة فى ابداء الرأى سواء كانت الاجابة « بلا رأى لى » أو بلا أعرف » أو غيرها من صور الاجابة التى تعكس افتقار موضوع استطلاع الرأى لأحد عناصره ، الأمر الذى يجعله بالتالى غير صالح كموضوع لاستطلاع الرأى العام •

وقد يلجأ الباحث للتغلب على عدم معرفة الجمهور ، أو نسبة عالية منه ، بموضوع استطلاع الرأى الى تعريفه بالموضوع ، ثم يلحق ذلك بتوجيه أسئلة استطلاع الرأى ، اعتقادا منه أن هذه الخطوة تحل مشكلة عدم تبلور رأى عام ازاء موضوع استطلاع الرأى ، غافلا عن أن الرأى العام ازاء موضوع حيوى ليس مجرد تجميع لآراء فردية لم تتعرض للمؤثرات والقنوات التى تشكل الرأى العام فعلا ، وهى النقطة التى يحرص علماء الاجتماع على التأكيد عليها دائما • وكل ما تثمره هذه الخطوة هى الكشف عن معلومات الجمهور ازاء موضوع استطلاع الرأى ، هل لدى الجمهور معلومات عنه أم لا ؟ ، وبالتالى هل يصلح كموضوع لقياس الرأى العام أم لا ؟(٢٨) •

من النقاط المنهجية الأخرى التى تفسر لنا ارتفاع نسبة من لا رأى لهم فى استطلاعات الرأى العام فى الدول النامية هى التحيز فى اختيار العينات التى تجرى عليها قياسات الرأى العام •

هذا التحيز قد يرجع الى أحد أمرين : اما أن يكون ناجما عن تصميم العينة واختيارها ، واما أن يكون تحيزا ناجما عن استبعاد من لا رأى لهم من عينة الرأى العام ، ومعالجة نتائجها على انها تمثل فعلا الرأى العام •

فقد يتصف تصميم العينة بالتحيز بحيث لا تكون العينة ممثلة للرأى العام الذى تقيسه - والذى قد تختلف بالطبع عيناته وفقا لموضوع قياس الرأى - وبالتالى تكون النتيجة ارتفاعا فى نسبة من لا رأى لهم ، أو اجماعا على رأى معين ، وفى كلتا الحالتين لا تكون العينة - ممثلة للرأى العام وبالتالى تتسم النتائج بالتضليل والتحيز ٠

ومن أمثلة التحيز الذى ينجم عنه ارتفاع فى نسبة اللارأى أن تشمل العينة فئات أو جماعات لا يعنيها الموضوع المطروح لاستطلاع الرأى العام ازاءه ٠ ويحدث عادة هذا النوع من التحيز فى اعتماد استطلاعات الرأى العام على العينات الدائمة لاستطلاع الرأى العام ، والتى صممت بحيث تصلح فقط فى استطلاعات الرأى العام التى لها أهميتها على المستوى ا.
الجمهور واعيا بها فى الوقت ذاته(٢٩) ٠ ومن أمثلة التحيز فى تصميم العينة أو اختيارها ، والذى ينجم عنه أيضا ارتفاع فى نسبة اللارأى ، تحيز عينات الرأى العام نحو الأعمار المتقدمة وقد أكد العديد من الدراسات التى أجريت على نتائج استطلاعات الرأى العام ، العلاقة القوية بين التقدم فى السن وبين عدم ابداء الرأى ، حيث تبين أن هذه النسبة أقل بين الشباب عنها بين الأعمار المتوسطة ، وأنها أقل بين هؤلاء عنها بين كبار السن(٣٠) ٠ ومن أمثلة التحيز فى اختيار العينة الذى ينجم عنه اجماع فى الرأى ، مع وجود نسبة مرتفعة أيضا لمن لا رأى لهم ٠ وهو أمر ملحوظ فى استطلاعات الرأى العام فى بعض الدول النامية - التحيز الناجم عن اقتصار عينة الرأى العام على فئات معينة تؤيد بحكم خصائصها الديوجرافية ، أو وضعها الاجتماعى ، أو انتمائها الطبقى ، تؤيد رأيا دون الآخر أو تحرص على مسايرة رأى معين ، من الأمثلة المعبرة عن ذلك تحيز عينات الرأى العام باختيار أرباب الأسر لاستطلاع رأيهم فى موضوع لا يرتبط بدورهم الاجتماعى كأرباب للأسر ، أو كما سبق أن ذكرنا تحيز العينات نحو الأعمار المتقدمة ، وفى كلتا الحالتين تكون العينة متحيزة ، حيث يعبر هؤلاء عادة عن الآراء المحافظة أو الآراء التقليدية أو يبدون الرأى الذى يعتقدون أن عليهم ابداءه ، أو قد يكونون غير مهتمين بموضوع استطلاع الرأى ، فتأتى كثيرا من اجاباتهم بلا أعرف أو لا رأى لى ، وبالتالى يقدمون صورة مختلفة تماما عن الرأى الحقيقى الذى تتوصل اليه فى حالة عدم تحيز العينة بشكل أو بآخر ٠

ويتضح تحيز العينة فى علاقته بمشكلة اللارأى فى استطلاعات الرأى العام التى تجرى فى الدول النامية حيث تعتمد على عينات احتمالية ، وتوجد أيضا عينات احتمالية بديلة لها - فى استبعاد من لا رأى لهم من العينة ٠ وهذا قد

يفسر لنا لماذا تصل الحالات المستبعدة من العينة ، الى أكثر من ثلث حجم العينة أحيانا(٣١) . وخطورة هذا الاجراء هو اعتبار أن الأفراد الذين أدلوا برأيهم فقط ، يمثلون الرأى العام فعلا ، فى حين أن العينة بهذا الوضع أصبحت غير ممثلة للرأى العام .

وتبدو هذه الصورة بشكل أوضح متى وضعنا فى الاعتبار أن عدم ابداء الرأى أو الامتناع عن ابدائه قد يخفى وراءه موقفا معينا أو رأيا معارضا ، وهو نفس النقد الذى يوجه لاستطلاعات الرأى العام أو للبحوث الاجتماعية بعامة التى تكتفى عينـــاتها بالمتطوعين ، أو بالاستفتاءات التى تجرى عن طريق البريد .

اذا انتقلنا الى جانب منهجى آخر وهو الخاص بأسلوب جمع بيانات استطلاع الرأى العام فى علاقته بظاهرة « اللارأى » ، وجدنا أنه نظرا لارتفاع نسبة الأمية فى العديد من الدول النامية ، وانخفاض الوعى بأهمية البحث الاجتماعى ، فان استطلاعات الرأى العام بها تعتمد على أسلوب الاستبار فى ملء بيانات الاستمارة الاحصائية ، أو على أسلوب المقابلة الجمـــاعية ، أو الملاحظة الجماهيرية ، الا آن الأسلوب الأول هو المتبع عادة . وشروط وضع استمارة بحث صادقة وثابتة(٣٢) هى نفسها الشروط التى يجب تحقيقها فى استمارة استطلاع الرأى العام ، مع زيادة فى التأكيد على أهمية البعد عن الأسئلة الايحائية ، والحرص والدقة البالغة فى وضع وتسلسل الأسئلة التى تتناول الرأى فى موضوعات حساسة(٣٣) ، مع زيادة الاهتمام والتأكيد على دور الباحث فى كسب ثقة المبحوث . الأمر الذى تتزايد أهميته المنهجية كلما تزايد انخفاض الوعى العام بأهمية البحث العلمى ، وزاد الشعور بعدم الاطمئنان لأبداء الرأى ، وكلتاهما مسألتان يعانى منها الكثير من الدول النامية، الأمر الذى يدعونا الى الربط بين ارتفاع نسبة اللارأى فى استطلاعات الرأى العام فى الدول النامية من جهة ، وبين فشل الباحث فى كسب ثقة المبحوث من جهة أخرى ، ما دام المبحوث على وعى بموضوع البحث. فاذا كان المستبر يلعب دورا بالغ الأهمية فى كافة البحوث الميـــدانية التى تعتمد بياناتها على الاستبار ، فان هذا الدور تزداد أهميته فى حالة استطلاعات الرأى العام ، التى لا يؤثر فقط سلوك المستبر ومظهره وما يدل عليه من انتمائه الطبقى(٣٤) ، فى موضوعية اجابات أسئلة الرأى بالذات ، وانما قد يؤدى الى امتناع المستبر عن الادلاء برأيه تماما . ومن ثم يسهم فى ارتفاع نسبة

اللارأى فى استطلاعات الرأى العام فى الدول النامية ، وخاصة أن أغلبها يعانى من نقص فى الباحثين المدربين على قياس الرأى العام بموضوعية •

وقد يتسبب موقف الاستبار ذاته فى تحيز الاجابات أو الاجابة بلاأعرف او لا رأى لى أو الامتناع عن الادلاء بالرأى تحت أية صورة من الصور • ففى الدول النامية وخاصة فى مجتمعاتها الريفية يجد الباحث صعوبة بالغة فى أن يقتصر موقف الاستبار عليه هو والمستبر فقط • حيث يضم عادة موقف الاستبار بجانب المستبر والمستبر أفرادا من الأسرة أو من الأصدقاء أو من الجيران او غيرهم ، مما يكون له أثره على اجابة المبحوث وخاصة متى كانت أسئلة الرأى تتناول مسائل لها حساسيتها بحيث يصبح الموقف من الناحية المنهجية لا يمثل أسلوب الاستبار الجماعى ، فيستفيد من ميزات هـذا الاسلوب ، ولا يمثل أسلوب الاستبار الفردى بما له من ميزات ، وتكون النتيجة اما اعطاء رأى مساير أو الامتناع عن الادلاء بالرأى من جانب نسبة عالية من الجمهور •

واذا تركنا موقف الاستبار وانتقلنا الى مرحلة تحليل نتائج استطلاع الرأى ، لاحظنا أنه فى الوقت الذى تحرص فيه عادة استطلاعات الرأى العام فى الدول المتقدمة على ابراز نسبة من لا رأى لهم فى استطلاعاتها ـ وتجرى الدراسات المنهجية المتقدمة على هذه الفئة(٣٥) ـ نجد أن بعض الدول النامية تحرص على أن تأتى استطلاعاتها خالية تماما من هذه النسبة • وهذا الوضع يمكن أن يفسر بأحد احتمالات ثلاثة : الاحتمال الأول هو أن جميع الافراد الذين تضمهم عينة استطلاع الرأى العام كان لهم رأى محدد بالنسبة لكافة الأسئلة التى تضمنها استطلاع الرأى • وهو احتمال يتعارض تماما مع نتائج استطلاعات الرأى العام حتى ، فى الدول المتقدمة الديمقراطية ، ويتعارض مع ما أثير فى بعض المؤتمرات العلمية ، وخاصة من جانب ممثلى الدول النامية، من أن موضوع « اللارأى » فى استطلاعات الرأى العام أصبح ظاهرة فى الدول النامية • الاحتمال الثانى أن يكون هناك تحيز فى عملية جمع البيانات. وذلك باستبعاد الافراد الذين ليس لديهم رأى بالنسبة لموضوع استطلاع الرأى سواء من العينة الأصلية أو العينة البديلة• ولكن يستبعد هذا الاحتمال متى وجدنا جميع أسئلة استطلاع الرأى خالية من نسبة من لا رأى لهم ، وهنا يمكن افتراض أن يكون التحيز ناجما عن حرص المستبر على أن يدلى المستبر برأى حتى لو لم يكن لديه رأى فى موضوع السؤال ! الاحتمال الثالث ، هو أن تكون النتائج قد تضمنت فعلا نسبة تمثل من لا رأى لهم عن كل سؤال من أسئلة استطلاع الرأى ، ولكن عدم الوعى بأهمية معالجة هذه النسبة وأهمية تحليلها فى اطار المتغيرات المختلفة التى يتضمنها استطلاع

الرأى ، وأهمية اعطاء أوزان لها عند عرض نتائج استطلاع الرأى العام ، ومحاولة تعميم نتائجه ، أو بايجاز عدم الوعى بأن اهمال نسبة اللارأى فى استطلاعات الرأى العام فى الدول النـامية ، تؤدى الى أن تصبح نتـــائج استطلاعات الرأى العام فى هذه الحالة متحيزة ومضللة(٣٦) ، خاصة متى وضعنا فى اعتبارنا أنه يوجد احتمال قوى ، نظرا لعدم الاستقرار السياسى والاجتماعى الذى تعانيه أغلب الدول النامية ، فى أن اللارأى قد يكون تعبيرا مستترا عن رأى يحرص صاحبه على عدم التصريح به(٣٧) •

وأخيرا ، واذا كنا قدحاولنا فى هذه الورقة أن ننبه الى بعض الأبعاد والعوامل التى يمكن أن تفسر فى ضوئها ظاهرة اللارأى فى استطلاعات الرأى العام فى الدول النامية بصفة عامة ، بحكم اشتراكها فى الكثير من المعالم السياسية والاجتماعية والاقتصادية بل والعلمية ، فان تفسير هذه الظاهرة فى كل دولة نامية على حدة يختلف بلا شك من حيث الثقل الذى يعطى لبعد مقارنا بالثقل الذى يعطى لبعد آخر ، فى اطار الأبعاد الأساسية الثلاثة التى تناولتها هذه الورقة ، وكذلك بالنسبة للعناصر المندرجة تحت كل بعد منها •

والى أن يتم ذلك ستظل ظاهرة اللارأى فى استطلاعات الرأى العام فى الدول النامية مؤشرا اجتماعيا وسياسيا وعلميا لكثير من الأوضاع السياسية والاجتماعية والعلمية بل والمنهجية فى هذه الدول •

« الهوامش »

(١) بجانب اهتمام المؤتمرات التى تناولت هذا الموضوع - بالذات فى السنوات الأخيرة - ضمن موضوعات النظرية والمنهج فى استطلاعات الرأى العام وبحوثه ، نورد بعض المقـــالات التى تعكس الاهتمام المباشر بمشكلة اللارأى فى قياسات الرأى العام ومن أهمها :

1. Andrzej Sicinski, "Don't know" Answers in Cross-National Surveys, P.O.Q., Vol. 134, 1970, pp. 126-129.
2. Carol Fuller, Weighting to Adjust for Survey Non-response, P.O.Q., Vol. 38, 1974, pp. 239-246.
3. Charles Mayer and Robert Pratt, A Note on Nonresponse in a Mail Survey, P.O.Q., Vol. 30, 1966, pp. 637-646.
4. Clyde Coombs and Lolagens Coombs, "Don't Know": Item Ambiguity or Respondent Uncertainty ?, P.O.Q., Vol. 19, pp. 497-514.
5. F.L. Filion, Estimating Bias Due to Nonresponse in Mail Surveys, P.O.Q., Vol. 24, 1975, pp. 482-492.
6. Jean Converse, Predicting No Opinion in the Polls, P.O.Q., 197, pp. 515-530.
7. Joe Francis and Lawrence Busch, What we know about "I Don't Knows", P.O.Q. Vol. 39, 1975, pp. 207-218.
8. Lewis Mandell, When to Weight: Determining Nonresponse Bias in Survey Data, P.O.Q., Vol. 38, 1974, pp. 247-252.
9. Leo Bogart, No Opinion, Don't Know, and Maybe No Answer, P.O.Q., Vol. 31, 1967, pp. 331-345.
10. Robert Ferber, Item Nonresponse in A Consumer Survey, P.O.Q., Vol. 30, 1966, pp. 399-415.
11. Willis Goudy, Nonresponse Effects on Relationships Between Variables, P.O.Q., 197, pp. 360-309.

(٢)
— Leo Bogart, Silent Politics : Polls and the Awareness of Public Opinion, New York, Wiley-Interscience, 1972, pp. 161-174.
— Andrzej Sicinski, Public Opinion Surveys in Poland, I.S.S.J., Vol. 15, 1963, pp. 91-110.
— Alex Inkeles, Public Opinion in Soviet Russia, Cambridge, 1958.

(٣) — Leo Bogart, Silent Politics, op. cit., p. 161.

(٤) — Bernard Hennessy, Public Opinion, U.S.A. Duxbury Press, 1970, pp. 150-151.

(٥) — Andrzej Sicinski, Op. cit., p. 102.
— Leo Bogart, No Opinion, Don't Know, and Maybe No Answer, Op. cit.
— Roger Pethybnidg : "The Assessment of Ideological Influences on East Europeans, P.O.Q., Vol. 19, 1967, pp. 40-46.

(٦) العلاقة بين حكومة الأقليات ـ يمينية كانت أو يسارية فى دولة متقدمة كانت أو نامية ـ وبين الرأى العام ، تتلخص فى أنها تتجاهل الرأى العام مادام لا يهددها ، فاذا هددها فانه يصحح ، واذا أيدها فانها تستند عليه وتكافئه ، ونفس القول يمكن أن ينطبق عـلى نتائج استطلاعات الرأى العام فى تلك الدول أنظر :

(٧) — Leo Bogart, Silent Politics, Op. cit., p. 154.

(٨) المرجع السابق ، ص ١٥٥

(٩) — Nahed Saleh, Survey Research in Developing Countries, 28th ESOMAR-WAPOR Congress, Montreaux 1975, pp. 309-313.

(١٠) — Leo Bogart, Silent Politics, op. cit., pp. 153-154.

(١١) — Ibid, p. 136.

(١٢) — Joe Francis and Lawrence Busch, Op. cit., p. 208

(١٣) من النتائج اللافتة للنظر ، انه حتى بالنسبة للدول المتقدمة الديمقراطية نجد ارتفاعا فى نسبة اللارأى بالنسبة للموضوعات السياسية سواء تناولت السياسة الداخلية أو الخارجية التى يحاول البعض تفسيرها فى ضوء الاهتمام بالموضوعات السياسية مقارنا بالاهتمام بالموضوعات الاجتماعية ، ولا شك أن الدراسة المقارنة لنسبة « اللارأى » فى استطلاعات الرأى العام بالدول المتقدمة والدول النامية ازاء كافة الموضوعات كانت تصلح أساسا لتفسير سوسيولوجى لهذه الظاهرة لولا اغفال العديد من استطلاعات الرأى العام فى الدول النامية لهذه النسبة فضلا عن عدم الدقة المنهجية للكثير منها ونورد فيما يلى تحليلا لنسبة اللارأى فى استطلاعات الرأى العام التى أجراها معهد جالوب بالولايات المتحدة فى الفترة من ١٩٦٩ ـ ١٩٧١ ، والتى بجـانب القائها الضوء على كثير من جوانب الثقافة الأمريكية ـ متى تم تحليلها ، فانها تؤكد أن نسبة اللارأى لا يخلو منها عادة أى استطلاع للرأى العام حتى فى الدول المتقدمة .

طبيعة الموضوع	متوسط النسبة	الانحراف المعيارى
جنس	٥ر٥	٥ر٤
نوعية الحياة	٧ر٥	٨ر٣
ديـــن	ر٧	٩ر٣
جريمـــة	٥ر٧	٩ر٤
شباب	٧ر٧	١ر٧
أقليـــات	٩ر٨	١ر٦
اقتصـــاد	٢ر٩	٤ر٤
سياسة داخلية	ر١٤	٥ر٧
سياسة خارجية	٣ر١٣	٦ر٤

تنظيم النسل ١٧،١ ١١،٨
أنظر — Jean Converse, Op. cit., pp. 526-527.

(١٤) كشفت بعض الدراسات المقارنة التى تناولت مشكلة اللارأى عن وجود اختلافات فى « أنماط الاستجابة » بين الدول المختلفة · حيث تبين وجود اختلاف فى الميل بين الشعوب الى تجنب الاجابة « بلا أعرف » أو « بلا رأى لى » واعطاء رأى بالموافقة أو عدم الموافقة ، نفورا من ابداء الجهل بموضوع السؤال أو استطلاع الرأى ·

وقد أكدت الدراسة أنه حيث يوجد هذا الاختلاف فى الدولة الواحدة أو فى المجتمع الواحد فلابد أن تعالج المشكلة على نطاق أضيق ، فى نطاق المقارنة بين الثقافات داخل المجتمع الواحد ، بين المجتمعات المحلية ، أو بين الجماعات · وهذا هو أساس المقارنة بين الريف والحضر فى تفسيرنا لظاهرة اللارأى ·

— Andrzej Sicinski, Op. cit., pp. 126-129.

(١٥) اذا كان الرأى الحقيقى يبنى فى أساسه على المعلومات ، فان نتائج البحوث أوضحت اختلافا جوهريا بين الحضر والريف سواء فى وفرة أو فى دقة المعلومات حتى مع تثبيت متغير التعليم ·

أنظر : ناهد صالح ، معلومات الجمهور المصرى عن اساسيات العلم والتكنوموجيا بحث مقارن بين الريف والحضر ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، ١٩٧٢ ·

(١٦) من أهم الدراسات التى تناولت هذا الموضوع فى المجتمع المصرى :

— محمود عودة ، القيادة فى قرية مصرية ، رسالة ماجستير كلية الآداب جامعة عين شمس ١٩٦٢ ·

— لويس كامل ، بناء الاتصال فى قرية عربية فى لويس كامل مليكة ، قراءات فى علم النفس الاجتماعى فى البلاد العربية ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٥ ، ص‌ص· ٤٨٧ — ٥٠٨ ·

(١٧) — Wilson and Lincoln Armstrong, Interviewers and Interviewing in India, I.S.S.J., Vol. 15, 1963, pp. 48-58.

(١٨) — Emily Jones, The Courtesy bias in South East Asian Surveys, I.S.S.J., Vol. 15, 1963, pp. 70-75.

(١٩) — Wilson and Armstrong, op. cit., p. 49.

(٢٠) تؤكد كثير من البحوث والدراسات التى تناولت المجتمعات الريفية فى الدول النامية ومنها دراسة

Daniel Lerner, "The Passing of Tradition Society", New York, The Free Press, 1966.

التى ضمنها نتائج دراسته عن منطقة الشرق الأوسط ومجتمعاتها الريفية ، أن الاهتمام بالقضايا العامة ليست سمة مميزة للمجتمعات الريفية التى تحصر عادة اهتماماتها فى نطاق قضايا المجتمع الريفى فى حدود القرية ، كما أن الريفيين تقل قدرتهم على الحكم على المواقف المجردة ، أو القدرة على النظرة المستقبلية ، أو تصور أنفسهم فى أماكن الآخرين ، وكلها أمور توضح ارتفاع نسبة اللارأى فى استطلاعات الرأى العام فى المجتمعات الريفية عنها فى المجتمعات الحضرية ·

(٢١) المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، الصراع القيمى بين الآباء والأبناء وعلاقته بتوافق الأبناء النفسى ، القاهرة ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، ١٩٧٣ ، ص‌ص ٦١ — ٩٦ ٠

(٢٢) تغلب برامج الترفيه والتسلية على البرامج الجادة التى تقدمها وسائل الاعلام وفى مقدمتها الاذاعة وقد أوردا كاتز و ويدل بيانا يوضح ذلك ٠

— Elihu Katz and George Wedell, Broadcasting in The Third World, Cambridge, Massachusetts, Harvard University, 1977, p. 151.

حيث وصلت نسبة برامج الترفيه مثلا فى ايران ٧٨٪ ، وفى تايلاند ٧٢٪ ، وفى سنغافورة ٦٠٪ ، وفى قبرص ٦٩٪ ، وفى نيجيريا ٦٣٪ ، وفى البرازيل ٦٥٪ ٠

— أنظر أيضا : ناهد صالح ، الاعلام والتنمية الاجتماعية فى الدول الناميه ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، مؤتمر علم الاجتماع والتنمية ١٩٧٣ ، (تحت النشر) ٠

— ناهد صالح ، تقويم وسائل الاعلام فى الريف ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية (بحث غير منشور) أنظر نتائج تحليل مضمون البرامج الريفية ٠

(٢٣) من الملاحظ أن بعض استطلاعات الرأى العام تكتفى بمعالجة كل من متغير التعليم ومتغير العمر على حدة دون محاولة للربط بينهما فى تفسير ارتفاع نسبة اللارأى مما يؤدى الى نتائج مضللة ، بل أحيانا ورغم اعتمادها على عينة احتمالية ممثلة للرأى العام قد ترجع الارتفاع فى نسبة اللارأى الى الأمية اعتمادا على أن النسبة الغالبة من الذين لا رأى لهم من الأميين ، غير واعية بان هذه النسبة هى نفسها نسبة الأمية فى المجتمع ٠ وتدخل هذه المسألة فى نطاق البعد المنهجى فى تحليل ظاهرة اللارأى والتحيز فى تفسيرها ٠

(٢٤) المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، الصراع القيمى بين الآباء والأبناء ، المرجع السابق الاشارة اليه ، ص‌ص ٧٠ — ٧٦ ٠

— سيد عويس ، حديث عن المرأة المصرية المعاصرة ، دراسة ثقافية اجتماعية ، القاهرة ،طبعة أطلس ، ١٩٧٧ ، ص‌ص ٢٥٣ — ٢٥٥ ٠

(٢٥) صفية مجدى ، وصف أشكال السلوك من خلال مفهوم الأدوار الاجتماعية كما تعرضها قصص الصحافة النسائية فى د٠ مصطفى سويف ، صورة المرأة كما تقدمها وسائل الاعلام ، القاهرة ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ١٩٧٧ ، ص‌ص ١١٢ — ١١٤ ٠

(٢٦) أنظر على سبيل المثال تصوير بعض وسائل الاعلام فى مصر للمرأة فى صورة السلبية والعاطفية ٠

— ناهد رمزى ، الأبعاد الأساسية لسلوك المرأة كما تعرضه قصص الصحافة النسائية ، د٠ مصطفى سويف ، صورة المرأة كما تقدمها وسائل الاعلام ، المرجع السابق ، ص‌ص ٣٤ — ٥٩

(٢٧) — Leo Bogart, No Opinion, Don't Know, and Maybe No Answer, Op. cit., pp. 338-339.

(٢٨) المرجع السابق ، ص ٣٣٩ ٠

(٢٩) ناهد صالح ، تصميم عينة دائمة لبحوث الرأى العام المجلة الاجتماعية والجنائية ، القاهرة ، مايو — سبتمبر ١٩٧٨ ، ص‌ص ٣ — ٢٦ ٠ يوضح هذا البحث الاعتبارات النظرية والمنهجية فى اختيار عينات دائمة وخاصة فى الدول النامية وأهميتها بالنسبة للحد من ظاهرة اللارأى ٠

(٣٠)
— Kenneth Gergen and Kurt Back, Communication in the Interview and the Disengaged Respondent, P.O.Q., 1975, pp. 338-339.

(٣١) أفضل تصميم للعينة ، اذا أغفل فى التطبيق فئة من لا رأى لهم ـ الذين بينت نتائج البحوث والبحوث السوسيولوجية بالفات وجود اختلافات بينهم وبين الـذين يدلون بارائهم ـ فانه لن يعطى نتائج ممثلة للرأى العام بل (يؤدى الى تنبؤات غير دقيقة ومضللة • حيث أن العينة أصبحت بهذا الوضع غير ممثلة بتاتا للرأى العام الذى تقيسه •

ويمكن التعبير نظريا عن التحيز الناجم عن اللارأى » بالمعادلة التالية :

$$B = R_2 \ (M_1 — M_2)$$

ـ و B نسبة غير المجيبين أو الذين لا رأى لهم فى العينة •

ـ حيث R_2 ترمز للتحيز الناجم عن اللارأى •

ـ و $(M_1 — M_2)$ الاختلاف فى خصائص المجيبين وغير المجيبين بالنسبة للمتغيرات محل البحث •

— Filion, op. cit., p. 483.

(٣٢) مشكلة الصدق والثبات فى استطلاعات الرأى العام التى تقوم بها جهات علمية ، تحظى عادة باهتمام القائمين بها فى الدول المتقدمة ، ومن هنا تضافرت الدقة فى تصميم العينات وفى اختيارها بحيث أدت الى صدق تمثيل هذه النتائج للرأى العام وفى صـحة الـكثير من التنبؤات التى تبنى عليها • كما أن قيام أكثر من جهة باستطلاعات للرأى العام فى نفس الموضوع ، يكون بمثابة مقياس للثبات والصدق أيضا • الا أن مسألة الصدق والثبات تغفل تماما فى استطلاعات الرأى العام فى بعض الدول النامية ، وأحيانا يشار فى بعضها الى أنه تم حساب الثبات ، دون بيان لدرجات الثبات مما يشكك فى قيمة نتائج استطلاع الرأى العام ومدى صدقها • ويفسر هذا الوضع اما بنقص الخبرة العلمية وبالذات المنهجية للقائمين بها ، ويحدث هذا عادة فى حالة قيام هيئات غير علمية باجراء استطلاعات الرأى العام ، واما نتيجة لنقص فى الامكانيات العلمية والفنية والمادية التى من شأنها أن تقدم الرغبة فى سرعة الحصول على النتائج على دقة هذه النتائج وصدقها •

(٣٣) من الأسباب المباشرة لارتفاع الاجابة « بلا أعرف » أو « لا رأى لى » أن يكون السؤال حساسا ، أو غامضا ، أو يتناول أبعادا عدة قد تحدث صراعا بين القيم المتعارضة لدى الفرد •

— Coombs and Coombs, op. cit., p. 498.

(٣٤) — Kenneth Gergen and Kurt Back, op. cit., p. 336.

(٣٥) — Carol Fuller, op. cit., pp. 239-255.
— Lewis Mandell, op. cit., pp. 247-252.

(٣٦) — Carol Fuller, op. cit., p. 239.

(٣٧) — Leo Bogart, No Opinion, Don't Know, and Maybe No Answer, Op. cit., p. 342.

"NO OPINION RESPONSES IN PUBLIC OPINION SURVEYS IN DEVELOPING COUNTRIES"

Dr. Nahed Saleh

There is a widespread agreement that "No Opinion" responses present a continuous problem facing public opinion surveys in both developed and developing countries, though for the latter the problem is acute and critical.

A concern with the importance of this problem initiated this paper, which attempts to outline some of the major issues involved in it.

It assumes that 'No Opinion" has three dimensions: Political, Sociological and methodological. The three dimensions are interrelated and one can not tackle one while neglecting the other :

The essence of public opinion is the clash of opposing opinions and of differing interpretations of the same political phenomena. It is therefore difficult to visualize political public opinion where people cannot freely speak their minds, or consult more than a single source of news, and this is the case in most of the developing countries. Within this political climate one can find an explanation for the high proportion of responses such as "No opinion" or "no answer" or "I don't know" — even in non political issues — which is another way of saying "I don't want to get involved".

Our understanding of "no opinion" responses in polls is inseparable from our understanding of the main characteristics of the social structure in developing countries. So this paper tries to approach the issue in its sociological context. It tries to find an answer in the social structure of rural and urban communities,

in the socialization process, in the status of some segments of society, especially that of women... etc.

The methodological dimension deals with this issue in the context of designing a sample, structuring a questionnaire, the interview situation and the analysis of data.

According to the three dimensions through which we tackled the "No Opinion" in the polls or in public opinion surveys. One can consider the "No Opinion" as a political, a sociological and a methodological indicator of the situation in the developing countries.

« بحث التأخر الدراسى فى المرحلة الاعدادية »

نتائج البحث :

أولا : العلاقة بين بعض الخصائص الجسمية والنــواحى الصحية والتفــوق والتأخر فى التحصيل الدراسى ٠

ثانيا : العلاقة بين الذكاء والتحصيل الدراسى

ثالثا : العلاقة بين الجوانب النفسية للطالب وبين تحصيله الدراسى ٠

رابعا : العلاقة بين العوامل الاجتماعية والتحصيل الدراسى للتلاميذ ٠

هيئة البحث :

ـ الدكتور عماد الدين سلطان	مستشار بالمركز القــومى للبحــوث الاجتماعية والجنائية ـ
ـ الدكتور جابر عبد الحميد	أستاذ بكلية التربية جامعة الأزهر
ـ الدكتور رشدى فام	أستاذ بكلية التربية جامعة عين‌شمس
ـ الأستاذة سامية حافظ	باحثة بالمــركز القــومى للبحـــوث الاجتماعية والجنائية

أسلوب غير تقليدى لقياس الرأى العـــام

الدكتورة نادية حسن سالم*

مقـــدمة :

ان قياس الرأى العام يثير العديد من القضايا المنهجية ، وخاصة أن الطريقة الأكثر شيوعا ، وهى الاستطلاع من خلال استمارة ، محل نقاش فى الوقت الحالى ، على أساس أن المبحوث يجيب على أسئلة أرسلت اليه وصيغت بطريقة وأسلوب معين ، مما يثير التساؤل عن مدى صدق تلك الأداة فى قياس الرأى العام ، وهل يمكن استخدام أدوات بحث أخرى كتحليل المضمون للقياس وخاصة أنه كلما تعددت الأدوات كلما كانت النتائج أكثر صدقا • ولقد اعتبر العديد من الباحثين فى مجال العلوم السياسية والعلوم الانسانية أن قياس السلوك السياسى قد يتم عن طريق تحليل مضمون بريد القراء فى الصحافة حيث تعتبر رسائل القراء شكلا من أشكال السلوك الجماهيرى ، كما أن تحليل مضمون بريد القراء يساعد فى اعطاء مؤشرات عن مستوى واتجاه اهتمام الجمهور بل ان العديد من جماعات الضغط فى المجتمعات الغربية تعطى اهتماما كبيرا لباب بريد القراء فى الصحافة ، وترسل بانتظام للمجـــلات والجرائد • ولكن ذلك يثير قضية ما هى نوعية مرسلى الرسائل ؟ وهل يتم نشر تلك الرسائل كما هى أم يعاد تحريرها من جانب المشرفين على باب بريد القراء ؟ فالأبحاث التى تناولت بتحليلها باب بريد القراء أكدت أن مرسلى الرسائل الى ذلك الباب يمثلون الرأى العام المطلع أو النخبة ، مثل الدراسة التى قام بها كل من دافيد جراى وتريفور براون عن الاتجاهات والسلوك السياسى خلال انتخابات الرئاسة ؟ فى عام ١٩٦٨ بين نيكسون وهمفرى • وأستخدما آداة تحليل المضمون لتحليل الرســـائل المنشورة عن المرشحين للانتخابات فى ريدود سيتى تربيون وسان ماتو تيمز خـــلال أربع فترات زمنية ، فرأيا أنه يغلب على مرسلى تلك الرسائل أنهم يملثون الفئات الأكبر

---

* خبيرة بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ورئيس وحدة بحوث الرأى العام والاعلام بالمركز •

سنا والأكثر ثقافة فى المجتمع(١) ولكن أبحاثا عديدة لفربا وبرودى وباركر(٢) أكدت أن هناك اتفاقاً بين الرأى العام المطلع والرأى العام الجماهيرى ، وذلك من خلال دراسة عن الرأى العام الجماهيرى فى الولايات المتحدة الأمريكية تجاه حرب فيتنام ، والرأى العام المطلع من خلال تحليل الرسائل التى نشرت فى النيويورك تيمز وهذا يوضح أهمية تحليل مضمون رسائل باب بريد القراء باعتبارها مؤشرا لاتجاهات الرأى العام ما دامت لا توجد اختلافات جوهرية أو أساسية بين الرأى العام المطلع والرأى العام الجماهيرى ·

أما فيما يتعلق بدور المشرفين على باب بريد القراء فى تغيير رسائل القراء فهذا يخضع لدور حراس البوابة gate keepers وما يقومون به فى انتقاء الأنباء · ويرجع الى كرت لوبين الفضل فى تطوير ما أصبح معروفا بنظرية حراس البوابة الاعلامية ، اذ ركز على أنه خلال الرحلة التى تخوضها المادة الاعلامية حتى تصل الى الجمهور فان هناك بوابات يتم فيها اتخاذ قرارات بما ينشر وما لا ينشر ، ومن ثم أصبح لهذه البوابات أو القائمين على أمرها أهمية كبرى فى عملية انتقاء المعلومات(٥) · اذ يصل كم من الرسائل الى الجريدة أو المجلة وعلى المشرفين على باب بريد القراء انتقاء ما ينشر ، حيث أن المساحة المخصصة للباب لن تسمح بنشر كل هذه الرسائل ، ثم يكون على المشرف على الباب بعد ذلك أن يعيد كتابة الرسالة ، اما لانها طويلة أو أن أسلوبها لا يصلح للنشر · وقد يقوم المحرر المسئول عن الباب بعد ذلك باعادة كتابة الرسالة مرة أخرى اذا كان أحد المحررين المساعدين له قد أعاد كتابتها ، وقد يتم اختصار الرسالة أثناء عملية توضيب الصفحات واخراجها ، أو يدخل رئيس التحرير بعض التعديلات عليها ، ولكن من الملاحظ أن «حارس البوابة الاعلامية» لا يمارس دوره فقط فى باب بريد القراء لأنه فى كافة وسائل الاعلام هناك اعتبارات كثيرة يتخذ ى ضوئها القائمون بالاتصال

---

(١) David J. Grey and Trevor B. Brown, "Letters to the editor" **Journalism quarterly,** Vol. 47, No. 3 (Autumn 1970), pp. 450-456.

(٢) على سبيل المثال :
S. Verba & Brody, Public opinion and the war in Vietnam, "American Political Science Review", Vol. 16 (1967), pp. 311-333.

(٣) جيهان رشتى **الأسس العلمية لنظريات الأعلام** (القاهرة : دار الفكر العربى — ١٩٧٥) ص ٢٧٤ ·

فى الصحافة أو الاذاعة أو التليفزيون قراراتهم بالنشر أو البث منها اعتبارات خاصة بسياسة الصحيفة أو الاذاعة نفسها ، واعتبارات خاصة فى بعض الأحيان بسياسة الدولة ، ويظهر هذا بالذات فى الدولة التى يخضع فيها الاعلام بشكل أو بآخر لرقابة الدولة أو سيطرتها • ويقابل هذا فى الدول الغربية سيطرة بعض القوى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية أو الدينية على وسائل الاعلام • ورغم كل الانتقادات السابقة لمدى التمثيل الصادق لوسائل الاعلام بصورة مطلقة ، بوجه خاص ، للرأى العام ، الا أنه يمكن القول أن الصحافة تعتبر احدى وسائل الاتصال الجماهيرى وتكوين وتوجيه الرأى العام فى العصر الحديث ، وبالتالى يمكن القول أن تحليل مضمون بريد القراء فى الصحافة يعكس الرأى العام السائد ، وفى نفس الوقت يشكل الرأى العام من خلال الدور الذى يقوم به حراس البوابة أيضا •

وأكد على ذلك أيضا كل من سيدنى فيربا وجابريل الموند(١) اذ يريان أن كل شعب يحاول أن يؤثر على متخذى القرار السياسى من خلال سلوك معين قد يتطرف فيصل الى المظاهرات أو الأضراب ، وقد يعتدل فيصل الى الاتصال المكتوب من خلال ارسال رسائل الى الصحافة ويظهر ذلك بوضوح فى الدول المترامية الأطراف حيث يبعد المواطن العادى عن متخذى القرار فى العاصمة ، وهنا يصبح الاتصال المكتوب عن طريق الرسائل احدى وسائل التعبير عن الرأى •

ومما سبق يتضح التالى :

- أن رسائل القراء تعتبر شكلا من أشكال السلوك الجماهيرى •
- رسائل القراء تساعد على اعطاء مؤشرات عن مستوى واتجاه واهتمام الجمهور مع الأخذ فى الاعتبار دور حراس البوابة للتأكد من صدق تمثيل الرسائل للرأى العام •

وسيتم التعرض فيما يلى الى :

أولا : باب فى بريد القراء فى المجتمعات الغربية •
ثانيا : باب بريد القراء فىالمجتمعات الاشتراكية •
ثالثا :باب بريد القراء فى المجتمعات النامية •
رابعا : باب بريد القراء فى المجتمع المصرى •

---

(١) Gabriel Almond & Sidney Verba, "The Civic Culture", (Princeton, Princeton University Press, 1963), pp. 180-213.

أولا : باب بريد القراء فى المجتمعات الغربية :

يعتبر الكثير من الباحثين أن ظاهرة ارسال الرسائل الى الصحافة أحد أساسيات المجتمع الليبرالى الغربى ، اذ انها عملية تفريغ للشحنة العاطفية والانفعالية لدى الجماهير ، بل ان باحثة مثل ليلى سوسمان(١) ترى أن بريد القراء يعطى الفرصة للغاضب أن يدلى برأيه ، ولغير الراضى أن يتكلم وأن يسمح ، فذلك الباب هو صمام الامان للنظام السياسى الديمقراطى ، وهو أداة للدعوة للأراء السياسية والثقافية والاجتماعية المختلفة وترى أن كتابة الرسائل احدى الوسائل التى تلجأ اليها المنظمات السياسية فى الولايات المتحدة الامريكية للتعبير عن رايها والدعوة اليه . كما أن حـــوالى ٢٠٪ من الناخبين الأمريكيين اعتادوا على ارسال الخطابات الى الصحافة وأجرت مقابلة على عينة من مرسلى تلك الرسائل فى الولايات المتحدة الأمريكية ، فتوصلت الى انهم يمثلون العناّصر النشيطة داخل المجتمع الامريكى ، التى تسعى الى التعبير عن آرائها من خلال سلوك فعلى . وترى أن تلك العناصر لو لم يتح لها أسلوب ديمقراطى.ف ى التعبير عن رأيها لامكن أن تتحول الى عناصر معادية للنظام السياسى

ثانيا : باب بريد القراء فى المجتمعات الاشتراكية :

يختلف الدور الذى يلعبه باب بريد القراء فى المجتمعات الاشتراكية عنه فى المجتمعات الغربية ، وذلك يعود الى طبيعة الاختلاف الأساسى والجوهرى بين النظام الاشتراكى والنظام الليبرالى . فالنظام الاشتراكى يفترض عقيدة سياسية معينة ، على الصحافة آن تلتزم بها ولا تخرج عن اطارها ، وان كان ذلك لا يمنع حرية التعبير عن الرأى ، ولكن فى اطار تلك العقيدة . ويرى مارك هوبكينز(١) أن ظاهرة ارسال الرسائل كان لها دور مقدس فى الاتحاد السوفيتى ، وذلك يعود الى التراث الروسى من خلال العـــلاقة بين المواطن والادارة فى أنحاء الاتحاد السوفيتى . ثم تطورت من خلال حركة العمـــال والفلاحين قبل الثورة الروسية باعتبارها احدى وسائل الاثارة والكفاح ضد السلطة ، مما حدا بالحزب الشيوعى أن يصدر بيانات خاصة عن أهمية باب

---

(١) Leila Sussmann : "Mass political letter writing in America", **Public opinion quarterly**, Vol. 23, No. 2 (Sum mer), pp. 203-213.

(١) Mark W. Hopkins : 'Mass media in the Soviet Union", (U.S.A. Western Publishing Inc., 1970), pp. 303-304.

بريد القراء فى ١٩٣٦ و ١٩٤٩ و ١٩٥١ و ١٩٥٤ و ١٩٦٤ • ويرى الحزب الشيوعى السوفيتى أن الرسائل التى تتلقاها الصحافة تعبر عن مدى القبول والرضاء عن السياسات المعلنة للحزب ، كما أنها تحذر القيادات المحلية من بعض المشاكل التى تعانى منها الجماهير •

وفى السنوات الأخيرة بلغ عدد الرسائل التى تتلقاها البرافدا مثلا حوالى ٣٦٠ر٠٠٠ رسالة سنويا • والأزفيستيا ٥٠٠ر٠٠٠ رسالة • وان كان قد ظهر من خلال تحليل مضمون تلك الرسائل فى عامى ١٩٦٤ و ١٩٦٥ أن الاتجاه الغالب هو شكاوى من الضوضاء فى المدينة وعدم انتظام المواصلات وعدم تنظيم بيع السلع الغذائية ، بجانب وجود نسبة من الرسائل تسعى للحصول على معلومات عن العمل أو الحجز فى بعض الفنادق •• الخ •

ومن الملاحظ مما سبق أن باب بريد القراء فى الصحافة السوفيتية لا يتناول الأمور العقائدية والفلسفية ، أو الآراء السياسية ، وانما يهتم أساسا بالمشاكل اليومية للجماهير •

ثالثا : باب بريد القراء فى المجتمعات النامية :

أن باب بريد القراء فى المجتمعات النامية مرتبط أساسا بالخصائص الرئيسية للنظام السياسى فى تلك المجتمعات ، التى تتسم عموما بحداثة حصولها على الاستقلال ، ومحاولتها فى المجال الدولى السعى لتأكيد الذات • ويمكن تحديد أهم خصائص النظام السياسى فى ثلاث :

(أ) عدم الاستقرار •

(ب) عدم التكامل السياسى والاجتماعى •

(ج) غياب العقلانية فى اتخاذ القرار السياسى[١] •

وتتضمن هذه الخصائص الكلية عددا من العناصر ، مثل الانفصال بين النخبة الحاكمة والمحكومين الأمر الذى يؤدى الى نقصان المشاركة السياسية، ومركزية القرار السياسى ، وعدم وجود ارتباط أو نظام موحد للاتصال بين

---

(١) الدكتور على الدين هلال **محاضرات فى التنمية السياسية** (القاهرة : كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، ١٩٧٦) ص ٢٣ ـ ٢٤ •

المشاركين فى العملية السياسية • وبجانب ارتفاع نسبة الامية فان باب بريد القراء فى الصحافة فى الدول النامية يصبح حقيقة شكلية أكثر منها حقيقة واقعية •

رابعا : باب بريد القراء فى المجتمع المصرى :

منذ البداية وبدون التعرض لتطور نشأة الباب فى الصحافة المصرية الا أن المشكلة الأولى هى مدى تمثيل ذلك الباب للرأى العام المصرى فى ظل نسبة أمية تصل الى ٨٠ر٥٪ (١٩٦٠) بل ان احصاءات الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء تشير الى أن عدد الأميين البالغين من العمر ١٠ سنوات وأكثر قد ازداد فى مصر من ١٢ر٤٨١ر٧٧٢ فى عام ١٩٦٠ الى ١٣ر٣٢٤ر٨٧٩ فى عام ١٩٦٦ أى بزيادة قدرها ٦ر٨٪ • ولكن بالبحث فى التراث المصرى نجد أن ظاهرة ارسال الرسائل أمر معروف فى المجتمع منذ القدم ، ولا يرتبط بمعرفة القراءة والكتابة ، فالمجتمع أفرز نوعا من الكتبة مهمتهم ارسال الرسائل باسم أصحابها ، بل لقد لاحظ الدكتور سيد عويس(١) أن ارسال الرسائل معروف ومنتشر فى أنحاء الجمهورية ، وأعطى نموذجا لذلك ارسال الرسائل الى ضريح الامام الشافعى ، حيث أن ظاهرة ارسال الرسائل أمر معروف وموجود فى الوجه البحرى والوجه القبلى وعواصم المحافظات • ولاحظ على مرسلى الرسائل من خلال تحليل مضمونها أن الرسائل قد تكون من كاتب الرسالة وليس صاحبها ، كما أن الشكل العام لمهن مرسلى الرسائل الى ضريح الامام الشافعى يتركز فى حدود المهن الزراعية • وأن المستوى الاقتصادى العام لهم لا يزيد على مستوى الأغلبية الساحقة للفلاحين الذين يعيشون فى ربوع الجمهورية • كما أن نسبة الأمية عالية فى محيطهم اذا اعتبرنا أن ظاهرة ارسال الرسائل مرتبطة بالتراث المصرى ، كما أن هناك كتبة للرسائل وليسوا أصحابها الاصليين فان هناك دافعا للدراسة باب بريد القراء فى الصحافة المصرية باعتبارها ممثلة للرأى العام المصرى الجماهيرى والرأى العام المطلع تبعا لنوعية مرسلى الرسائل • وسنتعرض الآن لتطور نشأة

باب بريد القراء فى الصحافة المصرية :

بدأ باب بريد القراء فى الصحافة المصرية امتدادا لفكرة استفتاء الرأى العام فى ١٩٤١ فى مجلة الاثنين التى كان يرأس تحريرها مصطفى أمين ، ثم

---

(١) دكتور سيد عويس « من ملامح المجتمع المصرى المعاصر ظاهرة ارسال الرسائل الى ضريح الامام الشافعى » (القاهرة : دار الشعب ، ١٩٦٥) •

انتقلت الى جريدة « أخبار اليوم » عند انشائها فى ١٩٤٤ ، واستمر حتى قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . وكان هذا الباب غير ثابت فى مساحته أو موقعه وغير منتظم الصدور .

باب بريد القراء فى الأهرام :

عرفت الأهرام هذا الباب منذ كان رئيس تحريرها أحمد الصاوى محمد ، وكان يشرف على باب يحمل اسم « زكيبة البريد » ثم أصبح اسمه « بريد »عندماأشرف عليه على حمدى الجمال فى ١٩٥٧ ، ولم يكن له طابع محدد أو تصور خاص فى البداية ، بل كان مجرد آراء متناثرة أدبية أو اجتماعية ، ثم تغير اسم الباب الى حديث الناس ، وكان يتناول شكاوى الجمهور وكان يميل الى التركيز على القضايا العامة أو الشخصية اذا كان لها دلالة عامة . وفى فبراير ١٩٧٤ بعد الغاء الرقابة على الصحف خصصت الأهرام مساحة ثابتة بها يوميا لنشر رسائل القراء تحمل اسم بريد الأهرام ، وتولى الاشراف عليه جلال الجويلى(١) .

باب بريد القراء فى الأخبار :

لم ينتظم الباب فى الصدور ، بل كان يظهر يوما ويختفى بعد ذلك ، فعندما انتقلأحمد الصاوى محمد الى الأخبار فى١٩٥٧ تولى تحرير باب أسماه « بريد الصباح » كان ينشر فيه رسائل القراء ويعلق عليها . ولكن الباب لم يظهر فى مكان ثابت أو صفحة واحدة . وكذلك لم يظهر بمساحة ثابتة ، بل أن اسم الباب تغير عدة مرات، فتارة يسمى أنا مظلوم، وتارة أخرى الى المحرر، ثم بعد ذلك قصة الى قلبك ، وكانت أنا مظلوم عادة تأخذ شكل الشكاوى الشخصية ، بينما الى المحرر يأخذ شكل الرأى أو وجهات النظر ، كما ظهر أثناء طرح قانون الاتحاد الاشتراكى فى ديسمبر سنة ١٩٦٢ تحت اسم « القراء يقولون » عدة مرات ، وفى ١٠ فبراير ١٩٧٤ انتظم الباب فى الصدور حيث بدأ تحت اسم « الى محرر الأخبار » و«عزيزتى أخبار اليوم » بجريدة « أخبار اليوم » كل أسبوع ويتولى الاشراف على باب بريد القراء فى جريدة الأخبار نائب رئيس تحرير وهو أحمد الجندى يعاونه مجموعة من المحررين(٢) .

---

(١) على حمدى الجمال ، « **بحث تحليل مضمون بريد القراء فى الصحافة المصرية** » وحدة بحوث الرأى العام والاعلام المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية (١٩٧٩) .

(٢) أحمد الجندى (المرجع السابق) .

باب بريد القراء فى الجمهورية :

أما باب بريد القراء فى الجمهورية التى صدرت فى ديسمبر ١٩٥٣ فقد بدأ فى عام ١٩٥٨ حيث أشرف عليه ابراهيم نوار حتى عام ١٩٦٠ ولم يختف الباب منذ انشائه وان كان فى بداية عام ١٩٦٢ ليس منتظما يظهر آحيانا باسم عزيزى القارىء ويكتبه عبد المنعم السباعى وهو يتنـــاول المشكلات اليومية وأحيانا كان يتناول مشكلات الأقاليم تحت عناوين تدل على ذلك مثل محافظة الغربية ٠٠ الخ ٠

وفى نهاية عام ١٩٦٢ كان عزيزى القـــارىء الذى يقدمه عبد المنعم السباعى يتضمن تعليقات سياسية مع مشكلات وقضايا عامة ثم ظهر الباب فى السبعينات بعنوان « أنت تسأل وعبد المنعم السباعى يجيب » و « قلوب حائرة » فى الصفحة التاسعة ، ويظهر بصورة غير منتظمة ويظهر الرد تحت عناوين مختلفة مثل أسرار خاصة الى بعض القراء وكان « البـــاب المفتوح » يتناول المشكلات اليومية مثل أزمة المواصلات والتليفونات ٠٠ الخ ٠ وأشرف عليه قدرى عزب ٠ وفى ١٤ مارس ١٩٧٤ ظهر باب « مع الناس » ويتناول مشاكل الجماهير اليومية وتولى الاشراف عليه محمد أبو حديد فى ١٩٧٥(١)٠

أنواع البحوث التى تناولت بريد القراء فى الصحافة :

يمكن تحديد أنواع البحوث التى تناولت بريد القـــراء فى ثلاثة أنواع رئيسية :

أولا : بحوث عن مرسلى الرسائل الى باب بريد القراء بهدف التعرف على الدوافع للارسال والعادات والاتجاهات ، ولمعرفة هل هم يمثلون الرأى العام تمثيلا حقيقيا ويمثل ذلك النوع من البحوث دراسات لسيدنى فورسيت ووليام فاروت وجارى فاسيا ٠

فلقد قام سيدنى فورسيت بتحليل Courier Journal فى يونية ١٩٤٦ ٠ واختار بصورة عشوائية ٥٥ رسالة ٠ وأرسل لهم فى ضوء عناوينهم استبيانا فى ٣١ مايو سنة ١٩٤٧ ووصلت للباحث ٤٤ استبيانا ومن خلال تحليل نتائج الاستبيان توصل الى أن مرسلى رسائل باب بريد القراء يميلون

---

(١) قدرى عزب ، المرجع السابق ٠

الى الاتجاه المحافظ فى الدين والسياسة ، ويمثلون ذوى المهن المتوسطة والعليا ومستواهم التعليمى مرتفع ومن متوسطى السن(١) ·

ومن الملاحظ على تلك الدراسة أن العينة صغيرة بدرجة لا تسمح بتعميم النتائج ·

ولقد قام وليام فاروت بدراسة مشابهة على مرسلى الرسائل الى Eugene Register guald وتمت دراسته من خلال ثلاث مراحل : الأولى حصر للرسائل فى خلال ستة أشهر فى ١٩٥٦ · ثم المرحلة الثانية اجـــراء مقابلات مع عينة من ١٠٠ شخص من مرسلى تلك الرسائل · وأخيرا المرحلة الثالثة مقارنة نتائجمقابلات العينة السابقة بعينة من الجمهور العام لمعرفة صدق تمثيلى مرسلى تلك الرسائل للجمهور · وتوصل الى أن مرسلى رسائل بريد القراء يمثلون الرأى العام الجماهيرى ، وان كان يغلب عليهم الاقتراب من الرأى العام المطلع لانهم أكثر تعليما وأكثر نضجا ويتمتعون بدرجة عالية من النشاط السياسى ، حيث يرغبون فى التعبير عن ذواتهم بصورة عالية(١) · وكذلك أجرى جارى فاسيا بحثا على ثلاث جرائد يومية خلال مارس ١٩٦٤ وهى
Topeka daily capital the Hutchinson and the Wichita Eagle
وكان يهدف بتلك الدراسة تحديد نوع الجمهور الذى يرسل رسائل بريد القراء ، ولماذا يرسلون تلك الرسائل ؟ لاحظ من التحليل ان المجلات السابقة نشرت ١٩٣ رسالة من ١٨٦ فردا فأرسل لهم استبيان مكون من ١٢٣ استمارة واتضح له من نتائج الاستبيان أن مرسلى تلك الرسائل من القراء الجـــادين للصحف والمجلات ويعتقدون أن رسائلهم تؤثر على الرأى العام بالمساعدة فى اعلام الجمهور بقضايا مثار اهتمام ·

وتوصل الى أن مرسلى الرسائل يؤثرون فى الاحداث باعتبارهم يمثلون خصائص الجمهور العام وفى نفس الوقت فان رسائلهم المنشورة تساعد على تكوين وتوجيه الرأى العام(٢) ·

---

(١) Sidney A. Forsythe : "An Exploratory study of letters to the editor and their contributor in "Public Opinion quarterly", Vol. 14, No. 1 (1950), pp. 143-144.

(١) William D. Farant : "Who writes letters to the editor" in (Journalism quarterly) Vol. 34, No. 4 (Fall 1957), pp. 501-502.

(٢) Gary Vacia : A study of letter writers in (Journalism quarterly) Vol. 42, No. 3 (summer 1965), pp. 465-510.

ثانيا : تحليل مضمون باب بريد القراء :

باب بريد القراء كمؤشر لاتجاهات الرأى العام ونموذج لأبحاث تحليل مضمون مثل هال دافيس وجـــالين راريك ودافيد جـــراى وتريفور براون وفوستر .

فلقد قام هال دايس وجالين راريك بتحليل مضمون باب بريد القراء فى ٢١ جريدة يومية تصدرفى Orogon بالولايات المتحدة فى قضية مثارة فى الرأى العام الأمريكى فى ذلك الوقت عام ١٩٦٢ عن حرية الاتجاهات اليسارية فى مخاطبة الجامعات الرسمية للدولة ، وقارنا النتائج التى توصلا اليها من تحليل مضمون باب بريد القراء بالمقالات الافتتاحية فى تلك الجرائد للتأكد من عدم تأثير المشرفين على الجريدة فى اختيار الرسائل التى تمثل الاتجاه العام للجريدة ، وتوصلا الى أن الجرائد نشرت ١٢٦ رسالة فى ذلك الموضوع ، وكان الاتجاه الغالب على تلك الرسائل بنسبة ٦٤٪ هو عـــدم السماح للاتجاهات اليسارية بمخاطبة الطلاب فى الجامعات الرسمية للدولة ، رغم أن تحليـــل مضمون الافتتاحيات أظهر أن ٦ جرائد فقط هى التى تؤيد ذلك الاتجاه ، بينما المقالات الافتتاحية فى الجرائد الاخرى تؤكد على حرية كافة الاتجاهات فى مخاطبة الطلاب فى أى جامعة ، وتوصل كل من هال دافيس وجالين راريك الى أن رؤساء التحرير والمشرفين على أبواب بريد القراء فى الصحافة الأمريكية لا يتدخلون فى تغيير اتجاه الرسائل المرسلة مما يفترض بدوره أنها تمثل الرأى العام الحقيقى للجمهور(١) .

وكذلك قام دافيد جراى وتريفور براون بتحليـــل مضمون الرسائل المنشورة فى باب بريد القراء فى جريدة The Redwood City Tribune and San Mateo Times فى مدينتى ريدوود وسان ماتو كجزء من مشروع بحث تابع لجامعة ستانفورد لقياس الاتجاهات والسلوك السياسى خلال انتخابات الرئاسة فى ١٩٦٨ .

واختار الباحثان أربع فترات زمنية للتحليل هى ابريل ومايو ونيونية حيث تلقت الجريدتان ٢٣١ رسالة ويولية وأغسطس ٢١٦ رسالة وسبتمبر

---

(١) Hal Davis & Galen Rarick : Functions of Editorials and letters to the editor in "Journalism quarterly) Vol. 41, No. 1, (Winter 1964), pp. 108-09.

١٠٩ رسالة وأكتوبر ونوفمبر ١٥٥ رسالة • وتوصلا من مقارنة نتائج تحليل مضمون الرسائل السابقة بنتائج استطلاعات الرأى العام للناخبين فى عام ١٩٦٨ عن نيكسون وهمفرى أن هناك اتفاقا فى الاتجاه • وأكدت نتـــائج الانتخابات ما تنبأت به استطلاعات الرأى العام وتحليـــل مضمون رسائل القراء ، حيث حصل همفرى فى مدينة ريدوود بكاليفورنيا على ٤٧٪ من الأصوات الانتخابية ونيكسون على ٤٠٪ بينما فى مدينة سان ماتو حصل كل من نيكسون وهمفرى على ٤٦٪(١) •

ويتبين من البحث السابق آن تحليل مضمون بريد القراء يمكن انه يقيس الرأى العام اذا استخدمت أدوات بحث أخرى مقارنة •

ولقد أجرى فوستر وكارل فريدريك بحثا عن اتجاهات الرأى العام من خلال تحليل مضمون باب بريد القراء فى سبع جرائد أمريكية ذات توزيع قومى عال ، واعتمدا فى بحثهما على المقارنة كأساس للتحليل بين الرسائل التى نشرت للقراء والرسائل التى لم تنشر ، وتوصلا الى آن الرسائل التى تنشر فى باب بريد القراء تمثل الاتجاه السائد للرأى العام ، وكذلك الاتجاه السائد للرسائل التى وصلت الى الجريدة ، ولكنها تقلل من درجة اتساعه ومثال على تلك النتائج(٢) •

الموضـــوع	الرسائل التى نشرت	الرسائل التى تنشر
النهج الجديد مـع	٧	٤
ضد	٤٩	٣٨
جـامز كيرلى مـع	١	—
ضد	٨	١٤
الحرب الأثيوبية الايطالية	٣	٨

(١) David L. Grey & Trevor R. Brown : "Letters to the editor" in (Journalism quarterly) Vol. 47, No. 3 (Autumn) 1970), pp. 456-471.

(٢) Schuyler Foster & Carl J. Friedrick : 'Leterts to the editor as a means of measuring the effectiveness of propaganda" in (the American Political Science Review) Vol. 31, No. 1 (1937), pp. 91-97.

ثالثا : قراء باب بريد القراء :

النوع الثالث من الدراسات يتناول الجمهور ، وهل يقرأ باب بريد القراء أم لا ؟ لمعرفة مدى الاهتمام الذى يوجه للباب من القارىء العادى. فذلك النوع من الدراسات يختلف عن النوع الاول والثانى اللذين يهتمان بمدى تمثيل مرسلى رسائل القراء للرأى العام ولكن ذلك النوع من الدراسات يهتم بدور باب بريد القراء فى تشكيل الرأى العام ، ويمثل ذلك النوع من الدراسات ميشيل سنجلتيارى وكان الهدف من دراسته معرفة هل الـــذين يرسلون الرسائل الى باب بريد القراء يخاطبون أنفسهم أم أنهم يمثلون دور ووظيفة قادة الرأى .

واختار عينة عشوائية منتظمة للبحث من الرجال والنساء فى جنوب بنسلفانيا التى يمثل عدد سكانها ٢٠٫٠٠٠ مكونة من ٣٨٤ مبحوثا يمثلون الجنس والسن والمهنة فى جنوب بنسلفانيا وتضمنت الاستمارة المعلومات التالية :

هل المبحوث يتلقى جريدة يومية بانتظام ؟
ما هى تلك الجريدة ؟
هل يقرأ كل الجريدة ؟
مدى تفضيله لباب بريد القراء ؟
هل المبحوث يرسل رسائل الى باب بريد القراء ؟
ما رأى المبحوث فى باب بريد القراء ؟
مدى قابلية الرسائل المنشورة فى باب بريد القراء للتصديق
تصور المبحوث عن دور الجريدة فى تغيير الرسائل التى تلقاها .

بجانب معلومات أخرى عن شخصية المبحوث . وتوصل الى أن حوالى ٨٦٪ من العينة تتلقى الجرائد بانتظام . وأن ٧٦٪ يقرأون الجريدة بانتظام و ٧٥٪ ذكروا أنهم يقضون حوالى ٢٠ دقيقة يوميا فى قراءة الجريدة ، وأما عن نتائج مدى قراءتهم لباب بريد القراء فكانت الاجابات كالتالى :

يقرأون بانتظام	٤٥٪
حسب الظروف	٣٣٪
لا يقرأون	٢١٪

و ١٠٪ من أفراد العينة ذكروا أنهم أرسلوا رسائل الى باب بريد القراء بينما ٤٦٪ من العينة أجابوا بأنهم يعرفون شخصيا أفرادا أرسلوا رسائل

الى باب بريد القراء وعندما سئل المبحوثون عن الغاء الباب أجاب ٦٤٪ أنهم سيحتجون على الغائه •

وذكر أكثر من نصف العينة أنهم يقرأون باب بريد القراء باهتمام •

وعن مدى تمثيل باب بريد القراء للرأى العام أجـــاب ٧٥٪ من العينة بأنها تمثل الرأى العام • وعن نشر الرسائل أجاب ٤٨٪ بأنهم يعتقدون أن الرسائل تنشر كما هى دون تعديل •

وتوصل الباحث الى أن باب بريد القراء يمـــارس دورا فى تشكيل وتوجيه الرأى العام لأن القارىء يشعر بأن مرسل الرسائل يمثل الوسط الذى ينتمى اليه فتصبح الآراء التى ينشرها الباب أكثر قابلية للقبول والتصديق ولذا كان رفض العينة لالغاء الباب مؤشرا الى أن الجمهـــور يرى باب بريد القراء كمنبر للتعبير الحر عن الآراء(١) •

وثمة ملاحظة منهجية هى أن أى نتيجة عن الرأى العام واتجاهاته فى احدى البلاد ولا يمكن تعميمها على غيرها وخاصة البلاد النامية والبلاد العربية ولكنها يمكن أن تكون فرضا قابلا للاختبار ، اذ أن معظم الأبحاث السابقة أجريت فى الولايات المتحدة الامريكية حيث النظام السياسى يختلف عن البلاد العربية ، كما أن نوعية الجمهور نفسه تختلف ، ومدى معرفة القراءة والكتابة مؤشر آخر للاختلاف ، ولكن الظروف التاريخية لمجتمع معين قد تعطى أهمية لاحدى وسائل الاتصال كما هو الحال فى مصر رغم ارتفاع نسبة الأمية(٢) الا أن مرسلى الرسائل يمثلون المجتمع الى حد ما •

Michael Singletary: "How public perceives letters to the editor" in (Journalism quarterly) Vol. 58, No. 15 (Autumn 1967), pp. 535-537.

(٢) أنظر د• سيد عويس « من ملامح المجتمع المصرى المعاصر ظاهرة ارسال الى ضريح الامام الشافعى » مرجع سابق •

المـــراجع

اولا : مؤلفات باللغة العربية :

١ ـ جيهان رشتى : **الأسس العلمية لنظريات الاعلام**
(القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٧٥) ٠

٢ ـ دكتور سيد عويس « **من ملامح المجتمع المصرى المعاصر ظاهرة ارسال الرسائل الى ضريح الامام الشافعى**
(القاهرة : دار الشعب ، ١٩٦٥)

٣ ـ الدكتور على الدين هلال « **محاضرات فى التنمية السياسية** » .
(القاهرة : كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، ١٩٧٦)

ثانيا : مؤلفات باللغة الأجنبية :

Gabriel Almond & Sidney Verba, "The Civic Culture". (Princeton : Princeton University Press, 1963).

Mark W. Hopkins : "Mass media in the Soviet Union", (U.S.A. : Western Publishing Inc., 1970).

ثالثا : مقالات باللغة الأجنبية :

David L. Grey & Trevor R. Brown : "Leters to the editor" in (Journalism quarterly) Vol. 47, No. 3, (Autumn 1970), pp. 456-471.

Galy Vacia : "A study of letter writers" in (Journalism quarterly), Vol. 42, No. 3 (Summer 1965), pp. 465-510.

Hal Davis & Galen Rarick : Functions of Editorials and letters to the editor in (Journalism quarterly) Vol. 41, No. 1, (Winter 1964), pp. 108-109.

Leila Sussmann : "Mass political letters writing in America" (Public Opinion quarterly), Vol. 23, No. 2 (Summer 1959), pp. 203-213.

Michael Singletary: "How public perceives letters to the editor" in (Journalism quarterly), Vol. 58, No. 15 (Autumn 1967), pp. 535-537.

Schuyler Foster & Carl J. Friedrick : "Letters to the editor is a means of measuring the Effectiveness of propaganda" in (the American Political Science Review) Vol. 31, No. 1 (1937), pp. 91-97.

Sidney A. Forsythe : An Exploratory study of letters to the editor and their contributor in (Public Opinion quarterly) Vol. 14, No. 1 (1950), pp. 743-744.

S. Verba & Brody : "Public opinion and the war in Vietnam" (American Political Science Review), Vol. 16 (1967), pp. 311-333.

A NEW-TRADITIONAL TECHNIQUE FOR MEASURING PUBLIC OPINION

Dr. Nadia Hassan Salem

Measuring public opinion raises many methodological issues, especially as the most common technique — namely, the poll — is subject to debate. Consequently, it is possible to measure public opinion by many techniques, among them is content analysis of the readers' mail. This article begins with an introduction on the importance of content analysis with respect to measuring public opinion as reflected by the readers' mail. It then proceeds to point out the importance of the section allocated for the readers' mail in the press of Western societies, Socialist societies, developing societies, and Egyptian society.

The article next tackles the different kinds of methodological research which have dealt with the readers' mail in the press. Among these are research works dealing with the correspondents themselves, with the aim of understanding the motivation behind the correspondence, as well as the customs and attitude. Such research also seeks to answer several questions, chief among them is whether the correspondents and representative of public opinion or not.

Another kind of methodological research dealing with the readers' mail as an indication of public opinion is content analysis of the letters published in the press.

A third kind deals with the public. Do they read the section on the readers' mail or not ? The answer shows how much concern an ordinary reader gives to that section.

مفهوم « الاتجاه » فى علم النفس الاجتماعى

محاولة لتعريف اجرائى

محمد سلامة آدم(*)

تمهيـــــد :

من المشكلات المنهجية التى تواجه الباحث ـ وخاصة فى مجال العلوم الانسانية ـ تحديد المفاهيم الأساسية التى يتضمنها موضوع بحثه • فما زال الكثير من هذه المفاهيم عرضة للخلط والابهام بسبب تدخل وجهات النظر الخاصة أو المذهبية فى كثير من الأحيان • كذلك فانه لم يعد كافيا الآن ـ عند تحديد هذه المفاهيم ـ توفر شروط « السلامة المنطقية » فى استخدام العبارات والألفاظ المتضمنة فيما نضعه من تحديدات وتعريفات ؟ وانما أصبح الأمر يقتضى بالضرورة أن يكون التعريف ممكن الاجراء operational أو الاستخدام لغير صاحبه • وبعبارة أخرى ، فان المعنى الذى يرسمه التعريف فى الذهن لا يعدو أن يكون الطريق المنهجى الذى سيسير عليه البحث فى دراسة الموضوع المراد بحثه ، أو هـــو ـ بتعبير « ديوى » ـ الاجــراءات التى يمكن آداؤها (١٩٦٠ : ص ٤٨٥) • وفى هذا فقط يكمن معنى دخول العلوم « الانسانية » فى نطاق العلوم « غير الانسانية » ويحق لهـــا ، من ثم ، أن تصبح علوما Sciences بالمعنى المتعارف عليه الآن •

وهذا المقال محاولة لتحديد أو تعريف نظرى واجرائى معا ، لواحد من أهم المفاهيم التى تتعامل معها مجموعة من العلوم الانسانية ، كعلم النفس وعلم الاجتماع ، بفروعهما المختلفة ، وفى مقدمتها علم النفس الاجتماعى : ألا وهو مفهوم « الاتجاه » •

اطار تاريخى لمفهوم الاتجاه :

يكاد يكون مفهوم « الاتجاه » Attitude من أهم المفـــاهيم النفسية الاجتماعية ، كما أنه مدخل ضرورى الى فهم عدد كبير من المفاهيم الأخرى :

(*) مدرس علم النفس المساعد ـ كلية التربية جامعة القاهرة •

كمفهوم الرأى العـــام ، ومفهوم القيم ، ومفهوم الطـــابع القومى للشخصية National character وغير ذلك من المفاهيم المرتبطة بسلوك الأفراد فى علاقاتهم بعضهم ببعض وبنظم الجماعة وأعراقها وتقاليدها ومثلها العليا • لهذا اعتبر آلبورت (Allport, G.W., 1954, P. 45) أن مفهوم الاتجاه هو حجر الاساس فى بناء علم النفس الاجتماعى • كذلك شاع استخدام هذا المفهوم فى كثير من نواحى التطبيق العملى فى مجالات التعليم والصناعة والعمل والدعاية والاعلام والادارة والتدريب •• وما الى ذلك (مليكة ، ١٩٦٥ ، ص ٢٣٣) •

ويعتبر مفهوم الاتجاه واحدا من المفاهيم المركبة التى تحتوى على قدر كبير من التعميم والتجريد، ولهذا فان تحديد هذا المفهوم تحديدا واضحا ما زال يحتاج الى مزيد من الجهود ، وليس أدل عـــلى ذلك من أن كـــيرى توماس أستاذ علم النفس الاجتماعى بجامعة لندن ، حينما أشرف عام ١٩٧١ على نشر كتاب عن (الاتجاهات والسلوك) نجده يخصص قسما بأكمله لبعض الدراسات التى تناولت تحديد هذا المفهوم ، سواء بالدراسة أو بالمناقشة ، وجميعها ينتمى الى الستينات فقط من هذا القرن •

ولقد كان آلبورت من موائل المهتمين بتحديد مفهوم الاتجاه ، وذلك فى مقالته عن « الاتجـــاهات » التى نشرها مورشيزون C. Murchison فى (المرجع العام لعلم النفس الاجتماعى) عام ١٩٣٥ ، ففى هذه المقالة نجده يتتبع هذا المفهوم بدءا بما ورد فى معجم بولدوين Baldwin للفلسفة وعلم النفس (١٩٠١ ــ ١٩٠٥) من أن « الاتجاه هو استعداد للانتباه (المعرفة) أو « السلوك » ، وانتهاء بتعريف مورفى ومورفى
Murrphy, G. & Murrphy, L.B.
فى كتابهما « علم النفس الاجتماعى التجريبى » عام ١٩٣١ من أن « الاتجاه هو أن يكون لك موقف نحو أو ضد شىء من الأشياء » • وكانت حصيلة هذا الاستقراء ستة عشر تعريفا • وقد لاحظ آلبورت أن ثمة فكرة أساسية مشتركة بين هذه التعريفات هى :

« أن الاتجاه استعداد للاستجابة » ، بمعنى أن الاتجـــاه ليس هو السلوك وانما هو شرط سابق على السلوك • ثم شرع فى تقديم تعريف أكثر شمولا من تلك التعريفات التى قدمها كما يلى

« الاتجاه حالة من الاستعداد العقلى والعصبى : ،تنتظم خـــلال خبرة الشخص ، وتمارس تأثيرا توجيهيا أو ديناميا على استجابة الفرد نحو جميع

الموضوعات أو المواقف المرتبطة بهذه الاستجابة »
(Allport, G.W., 1935, p. 810).

ومع أن هذا التعريف قد وجد قبولا لدى كثير من الباحثين الا أنه كذلك قد وجد من يوجه اليه بعض الانتقادات • ومن هؤلاء ديفلير وويستى Defleur & Westie في مقالهما عن « الاتجاه كمفهوم علمى » عام ١٩٦٣ والذى أعاد نشره كيرى توماس عام ١٩٧١ فى كتابه سالف الذكر • وقد جاءت هذه المقالة محاولة منهما لتخليص مفهوم الاتجاه من بعض الشوائب التى تبعده عن الصياغة العلمية • وقد وضع الكاتبان شرطين للوصول الى مثل هذه الصياغة (1971, P. 309) :

١ ـ البعد عن استخدام بعض التصورات الغامضة كتعبير « الاستعداد العصبى » ـ الذى استخدمه البورت ـ وهى تعبيرات لا فائدة من استخدامها ، والتى تشبه الى حد كبير تعبير « الغريزة » Instinct الذى مضى أوانه •

٢ ـ أن يكون التعريف مرتبطا تماما بمناهج القياس التى تستخدمها•

وقد صنف الباحثان ـ فى تلك المقالة ـ التعريفات المختلفة للاتجاه فى فئتين كبيرتين :

١ ـ تعريفات تتصل بتصورات الاحتمال Probability conceptions أو الاتساق فى السلوك Behavioral consistency وهى تلك التعريفات التى تنظر الى الاتجاه على أنه مجرد الترابط أو الاتساق الموجود بين عدد من الاستجابات المتعلقة بمجوعة متشابهة من المثيرات أو المواقف الاجتماعية ، بحيث نستطيع أن نتنبأ باحتمال صدور استجابة معينة اذا واجه الفرد موقفا أو مثيرا اجتماعية معينا • ومن أمثلة هذا النمط تعريف كامبل Campbell الذى جاء فيه : « ان الاتجاه الاجتماعى هو ما يعبر عنه الفرد باستجابات متسقة فيما بينها ولها قدر من الديمومة أو الثبات enduring بالنسبة الى (مجموعة) من الموضوعات الاجتماعية » (Ibid, 297)

٢ ـ تعريفت تتصل بتصورات العمليات الكامنة
Latent process conceptions

وهذا النمط من التعريفات ينطوى على نوعين من المفاهيم :

(أ) مفاهيم ترجع الاتجاه الى ميكانزم داخلى Inner mechanism له وجود فعلى امبريقى Imperical يصدر عنه سلوك الفرد ومن هذا النوع تعريف البورت السالف الذكر •

(ب) مفاهيم تنظر الى الاتجـــاه كتكـــوين افتراضى Hypothetical construct أو كمتغير وسيط Mediating variable يتوسط ما بين المثيرات أو المواقف وما بين الاستجابات أو السلوك الذى يصدر عن الفرد نتيجة لمواجهة هذه المواقف • ومن هذا النوع تعريف جرين Green الذى جاء فيه: « أن الاتجاه ، شأنه شأن كثيرا من المتغيرات النفسية ، متغير افتراضى أو متغير كامن Latent أكثر منه متغير يمكن ملاحظته مباشرة • بمعنى أن مفهوم الاتجاه لا يشير الى فعل أو استجابة معينة للفرد ، بل انه مجرد تجريد لعدد كبير من الافعال أو الاستجابات التى ترتبط فيما بينها »
.(Green, B.F., 1954, P. 303)

ويرى ديفلير وويستى أن جميع هذه التعريفات بنمطيها السابقين تنتمى الى اطار « المثير ـ الاستجابة » ، الا أن النمط الثانى قد ذهب خطوة أبعد حينما سلم بوجود متغير كامن أو مفترض يعمل داخل الفرد ويشكل سلوكه الظاهرى • ويرى الباحثان أن النمط الأول من التعريفات قد بالغ فى تبسيط ظاهرة الاتجاهات ، على حين أن النمط الثانى قد تورط فى كثير من الغموض ووقع فى بعض المتناقضات • أما الغموض فهو القول بالميكنزمات الداخلية أو الخفية • وأما المتناقضات فتترتب على القول بوجود متغير ضمنى أو كامن خلف سلوكنا الظاهرى ، اذ أن ذلك يعنى وجود تطابق بين سلوك القول وسلوك الفعل عند الفرد الواحد ، ما دام نوعا السلوك يصدران عن مصدر واحد (أيا كان اسمه الميكانزم الداخلى أو الاستعداد العقلى أو حتى التكوين الافتراضى أو المتغير الكامن أو الوسيط) على حين أن بعض الدراسات قد بينت أنه لا يوجد دائما اتساق Consistency بين السلوك اللفظى Verbel وبين السلوك الفعلى Actual behavior • فالشخص يقول شيئا ، لكنه حين يأتى وقت العمل يفعل شيئا آخر ••• هكذا أظهرت دراسات لندسميث وشتراوس Lindesmith & Straus وكاتنر Kutner وزملاؤه • بل ان دراسات لابير La Piere المبكرة عام ١٩٣٤ بينت امكان حدوث تناقض واضح « بين ما يقول الناس أنهم سيفعلونه حيال احدى جمـــاعات الأقلية ، كالزوج ، وبين ما يفعلونه حقيقة عندما يواجهون بموقف عملى ازاء هذه الجماعة » •

وهنا يتساءل الباحثان : أى هذين النوعين من السلوك ـ الســـلوك اللفظى أو السلوك الفعلى ـ يكـون بمثابة المظهـــر الحقيقى The true manifestation للاتجاه الكامن Latent attitude ?
لكننا نجد الكسندر (Defleur & Westie, 1971, P. 305)

(Alexander (in) Thomas, 1971, P. 319)

يرد على ديلفير وزميله فى هذه النقطة فيحيلها الى أعمال ثرستون Thurstone المتقدمة حيث يبين ثرستون أنه حينما نقيس اتجاه فعرد ما كما يعبر عنه فى آرائه ، قبولا أو رفضا ، فانه ليس معنى ذلك أن يسلك هـــذا الفـــرد « بالضرورة » على نحو معين • أى اننا لا نملك الا أن نتنبأ بأن هذا الشخص صاحب الاتجاه المعين سوف يسلك على هذا النحـــو حينما يواجه بالموقف المتعلق بهذا الاتجاه •

ويبدو آن التصنيف الذى قدمه كل من ديفلير وويستى لمفاهيم الاتجاه لا يخلو من بعض التعسف • فجرين ، مثلا ، الذى صنف الباحثان تعريفه ضمن تعريفات « المتغير الكامن » نجده فى مقالته عن « قيـــاس الاتجـــاه » (Green, B.F., 1954, P. 335). يذكر أن تعبير المتغير الكامن ليس الا وصفا للاتساق أو التغير المتلازم Covariation بين عدد من الاستجابات المختلفة وعدد من المثيرات التى هى من نفس طبقة هذه الاستجابات • ويضيف (جرين) الى ذلك قوله : ان لمفهوم « المتغير الكامن فائدة هامة لأنه ينظم لنا هذا الحشد الكبير من الوقائع الملاحظة Data ويوحدها فى دسق ، أو نظام ، يسمح لنا بأن ننظر اليها على أنها سمات ، أو عوامل متغيرات وسطة• ثم نجده كذلك يستعين بتعريف (كامبل) الذى وضعه البـــاحثان ضمن تعريفات الاحتمال أو الاتساق فى السلوك ، ليوضح رأيه وهو التعريف الذى أشرنا اليه من قبل والذى يقول فيه (كامبل) بأن الاتجاه هو « ما يعبر عنه الفرد من استجابات متسقة فيما بينها ولها قدر من الديمومة أو الثبات تجاه بعض الموضوعات الاجتماعية » • ويصف (جرين) تعريف (كمبل) هذا بأنه تعريف **اجرائى** operational ، ثم ينتهى الى القول بأننا لا نستطيع أن نعرف الاتجاه الا بما تقيسه مقاييس الاتجاهات ، من استجابات ذات ارتباطات فيما بينها ، وان ما يميز الاتجاه ، كمتغير وسيط ، عن غـــيره من المتغيرات النفسية الأخرى ، كالعادة ، والدافع ، والـــذكاء ••• الـــخ هو مجموعة الموضوعات الاجتماعية التى يرتبط بها اتجاه من الاتجاهات ، وعلى ذلك فان محتوى اتجاه ما يتحدد بمايشتمل عليه من استجابات معينة •

اطار نظرى لتعريف اجرائى :

من العرض السابق يبدو لنا آن » جرين » كان آكثر الذين تنـــاولوا تحديد مفهوم الاتجاه وضوحا ، لكننا مع ذلك ، لا نريد أن نتجاهل تعريف ألبورت الذى أبرز البعد الدينامى للاتجاه النفسى ، على الرغم من غموض بعض عباراته •

ونقدم فيما يلى صياغة لمفهوم الاتجاه تضع فى اعتبارها الجانب النظرى الذى اهتم به ألبورت فى تعريفه ، كما تحقق الجانب الاجرائى الذى عنى به جرين ، فضلا عن استكمال بعض مكونات الاتجاه التى لم تبرز بالقدر الكافى فى التعاريف المشار اليها • ونقترح أن تكون هذه الصياغة على النحو التالى :

« الاتجاه مفهوم نفسى اجتماعى ، وهو تكوين افتراضى ، أو متغير وسيط ، تعبر عنه مجموعة من الاستجابات المتسقة فيما بينها ، سواء فى اتجاه القبول أو فى اتجاه الرفض ، وذلك ازاء موضوع نفسى اجتماعى جدلى معين • وعلى ذلك يظهر أثر الاتجاه فى المواقف التى تتطلب من الفرد تحديد اختياراته الشخصية أو الاجتماعية أو الثقافية معبرا بذلك عن جماع خبرته الوجدانية والمعرفية والنزوعية » •

وتمثل هذه الصياغة فى نظرنا ، نوعا من الوحدة والاتساق بين الاطار النظرى والأسلوب الاجرائى ، ويبدو **الاطار النظرى** فى هذا التعريف فيما يلى:

١ ـ أنه لا يبسط السلوك الانسانى ـ من المستوى النفسى الاجتماعى ـ فى مقولة « المثير ـ الاستجابة » مثلا ، وانما يجعله محصلة لخبرة الشخص المعرفية والوجدانية والنزوعية أو الارادية ، وهى محصلة تتلاقى فيها مكونات أو أبعاد الزمان والمكان والثقافة والشخصية •

٢ ـ أنه يستخدم مفهوم المتغير الوسيط الذى يسمح لنا بامكانية التنبؤ بالسلوك وامكانية البحث عن العلاقة بين هذا المتغير ـ الاتجاه ـ وبين العديد من المتغيرات النفسية الأخرى وذلك كالبحث عن العلاقة بين الاتجاهات وسمات الشخصية ، أو بين الاتجاهات والميول المهنية أو بينها وبين بعض القدرات العقلية الخاصة أو الابتكارية أو التحصيل ••• وغير ذلك •

٣ ـ يبرز هذا التعريف الدور الحيوى للاتجاه فى توجيه سلوك الأفراد ، وتحديد اختياراتهم الاجتماعية والثقافية (الايديولوجية) • ومن هنا تأتى أهمية قياس الاتجاهات فضلا عن دراسة أساليب تغييرها وتعديلها وتوجيهها •

كذلك يبدو **الجانب الاجرائى** فى هذا التعريف فى أنه يتيح امكانية القيام بقياس موضوعى ، لأنه يربط الاتجاه بالاستجابات السلوكية قولا أو عملا وهو ما يمكن ملاحظته وتسجيله وقياسه ، فضلا عن أنه يتطلب قدرا من الاتساق بين هذه الاستجابات حتى يمكن الاطمئنان الى انها تعبر عن شىء واحد هو الاتجاه المراد قياسه •

تطبيق هذا الاطار :

ولكى نمتحن هذا الاطار النظرى الاجرائى معا قمنا بتطبيقه فى دراسة واحد من أهم الاتجاهات النفسية الاجتماعية وهو اتجاه «التحرر ـ المحافظة»* Liberalism-Conservatism Attitude وذلك على النحو التالى :

١ ـ ان اتجاه التحرر ـ المحافظة يظهر فى سلوك الأفراد حينما يكونون بازاء مواقف ذات طابع اجتماعى ، وهذا ـ فى الواقع ـ ما يميز الاتجاه عن غيره من المتغيرات النفسية كما سبق أن لاحظ (جرين) ، وليس هذا العنصر الاجتماعى فى اتجاه التحرر ـ المحافظة هو المكون الوحيد لهذا الاتجاه ، اذ أنه لا يرتبط بالتكوين الاجتماعى أو بالتنشئة الاجتماعية للفرد فحسب ، وانما يرتبط كذلك بكل من التكوين الانفعالى المزاجى ، وبالتكوين العقلى المعرفى . وهذا ما أظهرته مثلا دراسة ايزنك (١٩٥١) حينما طبق مجموعة اختبارات شملت قياس اتجاهات اجتماعية وسمات شخصية ودرجة الوعى أو الاستبصار الاجتماعى .

فقد تبين « ايزنك » فى هذه الدراسة أن ما أسماه بعامل « التحرر ـ المحافظة » يرتبط بعامل آخر ، وان كان مستقلا عنه ، هو عامل المرونة العقلية فى مقابل الجمود العقلى

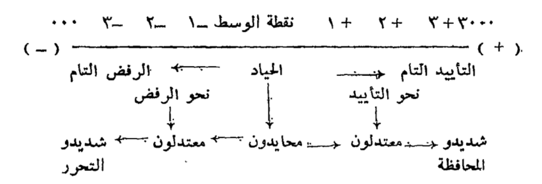
كما ظهرت له علاقات أخرى متعددة بين هذا الاتجاه ودرجة الوعى الاجتماعى وسمات العصابية والاستقرار الانفعالى ... الخ .

٢ ـ واتجاه التحرر/المحافظة ، كأى متغير نفسى آخر ، هـو تكوين افتراضى أو متغير وسيط ، فهنا لا نستطيع أن نلاحظ هذا المتغير أو نقيسه بشكل مباشر ، وانما نستدل عليه من ملاحظة أو قياس مظاهرة التى تبدو فى سلوك الفرد ومواقفه فى شكل استجابات ، يغلب عليها الترابط التحرر/المحافظة تمثل المحافظة نوعا من التأييد لمواضعات قائمة أو كانت قائمة ، كما يمثل التحرر نوعا من الدعوة الى التغيير لمواضعات قائمة أو تقليدية . Tendermindedness/Vs/Toughmindedness

---

(*) هذا المثال مستمد من الدراسة التى أجراها الكاتب للحصول على درجة الماجستير فى علم النفس (١٩٧٧) باشراف الأستاذة الدكتورة رمزية الغريب ـ كلية البنات ، جامعة عين شمس .

ويتضح ذلك حينما نتصور الاتجاه كمتصل Continuum ، ينتهى أحد طرفيه بقطب موجب ، وينتهى طرفه الآخر بقطب سالب ، اذ يتجمع حول الطرف الموجب أكثر المؤيدين لموضوع الاتجاه ، وحول الطرف السالب أكثر الرافضين ، وحول نقطة الوسط يتجمع الحياديون ، ويتوزع المعتدلون بين هذه النقاط الثلاث ، وذلك كما يبدو فى الشكل التالى مطبقا على اتجاه التحرر — المحافظة :



٣ — يأتى بعد ذلك أن نضع تعريفا لمفهوم الاتجاه المراد قياسه يصلح اطارا لمجموعة من المواقف السلوكية التى يحدد الفرد ازاءها اختياراته التى تعبر عن درجة اتجاهه : نحو التحرر أو نحو المحافظة ٠

وقد أمكن لنا أن نعرف التحرر بأنه « الميل الى التغيير ، وعدم الخضوع للأوضاع المعتادة ، وقبول الآراء الحديثة واتساع التفكير والسلوك بطـــابع الاستقلال Independency وأما المحافظة فهى « الميل الى الاحتفاظ بالأوضاع القائمة ، أو التى كانت قائمة ، ومعــارضة التغيير فيهـــا ، والتحيز للآراء والمعتقدات التقليدية ، واتساع التفكير والسلوك بطابع الـ Conformity".

لكن هذا التعريف هو تحديد للمفهوم من حيث الشكل أو الصـــورة Form لكن من المهم أيضا أن نتساءل عن المحتوى أو المضمون content حيث يمكن أن نجيب عن سؤال قد يوجه الينا مؤداه : تحرر من ماذا أو محافظة على ماذا ؟ ٠ وهنا لابد أن ينصب هذا المحتوى على بعض القضايا أو المواقف العيانية التى يحياها مجموعة معينة من الناس فى مجتمع معين وزمان محدد وتشغل اهتمامهم ، وتتباين حيالهم اختياراتهم ٠

وقد أختيرت موضوعات الملكية والسلطة الطبقية لتكون المحتويات أو المواقف التى تكشف عن اتجاه الافراد حولها تحررا أو محافظة وبالتالى أعيدت صياغة مفهوم التحرر على أنه :

« التحرر من سيطرة الافكار التى كانت تتشبث بتقديس الملكية الفردية على اطلاقها ، وتفضل ديمقراطية القلة على ديمقراطية الكثرة ، وتحافظ على الفواصل الطبقية قائمة بين البشر ، والعكس صحيح بالنسبة الى المحافظة .

٤ ـ وقد صمم اختباران لقياس هذا الاتجاه :

(أ) الاختبار الأول يقيس مدى الموافقة أو المعارضة لعدد من الأمثال الشعبية المصرية ، بلغت فى الصورة الأخيرة ٢٠ مثلا من بينها :

ـ الفقير لا يتهادى ، ولا يدادى ، ولا تقوم له فى الشرع شهادة .
ـ اذا مات الغنى يجرى الخير واذا مات الفقير مفيش خبر .
ـ آنا أول من طاع وآخر من عصى .
ـ المية متطلعش فى العالى .. وهكذا .

(ب) الاختبار الثانى يقيس اتجاه الفرد ازاء بعض المواقف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، وهو عبارة عن مجموعة من المواقف السلوكية بلغت ثمانية عشر موقفا ، يشتمل كل موقف منها على اختيارات ثلاثة تمثل التحرر أو المحافظة أو المحايدة ، ومن أمثلة هذه المواقف :

ـ فيه أرض كثيرة حتصلحها الدولة ، بمية السد العالى ، ياترى ايه

اللى نعمله فيها من الحاجات دى :

* تتوزع على المزارعين اللى عندهم ملك علشان يقدروا يصرفوا عليها .
* تأجرها الحكومة لى يطلبها سواء كان موظف أو فلاح .
* تتوزع على المزارعين الاجرية ونساعدهم على زرعها .

ـ مين من الرجالة دول ينفع عمدة فى البلد :

* أى فلاح يقدر يخدم البلد حتى ولو كان معندوش ولا قيراط .
* راجل يكون من أكبر عيلة فى البلد علشان الناس تهابه .
* الراجل اللى تختاره الحكومة بمعرفتها ...

وهكذا .

كما اتخذت الاجراءات السيكومترية التى تضمن سلامة تطبيق هذين الاختبارين كالتأكد من توفر عوامل الصدق والثبات والقدرة على التمييز ... الخ .

٥ — تم تطبيق هذين الاختبارين على مجموعات من العمال والفلاحين فى فترتين زمنتين متباعدتين نسبيا ص١٩٦٩ ، ١٩٧٦ وأسفر هذا التطبيق عن عدد من النتائج نكتفى هنا بالاشارة الى نتيجتين أساسيتين تؤكدان أن كفاءة هذين الاختبارين فى قياس هذا الاتجاه النفسى الاجتماعى من ناحية ، وبالتالى كفاءة الاطار النظرى والاجرائى الذى وضع لتحديد هذا المفهوم من ناحية أخرى ٠

١ — مقارنة بين تحرر العمال والفلاحين على اختبارى الأمثال والمواقف :

يمثل الجدول التالى نتائج تطبيق مقياس (كا٢) للمقارنة بين (وسيط) أداء كل من العمال والفلاحين على الاختبارين :

مجموعات المقارنة	الاختبار	العينة	كا٢	الدلالة	المجموعة الاكثر تحررا
بين عمال ٦٩	الأمثال	٩٠	٣ر٨٧	غير دالة	عمال ٦٩
وفلاحين ٦٩	المواقف	٩٠	١٢ر٢٥	دالةعند١٠٠ر	عمال ٦٩
بين عمال ٧٦	الأمثال	٦٠	١ر٢٢	غير دالة	عمال ٧٦
وفلاحين ٧٦	المواقف	٦٠	١٧ر٧٦	دالةعند١٠٠ر	عمال ٧٦

ويظهر فى هذا الجدول أن العمال يتجهون الى التحرر أكثر من الفلاحين وهى نتيجة تبدو منطقية فى ضوء نتائج كثير من الدراسات النفسية والاجتماعية ٠

٢ — تغيير اتجاهات العمال والفلاحين فيما بين عامى ٦٩ ، ٧٦ :

حينما أعيد تطبيق اختبارى الأمثال والمواقف مرة أخرى بعد مضى حوالى ثمانى سنوات من التطبيق الأول تغير شكل النتائج ٠ وذلك كما يبدو من الجدول التالى :

مجموعات المقارنة	الاختيار	العينة	كا٢	الدلالة	المجموعة الأكثر تحررا
بين عمال ٦٩	الأمثال	٦٠	٨ر٦٨	دالةعند ١٠ر	عمال ٦٩
وعمال ٧٦	المواقف	٦٠	٠٦ر٠	غير دالة	—
بين فلاحين ٦٩	الأمثال	٦٠	١ر٦٨	غير دالة	فلاحين٦٩
وفلاحين ٧٦	المواقف	٦٠	٢ر١٨	غير دلة	فلاحين٧٦

وقد ظهر فى هذا الجدول تراجع فى مستوى تحرر العمال

كما يقيسه اختبار الأمثال (اذا كان الفرق بين أداء عمال ٦٩ وعمال ٧٦ جوهريا عند مستوى (٠١ر) لصالح عمال ٦٩) ، وعدم نمو الاتجاه التحررى كما يقيسه اختبار المواقف حيث لم تظهر أية فروق بين أداء عمال ٦٩ وعمال ٧٦ على اختبار المواقف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ازاء قضايا الملكية والسلطة والطبقية .

وقد اختلف الموقف بعض الشىء بالنسبة الى الفلاحين فبينما كان فلاحو ٦٩ أكثر تحررا من فلاحى ٧٦ على اختبار الأمثال (وان كانت الفروق غير دالة) الا أن فلاحى ٧٦ تفوقوا نسبيا على فلاحى ٦٩ فى أدائهم على اختبار المواقف (وان كان الفرق غير دال أيضا) .

وقد فسرت هذه النتائج فى ضوء ما طرأ من تغير فى التركيب النفسى والاجتماعى والسياسى والثقافى (الايديولوجى) للمجتمع المصرى فى الفترة التى فصلت بين تطبيقى الاختبارين .

وهناك نتائج أخرى تفصيلية تتعلق بطبيعة كل ن الاختبارين ، وبالمقارنة بين بعض المتغيرات النفسية والاجتماعية مثل فئات العمر ، ومستويات التعليم ، والدخل ، والمهنة ، مما يمكن الرجوع اليه فى موضعه. لكن الذى يعنينا هنا هو أننا استطعنا من خلال تصميم مقياسين وضعا فى اطار تعريف محدد (نظريا واجرائيا معا) أن نحصل على استجابات أمكن تصنيفها وتفسيرها فى ضوء هذا الاطار النظرى الاجرائى ، وفى ضوء بعض المتغيرات التى وضعت فى الاعتبار ، فضلا عن الدراسات الأخرى التى أجريت حول هذا الموضوع .

وما نود أن نخلص اليه هو أن تحديد المفاهيم النفسية ، أو النفسية الاجتماعية ، وغيرها من مفاهيم العلوم السلوكية ، ينبغى له أن يستند الى تصور نظرى واضح ، يشتق من استقراء نتائج البحوث والدراسات المتصلة بالمفهوم المراد تحديده ، كما يستند الى استبصار الباحث نفسه ، وتصوره لموقع هذا المفهوم بالنسبة الى اطار بحثه ، وخطة وأهداف هذا البحث .

المـــــراجع

ـ جون ديوى (١٩٦٠) • **المنطق : نظرية البحث** • (ترجمة زكى نجيب محمود) • القاهرة : دار المعارف •

ـ لويس كامل مليكة (١٩٦٥) • « **قراءات فى علم النفس الاجتماعى** » (المجلد الأول) ، القاهرة : الدار القومية •

ـ محمد سلامة آدم (١٩٧٧) • « **دراسة مقارنة لاتجاه التحرر ـ المحافظة بين العمال والفلاحين** » •
رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية البنات : جامعة عين شمس •

ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ (١٩٧٩) • « دراسة مقارنة تتبعية لاتجاه التحرر/المحافظة بين العمال والفلاحين المصريين » ، فى : لويس كامل مليكة : **قراءات فى علم النفس الاجتماعى فى الوطن العربى** • (المجلد الثالث) ، القاهرة : الهيئة العامة للكتاب • ص ٤٧٩ ـ ٤٩٨ •

— Alexander, C.N. (1971) : Further Commentary on Defleur and Westie's "Attitude as a Scientific Concept", (in) Thomas, K. (ed.) (Attitudes and Behaviour), Pengwin books.

— Allport, G.W. (1935) : "Attitudes", (in) : C. Murchison, (ed.), (A handbook of social psychology), Clark Univ. Press, pp. 798-844.

— ——— (1954) : "The Historical Background of Social Psychology", (in), G. Lindzey (ed.), (Handbook of Social Psychology), Cambridge, Mass. : Addison-Wesley, pp. 3-56.

— Defleur, M.L. & Westie, F.R. (1971) : "Attitude as a Scientific Concept" (in) K. Thomas (ed.), (Attitudes and Behaviour", Penguin books.

— Eysenck, H.J. (1951) : "Primary Social Attitudes and the Social insight test". (B.J. Psychol. gen. Sect.), Vol. 62, pp. 114-122.

— Green, B.F. (1954) : "Attitude Measurement", in : G. Lindzey (ed.), (Handbook of Social Psychology). Cambridge, Mass. : Addison-Wesley, pp. 335-369.

استطلاع للرأى العام
ظاهرة الدروس الخصوصية
جهاز قياس الرأى العام*

مقـــدمة :

أصبحت الدروس الخصوصية من المشكلات المتفاقمة والتى طغت عـلى سطح الحياة الاجتماعية بالحاح فى الأعوام الأخيرة ٠ والدروس الخصوصية تمثل تناقضا من التناقضات التى تفرض نفسها على حياتنا الاجتماعية المعاصرة : فهى من ناحية ممنوعة قانونا بحكم القرارات الوزارية والنشرات المتعددة التى تصدرها وزارة التربية والتعليم ٠ ومع ذلك فان هذه الدروس أصبح لها صفة الانتشار(١) وصفة الجبر والالزام بحيث لا تكاد تنجو منها أسرة لها ابن أو أبناء فى مرحلة من مراحل التعليم المختلفة ٠ الأمر الذى يوشك أن يجعل من هذه الدروس الخاصة احدى الظواهر الاجتماعية التى تفرزها ظروف تاريخية واجتماعية معقدة ويصبح لها شكل من الدوام والثبات النسبى ، وهو الامر الذى يضاعف من خطورة هذه المشكلة ويضع علامات استفهام كبرى حول تنظيم المجتمع ذاته ، ودوافعه وغاياته ، وحول نظام التعليم نفسه، وعلاقته العضوية بنظام المجتمع — من حيث ان نظام التعليم وسياسته انعكاس لنظام المجتمع ذاته ٠ كذلك فان هذه المشكلة — الظـــاهرة — تلقى بظلالها وتساؤلاتها على الوظيفة التربوية التى يؤديها نظـــام التعليم ، وعن الآثار النفسية التى تنتج عن أسلوب أداء هذه الوظيفة ، سواء على الأبناء ـ المستفيدين المباشرين من عائد النظام التعليمى — أو على الآباء الذين يتحملون نصيبا وافرا من هذه الآثار النفسية ٠ فضلا عن الجانب الاجتماعى والاقتصادى الذى يترتب عـــلى الكيفية التى يؤدى بهـــا هذا النظـــام التعليمى لوظيفته التربوية(٢) ٠

---

* محمد سلام آدم ، شاكر عبد الحميد ، عادل سلطان ، منى يوسف ، سميحة نصر

(١) ورد فى بحث أجرته وزارة التربية والتعليم (١٩٦١) عن الدروس الخصوصية عدا من المدرسين والنظار وكبار رجال التعليم اجابوا صراحة بأن تعليمات الوزارة فيما يتعلق بالدروس الخصوصية لا تنفذ كلية أو لا تنفذ الا فى حدود ضيقة » ص ١٤٥ ٠

(٢) فى مقدمة الدراسة التى أجرتها جامعة أسيوط (١٩٧٠) حول هذا الموضوع « ان ظاهرة الدروس الخاصة والمجموعات الدراسية ظاهرة غير صحية لا تنبغى أن تكون لأنها ، من

ولقد كثر الحديث فى الآونة الأخيرة فى الصحف ووسائل الاعـــلام(٣) المختلفة عن هذا الموضوع سواء من حيث الآثار السلبية التى تسببها الدروس الخصوصية على عقليات التلاميذ من حيث أنها تقتل فيهم روح البحث والمعرفة، أو من حيث المغالاة فى المكافآت التى يطلبها المعلمون نظير أدائهم لهذه الدروس الأمر الذى يشكل عبئا ماديا اضافيا على الأسرة المصرية ٠٠٠ الخ ٠

ولذلك كان طبيعيا أن يستجيب جهاز قياس الرأى العام لالحاح صوت الرأى العام المرتفع حول المشكلة ليقوم باستطلاع للرأى فيها ٠

والدروس الخصوصية التى يتناولها هذا الاستطلاع هى تلك الدروس التى يحصل عليها التلميذ خارج الفصل المدرسى بصـــورة منتظمة ومتكررة وبأجر (خليفة بركات ، ١٩٦١ ، ص ١١) ٠

خلفية تاريخية :

كانت الدروس الخصوصية رمزا من رموز المجتمع الطبقى القديم حيث تتمتع الطبقة التى تتربع على قمة المجتمع اقتصـــاديا وسياسيا واجتماعيـــا بمختلف الخبرات والخدمات التى توفر لهذه الطبقة الراحة والسعادة والرفاهية٠ ولقد كان التعليم حقا خاصا من حقوق هذه الطبقة المنعمة حيث تجعل كـــل أسرة معلما أو مؤدبا خاصا لابنائها ، يسعى الى بيتها أو يقيم اقامة دائمـــة بينها ٠ وحتى حينما ظهرت المدارس والكتاتيب التى تقدم تعليما عاما ترفعت هذه الطبقة عن أن يختلط أبناؤها بابناء العامة وآثروا هذا الشكل من التعليم الخصوصى ٠

ولقد مر المجتمع بمراحل من التطور تكسرت خلالها كثير من الحواجز الطبقية وانتشر التعليم وأصبح حقا مكفولا لكل من يطلبه ، بل أصبح يلزم

جهة ، تعتبر من مؤشرات عدم كفاءة العملية التعليمية التى تجرى داخل فصول الدراسة فى المدارس الحكومية ، كما أن ظاهرة العيادات الطبية الخاصة من مؤشرات عدم كفاية الخدمة الصحية فى المستشفيات الحكومية ٠ ولأنها ، من جهة أخرى تضيع قيمة مجانية التعليم ٠٠ » ٠

(٣) كانت الدروس الخصوصية موضوعا للتناول فى جميع الصحف المصرية خلال الفترة السابقة من هذا العام (١٩٧٨) سواء فى شكل مقالات متخصصة أو رسائل قراء أو رسوم كاريكاتيرية وما زال الموضوع مطروحا من زوايا متعددة ٠

عليه صاحب هذا الحق اذا توانى أو أهمل فى المطالبة به(٤) ومع ذلك لم تختف الطبقى يتميز به البعض دون البعض الآخر ، وكما لو كان تقليدا عائليا وراثيا يستحيل التنازل عنه • وازدادت هذه الظاهرة اتساعا بعد أن تقررت مجانية التعليم ، فقد ظل بعض أولياء الأمور وخصوصا الموسرين منهم ينظرون الى الدروس الخصوصية على أنها بديل للمصروفات الملغاة • فالتلاميذ يذهبون الى المدارس ليتلقوا تعليمهم بالمجان وهو فى نظرهم تعليم قليل القيمة لأنهم لا يدفعون فيه مالا مباشرا ، فاذا عاد هؤلاء التلاميذ الى منازلهم تلقوا تعليما خاصا ، وهو لا شك فى نظرهم كبير القيمة لأنه مدفوع الاجر (خليفة بركات، ١٩٦١ ، ص٤٤) والوضع علىهذا الشكل أصبحمهددا لفلسفة التعليموغاياته، فضلا عن أنه يمس كرامة المعلم بطريق مباشر • ونجد هذا المعنى فى أول منشور وزارى لموضوع الدروس الخصوصية أصدره وزير المعـــارف(٥) فى أواخر أكتوبر ١٩٤٧ يقول فيه « لقد استرعى نظرى ما بلغنى عن تصرف بعض المدرسين ــ وهم بحمد الله قليل ــ فيما يتصل بالدروس الخصوصية وما يدور حولها من شبهات وأقوال ، فعنيت بدراسة ذلك وتبين لى أن موضوع الدروس الخاصة يحتاج الى التنظيم حتى يحال فيه دون المساس بكرامة المعلمين من بعيد أو من قريب ••• (المصدر السابق ، ص ١٦١) وتوالت بعـــد ذلك النشرات والقرارات الوزارية التى تمنع الدروس الخصوصية بالصورة التى هي عليه الآن ، وان كانت تسمح بها فى اطار من ضوابط معينة تتحكم فيها حاجة التلميذ الحقيقية الى الدرس الخاص ، ويتم ذلك بمعرفة وعلم ادارة التعليم المختصة • الا أنه من ناحية أخرى كان التوسع فى مجانية التعليم بعد قيام الثورة واتساع حجم التعليم ذاته ، فضلا عن دخول المجتمع فى تحولات أساسية تغير فيها اطار القيم ، فلم تصبح قيمة المال أو الثروة بعد التاميمات وتحديد الملكية ــ هي الاساس وانما أصبح العمل والتعليم لمهنة من المهن هى القيم التى يتنافس الناس حولها • وبالتالى كان ذلك انعكاس على ظاهرة الدروس الخصوصية • كذلك فانالتوسع فى التعليم فى مراحـــله الاولى ، لم يصاحبه توسع فى العمران الأعلى لمواجهة متطلبات المتخرجين فى المرحلة لأولى ، ومن ناحية ثانية فان سوق العمالة لم يستطع أن يستوعب

---

(٤) ينص قانون التعليم الابتدائى أن التعليم فى المرحلة الابتدائية الزامى على كل طفل يبلغ السادسة من عمره ويقع واجب الالزام علي والد الطفل أو ولي أمره ، ويحاكم كل من يخالف هذا النظام بالحبس مدة لا تزيد عن أسبوع أو بغرامة لا تقل عن عشرين قرشا ولا تجاوز مائة قرش (المرشد فى نظم التعليم ص ٥) •

(٥) عبد الرازق السنهورى •

جميع الذين أنهوا مراحل تعليمهم • فاذا أضفنا الى هذا ما يعانيه مجتمعنا من زيادة مطردة فى معدلات الكثافة السكانية نجد أن حلقات التنافس تزداد وتتعقد : فالصراع قائم على العمل والوظيفة ، وبالتالى قائم على مراحل ونوعيات التعليم التى تؤدى الى فرص عمل أفضل • وفى دراسة حديثة ظهر أن هناك تزايدا سريعا ومستمرا فى نسبة من يدقون أبواب العمل الى من يخرجون منه كالآتى :

الفترة الزمنية	نسبة المطالبين بالعمل الى الخارجين منه ٪
١٩٥٠ – ١٩٥٥	٢٢٥
١٩٦٠ – ١٩٦٥	٢٣٥
١٩٧٠ – ١٩٧٥	٢٦٥
١٩٨٠ – ١٩٨٥	٢٨٠

ومعنى هذا أن كل شخص يخرج من العمل يقابله ٣ أشخاص تقريبا يطلبون أن يحلوا محله (عبد العزيز القوصى ، ١٩٧٦ ، ص ٤٠) •

وتتجمع كل هذه الحلقات من التنافس والصراع فتزيد من شدة الطلب على الدروس الخصوصية وتعمق جذور هذه الظاهرة •

دراسات سابقة :

لقد فرضت مشكلة الدروس الخصوصية نفسها فى العقدين الأخيرين وزاد حجمها كما زاد الاحساس بخطرها فى السنوات القليلة الماضية ، وقد تعرضت لهذه المشكلة كثير من الكتابات أغلبها تناول الموضوع بشكل نقدى نظرى والقليل منها تناول الموضوع بأسلوب الدراسة العلمية الميدانية •

ولعل أهم دراستين علميتين أجريتا حول هذا الموضوع — فى حدود معلوماتنا — الدراسة التى قامت بها ادارة البحوث الفنية بوزارة التربية والتعليم (١٩٦١) ثم الدراسة التى قامت بها كلية المعلمين (التربية حاليا) بجامعة أسيوط على تلاميذ الاعدادى والثانوى بمدينة المنيا (١٩٧٠) •

ونقدم فيما يلى عرضا موجزا لنموذج من الدراسات الميدانية ، ثم نموذج آخر من الدراسات النظرية (المكتبية) • على اننا سنشير الى هذه الدراسات فى موضعها عند عرض ومناقشة نتائج الاستطلاع الحالى •

أولا ــ نموذج لدراسة ميدانية(٦) :

من الدراسات التى تناولت مشكلة الدروس الخصوصية بشكل شامل تلك الدراسة التى أجرتها الادارة العامة للبحوث الفنية بوزارة التربية والتعليم عام ١٩٦١ وقد تم فيها فحص مختلف الوثائق بين قرارات ومنشورات أصدرتها وزارة التربية والتعليم فيما يتعلق بالدروس الخصوصية • كما تم اعداد خمسة استفتاءات وجهت الى كل من : التلميذ ، وولى الأمر ، والمدرس ، والناظر ، وكبار رجال التعليم ، باعتبارهم أطرافا فى المشكلة وعلى اتصال مباشر بها • وقد طبق استفتاء التلاميذ على عينة ممثلة للمراحل التعليمية المختلفة ، وقد وجد أن ٥٤٪ من حجم العينة الاجمالى (وكان ١١٣٨) سبق لهم الحصول على دروس خصوصية • كما ظهر أن السنوات النهائية هى السنوات التى تزداد فيها الدروس الخصوصية ، وأن الرياضيات واللغة الانجليزية والفرنسية هى المواد التى يكثر فيها حصول الطلبة على دروس خصوصية ، كذلك ظهر من استفتاء أولياء الأمور أن ٦٠٪ منهم يعطون لاولادهم دروسا خصوصية وأن أسباب ذلك راجع الى ضعف الأبناء ، ورغبة الآباء الشخصية فى تحسين مستواهم ، وضغط المدرس عليهم ، وازدحام الفصول ، وقلة اهتمام المدرسين وطرق التدريس المتبعة ، واهمال التلاميذ ، وضعف رقابة الوالدين ، ونظام الامتحانات • كل هذه الأسباب والعوامل تلعب دورها فى تهيئة الجو الذى تكثر فيه الدروس الخصوصية •

وقد انتهت هذه الدراسة الى ضرورة أن يعاد النظر فى نظام القبول فى الجامعات ، وأن توفر الوزارة المدرسين الاكفاء ، وأن يكون هناك دستور لمهنة التدريس تراعى فيه آداب المهنة ، وأن تكون المدرسة على علم ودراية بأحوال التلاميذ الدراسية والاجتماعية وأن يهتم المدرسون بتنظيم الواجبات المدرسية وتنسيقها •

ومقترحات أخرى من أجل ضبط وتنظيم العملية التعليمية والحد من الانتشار الوبائى للدروس الخصوصية •

ثانيا : نموذج لدراسة نظرية(٧) :

---

(٦) محمد خليفة بركات وآخرون : بحث الدروس الخصوصية ، وزارة التربية والتعليم ، ١٩٦١ •

(٧) نجى الله حامد الطنطاوى : الدروس الخاصة : مشكلة اجتماعية ، صحيفة التربية ، مج ٢٠ ، مايو ١٩٦٨ •

قام بهذه الدراسة نجى الله حامد الطناوى سنة ١٩٦٨ بشكل نظرى حصر فيه أسباب الظاهرة فى العوامل التالية :

١ ـ السياسة التعليمية : التوسع الكمى فى التعليم دون التوسع النوعى فى الامكانيات ٠

٢ ـ المجتمع نفسه : الذى يبالغ فى قيمة الشهادات ٠

٣ ـ المنزل : الذى يفتقر الى الجو العلمى والتربوى المشجع على الدرس والتحصيل ٠

٤ ـ التلميذ : الذى يلجأ الى تقليد أقرانه ويفاخر بأنه يأخذ دروسا خصوصية ٠

٥ ـ المدرس : الذى قد يلجأ تلاميذه نتيجة لضعف مستواه الى مدرس آخر ليساعدهم فى تحصيل دروسهم ٠

واقترح الكاتب فى النهاية ضرورة التوصل الى مقياس آخر لتقييم التلميذ غير مقياس (المجموع) وأن يعمل المجتمع على خلق فرص عمل متنوعة لاستيعاب جميع الخريجين حتى يقل القلق والتوتر وتخف حدة السباق الجنونى وراء المجاميع الكبيرة والتى هى أحد الأسباب الأساسية فى انتشار ظاهرة الدروس الخصوصية ٠

اجراءات الاستطلاع

١ ـ اختيار العينة :

استخدمت فى هذا الاستطلاع عينة دائمة مسحوبة وفقا لآخر تعداد سكانى للجمهورية والذى تم سنة ١٩٧٦ وقد رؤى البدء فى استخدام هذه العينة بعد الانتهاء من جمع بياناتها الأولية ٠ وتبلغ هذه العينة ٤٢٠٠ مفردة ، وقد اقتصر هذا الاستطلاع على ثلث العينة سحبت بطريقة عشوائية منتظمة من العينة الدائمة بواسطة الحاسب الألكترونى وتتكون مفردات هذه العينة من رب الأسرة وهى موزعة على جميع مناطق الجمهورية الممثلة فى العينة الدائمة ، وكانت هذه العينة منتظمة تقريبا من حيث تمثيلها ونسبة هذا التمثيل للعينة من حيث توزيعها الجغرافى ٠

وقد تمت التحليلات الاحصائية للاستطلاع على ٦١١ حالة فقط وذلك للاسباب الآتية :

١ - استخدم فى هذا الاستطلاع أسلوب الاتصال بالبريد بوصفه أحد أساليب الاتصال التى وضعت تحت الاختبار لاول مرة وقد ترتب على استخدام هذه الوسيلة عدم انتظام وصول الاستمارات للباحثين فى الوقت المناسب للالتزام بموعد التطبيق المحدد وترتب على ذلك أيضا تنفيذ الباحثين للتعليمات الخاصة بعدم التطبيق فى غير الفترة الزمنية الموحدة التى نص عليها فى التعليمات(٨) ٠

٢ - ولنفس السبب أيضا استبعدت نسبة كبيرة من الحالات التى طبقت بالفعل نتيجة لتجاوز موعد وصولها الموعد المحدد للمعالجة الآلية للبيانات وحيث كان من الضرورى وضع هذا الموعد المحدد بصورة تسمح بعدم الانتظار بلا حدود لوصول بيانات جزئية من مناطق مختلفة ٠

وقد أجرى هذا الاستطلاع فى الفترة من ٩ يوليو الى ٢٥ يوليو ١٩٧٨ وهو الاستطلاع الخامس لجهاز قياس الرأى العام ٠

٣ - فقدان نسبة معينة من الحالات نتيجة للظروف المعتادة للتعامل مع عينة محددة مسبقا ومن ذلك :

(أ) عدم تواجد بعض أفراد العينة ٠
(ب) السفر لقضاء الاجازات أو للعمل بالخارج ٠
(ج) عدم تعاون الافراد لتكرار التردد عليهم ٠

٢ - الأداة المستخدمة :

صممت أداة هذا الاستطلاع بعد دراسة لمضمون الآراء التى أثيرت حول هذا الموضوع من خلال وسائل الاعلام المختلفة وبعض الدراسات السابقة ٠

وقد شكلت لجنة فرعية لاعداد هذه الأداه ٠ وهى استمارة الأسئلة التى سيطبقها باحثو الميدان على عينة ممثلة للجمهور العام فى مصر ٠

---

(٨) استخدم الجهاز لأول مرة أسلوب الاتصال البريدى مع الباحثين فى الأقاليم لاختيار هذه الوسيلة كجزء من خطته لاختبار وسائل الاتصال المختلفة وتقييمها ٠ وقد أظهرت نتائج هذا الاختبار أن الاعتماد على النظام البريدى القائم يمكن أن يؤدى الى مخاطرة شديدة فى خطة تنفيذ أى استطلاع قادم ٠

وكانت أولى الخطوات التى قامت بها هذه اللجنة هى تحديد العناصر التى ستدور حولها بنود الاستمارة ·

وهذه العناصر كما يلى :

١ ــ تصور الجمهور لحجم الظاهرة (متغير ١)

٢ ــ تصور جمهور الرأى العام لمدى ضرورة الدروس الخصوصية (متغير ٢)

٣ ــ مدى انتشار هذه الظاهرة (متغير ٣)

٤ ــ سبب انتشار ظاهرة الدروس الخصوصية (متغير ٤ ، ٥)

٥ ــ السنوات الدراسية التى تكثر فيها الدروس الخصوصية (متغير ٦ ، ٧)

٦ ــ المواد التى تكثر فيها الدروس الخصوصية (متغير ٨)

٧ ــ انتشار الدروس الخصوصية بين الجنسين (متغير ٩)

٨ ــ مستويات الانفاق المالى على الدروس الخصوصية (متغير ١٠)

٩ ــ مدى احساس الفرد بما تسببه الدروس الخصوصية من ضغوط مالية عليه (متغير ١١)

١٠ ــ المقترحات الخاصة لحل مشكلة الدروس الخصوصية (متغير ١٢)

عرض النتائج ومناقشتها

أولا ــ وصف العينة

اشتملت العينة على مجموعتين كبيرتين : مجموعة القاهرة الكبرى ، وقد مثلت فيها مدينتا القاهرة والجيزة فقط وعدد أفرادها ٢١٦ ، ومجموعة الأقاليم التى مثلت فيها غالبية المحافظات(٩) · وقد بلغ عدد أفراد هذه المجموعة ٣٩٥

(٩) شملت أقاليم مصر الرئيسية : الوجه البحرى (البحيرة ــ الغربية ــ الدقهلية ــ الشرقية ــ المتوفية ــ القليوبية) والوجه القبلى (المنيا ــ أسيوط ــ سوهاج ــ قنا) والسواحل (الاسكندرية ــ بور سعيد) ·

مفردا ٠ وكان عدد أبناء عينة القاهرة ٩٦١ يلتحق منهم بالتعليم ٤٨ر٧٪ كما كان عدد أبناء عينة الأقاليم ١٦٤٤ يلتحق منهم بالتعليم ٤٧ر٢٪ وفيما يلي وصف لأهم خصائص عينة الاستطلاع :

١ - توزيع العينة طبقا لمستويات الدخول الشهرية :

جـــدول (١)

يبين توزيع العينة طبقا لمستويات الدخول الشهرية

منـــاطق العينة	القاهرة الكبرى	الأقاليم
فئـــات الدخول	٪	٪
ـــ ٣٠ جنيه	٤٢ر٦	٥٤ر٤
٣٠ ـــ	٢٦	٢٨ر٩
٦٠ ـــ	٢٨ر٢	١٦ر٢
غير مبين	٣ر٢	٥ر
المجموع	١٠٠	١٠٠

ونلاحظ هنا أن النسب العليا تمثل الفئات الدنيا من الدخول (أقل من ٣٠ جنيه) وتتفق هذه النتيجة مع نتائج مماثلة وردت فى استطلاعات سابقة قام بها الجهاز على عينة أخرى ومسحوبة من تعداد آخر(١٠) وفى هذا اشارة الى أن نمط مستويات الدخول فى المجتمع المصرى من حيث ان الغالبية ما زالت تحتل الفئة الدنيا من حيث الدخول كذلك أظهر هذا الجـــدول أن الفئات العليا من الدخول تتركز فى القاهرة الكبرى (٢٨ر٢) بدرجة أعلى منها فى الأقاليم (١٦ر٢) ٠

---

(١٠) أنظر مثلا : استطلاع رأى عام (الاتجاهات نحو العمل فى البلاد العربية) **المجلة** الاجتماعية القومية ، مج ١٥ ، ع ١ ، يناير ١٩٧٨ ، ص ٣٣ ٠

٢ ـ توزيع العينة طبقا لمستويات التعليم (آباء وأمهات) :

جـــدول (٢)

يبين توزيع العينة حسب مستويات التعليم المختلفة

منـــاطق العينة	القاهرة الكبرى		الأقاليم	
المستوى العليمى	آباء ٪	أمهات ٪	آباء ٪	أمهات ٪
أمى	٣٢ر٥	٥٤ر٥	٣٩ر١	٧٥ر٤
يقرأ ويكتب	٢٨ر٧	١٨ر٥	٣٥ر٦	١٣
أقل من المتوسط	٢ر٥	١٢	٤ر٦	٤
متوسط	١٧ر٥	١٠ر٥	٨ر٧	٣ر٥
فوق المتوسط	١ر٨	١ر٧	١ر٤	١ر٩
عـــالى	١٠	٢ر٨	٩ر٦	١ر٩
فوق العـــالى	٣ر٤	–	١	ر٣
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

ويوضح هذا الجدول أن المستويات التعليمية للآباء أكثر ارتفاعا من المستويات التعليمية للأمهات • كذلك كانت نسبة الأمية مرتفعة بين الأمهات فى القاهرة الكبرى أو الأقاليم على حد سواء •

٣ ـ توزيع العينة حسب نوعيات المهن (آبات وأمهات) :

يبين توزيع افراد العينة طبقا لنوعيات المهن (آباء وأمهات)

جـــــدول (٣)

منـــاطق العينة	القاهرة الكبرى		الأقاليم	
المهـــــن	أباء ٪	أمهات ٪	أباء ٪	أمهات ٪
عامل حرفى	١٨ر٨	١ر٦	١٢ر٥	٣ر
عامل خدمات	١٥	١ر٦	١٢ر٣	٨ر
عامل زراعى	٨ر٥	١ر٦	٣٧ر٩	٤ر٥
ادارى	١٠ر٥	١ر٦	٩	٥ر
وظائف فنية عليا	٩ر٨	١ر٦	١٠ر٥	٢ر٥
أعمال حرة	١٤ر٦	٥ر	٩ر٥	١ر٤
صاحب أملاك	—	—	١	٥ر
لا يعمل	١٧ر٨	٩١ر٥	٣٧ر٣	٨٥ر٩
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠	١٠٠

ويلفت النظر فى هذا الجدول أن نسبة الذين لا يعملون من بين الآباء مرتفعة فى الأقاليم (٣٧ر٣) عنها فى القاهرة (١٧ر٨) وقد يدل ذلك على أن القاهرة ما زالت تستحوز على أكبر قدر من فرص العمـــل المتـــاحة فى مجتمعنا . كذلك يلفت النظر أن نسبة الامهات اللائى لا يعملن أعـــلى فى القاهرة (٩١ر٥٪) عنها فى الأقاليم (٨٦٪) وقد يرجع ذلك الى ارتفاع نسبة العاملات الزراعيات فى الأقاليم التى تبلغ نسبتها (٤ر٥٪) فى مقابل (١ر٦٪) فى عينة القاهرة الكبرى . ولكننا من ناحية أخرى نلاحظ أن الفئة الوظيفية « فنى عالى » ترتفع نسبتها عند اناث الاقاليم عنها عند مثيلاتهن فى القاهرة الكبرى ، ولعل هذه النسبة المرتفعة لا تمثل حقيقة درجة اسهام المرأة فى الاقاليم فى تقلد الوظائف الفنية العليا ، بقدر ما تشير — على الأرجح — الى وجود عدد من الزوجات العاملات فى مهن عليا يرافقن أزواجهن الذين يعملون فى الأقاليم .

٤ ـ توزيع العينة طبقا لنوعيات مدارس الأبناء :

جــــدول (٤)

يبين توزيع العينة حسب نوعيات المدارس الملتحق بها أبناء أفراد العينة

مناطق العينة	القاهرة الكبرى	الأقاليم
نوعية المـــدارس	٪	٪
مدارس حكومية	٦٨	٩٣ر٥
مدارس خاصة عربية	١٢	١ر٤
مدارس خاصة أجنبية	٤ر٤	١ر٤
مدارس حكومية خاصة عربية	١٢ر٤	٢ر٨
مدارس حكومية ، أجنبية	٣ر٢	٣ر
خاصة عربية ، أجنبية	ـ	٦ر
المجموع	١٠٠	١٠٠

يبرز هذا الجدول ظاهرة تبدو أمامنا خطيرة حيث أن ٦٨٪ فقط من أفراد عينة القاهرة يلحقون أبناءهم بالمدارس الحكومية على حين ترتفع هذه النسبة لتصل الى ٩٣ر٥٪ لدى عينة الاقاليم •

ان هذا الجدول يبين أن مما يقرب من ثلث العينة من الآباء فى القاهرة يلجأون الى المدارس الخاصة والأجنبية فى تعليم أبنائهم فى مقابل ٦ر٥٪ فقط من عينة الأقاليم وهذه النسب تهز ركنا أساسيا من أركان فلسفة التعليم فى مجتمعنا وهو مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية •

ثانيا ـ نتائج الاستطلاع

أ ـ نتـــائج عامة

١ ـ ظاهرة الدروس الخصوصية بين التصور والواقع :

ركزت الأسئلة الثلاثة الاولى من الاستطلاع على استكشاف حجم وحدود هذه الظاهرة سواء على مستوى التصور أو على مستوى الوجود الفعلى لها ثم مدى الاحساس بضرورتها •

وقد لاحظنا أنه على الرغم من أن ٦٣٫٥٪ من عينة القاهرة الكبرى يعطون لابنائهم دروسا خصوصية فى مقابل ٧١٫٧٪ من أفراد عينة الاقاليم . الا أن ٩٨٪ من أفراد كل عينة قد أجابوا بأن الدروس الخصوصية منتشرة جدا أو الى حد ما مما يؤكد مدى تغلغل هذه الظاهرة فى الحيـــاة الاجتماعية وتأثيرها سلبا أو ايجابا على قضية التعليم بالنسبة الى كل أسرة .

كما لوحظ أيضا تفاوت بين نسب تصور انتشار الظاهرة وبين الاحساس بمدى ضرورتها فالذين أجابوا بأن هذه الدروس ضرورية جدا لم يتجاوزوا ٣٧٪ تقريبا فى كلتا العينتين فاذا أضفنا نسب الذين عبروا عن أن هـــذه الدروس ضرورية الى حد ما الى من أجابوا بأنها ضرورية جدا نجد أن هذه النسب تزيد قليلا عن نسبة من يوفرون بالفعل لأبنائهم هذه الدروس وتكاد هذه النسب المتفاوتة بين تصور الظـــاهرة وبين الاحساس بضرورتها وبين وجودها الفعلى - أن تفصح عن تقدير العينة بأن هذه الدروس « شر لابد منه » فى ضوء المعطيات المختلفة المحيطة بهذه الظاهرة والتى ستكشف عنها النتائج الأخرى لهذا الاستطلاع .

والجداول الثلاثة التالية توضح هذه الجوانب الثلاثة للدروس الخصوصية (تصور انتشارها ، وانتشارها الفعلى ، وضرورتها) .

جـــــدول (٥)

يبين تصور العينة لمدى انتشار الدروس الخصوصية

مناطق العينة	القاهرة الكبرى	الأقاليم
مدى انتشار الظاهرة	٪	٪
منتشرة جدا	٧٤٫٥	٧٣٫٦
منتشرة الى حد ما	٢٣٫١	٢٤٫٦
نادرة	٢٫٤	١٫٨
المجموع	١٠٠	١٠٠

جـــدول (٦)

يبين نسب من يعطون لابنائهم دروسا خصوصية

مناطق العينة	القاهرة الكبرى	الأقاليم
توفير الدروس الخصوصية	٪	٪
يعطون دروسا لأبنائهم	٦٣ر٥	٧١ر٧
لا يعطـــون	٣٦ر٥	٢٨ر٣
المجمـــوع	١٠٠	١٠٠

جـــدول (٧)

يبين تصور العينة لمدى ضرورة الدروس الخصوصية

مناطق العينة	القاهرة الكبرى	الأقاليم
توفير الدروس الخصوصية	٪	٪
ضرورية جـــدا	٣٧ر٧	٣٦ر٣٧
ضرورية الى حد ما	٣٣ر ـــ	٤٠ر٣
لا أهمية لها	١٣ر٥	٨ر٦
لابد من الغائها	١٥ر٨	١٤ر٤
المجمـــوع	١٠٠	١٠٠

على أنه يهمنا فى هذا المقام أن نشير الى نتـــائج بحث وزارة التربية والتعليم (١٩٦١) حول هذه الظاهرة فقد ظهر أن الذين يحصلون على دروس خصوصية بالفعل يبلغون ٥٤٪ من اجمالى عينة التلاميذ الذين أجرى عليهم الاستفتاء (ص ٢١) كذلك ظهر فى البحث الذى أجرته جامعة أسيوط بمدينة المنيا (١٩٧٠) عن الدروس الخاصة والمجموعات الدراسية « أن ما يقرب من نصف التلاميذ والتلميذات (٤٥ر٤٪) الذين أجرى عليهم البحث يتلقون

معونة تعليمية خارج جدول المدرسة »(١١) ، بينما بلغت هذه النسبة فى الاستطلاع الحالى ٥ر٦٣٪ فى القاهرة ٧ر٧١٪ فى الأقاليم بمتوسط ٦٨٪ تقريبا (مع ملاحظة أن هذه النسبة تمثل عدد الآباء الذين يوفرون لأبنائهم دروسا خصوصية بصرف النظر عن عدد هؤلاء الأبناء) وهذه النتيجة تصور تزايد حجم الظاهرة عاما بعد عام • كذلك تزايد احساس الآباء بضرورة هـــذه الدروس فى هذا الاستطلاع عنه فى الأبحاث السابقة فقد عبر حوالى ٦٢٪ من الآباء بأن هذه الدروس ضرورية لابنائهم فى بحث وزارة التربية والتعليم , ص ٤٣) ، على حين نجد هذه النسبة فى استطلاعنا الحالى حوالى ٧١٪ فى القاهرة و ٧٧٪ فى الأقاليم بمتوسط ٧٤٪ • أما بحث جامعة أسيوط فقد لاحظ ,. ما يأخذه التلاميذ من دروس خاصة أو اشتراك فى مجموعات دراسية فانه يكون باقتراح من ولى الأمر بنسبة ٢٨٪ تقريبا ، وباقتراح من التلميذ نفسه بنسبة ٧٢٪ وتبرز هذه النتيجة شعور التلاميذ بالقصور فى تدريس الفصول وبكفاءة الدروس الخاصة والمجموعات الدراسية وبدرجة أقل احساس الآباء بأهمية هذ هالدروس (ص ٦٩ — ٧١) •

دوافع الدروس الخصوصية :

فيما يتعلق بالدوافع التىتجعل الآباء يوفرون لابنائهم دروسا خصوصية فقد اتفقت نتائج من القاهرة والاقاليم على أن الدافع الذى يتقدم على سواه هو الرغبة فى الحصول على مجموع درجات أعلى فهذا المجموع هـــو المحك أمام التنافس الشديد على مراحل التعليم الأعلى حتى مستوى الجامعة فقد حصل هذا العامل على أكبر نسبة تكرار سواء بين عينة القاهرة (٦ر٣٦٪) أو بين عينة الأقاليم (١ر٤٥) وعندما طلب من أفراد العينة أن يختاروا عاملا واحدا هو الأكثر أهمية من بين العوامل الاخرى جاء ترتيب هذا العامل فى المقدمة (بنسبة ٤ر٤٨٪ فى القاهرة و ٥٨٪ فى الأقاليم) •

كذلك اتفقت عينتا القاهرة والاقاليم على أن العامل الثانى سواء من حيث تكرار وروده أو من حيث أهميته النسبية كان هو عامل ازدحام الفصـــول بالتلاميذ وهو الازدحام الذى يفوت على كثير من التلاميذ فرصة التحصيل الجيد وحسن الاستيعاب(١٢) •

---

(١١) ابراهيم محمد الشافعى وآخرون : **الدروس الخاصة والمجموعات الدراسية** ، جامعة أسيوط ، كلية المعلمين ، ١٩٧٠ ، ص ٣٩ •

(١٢) الكثافة المقررة للفصل الواحد (عدد تلاميذ الفصل) فى التعليم الابتدائى ٤٠ تلميذا وفى الاعدادى والثانوى ٣٦ تلميذا طبقا للمعدلات الرسمية لوزارة التربية والتعليم (المرشد فى نظم التعليم) أما الكثافة الفعلية فهى تزيد عن ذلك بنسب متفاوتة •

أما العامل الثالث من حيث تكرار وروده أو من حيث ترتيب أهميته فكان ضعف مستوى المدرسين ، فشعور التلميذ بضعف مدرسه فى المادة العلمية يدفعه الى البحث عن مدرس آخر أكثر كفاءة وذلك عن طريق الدروس الخصوصية .

وكان عامل ضعف المعلم فى مادته متساويا فى أهميته بين عينتى القاهرة والأقاليم وهى نتيجة مستغربة إلى حد كبير اذا وضعنا فى اعتبارنا ان القاهرة كانت توفر لمدرسيها المستويات المرتفعة من الكفاءة من خلال تعيين المدرسين من بين أكفأ الخريجين ومن بين أصحاب أعلى المستويات من حيث الكفاءة المهنية ، ومن حيث الخبرة (كشرط من شروط النقل الى القاهرة) الأمر الذى كان يتوقع معه أن تكون الشكوى من ضعف معلمى الأقاليم هى الأكثر تكرارا .

ويحتمل ان يكون الأمر راجعا الى زيادة حساسية الأسرة القاهرية لمستوى كفاءة المعلم نتيجة لتوفر امكانية المتابعة والتقييم من جانب أسرة متعلمة بحيث يبالغ فى مجتمع القاهرة من نقص الكفاءة وخطورتها بصورة تجعلها تتساوى مع ما هو موجود فى الاقاليم وهى مبالغة تهمل أو تتجاهل مستويات الكفاءة الأعلى بالفعل لمعلمى القاهرة .

ويبين جدولى ٨ ، ٩ العامل التى تدفع الى طلب الدروس الخصوصية وأكثر هذه العوامل من حيث الأهمية .

جـــدول (٨)

يبين العوامل التى تدفع إلى طلب الدروس الخصوصية

مناطق العينة	القاهرة الكبرى	الأقاليم
العـــوامل	٪	٪
نظام الامتحانات الحالى	٨ر٢	٢ر١٨
ازدحام الفصول	٨ر٢١	١ر٢٥
صعوبة المناهج الدراسية	٩ر٦	٣ر٢٣
الرغبة فى الحصول على مجموع مرتفع	٦ر٣٦	١ر٤٥
عدم توفر الامكانيات التعليمية	٣ر٩	٣ر٧
عدم تفرغ الوالدين	٤ر١٣	٣ر٤
ضغط المدرس	٧ر١٦	٥ر٢٠

وقد حسب معامل ارتباط الرتب Rank — order correlation بين ترتيب العوامل التى تدفع للحصول على الدروس الخصوصية بين عينتى القاهرة والاقاليم وكانت قيمة معامل الارتباط ٧١٥ر وهى دالة عند مستوى ٥٪ مما يوضح ان نفس الاسباب واحدة وأهميتها واحدة تقريبا لدى العينتين.

ويلاحظ من الجدول رقم (٨) أيضا أن الرغبة فى الحصول على مجموع مرتفع حظيت بأعلى ترتيب لدى العينتين ورغم التفاوت فى وزن هذا السبب بين القاهرة والاقاليم (٣٦ر٦٪ ، القاهرة ، ٤٥ر١٪ الأقاليم) فان حساب جوهرية الفروق بين النسب المئوية لهذا السبب لدى العينتين أظهر عدم وجود فارق جوهرى (ت = ٨٤٩ وغير دال) .

جـــدول (٩)

مناطق العينة	القاهرة الكبرى	الأقاليم
أكثر العوامل أهمية	٪	٪
الرغبة فى الحصول على مجموع مرتفع	٤٨ر٤	٥٨
ازدحام الفصول	١٤ر٣	٨ر٤
ضعف مستوى المدارس	١٤ر٣	١١ر٨
ضغط المدارس	١٢ر١	٨ر٤
نظام الامتحانات الحالى	٦ر٦	٣
عدم توفر الامكانيات التعليمية	٣ر٣	٢ر٢
عدم تفرغ الوالدين	١	١
صعوبة المناهج الدراسية	—	٧ر٢

وبحساب معامل ارتباط الرتب Rank order correlation بين ترتيب أهمية أسباب الحصول على الدروس الخصوصية لدى عينتى القاهرة والأقاليم وجد أن معامل الارتباط يبلغ ٨٣٣ر٠ وهو دال عند مستوى ٠٥ر مما يوضوح أن الأسباب التى تذكر لدى العينات المختلفة وأهميتها وترتيب هذه الأهمية متقاربة الى حد بعيد ويحدد هذا التقارب معامل الارتباط المرتفع بين الترتيبين :

وبحساب جوهرية الفرق بين النسب المئوية لأهم عامل ذكر فى العينتين وهو الرغبة فى الحصول على مجموع مرتفع (٤ر٤٨٪ القاهرة ، ٥٨٪ الأقاليم) كانت قيمة ت = ١٫٠٩٢ وهى غير دالة له وأن الترتيب واحد بالصورة التى عكسها معامل ارتباط الرتب ٠

والواقع أن ترتيب هذه العوامل كدوافع للدروس الخصوصية يحتاج الى مزيد من الفحص والتأمل ٠ ولعلنا اذا استحضرنا هذه الدوافع التى كانت تدفع الآباء من سبعة عشر عاما تقريبا الى الالتجاء الى الدروس الخصوصية نجد شيئا لافتا للنظر وهو أن ما أصبح عاملا من المرتبة الاولى كان عاملا من المرتبة العاشرة فى ذلك الوقت وهو ما عبر عنه « نظام القبول الحالى » الذى يأخذ بمجموع الدرجات كمعيار للافضلية بين تلميذ وآخر ٠ والآن نجد هذا الدافع هو المحرك الأساسى وتأتى بقية العوامل كدوافع ثانوية ٠ ونورد هنا ترتيب الدوافع للالتجاء الى الدروس الخصوصية كما يراها أولياء أمور التلاميذ حسب القيمة الوزنية لكل دافع وذلك كما وردت فى بحث وزارة التربية والتعليم (١٩٦١ — ص ٤٦) :

١ — ازدحام الفصول بالتلاميذ ٠
٢ — قلة اهتمام المدرسين ٠
٣ — طرق التدريس المتبعة حاليا ٠
٤ — اهمـــال التلاميذ ٠
٥ — ضعف رقابة الوالدين ٠
٦ — المنـــاهج الحالية ٠
٧ — الكتب المقررة ٠
٨ — مرتب المدرس ٠
٩ — نظام الأمتحان الحالى ٠
١٠— نظام القبول الحالى ٠
١١— مجانية التعليم ٠

الدروس الخصوصية فى المراحل التعليمية المختلفة :

أظهرت النتائج انه على حين كانت المرحلة الثانوية هى أكثر المراحل التى تكثر فيها الدروس الخصوصية فى القاهرة الكبرى فان المرحلة الابتدائية هى التى احتلت المركز الأول من حيث زيادة الدروس الخصوصية بالنسبة الى الأقاليم ٠ ولعل ذلك راجع الى أن التوسع فى التعليم بالنسبة الى الأقاليم هو أكثر ما يكون فى قاعدة الهرم التعليمى بينما يختلف الأمر بالنسبة الى القاهرة حيث التوسع شامل لجميع درجات الهرم (أو السلم التعليمى) ٠

ومن ناحية أخرى يمكن أن تشير هذه النتيجة الى عدم بروز هدف الاستمرار حتى الجامعة فى الأقاليم بالقدر المقابل فى القاهرة • كما قد تشير أيضا الى رغبة أبناء الأقاليم فى اختصار مرحلة التعليم والاكتفاء بمراحل التعليم الوسطى كالتعليم الفنى بأنواعه أو دور المعلمين •

وفى الوقت نفسه فان عينة القـــاهرة تهتم بالدروس الخصوصية فى مختلف مراحل التعليم العام سواء فى الثانوى أو الاعدادى أو الابتـــدائى بنسب متفاوتة وهو ما يظهر فى عينة الأقاليم •

أما اذا انتقلنا الى الدروس الخصوصية فى مرحلة التعليم الجامعى فاننا نجد نسبا ضئيلة لا تمثل أهمية كبيرة ويوضح جدول (١٠) توزيع الدروس الخصوصية على المراحل التعليمية المختلفة •

جـــــدول (١٠)

يبين توزيع الدروس الخصوصية على المراحل التعليمية المختلفة

مناطق العينة	القاهرة الكبرى	الأقاليم
المراحل التعليمية	٪	٪
الابتدائى	٢٩	٣٧ر٤
الاعـــــدادى	٢٦	١٥ر٥
الثـــانوى	٣٠	١٥
الجـــــامعة	١	٣ر
أكثر من مرحلة	١٤	٣١ر٨
المجمـــوع	١٠٠	١٠٠

كذلك ظهر أن الدروس الخصوصية تكثر فى السنوات النهائية لكـــل مرحلة تعليمية (أى فى الشهادات) وتظهر بنسب ضئيلة فى سنوات النقل• وهو ما يؤكد ما ظهر من أسباب تدفع الى الالتجـــاء الى الدروس الخصوصية حيث كان الحصول على مجموع درجات مرتفع فى مقدمة الدوافع الكامنة وراء السعى للحصول على الدروس الخصوصية ويوضحجدول (١١) توزيع الدروس الخصوصية بين سنوات النقل والسنوات النهائية •

جـــدول (١١)
يبين توزيع الدروس الخصوصية بين سنوات النقل والشهادات

مناطق العينة	القاهرة الكبرى	الأقاليم
السنوات الدراسية	٪	٪
سنوات النقل	١٢ر٧	٨
الشـــــهادات	٧٢ر٦	٦٢ر٨
النقل والشهادات	١٤ر٦	٢٩ر٢
المجمـــــوع	١٠٠	١٠٠

وهذه النتيجة مماثلة لما توصل اليه بحث وزارة التربيـــة والتعليم (١٩٦١) ص ٢٤ ، ولما توصل اليه أيضا بحث جامعة أسيوط على تلاميذ الاعدادى والثانوى بمدينة المنيا (١٩٧٠) ص ٤٦ مما يكشف عن الهدف الحقيقى للدروس الخصوصية وهو الحصول على مجموع درجات مرتفـــع فى الشهادات .

مواد الدروس الخصوصية :

وفيما يتعلق بالمواد الدراسية التى يزداد فيها الطلب على الـــدروس الخصوصية فقد ظهر أن مادة الرياضيات تأتى فى مقدمة هذه المواد تليهـــا اللغة الانجليزية فاللغة العربية فالفرنسية ثم العلوم وذلك سواء فى عينة القاهرة أو فى عينة الأقاليم والجدول التالى يبين النسب المختلفة التى حصلت عليها المواد الدراسية فيما يتعلق بمدى الاقبال على الدروس الخصوصية .

جـــدول (١٢)

يبين المواد التى تكثر فيها الدروس الخصوصية

مناطق العينة المواد الدراسية	القاهرة الكبرى ٪	الأقاليم ٪
الرياضيات	٨٧ر٥	٨٧ر٨
اللغة العربية	٤٨ر٦	٥٨ر٧
اللغة الانجليزية	٦١	٦١ر٨
اللغة الفرنسية	٢٢ر٧	٢٢ر٨
العلوم الطبيعية	١٦ر٢	١٦
العلوم الانسانية	٣ر٧	١ر٨
أخـــرى	١ر٩	١ر٥
المجمـــوع	١٠٠	١٠٠

ويلاحظ أنه لا يوجد اختلاف بين هذا الترتيب للمـــواد التى كانت موضوعا للاقبال عليها وبين الترتيب الذى توصل اليه بحث وزارة التربية والتعليم (ص ٢١) ٠ الا أن هناك فرقا واحـــدا بين دراستنا الحالية وبين الدراسة السابقة وهو ارتفاع نسب النتائج الحالية ولعل ذلك يرجـــع الى كثرة المواد التى يحصل فيها التلميذ على دروس خاصة وهذا دليل عـــلى استمرار الظاهرة وتفاقمها ٠

كذلك تتفق نتائج هاتين الدراستين بنتائج وبحث جامعة أسيوط مع فارق بسيط هو تقدم مادة اللغة العربية على اللغة الانجليزية فى المرحلة الاعدادية ٠ كما تتفق نتائج جامعة أسيوط مع نتائج الاستطلاع الحالى فى ارتفاع نسبة مادة الرياضيات بالقياس الى بقية المواد وخاصة فى الثانوى « حيث يستعين على دراستها خارج المدرسة مـا يزيد عن ثلث التـــلاميذ (٣٤ر٤٪) الذين يستعينون بمعونات خارجية ، وتقل عنها بقية المواد ، فتبلغ نسبة الانجليزية ١٤ر٢٪ والعربية ١٣ر٥٪ ٠٠ الخ (ابراهيم الشافعى وآخرون ، ١٩٧٠ ، ص ٥٩) ٠

الدروس الخصوصية بين البنين والبنات :

تضمن الاستطلاع سؤالا عن نصيب كل من البنين والبنات من الدروس الخصوصية وهو أشبه ما يكون بأسئلة الرأى والاتجاه « تفتكر مين اللى بياخد دروس خصوصية أكثر الصبيان أو البنات أو الاثنين زى بعض » وقد وجه هذا السؤال لجميع أفراد العينة (من الذين ليس لديهم أولاد الى الـــذين لديهم أولاد ملتحقين بالتعليم ويوفرون لهم الدروس الخصوصية) على أساس ان الاتجاه يعد مؤشرا مناسبا للسلوك الفعلى وبين جدول ١٣ ، ١٤ توزيع اتجاهات الوالدين من حيث التفرقة بين الجنسين فى الحصول على الـــدروس الخصوصية ٠

جـــــدول (١٣)

يبين توزيع اتجا ءالوالدين من حيث التفرقة بين الجنسين

فى الحصول على الدروس الخصوصية

مناطق العينة	القاهرة	الأقاليم
التفرقة بين الجنسين	٪	٪
توجـــد فروق	٥٧ر٤	٤٣ر٦
لا توجد فروق	٤٢ر٦	٥٦ر٤

جـــــدول (١٤)

يبين توزيع نسب من يفرقون بين الجسنين

فى الحصول على دروس خصوصية

مناطق العينة	القاهرة	الأقاليم
النـــــوع	٪	٪
بنـــين	٨٠ر٢	٧٥ر٦
بنـــات	١٩ر٨	٢٤ر٤

ويلاحظ فى جدول (١٣) ان النسبة الاكبر من الآباء فى القاهرة تفرق بين الذكور والاناث فى فرص الدروس الخصوصية التى توفر لهم حيث كانت نسبة من يفرقون بين الجنسين ٥٧٫٤ يقابلها ٤٣٫٦ فى الأقاليم بينما بلغت نسبة من لا يفرقون ٤٢٫٦ فى القاهرة يقابلها ٥٦٫٤ فى الأقاليم ·

ويوضح جدول رقم (١٤) ان الاتجاه نحو توفير دروس خصوصية للبنين يمثل النسبة الأكبر ارتفاعا بالمقارنة بنسبة الاتجاه نحو توفير هذه الدروس للفتيات لدى الآباء الذين يفرقون بين الجنسين ·

الاتفاق على الدروس الخصوصية :

أظهرت النتائج آن هناك تفاوتا فى نسب الانفاق الشهرى على الدروس الخصوصية بين القاهرة الكبرى والاقاليم فبينما كانت أعلى نسبة للانفاق الشهرى على الدروس الخاصة تقل عن عشرة جنيهات شهريا فى الأقاليم نجد أن أعلى نسبة انفاق فى القاهرة تزيد عن خمسين جنيها فى الشهر · ولعل تفسير هذا التفاوت راجع الى أن غالبية الدروس الخصوصية منتشرة فى المرحلة الابتدائية فى الأقاليم على حين نجد أنها مركزة فى المرحلة الثانوية بالقاهرة ، وهذا يدل على تفاوت أجر مدرس الثانوى عن زميله مدرس الابتدائى بالاضافة الى ارتفاع أجر المدرس الخصوصى فى القاهرة عنه فى الأقاليم ، كذلك حصول ابن القاهرة على دروس خصوصية فى آكثر من مادة دراسية لضمان الوصول الى أعلى نسبة من المجموع الكلى للدرجات فى الشهادة الثانوية · ومع ذلك فان كلا من أفراد العينتين يشعرون بأن نفقات هذه الدروس الخصوصية تفوق طاقة احتمالهم المادية ويبين (جدول ١٥) نسب الانفاق الشهرى على الدروس الخصوصية كما يبين (جدول ١٦) مدى تحمل رب الأسرة لنفقات هذه الدروس ·

جـــدول (١٥)

يبين فئات الانفاق الشهرى على الدروس الخصوصية ونسبها المئوية

مناطق العينة	القاهرة الكبرى	الأقاليم
نسب الانفـــاق	٪	٪
أقل من ١٠	٩ر٧	٥ر٣٨
١٠ —	٧ر١٨	٥ر١٧
٢٠ —	١ر١٥	٧ر١٦
٣٠ —	٨ر١٠	٦
٤٠ —	٧ر١٣	٦ر٩
٥٠ —	٨ر٣٣	٧ر١١
لا يوجـــد	٦ر٣٥	٢٩
المجمـــوع	١٠٠	١٠٠

جـــدول (١٦)

يبين مدى تحمل رب الأسرة لنفقات الدروس الخصوصية

مناطق العينة	القاهرة الكبرى	الأقاليم
تحمل النفقـــات	٪	٪
النفقات فوق الطاقة	٨ر٧٦	٧ر٦٧
النفقات فى حدود الامكانيات	٢ر٢٣	٣ر٣٢
المجمـــوع	١٠٠	١٠٠

مواجهة المشكلة :

كان تصور أحد أفراد العينة لاسلوب حل المشكلة مختلفا فى بعض جوانب حل المشكلة ومتفقا فى بعضها الآخر ٠

فقد كان أهم اقتراح قدمته عينة القاهرة يتناول المشكلة من جذورها وهو الاقتراح بأن يكون القبول في المراحل التعليمية المختلفة على أساس قدرات الطلبة واستعداداتهم لا على أساس مجموع الدرجات فحسب وهو

اقتراح يدل على الوعى بالمشكلة وأسبابها فضلا عن حدة المعـــاناة لنتائجها ومظاهرها ٠

والجدير بالذكر أن مثل هذا الاقتراح تدعو اليه بعض الدراسات العلمية التى أجريت عن (تقويم النظام الحالى للقبول بالجامعـــات) ٠ فقد أظهرت احدى الدراسات (سعاد بدير ، ١٩٦٦) وجود نسبة فاقد فى المـــوارد البشرية متمثلة فى عدد المفصولين من احدى الجامعات نتيجة لتكرار رسوبهم، وقد وصلت هذه النسبة الى ١٠٪ من مجموع المقيدين فى أحـد الاعـــوام الدراسية ، وأن هذه النسبة تعادل ضـــياع ١٤٫٣٪ من قيمة الاستمارات المخصصة لهذه الجامعة ٠ لذلك أوصت الباحثة بأن يستخدم — الى جانب النظام الحالى للقبول بالجامعات — نظام التوجيه باختبارات مقننة تعتمد على الدراسات الموجودة بالكليات ، وعلى قياس رغبة الطالب ، وأن يتم التوجيه للجامعة فى مرحلة مبكرة من الثانوى ٠

واذا كانت مواجهة عينة القاهرة للمشكلة مواجهة جذرية فان مواجهة عينة الاقاليم كانت مواجهة اصلاحية (ان صح استخدام مثل هذه التعبيرات) ذلك أن أهم مقترحات عينة الأقاليم هو الاقتراح الخاص بتنظيم الـــدروس الخصوصية فى شكل مجموعات دراسية ٠ أى أن رب الأسرة فى الأقاليم لا يرفض مبدأ الدروس الخصوصية فى حد ذاته وانمـــا يدعو الى تنظيمها باشراف المسئولين عن التعليم فى شكل مجموعات صغيرة يمكن أن تجد خدمة تعليمية محسنة لا تتيحها الفصول الدراسية العـــادية المزدحمة باعـــداد التلاميذ ٠

وقد اتفق أفراد العينتين بعد ذلك فى أن رفع مستوى المدرس العلمى ثم رفع مستواه المادى من أهم عوامل القضاء على هذه الظاهرة ٠ كذلك كان من أهم الاقتراحات التى أبرزتها عينة القاهرة ولم تتفق فيها من حيث الاهمية عينة الأقاليم هو الاقتراح الخاص بخفض نسبة كثافة الفصول ، ولعل ذلك يكشف عن أن مشكلة الازدحام فى الفصول لا تظهر على السطح فى الأقاليم كما هو الحال فى القاهرة ٠

ويبين (جدول ١٧) المقترحات المختلفة ونسبها المئوية فى كل من القاهرة الكبرى والأقاليم ٠

جـــــدول (١٧)

يبين مقترحات حل مشكلة الدروس الخصوصية

مناطق العينة	القاهرة الكبرى	الأقاليم
مقترحات حل المشكلة	٪	٪
ـ رفع مستوى المدرس العلمى	٣٨ر٩	٣٤ر٧
ـ تنظيم الدروس الخصوصية فى فى مجموعات	٢٥	٦٥
ـ رفع مستوى المدرس المادى	٢٨ر٢	٢٥
ـ تغيير نظام الامتحانات الحالى	٧	١٣ر٩
ـ تطوير المناهج والكتب المدرسية	٧ر٩	٢١ر٣
ـ تغيير سـياسة القبـول فى المراحل التعليمية	٥ر٥	١٢ر٤
ـ القبول عـلى أساس قـدرات الطلبة واستعداداتهم	٣٩ر٨	٢٥ر٨
ـ خفض نسبة كثافة الفصول	٣٥ر٦	٦ر٣

ب ـ نتائج تفصيلية

تضمن العرض السابق النتائج العامة لجميع المتغـيرات الواردة فى الاستطلاع وفيما يلى عرض لبعض النتائج الهامة التى أسفرت عنها المقارنات بين متغير ومتغير آخر •

١ ـ الدروس الخصوصية ودخل الأسرة :

أوضحت المقارنة بين دخل رب الأسرة واعطـاء الدروس الخصوصية للابناء أن هناك علاقة مطردة تقريبا بين ارتفـاع الدخل واعطـاء الدروس الخصوصية كما يتضح من جدول رقم (١٨) :

(*) بقية كل نسبة من نسب الصف لمن لا يوفرون دروسا خصوصية لابنائهم فى كل فئة من فئات الدخل •

جــــدول (١٨)

يبين العلاقة بين دخل الأسرة وتوفير دروس خصوصية للأبناء

مناطق العينة الدخــــل	القاهرة ٪	الأقاليم ٪	اجمالى العينة
ـــ ٣٠	٥٠ر٦*	٧١ر٨	٦٥٪
٣٠ ـــ	٧٦	٦٢ر٥	٦٨ر٣٪
٦٠ فأكثر	٧٥	٨٥ر٧	٨٠ر٢٪

ولهذا دلالة هامة وهى أن من يقدر اقتصاديا يستطيع أن يوفر لابنه خدمة تعليمية اضافية لترجح كفته فى ميزان القبول فى المراحل التعليمية الأعلى والأكثر تنافسا من حيث الاقبال عليها ، وفى هذا اهدار لمبدأ هام من مبادىء فلسفة المجتمع وفلسفة التعليم أيضا وهو مبـــدأ تكافئو الفرص وقد لاحظ أحد كبار رجال التعليم السابقين (توفيق السيه ، ١٩٦٨) أن هذا الوضع يؤثر على مستقبل الأمة وكيانها ، حين تحجب بعض الممتازين ممن لم يجدوا الفرصة المادية ، وتظهر من غـــير الصالحين لانهم قد وافتهم فرصة المال » •

العلاقة بين الدخل الشهرى وتحمل نفقات الدروس الخصوصية :

أظهرت المقارنة بين فئات الدخل الشهرى لأفراد العينة ومدى تحمل نفقات الدروس الخصوصية أن الفئات الدنيا من الدخول هى أكثر شعورا بالمعاناة من نفقا تالدروس الخصوصية • وهذه النتيجة تبرز على السطح نوعا جديدا من المعاناة المادية تعانيه فئات ذوى الدخل المحدود •

تعليم الوالدين والدروس الخصوصية :

أظهرت المقارنة بين نسب الذين يعطون لابنائهم دروسا خصوصية وبين من لا يعطون من حيث المتغير التعليمى لكل من الوالـــدين أن النسب المرتفعة لمن يعطون دروسا خصوصية تقع بين المتعلمين عموما أكثر من الأميين• وكانت النسبة تتجه بصفة عامة الى الزيادة مع ارتفاع المستوى التعليمى •

المهنة والانفاق على الدروس الخصوصية :

وبالمقارنة بين متغير المهنة والانفاق على الدروس الخصوصية تبين أن أكثر الفئات انفاقا على الدروس الخصوصية سواء فى القاهرة أو فى الأقاليم هم أصحاب الوظائف الفنية العليا « التكنوقراط » ولهذا دلالته فهذه الفئة هى التى تستحوز على الأماكن الحساسة فى جهاز الدولة وبالتالى فهى حريصة على أن توفر لابنائها أسباب الوصول الى هذه الأماكن ، أما الفئة التالية فى حجم الانفاق فقد كانت فئة الاداريين فى القاهرة وفئة أصحاب الأعمال الحرة بالأقاليم وفيما يتعلق بأقل الفئات انفاقا على الدروس الخصوصية فقد كان على رأس هذه الفئة عمال الزراعة بالقاهرة يليها عمال الخدمات أما فى الأقاليم فكان على رأسها الاداريون يليهم عمال الخدمات ٠

المهنة وتحمل نفقات الدروس الخصوصية :

وبالرغم مما ظهر من أن فئتى العمال الزراعيين وعمال الخدمات كانتا على رأس الفئات الأقل انفاقا على الدروس الخصوصية الا أنه مع ذلك فان هاتين الفئتين من بين أكثر الفئات شعورا بأن نفقات الدروس الخصوصية فوق طاقتها ويشاركهما فى ذلك فئة الحرفيين ٠

الا أنه تبين بصفة عامة أن نسبة ملحوظة فى جميع الفئات الاجتماعية سواء فى الأقاليم أو القاهرة تعانى من العبء الاقتصادى للدروس الخصوصية ٠

نوعية المدارس والالتجاء الى الدروس الخصوصية :

وبالمقارنة بين متغير نوعية المدارس الملتحق بها أبناء أفراد العينة وما يتلقاه هؤلاء الأبناء من دروس خصوصية اتضح بصفة عامة أن تلاميذ المدارس الحكومية هم أكثر الذين يلجأون الى الدروس الخصوصية يليهم تلاميذ المدارس الخاصة العربية ثم المدارس الخاصة الأجنبية وان كان هذا الترتيب لا يأتى على نفس النحو عند تصنيف العينة الى القاهرة والأقاليم كل على حدة ٠ ففى القاهرة تأتى المدارس الخاصة العربية فى المقدمة من حيث حصول تلاميذها على دروس خصوصية تليها المدارس الحكومية ثم فى المدارس الأجنبية أما فى الأقاليم فتأتى المدارس الخاصة الأجنبية فى المقدمة يليها المدارس الحكومية فالمدارس الخاصة العربية وذلك على النحو التالى :

جـــدول (١٩)

يبين نوعية المدارس والالتجاء الى الدروس الخصوصية

مناطق العينة	القاهرة الكبرى	الأقاليم	اجمالى العينة
نوعية المدارس	٪	٪	٪
المدارس الحكومية	٧٥	٨٧ر٢	٨٣ر٦
المدارس الخاصة العربية	٨٣ر٣	٥٠	٧٧ر٣
المدارس الخاصة الأجنبية	٥٧	١٠٠	٧٠

ولعل تفسير هذا الاختلاف بين القاهرة والأقاليم ، فى هذه الناحية راجع الى اختلاف نوعيات كل من المدارس الخاصة والمدارس الأجنبية الموجودة بالقاهرة والأقاليم وبالتالى اختلاف مستوى الخدمة التعليمية التى تقدم بها فضلا عن اختلاف المستويات الاجتماعية والاقتصادية التى تقدم على هذه الأنواع من المدارس سواء فى القاهرة أو الاقاليم ٠

مناقشة وتعليق

من بين الأساليب التى قد يلجأ اليها بعض البــاحثين لتحقيق شرط الصدق فى بحوثهم أن تكون نتائج هذه البحوث متفقة مع توقعاتهم لشكل هذه النتائج مع ضرورة أن تكون لهذه التوقعات تبريراتها المعقولة ٠ ونظرة عامة على نتائج الاستطلاع الحالى تؤكد أن النتائج قد جاءت ـ فى صورتها العامة ـ متفقة مع كل توقع معقول لها ، فظاهرة الدروس الخصوصية ظاهرة منتشرة ولا يختلف حجم انتشارها فى القاهرة عن مثيله فى الأقاليم كثيرا ٠ (٦٣ر٥٪ فى القاهرة ، ٧١ر٧٪ فى الأقاليم) ولعـل هـــذا الاختلاف بين النسبتين يرجع أساسا الى انخفاض المستوى التعليمى للآباء والأمهات فى الأقاليم مما يجعلهم يلجأون الى ارسال أبائهم الى مدرس خصوصى قد يقوم الأب أو الأم فى القاهرة بما يقوم به خاصة فى المرحلة الابتدائية وهى التى تكثر فيها الدروس فى الأقاليم عنها فى القاهرة بصفة خاصة ٠

وهناك عامل آخر ربما بدأ للوهلة الأولى هامشيا ولا أهمية له ؛ لكن المعلومات التى فى يدنا لا تمكننا من الحكم باهميته أو مدى هذه الأهمية وما نقصده هنا هو ذلك الدور الذى يمكن أن تلعبه وسائل الاعلام وخــاصة التليفزيون حين يتصدى لتقديم دروس خصوصية مجانا وخاصة بالنسبة لطلبة الشهادات العامة ، وبالطبع يمكننا أن نتوقع أن يستفيد طلبة وطالبات

القاهرة أكثر من أندادهم فى الأقاليم نتيجة لانتشار وسائل الاعلام وممارستها لدورها بطريقة أكثر فاعلية فى القاهرة منها فى الأقاليم مجرد اقتراح تفسيرى ربما كانت له أهمية معينة لكنها تظل أهمية غير محددة ولذلك فنحن نضعه هنا فى صورة فرض يحتاج الى دراسة خاصة للتحقق منه ٠

وحين نتقدم نحو استكشاف تصور العينة لمدى انتشار الظاهرة يفاجئنا ذلك الفرق الذى ربما بدأ كبيرا بين الانتشار - الفعلى للظاهرة وبين تصور العينة لهذا الانتشار (٩٨٪ من العينة أجابوا بأنها منتشرة سواء فى القاهرة أو فى الأقاليم) وهو ما يكشف عن مدى سيطرة الظاهرة على عقول الناس ومعايشتها لهم ليلا ونهارا سواء عن طريق وسائل الاعلام أو فى الشارع أو حتى فى دور العبادة ٠

ان الكثير من الجوانب التى شملتها الدراسة الحالية جاءت متسقة ومتكاملة ، فالظاهرة منتشرة فى القاهرة والاقاليم على حد سواء والناس على وعى بانتشارها وان كان تصورهم لها قد جاء دليلا على تجاوز هذا التصور للواقع ومقارنته له ٠ وهذا شىء طبيعى فى ظل ذلك التيار الجارف من المادة الاعلامية التى جعلت الحكم الموضوعى على الظاهرة أمرا ليس متاحا الا لبحث كالاستطلاع الحالى ٠

وقد ظهر من النتائج أيضا أن أهم الدوافع لتلقى هذه الدروس وأولها هو الحصول على مجموع مرتفع وأن هذه الدروس تكثر فى السنوات النهائية عنها فى سنوات النقل ، كما أن الثانوية العامة هى أهم السنوات التى يكثر تلقى الطلبة فيها للدروس الخصوصية لأهميتها المبالغ فيها ، وقد ظهر هذا بطريقة واضحة فى عينة القاهرة الكبرى ، بينما كانت الشهادة الابتدائية هى التى يكثر فيها اعطاء الدروس الخصوصية فى الأقاليم (أنظر جدول رقم ١٠) وربما كان هذا راجعا الى اتجاه كثير من أبناء الأقاليم الى التعليم الفنى أو زيادة أجر الدروس الخصوصية فى السنوات التالية للشهادة الابتدائية مع انخفاض المستوى الاقتصادى للآباء مما يجعلهم يحجمون عن اعطاء أبنائهم دروسا خصوصية ٠

ظهر من النتائج أيضا أن مادتى الرياضيات واللغة الانجليزية تحصلان على النصيب الأكبر مما ينفق على الدروس الخصوصية سواء فى القاهرة أو الأقاليم ، وهذا أمر متوقع تماما أما الأمر المثير للحيرة والذى ما زال يحتاج

الى التفسير فهو ارتفاع نسبة الذين يتلقون دروسا خصوصية فى اللغة العربية وبنسبة أكبر فى الأقاليم عنها فى القاهرة (٤٨٫٦٪ فى القاهرة ، ٥٨٫٧٪ فى الأقاليم) وهذه النسب تفوق كثيرا ما توصلت اليه أبحاث سابقة ، فهل يرجع هذا الى تدهـور مستوى المدرسين الحديثى التخرج والمتخصصين فى اللغة العربية ؟ وخاصة اذا عرفنا أن الجامعات تعطى الآن مكافآت خاصة لتشجيع الالتحاق بأقسام اللغة العربية بالجامعات المصرية اذا بدأت هذه الأقسام تعانى من الانخفاض الشديد فى الاقبال عليها ٠

وكما هو متوقع أيضا ظهر أن نفقات الدروس الخصوصية والتى هى منخفضة نسبيا فى الأقاليم ومرتفعة نسبيا فى القاهرة الكبرى تفوق طاقة ٧٦٫٨ من مفردات عينة القاهرة الكبرى ٦٧٫٧٢ من مفردات الأقاليم وهى نسبة مرتفعة فى الحالتين وبذلك تكون هذه الظاهرة مشكلة لعبء اقتصادى شائع بين جمهور هذا الاستطلاع على مستوى الجمهورية بكل فئاتها المهنية والاجتماعية والاقتصادية ٠

وتتفق هذه النسب أيضا مع توزيعات العينة ومحدداتها التى تبين أن ٤٢٫٦٪ من مفردات القاهرة ، ٥٤٫٤ من مفردات الأقاليم تقـع من حيث الدخل عند مستوى ٣٠ جنيها فأقل ٠

وحين نتقدم نحو استطلاع مقترحات عينة القاهرة فيما يتعلق بمواجهة هذه المشكلة وعلاجها نجدها تقترح حلا راديكاليا وهو تغيير نظـام القبول الحالى والذى يعطى كـل الأهمية للمجموع وضرورة اللجـوء بدلا منه الى اختبارات القدرات والمهارات الخاصة وهو ما يتبع بالفعل فى كثير من الدول المتقدمة ، هذا بينما مالت عينة الأقاليم الى أن تأخذ جانبا محافظا فاقترحت تنظيم الدروس الخصوصية فى شكل مجموعات وهذا يسمح باستمرار الدروس الخصوصية من ناحية ويخفض مقدار ما يصرفه ولى الأمر شهريا من ناحية أخرى ، أى أن عينة الأقاليم لم تقترح حلا للمشكلة بل اقترحت تقنينهـا وتنظيمها واعطائها صفة رسمية وعلنية(١٣) ٠

---

(١٣) تطالعنا الصحف فى الآونة الأخيرة بما يفيد تشجيع مثل هذا الحل أسلوبا لمواجهة هذه المشكلة حيث تتبارى المدارس فى تنظيم مجموعات التقوية نظير رسوم مـالية متواضعة بالقياس الى ما ينفق على الدروس الخصوصية ٠ وأكثر من ذلك السماح للمدرسين باعطـاء الدروس الخصوصية فى المنازل أن يسددوا الضرائب المستحقة للدولة عند هذا الدخـل الاضافى ٠

وأخيرا ، فان من المعروف فى منــاهج البحث فى العلوم الاجتماعية أن اتفاق نتائج بحث ما مع نتائج بحوث سابقة يعتبر مزية لهــذا البحث ودليلا على صدقه وموضوعيته وقد اتفقت نتائج كثيرة من البحث الحالى مــع نتائج بحوث سابقة وكانت الاختلافات الموجودة مرتبطة الى حــد كبــير بالتغييرات الهائلة التى حدثت فى الهيكل الديموجرافى للمجتمع المصرى ، وكذلك هيكله الاقتصادى والثقافى ، وهى تغييرات اذا وضعناها فى اعتبارنا لأدركنا أن هذه الظاهرة أى الدروس الخصوصية ـ لم تنحسر ولم يتم حصرها وتحديدها بعد ـ ومن ثم يحتاج الأمــر الى مزيد من الدراسات والمسوح المكثفة لاكتشاف أعمق لكل أغوارها مع التفكير الجيد فى حلها حلا يتمشى مع كل ما جد فى السنوات الأخيرة من تغيرات نتج عنها شكل جديد فى العلاقات الاجتماعية والمادية سواء على مستوى تعامل الأفراد أو تعــامل الجماعات ، وسواء فى القاهرة أو فى الأقاليم ٠ وقد ترك هــذا كله بصماته الواضحة والخطيرة على كل ملامح النظام التعليمى فى مصر ٠

المـــراجع

١ ـ ابراهيم محمد الشافعي وآخرون : **الـــدروس الخاصـــة والمجموعات الدراسية** ، جامعة أسيوط ، كلية المعلمين ، ١٩٧٠ ٠

٢ ـ سعاد حسن بدير : **تقويم النظام الحالى للقبول بالجامعات** ٠ ورقة مقدمة الى مؤتمر علم النفس الأول (المـــركز القومى للبحوث الاجتماعية ـ مايو ١٩٧١) وهى ملخص لرسالة ماجستير كلية التربية ـ جامعة عين شمس ١٩٦٦ ٠

٣ ـ عبد العزيز القوصى : المشكلة الســـكانية ونشر التعليم فى الـــوطن العربى ، **المجلة الاجتماعية القومية ، ١٣ ، ع٣ ، سبتمبر ١٩٧٦** ٠

٤ ـ محمد خليفة بركات وآخرون : **بحث الـــدروس الخصوصية** ، وزارة التربية والتعليم ١٩٦١ ٠

٥ ـ محمد توفيق السيد : مشاكل الدروس الخصوصية ، **صحيفة التربية**، مج ٢٠ ، يناير ١٩٦٨ ٠

٦ ـ محمد خيرى حربى ، زينب محمود محرز : **المرشد فى نظـــم التعليم** ، وزارة التربية والتعليم ١٩٥٩ ٠

٧ ـ نجى الله حامد الطنطاوى : الدروس الخاصة : مشكلة اجتمـــاعية ، **صحيفة التربية** ، مج ٢٠ ، مايو ١٩٦٨ ٠

د٠ صفوت فرج ، د٠ ناهد رمزى ، وكل من الأساتذة :

محمد سلامة آدم ، زينب شاهين ، شاكر عبد الحميد ، عادل عبد الرازق ، متى يوسف ، سميحة نصر ٠

بحوث جديدة

« بحث الهجرة الى مدينة القاهرة »

دوافعها ، وأنماطها ، وآثارها

كتب التقرير النهائي الدكتور محمود عـودة مدرس علم الاجتمـاع بجامعة عين شمس

الأوضاع المهنية للعاملين الاجتماعيين
وسياسة اعدادهم فى العراق*

الأستاذ على فهمى

تقـــــديم :

لعل هذه الحقبة أن تعد - بحق - حقبة التنمية بشقيها الاجتمـــاعى والاقتصادى ، اذ أن ما من مجتمع معاصر الا ويتخذ التنمية له هدفا وغاية . وهذا يقتضى - بالضرورة - توفير وتنظيم أكبر جهد وأدق الوسائل لتحقيق هذا الهدف ، واذا كان ذلك لازما فى كل المجتمعات فهو أشد ما يكون لزوما فى المجتمعات النامية التى عانت وما تزال تعانى من العديد من المشـــاكل ومخلفات عهود التخلف والاستعمار والتبعية . ولقد دعا ذلك الى ظهور نسق منظم من الخدمات الاجتماعية بحشد وتنظيم مختلف الجهود والأنشطة اللازمة لمواجهة الاحتياجات الاجتماعية للأفراد والفئات والجماعات المختلفة ، ولقد اعتمد هذا النسق على معطيات ونتائج فروع مختلفة من العلم الاجتماعى ، ذلك أن هذا النسق من الرعاية الاجتماعية بوجوهها العديدة المتداخلة يعد من الاتساع بحيث يشمل برامج الخـدمات الاجتماعية جميعـــا التى تقدمها وتقوم بها المؤسسات الحكومية والمنظمات الشعبية لتوفير فرص حيـــاتية أفضل للأفراد والجماعات .

وثمة تساؤل يطرح نفسه عادة عن العـــلاقة بين برامج الـــرعاية الاجتماعية من جهة وبين الفلسفة الاجتماعية السائدة فى مجتمع معين من جهة أخرى . ويثور الجدل كثيرا حـــول ذلك الموضوع وبخـــاصة ان الخـــدمة الاجتماعية - كمهنة مستقلة - ظهرت وتطورت فى مجتمعات لها أوضاعها الاجتماعية الاقتصادية التى تختلف عن تلك التى تسود عـــددا كبيرا من المجتمعات النامية المعاصرة . ذلك أن الخدمة الاجتماعية التى نشأت فى بداية

(*) تقرير عرض بالمؤتمر التاسع لخبراء الشئون الاجتماعية العرب (بغداد - ١٩/٢٣ نوفمبر ١٩٧٨) ، من واقع دراسة ميدانية قام بها المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ببغداد باشراف الأستاذ على فهمى الخبير الأول بالمركز والذى قام باعداد التقرير .

الأمر على سبيل التطوع ثم تطورت الى أن أضحت - فى الغالب - على سبيل الاحتراف ، قد نمت بالأخص فى المجتمعات الغربية ، مما يثير التساؤل حول مدى امكان الاستفادة من برامج وتقنيات الخدمة الاجتماعية كما تمارس فى المجتمعات الغربية ، وذلك فى مجتمعاتنا النامية ٠

ولعل هذه القضية بالتحديد أن يتناولها المزيد من البحوث المتعمقة لوضع استراتيجية أكثر ملاءمة للعمل الاجتماعى فى أقطار الوطن العربى جميعا ٠

المبحث الأول

التطور التاريخى والدراسة الحالية

أولا - التطور التاريخى للعمل الاجتماعى فى القطر العراقى :

مر العمل الاجتماعى فى القطر العراقى بمراحل أربع متميزة :

(أ) **المرحلة الأولى** ، وتغطى الفترة ما قبل عام ١٩٥٢ ، وخلالها كان العمل الاجتماعى يكاد أن يقتصر على الجهود الفردية الطوعية التى كانت تقوم بها مؤسسات اجتماعية وجمعيات أهلية ذات أهداف دينية خيرية فى الغالب ، ويمكن أن نذكر نادى النهضة النسائى (١٩٢٤) ، وجمعية الهلال الأحمر (١٩٣٣) وجمعية مكافحة المسكرات (١٩٣٧) كما نذكر أيضا جمعية الشابات المسيحيات وجمعية الاخت المسلمة ، بيد أن هذه الجمعيات كانت تنقصها الامكانات المادية والكوادر البشرية بل والخطط السليمة ، وكان ذلك انعكاسا للاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى كانت تسود المجتمع العراقى وقتئذ ٠ ومهما يكن من سلبيات هذه المرحلة فقد شهدت قيام قسم للاجتماع بكلية الآداب بجامعة بغداد وكذلك قسم للخدمة الاجتماعية بكلية البنات ، مما كان له كبير الأثر فى تزويد المؤسسات الاجتماعية المختلفة بالاخصائيين الاجتماعيين ، كما شهدت هذه المرحلة انعقاد أول حلقة دراسية اجتماعية عربية عام ١٩٤٩ حيث حثت الدول الأعضاء على : (انشاء المؤسسات الاجتماعية والثقافية والترويحية التى تحتاج اليها البيئة من مدارس وملاعب ومتنزهات وحدائق عامة ومراكز لرعاية الطفولة)، بل أن استحداث وزارة للشؤون الاجتماعية عام ١٩٣٩ يعد من المؤشرات الهامة فى هذه المرحلة ٠ كذلك شهدت هذه المرحلة أيضا انعقاد حلقة الدراسات الاجتماعية للدول العربية بالقاهرة عام ١٩٥٠ تحت عنوان « الاصلاح الاجتماعى فى الريف » ، اذ أقرت هذه الحلقة ضرورة انشاء المراكز

الاجتماعية النموذجية الريفية فى البلاد العربية ، وقد كان العراق أول قطر عربى يتقدم الى الأمانة العامة للجامعة العربية بطلب انشاء أول مركز اجتماعى نموذجى فى منطقة المشاهدة شمالى بغداد بعد أن تلقى منتسبوه تدريبا بمدرسة الخدمة الاجتماعية بالقاهرة .

(ب) اما المرحلة الثانية التى تغطى الفترة ما بين عامى ١٩٥٢ - ١٩٥٨ :

فقد شهدت استحداث المديرية العامة للخدمات الاجتماعية عام ١٩٥٢ التى بادرت بانشاء ثلاثة مراكز اجتماعية حضرية فى مدينة بغداد هى المركز الاجتماعى فى تل محمد (١٩٥٢) ، الدورة (١٩٥٤) ، والشيخ عمر (١٩٥٧) ، كما شهدت تلك الفترة أيضا انشاء وحدات ريفية بلغ عددها أثنتى عشرة وحدة كما تم انشاء مركزين تدريبيين لتخريج العاملين فى ميدان الخدمات الاجتماعية ، غير أن هذه الوحدات قد تعثرت لسيطرة العلاقات الاجتماعية فى الريف العراقى وقتئذ .

(ج) المرحلة الثالثة وتغطى الفترة ما بين عامى ١٩٥٨ - ١٩٦٨ :

وتتميز بتنامى اشراف الدولة على الهيئات والمؤسسات الاجتماعية وزيادة عدد المتخصصين فى هذا الميدان وانتشار الوحدات والمراكز الاجتماعية بدرجة محدودة فى بعض أنحاء القطر .

(د) المرحلة الرابعة ، منذ ثورة ١٧ تموز/يوليو ١٩٦٨ :

سارت ثورة ١٩٦٨ قدما فى نهج بناء الاشتراكية وتحقيق الحياة الكريمة لجماهير الشعب ومحاولة مواجهة المشكلات الاجتماعية على نحو مدروس ، مع تبنى الكثير من مظاهر العمل الاجتماعى الشعبى وترشيد العمل الاجتماعى والسياسة الاجتماعية بنتائج البحث العلمى ، فكان أن أنشىء المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ببغداد عام ١٩٧٠ ليؤدى دوره الهام فى فهم الظواهر الاجتماعية فهما علميا ومواجهتها بالحلول الصحيحة .

وفى مجال وزارة العمل والشؤون الاجتماعية ازدهر قطاع الرعاية الاجتماعية ازدهارا لم يسبق له مثيل ، اذ أنشئت العديد من المؤسسات الاجتماعية عبر أقاليم القطر ، فافتتح المزيد من المراكز الاجتماعية ودور رعاية الأحداث ودور رعاية المسنين والمقعدين ، كما أنشئت معاهد ١٧ تموز للصم والبكم والمتخلفين عقليا وكذلك المعاهد النموذجية للمكفوفين ، وتوسع فى انشاء دور الحضانة ، كما استحدثت مدرسة تدريب الفتيان ودار الملاحظة ،

وتم تجديد وتطوير المؤسسات القائمة من حيث الأبنية والأثاث والأجهزة والكوادر البشرية • وينطوى مشروع الخطة الخمسية للوزارة على انشاء المزيد من المؤسسات الاجتماعية وتطوير القائم منها •

كذلك تتبع وزارة الزراعة والاصلاح الزراعى مؤسسات ذات طابع اجتماعى مثل مراكز النشاط الاجتماعى ومراكز ارشاد المرأة الريفية ومراكز الصديق للنشء الريفى ، وكلها تلعب دورا هاما فى التنمية الريفية وعلى الأخص فى المجال البشرى •

وتشرف الادارة المحلية التابعة لوزارة الداخلية على عدد من المؤسسات الاجتماعية كمعهد الرجاء ومعهد الأمل ودور رعاية الأحداث • اما وزارة التربية فانها تمارس عددا من الأنشطة الاجتماعية فى الريف والحضر من خلال مراكز التربية الاساسية التى ساهمت فى انشائها منظمة اليونسيف ، فضلا عن مكاتب الخدمة الاجتماعية المدرسية التى تقدم خدماتها لقطاع هام هم الطلاب •

كذلك تقوم بعض مؤسسات وزارة الصحة بدور اجتماعى هام ، مثل مراكز رعاية الأمومة والطفولة التى تقدم خدمات بالغة الأهمية للأمهات وللحوامل وللاطفال ، كما تؤدى أقسام الصحة النفسية بالمستشفيات العديد من الخدمات الاجتماعية والنفسية للمترددين عليها •

ويجدر الاشارة هنا الى الدور الذى تلعبه مراكز الشباب التى تتبع وزارة الشباب فى تنمية الموارد الشبابية وتوجيه طاقات الشباب الخلاقة فى القنوات الاجتماعية المثمرة •

ولعل دور مكاتب الخدمة الاجتماعية الملحقة بالمحاكم الشرعية فى دعم الأسرة وبخاصة بعد صدور التعديل الثانى لقانون الأحوال الشخصية فى كانون الثانى/يناير ١٩٧٨ ، من الأدوار الاجتماعية الهامة ، كذلك الأمر فيما يتعلق بمكاتب الخدمة الاجتماعية الملحقة بمحاكم الأحداث التى تقوم على رعاية الاحداث الجانحين والمشردين •

ثانيا ـ الدراسة الحالية :

(أ) أهمية الدراسة وحدودها وخطواتها والتعريفات الاجرائية :

تتجه الدول فى ترشيد وتحديث سياستها الاجتماعية الى استخدام

البحث العلمى الاجتماعى على أوسع نطاق مـــع الاستفادة من البيــــانات والمعطيا تالكمية والكيفية التى تنتهى اليها الدراسات والمسوح والبحوث ٠

وتأتى الدراسة الحالية عن : الاوضاع المهنية للعـــاملين الاجتماعيين وسياسة اعدادهم فى القطر العراقى فى نطاق ترشيد وتحديث السياسات الاجتماعية ، اذ تهدف هذه الدراسة الى حصر العاملين الاجتماعيين للتعرف على أوضاعهم المهنية ، وتحديد المستويات الدراسية والتدريبية التى تسهم فى اعدادهم سواء قبل أو أثناء الخدمة ، للتعرف على مدى ملاءمة ذلك لحسن أدائهم لأعمالهم لتطوير مستوى ومعدلات الأداء فيها ٠

(ب) المفاهيم الاجرائية :

اعتمدت الدراسة على بعض التعريفـــات الاساسية للمفـــاهيم التى تستخدمها مثل العمل الاجتماعى والعامل الاجتماعى ، ذلك أن تحديد المفاهيم أمر وارد وأساسى فى أى دراسة علمية ٠

فاعتبرت الدراسة العمل الاجتماعى الجهد المنظم والأنشطة المنظمة فى اطار نسق محدد من الخدمات التى تهدف الى اشباع احتيــــاجات اجتماعية رئيسية للفرد وللجماعة وللمجتمع المحلى والعمل على حـــل المشاكل التى تواجه هؤلاء جميعا ، وذلك باستخدام تقنيات معينة من بينها خدمة الفرد وخدمة الجماعة وتنظيم المجتمع ٠

أما العامل الاجتماعى فقد حددته الدراسة بكل من تلقى اعدادا أكاديميا عاليا أو متوسطا أو تدريبا فنيا ويقوم بعمل اجتماعى أو تعليمى أو تدريبى للذين يعدون للعمل الاجتماعى وكذلك من يقومون بالبحث العلمى الاجتماعى، على أن يتم ذلك لقاء أجر وليس على سبيل التطوع وضمن اطار مؤسسى ٠

(ج) مراحل وخطوات الدراسة :

مرت الدراسة بالخطوات المنهجية المعروفة اذ تم مسح لأدبيات الموضوع وبخاصة تقارير المؤتمرات العربية وتقارير ادارة التنمية الاجتماعية بالأمانة العامة للجامعة العربية وبعض الدراسات المماثلة التى تمت فى عدد من الاقطار العربية بمساهمة من المنظمات الفنية المتخصصة التابعة للامم المتحدة ٠ كما تم حصر لجميع المؤسسات والهيئات والوزارات التى تقوم بتنفيذ برامج تدخل فى نطاق العمل الاجتماعى وفقا للتعريف الاجرائى الذى تبنته الدراسة ٠ وقد تم اعداد صحيفة استبيان لجمع عدد من البيانات الأساسية عن العـــاملين

الاجتماعيين بهذه الهيئات والمؤسسات والوزارات ذات العلاقة ، كما صممت صحيفة استبيان أخرى تتعلق ببيانات عن الكليات والمعاهد التى تقوم بالاعداد الاكاديمى للطلبة الذين يعملون بعد تخرجهم بالعمل الاجتماعى كما صممت صحيفة استبيان ثالثة للحصول على بعض البيانات من المؤسسات والمراكز التى تتولى التدريب المهنى والفنى للعاملين الاجتماعيين قبل أو أثناء الخدمة • وقد تم ارسال هذه الاستبيانات جميعا الى الهيئات المعنية بالبريد ، ويلاحظ أن هذه الاستمارات تضمنت الهدف من الدراسة والتعريفات التى تبنتها وذلك لتيسير مهمة الاجابة على بنودها ، كما جرى عدد من الزيارات الميدانية لبعض المؤسسات والهيئات والوزارات ، اما لتقديم عدد من الايضاحات المطلوبة أو لمتابعة الردود على هذه الاستمارات •

وجدير بالذكر أن نسبة عالية من هذه الهيئات قد استجابت بالرد على الاستبيانات ، مما قد يدعم فكرة الاعتماد على الاستبيان البريدى كأداة مرضية من أدوات البحث الاجتماعى وبخاصة فيما يتعلق بالحصول على بيانات من الجهات الرسمية •

وقد تم اعداد أدوات الدراسة وجمع البيانات خلال الفترة بين منتصف نيسان/أبريل ١٩٧٨ وأيلول/سبتمبر ١٩٧٨ •

المبحث الثانى

عرض لأهم نتائج الدراسة

أولا - الأوضاع المهنية للعاملين الاجتماعيين :

يتعلق هذا الجزء من الدراسة بنتائج استقصاء أوضاع العاملين الاجتماعيين فى الهيئات والمؤسسات والوزارات ذات العلاقة للتعرف على مستوياتهم المهنية ومهامهم الوظيفية ومستويات أجورهم وغير ذلك من المؤشرات التى تتصل بأوضاعهم المهنية •

وعند التصدى لدراسة الاوضاع المهنية والوظيفية للعاملين الاجتماعيين يحسن التركيز على عدد من البيانات الرئيسية مثل السن والنوع والمستوى الدراسى والدخل الشهرى والوظيفة الحالية • ونسترعى الانتباه الى أن عينة الدراسة اقتصرت على ٢٩٠ عاملا اجتماعيا •

ويتضح من نتائج الدراسة أن نسبة الاناث تفوق نسبة الذكور من بين العاملين الاجتماعيين اذ بلغت نسبة الاناث ٧٥٪ بينما بلغت نسبة الذكور الذكور ٢٥٪ ٠

أما بالنسبة للعمر فتقع أعمار أغلب العاملين الاجتماعيين من أفراد عينة الدراسة فى الفئة العمرية (٣٠ ـ ٤٠ سنة) حيث بلغت نسبتهم ٦٢ر٧٪ من مجموع أفراد عينة الدراسة ، تليها الفئة العمرية بين (٢٠ ـ ٣٠) حيث بلغت النسبة ٢٦٪ ، أما الفئة العمرية بين (٤٠ ـ ٥٠) فتبلغ نسبتها ١٠٪، ويأتى فى نهاية ذلك الفئة العمرية بين (٥٠ ـ ٦٠) اذ تبلغ نسبة هذه الفئة ١٪ فقط الى مجموع أفراد عينة الدراسة ٠

وقد بينت نتائج الدراسة أن العاملين الاجتماعيين يتوزعون على ثلاثة عشر عنوانا وظيفيا يتراوح عدد العاملين فيها بين شخصين و ٢٣٥ شخصا ويتبين من بيانات الدراسة ان عنوان « الباحث الاجتماعى » هو الذى يلحق بأكبر عدد من العاملين الاجتماعيين ، أذ بلغت نسبة من يحتلون عنوان الباحث الاجتماعى ٦٨ر٩٪ من مجموع أفراد عينة الدراسة بينما تتقاسم العناوين الوظيفية الأخرى النسبة الباقية ، ويلاحظ أن بعض العنـــاوين الوظيفية لا ترتبط من الناحية الشكلية ـ بواقع العمل الاجتماعى مما يغلب الظن انها مجرد درجات وظيفية لاغراض اعداد ميزانيات ، مثال ذلك عنوان « ملاحظ » و « رئيس ملاحظين » ٠

أما عن فترة الخدمة فى العنـــوان الوظيفى الذى يشغله العـــاملون الاجتماعيون فتتراوح بين أقل من سنة الى ٢٥ سنة ، حيث تبلغ نسبة الذين تتراوح مدة خدمتهم بين سنة الى خمس سنوات ٤١٪ من مجموع أفراد عينة الدراسة ، بينما تبلغ نسبة الذين تزيد خدمتهم عن خمس سنوات ٣٩٪ ، أما الذين تقل مدة خدمتهم عن سنة فتبلغ ١٧ر٥٪ ٠

وقد أوضحت نتائج الدراسة أيضا أن ثمة توافقا فى حالات ٩٣ر٧٪ من العاملين الاجتماعيين أفراد عينة الدراسة ، توافقا بين مؤهلاتهم الدراسية ومهامهم الوظيفية ، فقد بلغت نسبة الحاصلين على درجة البكالوريوس فى الخدمة الاجتماعية ٣٧ر٨٪، بينما بلغت نسبة الحاصلين علىدرجة البكالوريوس فى فرع الاجتماع ٤٢ر٥٪ أما من يحملون درجـــة جامعية فى علم النفس والتربية فقد بلغت نسبتهم ١٣ر٤٪ ٠

وقد أظهرت نتائج الدراسة أن الدخل الشهرى للعاملين الاجتماعيين أفراد العينة يتراوح بين ٥١ و ١٥٠ دينارا ، وبالاضافة الى ذلك يتقاضى ٦٧ من أفراد العينة مخصصات مهنية ٠

ثانيا — اعداد وتدريب العاملين الاجتماعيين :

(أ) الاعداد الأكاديمى :

نتيجة للتوسع الذى حدث فى ميدان الرعاية الاجتماعية وعلى الأخص منذ أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات ، باتت الحاجة ماسة الى استحداث اقسام متخصصة فى الكليات الجامعية على الأخص للقيام باعداد متخصصين اجتماعيين يمكن أن يعهد اليهم بالعمل الاجتماعى المتخصص على سبيل الاحتراف ٠

وقد بدأ تدريس الخدمة الاجتماعية كفرع مستقل فى كلية البنات وذلك منذ بداية العام الجامعى ١٩٥٠/١٩٥١ حيث بدأ الفرع بمجموعة من طالبات الصف الثالث من الكلية ، وعلى هذا فقد تخرج أول فوج فى العام الجامعى ١٥٩٢/١٩٥٣ ، وقد توقف العمل فى هذا القسم فترة قصيرة ثم استؤنفت فيه الدراسة مرة أخرى عام ١٩٥٩ ، وأخيرا ألحق بفرع الاجتماع بجامعة بغداد فى العام الجامعى ١٩٦٨/١٩٦٩ وذلك بعد الغاء كلية البنات٠

أما عن علم الاجتماع فقد عرف طريقه الى جامعة بغداد منذ العام الجامعى ١٩٤٨/١٩٤٩ ، بيد انه كان يؤلف مع الفلسفة فرعا علميا موحدا ، ولقد شهد عام ١٩٥٦ انفصال الاجتماع عن الفلسفة وأصبح كل منهما قسما علميا مستقلا ، وعندما أدمجت الأقسام المتكررة فى الكليات المختلفة أصبح كل من الاجتماع والخدمة الاجتماعية قسما واحدا ذا شعبتين ٠

ويحسن أن نتناول الاعداد الاكاديمى للعاملين الاجتماعيين — كما يمارس حاليا — فى القطر العراقى على مستويين مختلفين : مستوى الاعداد الجامعى ، ومستوى الاعداد المتوسط ٠

١ — مستوى الاعداد الجامعى :

ويتولى هذه المهمة قسم الاجتماع فى كلية الآداب بجامعة بغداد وفرع الاجتماع فى كلية الآداب بجامعة السليمانية ٠ ومدة الدراسة فى كل من القسمين هى أربع سنوات يمنح المتخرج من أيهما درجة البكالوريوس فى الاجتماع أو فى الخدمة الاجتماعية ٠

ولا غرو فى أن قسم الاجتماع بكلية الآداب بجامعة بغداد هو القسم الأم، اذ بلغ عدد خريجيه للسنوات الخمس الماضية ٤٣٤ طالبة وطالبا أى بمعدل ٨٧ طالبا فى العام الواحد ، ويبلغ عدد الدارسين فيه حاليا ٣٦٠ طالبا وطالبة موزعين على الصفوف الأربعة ٠ ويلاحظ من البيانات الخاصة بالمناهج المقررة انها تركز على الدراسات النظرية والتطبيقية بشكل عام ، ودون ذلك بكثير التدريب العلمى اذ يخصص له ٨ ساعات فقط أسبوعيا من نحو ٨٥ ساعة فى الاسبوع (موزعة على الصفوف الأربعة) وذلك فيما يتعلق بفرع الخدمة الاجتماعية أى بنسبة ٤ر٩٪ ٠ أما عن أعضاء الهيئة التدريسية فى قسم الاجتماع والخدمة الاجتماعية بكلية الآداب بجامعة بغداد فيبلغ عددهم ١٦ عضو هيئة تدريس ، بينهم عشرة يحملون درجة الدكتوراه وخمسة يحملون درجة الماجستير وواحد يحمل درجة دبلوم عال ٠ ويغلب التخصص فى علم الاجتماع على أعضاء الهيئة التدريسية بهذا القسم ، اذ أن ١٢ منهم مختصون بعلم الاجتماع وثلاثة منهم مختصون بعلم الانسان الاجتماعى (الانثروبولوجيا الاجتماعية) ، بينما يختص واحد منهم فقط فى الخدمة الاجتماعية ، ومن هنا يتضح أن التخصص فى الخدمة الاجتماعية بالتحديد لا يشكل الا نسبة ضئيلة للغاية من بين أعضاء الهيئة التدريسية بقسم الاجتماع والخدمة الاجتماعية بجامعة بغداد (٢٥ر٦٪) ، مما يمكن معه القول بأن موضوعات وطرق الخدمة الاجتماعية لا تدخل — بالشكل الكافى — فى برامج الاعداد الاكاديمى للعاملين الاجتماعيين فيما يتعلق بالقسم المذكور ٠

أما فرع الاجتماع بجامعة السليمانية فهو حديث العهد وتتخرج أول دفعة فيه خلال العام (١٩٧٩/٧٨) ، ويبلغ عدد الدارسين فيه حاليا ١٦٠ طالبا وطالبة ، كما يبلغ عدد أعضاء الهيئة التدريسية فيه خمسة أعضاء فقط منهم اثنان يحملان درجة الدكتوراه وثلاثة يحملون درجة الماجستير ، أما من حيث التخصصات العلمية فان أربعة منهم متخصصون فى الاجتماع بينما يختص الخامس فى علم الانسان الاجتماعى ولا يوجد من بينهم من هو مختص فى الخدمة الاجتماعية ٠

وجدير بالذكر أن ثمة منهجا موحدا قد تم اعداده للتدريس فى جميع أقسام الاجتماع بالجامعات العراقية ، بيد أن هذا المنهج يقتصر تطبيقه الآن على مقررات الصفوف الأولى فقط وسيطبق على الصفوف التالية بالتدريج ٠

٢ — مستوى الاعداد العلمى المتوسط :

برز الاتجاه نحو اعداد كوادر وسطية حديثا ، وقد تم انشاء مؤسسة المعاهد الفنية لذلك الغرض ٠ ومن بين المعاهد التى تشرف عليها هذه

المؤسسة معهد الفنون التطبيقية وقد أنشىء عام ١٩٧٥ ، ويتولى قسم الارشاد الاجتماعى فيه اعداد طائفة من العاملين الاجتماعيين يقبلون من الجنسين بعد اتمام الدراسة الثانوية ومدة الدراسة فيـــه سنتان يتخللها تدريب صيفى لمدة ستة أسابيع بعد كل من السنتين الدراسيتين ، ويمنح المتخرج من هذا القسم درجة دبلوم فنى فى الارشاد الاجتماعى ، وقد بلغ عدد خريجيه منذ انشائه أربعين خريجا ، بينما يبلغ عـــدد الدارسين فيه حاليا ١٩١ طالبا وطالبة •

ومشابه لذلك معهد المهن الصحية التابع لوزارة الصحة ، وقد استحدث فيه فرع للبحث الصحى عام ١٩٧٦ لاعداد باحثات صحيات ، وهذا الفرع يقبل الطالبات فقط بعد اتمام الدراسة الثانوية ، ومدة الدراسة فيه سنتان تمنح الخريجة بعدها درجة دبلوم فى البحث الصحى ، وقد بلغ عدد خريجات هذا الفرع منذ انشائه ٦ باحثات صحيات بينما يبلغ عدد الدراسات فيه حاليا ١٨ طالبة فقط •

ويلاحظ بالاطلاع على المناهج الدراسية المقررة فى كلا الفرعين سالفى الذكر انها تهتم بالتركيز على الدراسات التطبيقية والعملية بالاضافة الى بعض المقررات النظرية فى بعض ميادين العلوم الانسانية • كما يلاحظ أن هذه الأقسام من المعاهد تعتمد على محاضرين غير متفرغين بالاضــــافة الى بعض أعضاء متفرغين للتدريس بها •

(ب) التدريب قبل وأثناء الخدمة :

يقصد بالتدريب قبل الخدمة ما تقوم به مؤسسة ما من تدريب الموظفين الجدد على تطبيق طـــرق وأساليب فنية معينـــة ليتسنى لهم استخدامها فى الأعمال التى تناط بهم •

كما يقصد بالتدريب أثناء الخدمة كل طريقة تستخدمها مؤسسة مـــا لتحسين نوع الخدمة أو العمل الذى يقوم به موظفوها واكسابهم مهـــارات جديدة وانضاج قدراتهم على حسن القيام بالمسؤوليات المعهودة اليهم •

واذا كان التدريب ذا أهمية كبرى لتحسين وتطوير مستويات ومعدلات الأداء فى ميادين العمل المختلفة ، فانه يغدو أكثر أهمية فى ميدان العمل الاجتماعى • ويعد مركز الاعداد والتدريب عـــلى الخدمة الاجتماعية والتنمية الذى أنشىء عام ١٩٧٢ علامة طريق وحجر زاوية فى هذا الميدان الهام ، وهو

يتبع المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، وهذا أمر منطقي اذ أن من بين ما تضطلع به مراكز البحث العلمي الاجتماعي هـــو تطوير واستحداث أساليب جديدة في العمـــل الاجتماعي وأدوات وتقنيات جديدة في جمـــع البيانات ، وهو أمر لا يمكن أن يؤتي ثماره كاملة الا باشاعة مثـــل هذه الأساليب عن طريق تدريب العاملين الاجتماعيين قبل وأثناء الخدمة ٠ وقد قام مركز الاعداد والتدريب على الخدمة الاجتماعية والتنمية منذ انشائه عام ١٩٧٢ وحتى نهاية عام ١٩٧٧ بتنظيم ٣١ دورة تدريبية في مختلف مجالات العمل الاجتماعي والرعاية الاجتاعية شهدها ٨٠٦ متدربا ومتدربة ٠

ويعتمد مركز الاعداد والتدريب في مجـــال المحـــاضرين على ذوي التخصصات ذات العلاقة من أعضاء هيئة البحوث بالمركز القومي للبحـــوث الاجتماعية والجنائية وبعض أعضاء الهيئة التدريسية بجامعة بغداد وبالجامعة المستنصرية ٠

وثمة جهات أخرى تسهم في اعداد وتدريب بعض العاملين الاجتماعيين، غير انها تقتصر على مجال محدد من مجالات العمل الاجتماعي ٠ فعلى سبيل المثال يقوم الجهاز المركزي للاحصـــاء باعـــداد بعض دورات متخصصة في الاحصاء الاجتماعي ، كذلك يفعل مركز البحوث التربوية والنفسية في مجال عمله ، كما يقوم المكتب المركزي للتأهيل المهني باعداد دورات تسهم في رفع كفاءة العاملين في مجال التأهيل المهني للمعوقين ٠ كذلك ينظم قسم ارشاد المرأة الريفية التابع لمؤسسة التثقيف والارشاد الفـــلاحي دورات لتدريب المرشدات الريفيات وتأهيلهم للعمل في الريف ٠

بحوث جديدة

« بحث الرأى العام المصرى فى الستينات والسبعينات »

دراسة فى تحليل مضمون أبواب بريد القراء فى الصحافة المصرية

اشراف الدكتورة نادية سالم خبير بالمركز القومى للبحوث الاجتمـاعية والجنائية ٠

التفسير فى العلوم الاجتماعية

دراسة فى فلسفة العلم*

علا مصطفى أنور**

تتناول هذه الدراسة التفسير فى العـــلوم الاجتماعية ، وهـــو من الموضوعات الهامة فى فلسفة العلم • ان أحد الأهداف الهامة فى العلم هو التوصل الى كشف الغامض واظهار الخفى بقصد الفهم والتنبؤ ، وان أمكن التحكم • ولا يتسنى هذا الكشف الا بعملية منهجية دقيقة هى تفسير الظواهر، تفسيرا يقوم على اجلاء ما خفى فى الطبيعة ســـواء الفيزيائية أم الانسانية والاجتماعية • وتظهر أهمية التفسير فى العلوم الاجتماعية باعتبـــاره محكا يقيس مدى علمية تلك العلوم وقدرتها على الوقوف على قدميها فى استقلال عن العلوم الطبيعية ، مع احتفـــاظها فى الوقت نفسه بالنظرة الموضوعية ، واتباعها لمبادىء منهجية علمية • وقد اتصل موضوع التفسير ، فى العلوم الاجتماعية بصفة خاصة ، بالنظرية ، ذلك أن وجهات النظر ما زالت متعددة مما كان له أثره على الموقف ازاء التفسير •

وتهدف هذه الدراسة الى طرح المشكلة فى اطارها الواسع ، فلا تقتصر على مجرد سرد أنواع التفسيرات ، ومن هنا اتجاهها الى الالمام بكافة جوانب الموضوع • فقامت خطة الرسالة عـــلى عـــرض الوضع المنهجى فى العلوم الاجتماعية بشكل عام كخلفية تساعد على معرفة الاطار الذى يقع بداخله التفسير ، ثم مناقشة معنى التفسير من حيث الآراء التى أثيرت حـــوله ، وشروطه وارتباطه بالعمليات المنهجية الأخرى • يـــلى ذلك عرض مفصل للمواقف والاتجاهات الفكرية المختلفة •

حاولنا فى الفصل الأول أن نبدأ باعطاء صورة عن العلم كما يتبدى لدى العلماء والمفكرين المعاصرين وأوضحنا أنه عملية متطورة ومستمرة تهدف الى التفسير وتقوم على منهج علمى • ثم أوضحنا الموقف فى العلوم الاجتماعية

(*) ملخص رسالة ماجستير فى الفلسفة تحت اشراف الأستاذ الدكتورة أميرة مطر ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٨ •

(**) باحثة بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية •

من حيث منهج البحث الملائم وموضوع الدراسة وبعض المشكلات المنهجية ٠ وقد اختلفت الآراء بالنسبة لمنهج البحث فتراوحت من الدعوة الى وحدة المنهج بين مجموعتى العلوم الطبيعية والاجتماعية الى القول بتميز مناهج العلوم الاجتماعية عن الطبيعية ٠ وقد نبعت دعاوى الوحدة من النظر الى العلوم الاجتماعية كفرع من العلم الطبيعى ، تخضع لما يخضع له من مناهج وتتأثر بما يطرأ عليه من تطورات ، ولا يوجد أى أساس منهجى يستدعى التفرقة بين مجموعتى العلوم ٠ وقامت دعاوى تميز مجموعتى العلوم على رفض اعتبار العلوم الطبيعية مثلا اعلى أو نموذجا لابد من احتذائه للتوصل الى نتائج يعتد بها ، فالعلوم تختلف عن بعضها البعض لأن الوضع فى ميادينها مختلف. والتخلف الموجود حاليا فى الدراسات الاجتماعية يرجع الى تطبيق مناهج العلوم الأكثر تقدما ، وخاصة مناهج الفيزياء ، على العلوم الاجتماعية ٠

وكما اختلفت الآراء بصدد منهج البحث اختلفت حول موضوع الدراسة ٠ فينادى الموقف الطبيعى باعتبار موضوع الدراسة ظواهر قابلة للقياس والدراسة الموضوعية تماما مثل موضوعات العلم الطبيعى : فكل واقعة تحدث هى موضوع للعلم حتى لو لم نتبين الآن القوانين التى تحكمها ، وحتى لو لم تكن تلك القوانين قابلة للكشف بواسطة الامكانات الحالية ٠ ويقف المعارضون على الطرف الآخر رافضين الاقرار بوجود تشابه بين الظاهرة الاجتماعية والظاهرة الطبيعية فالأولى تتميز بالتعقيد وقلة التكرار والتغير ، وبينما يمكن عزل العامل فى العلوم الطبيعية والتحكم فيه فان هذا متعذر فى العلوم الطبيعية ٠ فموضوع دراسة تلك العلوم هو الفرد والمجتمع وهما شيئان غير منفصلين ، وانما بينهما علاقة ديالكتيكية تحتاج الى منهج خاص لفهمها ٠

وتواجه العلوم الاجتماعية بعض الصعوبات المنهجية تتمثل فى شكل البحث الاجتماعى ، والتعميم والتنبؤ ، والقيم ٠ فيتميز شكل البحث الاجتماعى بصعوبة اجراء التجارب بسبب تعقد الظواهر وتغير الظروف من موقف الى آخر ٠ وتتعدد الآراء حول امكان اقامة القوانين فى المجال الاجتماعى ، فجاهر البعض باستحالتها وأكد آخرون على ضرورتها وامكان تخطى الصعوبات التى تواجهها ٠

ويؤثر العامل البشرى على التنبؤ الاجتماعى بدرجة كبيرة فقد تؤدى معرفة التنبؤات اما الى وقوع الظاهرة المتنبأ بها أو منع حدوثها ، وفى الحالتين يفشل التنبؤ ٠ وتتدخل القيم فى اختيار الباحث لموضوع بحثه ،

وأثناء دراسة الظاهرة الاجتماعية ، الا أنه من الممكن التقليل من التحيزات بما لا يعوق البحث ٠

تناولنا فى الفصل الثانى التفسير بقصد اعطاء صورة عامة عن معناه وشكله وارتباطه بالعمليات المنهجية الأخرى ٠ فعرضنا لأهمية التفسير وبينا كيف أنه تطور مع الانسان حتى انتهى الى الارتباط بالعلم ٠ وقد رأى البعض صلاحية تطبيق المبادىء العامة للتفسير على كل من العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية ، وقد ظهر هذا الرأى لدى كل من همبل Hempel وأوبنهايم Oppenhim وسندهم هو :

١ - رفض اعتبار التفرد خاصية تتميز بها العلوم الاجتماعية : فكل حدث فى العلم هو حدث فريد لا تتكرر خصائصه الدقيقة ، ويمكن للقوانين أن تفسر أمثال هذه الأحداث ٠

٢ - رفض اعتبار العامل التاريخى في الدراسات الانسانية عائقا أمام التفسير العلمى ٠

٣ - رفض الاستناد الى وجود البواعث والدوافع والغايات كمبرر لرفض التفسير السببى العلمى ، ويكفى وضع مجموعة شروط لضمان الدقة هى :

(أ) أن تقبل الافتراضات القائمة على البواعث الاختبار ،

(ب) أن تتوفر القوانين الملائمة لتعطى قوة تفسيرية للبواعث أو الدوافع المفترضة ٠

أما عن شروط التفسير فيتركز المطلب المنطقى فى الشكل الاستنباطى ٠ ويتكون هذا الشكل من الواقعة المحتاجة الى تفسير ، وتقع كنتيجة فى نسق استنباطى تتكون مقدماته من نوعين من القضايا : قوانين عامة وشروط أولية ٠ وقد تمثل المطلب المعرفى فى التثبت من صدق المقدمات ٠ ويحل التفسير الاحتمالى مكان التفسير الاستنباطى فى موضوعات الدراسة المعقدة سواء الطبيعية أم الاجتماعية ٠ ويتضح هذا التفسير على شكل تفسير احصائى يعتمد على قوانين احصائية وليست عامة ٠

ويتميز التفسير عن العمليات المنهجية الأخرى مثل الوصف والتنبؤ والتعميم ٠ فالوصف خطوة أولى نحو معرفة الطبيعة بينما التفسير خطوة أبعد تتجاوز الوصف وتستعين به ٠ ويتشابه البناء المنطقى لكل من التفسير والتنبؤ فيقوم كل منهما على نفس القضايا : قوانين عامة وشروط أولية ،

الا أن الفارق بينهما يكمن فى البعد الزمنى ، فبينما يتجه التنبؤ الى الامام (لما سوف يحدث) ، ينظر التفسير الى الخلف (ابتداء بما هو موجود حاليا وانتهاء بما حدث من قبل) • كما أن التفسير خطوة أبعد من القانون ويستعين به •

وتتناول الفصول الثلاثة التالية الاتجاهات المختلفة وموقفها من التفسير • فتبدأ بالاتجاه الوضعى الذى بدأ مع أرسطو واستمر عبر العصور حتى وصل الى المرحلة الحالية مع الوضعية المحدثة والسلوكية • ويعتبر كونت رائد هذا الاتجاه فقد عبر « قانون الحالات الثلاث » عن تطور الفكر البشرى أو العلم ابتداء من المرحلة اللاهوتية وانتهاء بالمرحلة العلمية حيث يصل العقل الى تفسير الظواهر عن طريق القوانين العامة التى تحكمها • وتظهر أصالة كونت فى محاولة التفسير عن طريق كشف العلاقات العامة التى تربط الظواهر فى نسق معين ثم ربط الظواهر بعضها بالبعض سواء كانت متلازمة أو متتالية • واذا كان كونت قد ربط القوانين الاجتماعية بالقوانين الطبيعية الا أنه اعتبر هذه مرحلة مؤقتة وليست حتمية • ولا شك أنه كان ايجابيا فى استعانته بالمنهج التاريخى كمحاولة للتفسير خارج نطاق التفسيرات المادية الصرفة •

وكان دوركايم أول من وضع قواعد تفسير الوقائع الاجتماعية ، فى أحد فصول كتابه « قواعد المنهج فى علم الاجتماع » • وقد تناول دوركايم الوقائع كأشياء خارجية بالنسبة للفرد ، وتخضع للتجربةوالمقارنة ، مما أضفى عليها طابعا موضوعيا • وقال دوركايم بوحدة الظواهر فى الطبيعة ، وعلى هذا الاساس فسر الوقائع الاجتماعية عن طريق ابراز السبب الذى أدى اليها والوظيفة التى تقوم بها • ولا تفسر تلك الوقائع فى ضوء أى عوامل غير اجتماعية ، ومن هنا رفضه للنزعة الردية فى تفسير طبيعة العنصر الاجتماعى • وقد طبق دوركايم بشكل عملى قواعد التفسير فى دراساته الأخرى كما يتضح فى كتبه : « تقسيم العمل الاجتماعى » ، و « الانتحار ، دراسة اجتماعية » ، و « الأشكال الأولى للحياة الدينية » • وقد أثر دوركايم تأثيرا قويا على الاتجاهات الفكرية التالية له من وضعيات محدثة ووظيفية وبنيوية •

وتعبر الوضعيات المحدثة والسلوكية عن الموقف الراهن للوضعية • فتطالب النزعة الفيزيائية بترجمة كافة القضايا العلمية الى لغة الفيزياء ، لذا دعا نوراث الى علم موحد والى لغة فيزيائية موحدة ، ودعا فيجل الى ضرورة رد القوانين النفسية والاجتماعية الى القوانين الفيزيائية ، ووحد

الطبيعيون كما عبر عنهم ناجل وهمبل وبوبر بين كافة العلوم • وقد أخذ الطبيعيون بالنموذج الاستنباطي كأسلم شكل للتفسير ورأوا ضرورة اندراج النظرية الاجتماعية تحت نظرية عامة وموحدة • ويعتبر كارل بوبر فى دعوته «بالمنهج الصفرى» مطورا للاتجاه الوضعى • واتجهت السلوكية الى جعل علم النفس فرعا من العلم الطبيعى فأقام السلوكيين تفسيرهم للسلوك على الأسباب الخارجية وحدها ، وأنكر البعض وجود الوعى أو الشعور على أساس أن كل ما يوجد هو سلوك ، ثم ميول للاستجابة على نحو معين تجاه المثيرات ، وأخيرا عمليات عقلية — فسيولوجية داخل الجسم الانسانى •

أما الاتجاه الفنومنولوجى ومنهج الفهم الذاتى فيقوم على القول بمناهج متميزة للعلوم الاجتماعية ، ومن هنا الدعوة الى استخدام منهج الحدس المباشر ثم التحليل فالوصف من أجل التوصل الى المعرفة • وبين دلتاى ضرورة البحث عن المعنى الكامن وراء أفعال البشر من أجل تفسير الظواهر الملاحظة • ولا يتأتى هذا الا عن طريق التعاطف مع قيم ومعانى الفاعل ذاته ، وتسمى هذه العملية بالفهم الذاتى أو التأويلى Verstehen • ورفض دلتاى فى تفسيره لفلسفة الحياة التعرف على أى شىء خارجها وأرجع كل ما يحدث فيها الى الأفراد ، محددين بمكان وزمان معين ، وظروف وقيم ووجهات نظر ••• الخ • وجعل ماكس فيبر التفسير هدفا أساسيا للعلم ، ويقوم على الفهم التأويلى للسلوك • ومن هنا اهتمامه بالفعل الاجتماعى باعتباره يتضمن كل مظاهر السلوك الانسانى ، واستعانته بالأنماط المثالية فى تحليله لكافة الظواهر الاجتماعية والتاريخية •

وقد اعتبر هوسرل الفنومنولوجيا علما قائما بذاته ، يساهم فى توضيح أسس المعرفة • ويقوم هذا العلم على دراسة الخبرات بواسطة التحليل الفنومولوجى ، وتفسير عالم الحياة بالرجوع الى الوصف المجرد للوعى فى اتصاله بالوجود • وقام منهج الرد الفنومنولوجى على تعليق الحكم ازاء الموقف الطبيعى توصلا الى أصول الأشياء ، أى ما هو حقيقى وموضوعى • وجعل هوسرل الانسان أصل العلم الطبيعى ، أى أساس العلم ، ولا يمكن انقاذ العلم الأوربى المهدد الا بواسطة الفنومنولوجيا المتعالية القائمة على المنهج المتعال •

وقام شوتز بتطبيق المنهج الفنومنولوجى على العلم الاجتماعى ، الذى اعتبره نتاج كل من الفعل الرمزى الانسانى والعمل المادى • ومهمة

الفيلسوف الفنومنولوجى تكمن فى رأيه فى كشف ووصف وتحليل الخصائص الأساسية للعالم الدنيوى mundane world. • وقد أكد شوتز على منهج الفهم الذاتى واعتبره الشكل التجريبى الذى يمكن من خلاله معرفة العالم الاجتماعى الثقافى • ورأى أن التفسيرات العلمية للعالم الاجتماعى لابد أن تشير الى المعنى الذاتى لأفعال البشر ، وهو ذلك المعنى الذى يضفيه الفاعل على موضوع فعله ، والذى يقع على عاتق عالم الاجتماع الوصول اليه • وأدخل شوتز دوافع الغاية ودوافع السبب فى التفسير • الأولى تعتمد على دوافع وغايات الفاعل ، والثانية على خلفيته أو الدوافع السببية المرتبطة بفعل ماض • لقد رأى شوتز مثل هوسرل أن تفسير العالم يقوم على الخبرة ، الا أنه اختلف عنه فى تفضيله المستوى الدنيوى الخاص بالعالم التواصلى للحياة اليومية على المستوى المتعال •

أما بالنسبة للاتجاه الوظيفى فقد بينا فى الفصل الخامس المعانى التى تنسب الى مفهوم « وظيفة » فى العلم بشكل عام والعلوم الاجتماعية بصفة خاصة ، حيث تلعب الوظيفة دورا رئيسيا فى التفسير • وقد تتبعنا آراء كل من مالينوفسكى الذى عمد الى تفسير الوقائع الانثروبولوجية عن طريق وظائفها كما تتبلور فى الدور الذى تلعبه الوقائع داخل النسق الثقافى وفى الطريقة التى ترتبط بها داخل النسق ، وأخيرا فى الطريقة التى يرتبط بها النسق ذاته بما يحيط به ، ثم رادكليف براون باعتباره أدخل الاتجاه الوظيفى الى علم الاجتماع وأقامه على أسس ثلاثة هى الثبات والتوازن والتكامل • وقد دعا راد كليف براون الى محاولة التوصل الى علم طبيعى للمجتمعات الانسانية •

وقد اتضحت النزعة البنائية ـ الوظيفية بوضوح لدى بارسونز فى محاولته صياغة نظرية عامة عن المجتمع • فقد اعتبر بارسونز النسق العام للفعل نقطة انطلاقه ، وقسمه الى أربعة أنساق تحتية : نسق بيولوجى، ونسق نفسى ، ونسق اجتماعى ، ونسق ثقافى • وقد تحدث بارسونز عن البناء أو البنية وقسمها الى عناصر أربعة هى الادوار ، والكليات أو الجماعات ، والمعايير، والقيم •

وقد واجهت الوظيفية عديدا من الانتقادات تركزت فى كونها قدمت تفسيرات غائية غير قابلة للاختبار ، وفى ميلها الى النظرة المحافظة مستبعدة الصراع والتغير والعامل التاريخى •

وقد حاولنا تعريف مفهوم « بنية » لدى الاتجاه البنيوى كما حدده كل من بياجيه ولو فيفر وجورفيتش وليفى شتراوس ، ثم تبينا موقف هذا

الاتجاه ازاء التفسير من خلال اللغة والأنثروبولوجيا • وكان اهتمام ليفى شتراوس ينصب على تفسير الظواهر عن طريق الترابط بين عناصر الظاهرة ثم العلاقات بين الظاهرة وغيرها من الظواهر • واعتبر العلاقات الاجتماعية مادة خام لبناء النماذج وتقدم هذه النماذج البنية الاجتماعية • واهتم ليفى شتراوس بصفة خاصة بالحديث عن البنيات العميقة التى تقع خلف الواقع التجريبى • وقد أخذ على الاتجاه البنيوى تقديمه كثير من الافتراضات التى لم تخضع للتحقق العلمى ، مما جعل النظرية البنيوية تتحول الى نوع من الايديولوجيا ، ذلك الى جانب اهمال النظرة التاريخية وتأثيرها على تفسير الظواهر •

وتضمنت الخاتمة موقفا نقديا من الاتجاهات السابقة فى محاولة لتبين ما ينبغى أن يكون عليه التفسير السليم • ان التفسير عملية أساسية فى المنهج ، وكأى عملية علمية يحتاج أن يأخذ شكلا متفقا عليه ، وقد قـدم النموذج الاستنباطى شكلا جديرا بالدراسة ، مدخلا القوانين أو القضايا العامة فى مقدماته • الا أن هذا وحده غير كاف فالتفسير يستدعى الفهم ، ومن الخطأ القول بتعارض الفهم والتفسير ، فكل منهما يكمل الآخر فى علاقة جدلية داخل عملية واحدة : ان التفسير بدون الوصول الى فهم الاطار الذى تقع فيه الأحداث ، ودوافع وغايات الأفراد ثم المعنى الكامن فى الموقف ، هذا التفسير مستحيل ، كما أن الفهم بدون ادراك العلل والاسباب وكافة العوامل الداخلة فى الموقف مستبعد • وقد أثارت الاتجـاهات الوظيفية والبنيوية موضوعات هامة لابد من أخذها فى الاعتبار عند تفسيرنا للظواهر ، فالوظيفة التى يؤديها كل عنصر فى النسق تلعب دورا لا شك فى أهميته ، كمـا أن ترابط البنية وشكل العلاقات التى تربط عناصرها يؤثر بدرجة كبيرة وخاصة اذا أخذنا فى الاعتبار المستوى العميق الكامن وراء السطح الظاهر • وتدخل المعطيات التاريخية كعامل هام فى تفسير الظواهر الاجتماعية • فبينما تحوى الطبيعة عوامل غير واعية تؤثر بعضها على البعض وينتج عنها قوانين عامة ، فان المجتمع يتأثر بمجرى التاريخ ويعتبر الواقع التاريخى جزءا هاما وأساسيا من الواقع الاجتماعى • واذا ما أخذ التفسير فى اعتباره العوامل التاريخية وتطور المجتمعات فان معنى ذلك هو كشف التغير والتطور والأزمات التى هى جزء من الظواهر الاجتماعية • ان الموقف الواقعى الكامل يتضمن كلا من السببية والحتمية مما يتيح التوصل الى الأشكال التفسيرية السليمة •

بحوث جديدة

بحث
آراء وخبرات العاملين بمسرح الأطفال بمصر

قام باجراء هذا البحث كل من :

- المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية (وحـــدة بحوث الرأى العام والاعلام)
- الثقافة الجماهيرية مركز ثقافة الطفل ·

هيئة البحث :

- دكتور عبد الحليم محمود السيد — أستاذ علم النفس المساعد جامعة القاهرة
- السيدة/عفاف أحمد عويس — مديرة مركز ثقافة الطفل
- السيدة/نجوى خليل — باحثة بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية
- الآنسة/سهير فهيم — معيدة ـ علم النفس ـ جامعة القاهرة

« اثر برامج التنمية الاجتماعية الاقتصادية على القيم »
(دراسة انثربولوجية فى مجتمع شبه حضرى)(*)

الدكتورة الهام عفيفى

تهدف هذه الدراسة التى تدور حـــول أثر برامج التنمية الاجتماعية والاقتصادية على القيم الى الكشف عما اذا كانت هذه البرامج قد أثرت على القيم الاجتماعية التى تتعلق بنسق القرابة فى مجتمع زراعى تقليدى يسير الآن نحو التحضر بناء على عوامل تغير داخلية وخارجية تأثر بها • ويجب أن نوضح منذ البداية أنه لم يكن لدى الدولة حين قامت بتنفيذ مشروعات الخطة الخمسية الأولى فى حلوان والمعصرة ودار السلام وهى منطقة الدراسة وغيرها من المناطق الأخرى • لم يكن لديها أى تخطيط مسبق لاحداث تغير اجتماعى مقصود ، وانما كانت هذه المشروعات بهدف رفع مستوى المعيشة ومضاعفة الدخل القومى ، وقد واكب تنفيذ هذه المشروعات الانتهاء من مشروع كورنيش النيل الذى حرم الأراضى الزراعية التى تقع فى زمام دار السلام من طمى ومياه النيل مما خفض من خصوبة الأرض بعد اعتمادها على المياه الجوفية مما دفع المزارعين تدريجيا الى تقسيمها وبيعها كأراض للبناء ، وقد دفـــع انخفاض سعرها وكذلك انخفاض تكاليف البناء فى ذلك الوقت ، الكثيرين للاقبال على الاقامة بها وخاصة هؤلاء الذين يعملون فى المشروعات الصناعية بحلوان حيث يكونون على مقربة من مناطق عملهم • ثم بدأ سعر الاراضى يرتفع تدريجيا وخاصة ذلك الجزء الذى يقع على كورنيش النيل الى أن تعدى مائتى ألف جنيه للفدان الواحد • وقد ترتب على ذلك تحول أبناء السكان الأصليين عن النشاط الاقتصادى الأساسى وهو الزراعة الى أنشطة اقتصادية أخرى متنوعة وخاصة بعد أن نال بعضهم قسطا من التعليم • أما الآباء وهم الملاك فقد تحولوا جميعا من ملاك الأراضى الزراعية الى ملاك لعقارات الا البعض القليل الذى فكر فى القيام ببعض المشروعات أو التوسع فى مشروع قائم بالفعل :-

---

(*) قدمت هذه الرسالة الى قسم الانثربولوجى بكلية الآداب جامعة الاســـكندرية فى صيف ١٩٧٩ وقد أجازتها لجنة المناقشة بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف الأولى •• وهى مقدمة من الهام عفيفى عبد الجليل و خبيرة بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية •

واذا كانت هذه الدراسة تهـــدف الى الكشف عن كيفية تأثر القيم بعملية التنمية الاجتماعية فى مجتمع قريب من العاصمة فان هذا دفعنا الى أن نواجه بالقضية المقابلة وهى أثر القيم على التنمية ، لأننا لا نستطيع أن نعزل كلا منهما عن الأخرى ، حيث وضعنا فى اعتبارنا أن عملية التنمية شاملة ولها آثارها التى تمتد الى كافة مكونات البناء الاجتماعى الذى يرتكز أساسا على العلاقات الاجتماعية ، وقد ظهرت فكرة البناء الاجتماعى أثنـــاء الدراسات الحقلية التى قام بها علماء الاجتماع والانثروبولوجيا ، اذ لاحظوا التفاعل القائم بين مختلف نظم هذه المجتمعات الاجتماعية ، على أساس أن الحياة الاجتماعية فى أى مجتمع عبـــارة عن نسيج متشابك متماسك من العلاقات المتداخلة .

وقد كان لاختيارنا بعض القيم الاجتماعية التى تتعلق بنسق القرابة ، كموضوع للدراسة فى هذاالمجتمع أسبابه التى ترجع الى طبيعة هذا المجتمع باعتباره مجتمعا زراعيا تقليديا يسوده من الخصائص ما يسود المجتمعات الزراعية بصفة عامة وأهم هذه الخصائص كما جاء فى تعريف ردفيلد أنه مجتمع عائلى يحدد النسقالقرابى فيه معظم أنماط ومظاهر السلوك الاجتماعى للفرد والجماعة على السواء .

كذلك اهتمت الدراسة أيضا بأن توضح أن التحضر بمفهوم عـــدد السكان لا يعكس شيئا على الاطلاق لأن هناك كثيرا من المناطق فى جميـــع أنحاء العالم وصل تعدادها الى الرقم الذى يؤهلها الى أن تكون مدينة ومن بينها منطقة الدراسة موضوع البحث التى تضاعف عدد السكان فيها عشرات المرات نتيجة لموجات الهجرة المتدفقة اليها ، الا أننا لا يمكننا على الاطلاق أن نعتبرها مدنا متحضرة ، لأننا نرى أن أسلوب السكان فى الحياة هو الذى يعكس فعلا مدى ما وصلوا اليه من تحضر ؛ وهى وجهة نظر معروفة أيدها علماء الدراسات السكانية والتحضر .

كذلك اهتمت الدراسة بتطبيق منهج منالمناهج الانثربولوجية وهو منهج دراسة الحالة من خلال دراسة تاريخ حياة life history رب الأسرة وأعضائها بقدر الامكان . وقد استفدت هنا كثيرا معالمنهج الذى اتبعه أوسكار لويس فى دراسته الشهيرة التى أطلق عليها اسم Five Familesوأجراها فى المكسيك بهدف دراسة ثقافة الفقر .

وعلى ضوء الفرضين التاليين :

الأول : أن دخول التصنيع فى أى مجتمع ريفى يدفـــع بالسكان الى التحول التدريجى عن الزراعة الى أنشطة اقتصادية أخرى · مما يترتب عليه تغيرات هامة فى كافة أنساق هذا المجتمع ، ومنها نسق القرابة وما يحويه من قيم ·

الثانى : الموقع الجغرافى لأى مجتمع ريفى من حيث القرب أو البعـــد عن المدينة قد يكون له بعض التأثير على حياة سكان هذا المجتمع ، الا أنه لا يشكل بمفرده عاملا فعالا فى احداث التغيير فى ذلك المجتمع اذا لم تتوافر معه ظروف وعوامل أخرى فعالة ·

على ضوء هذين الفرضين أمكن تحديد الأهداف التالية :

١ ـ دراسة لبعض القيم الاجتماعية التى تتعلق بنســـق القرابة فى مجتمع « دار السلام » باعتباره جزءا من المجتمع الأكبر ، والكشف عما طرأ على تلك القيم اذا كان ثمة تغير قد حدث فعلا نتيجة لقيام مشروعات الخطة الخمسية الأولى وبعض المشروعات الأهلية الأخرى ·

٢ ـ الأسباب التى تكمن وراء تمسك الناس بالقيم القديمة اذا كان التغير الذى حدث محدودا وغير ملحوظ · والتى قد تدفع الناس الى عدم تقبل القيم الجديدة التى تصاحب ـ عادة ـ دخول التصنيع ·

٣ ـ مقارنة النتائج التى توصلنا اليها فى هذه الدراسة بالنتائج التى توصلت اليهـــا بعض الدراسات المشـــابهة فى مجتمعات أفريقية ونامية أو أوربية ·

وقد طرحنا الفرضين الأساسيين للمناقشة ، وعلى ضوء الفرض الأول حاولنا الاجابة عن السؤال التالى ، **ما هى التغيرات التى تطـــرأ على الأسرة تحت تأثير التنمية والتحضر ؟** أما الفرض الثانى فقد ناقشنا فيه بعض الآراء التى عرض لها العلماء والخاصة بالموقع الجغرافى لمنطقة الدراسة ودور المدينة وهل للمدينة دور فى التغير الاجتماعى الذى يحدث للقرى المجاورة لها ، وقد تبين لنا أنه بالرغم من أن دار السلام تقع على بعد ٤ ك من القاهرة الا أن العاصمة لم تلعب دورا فى التغير الاجتماعى ، الذى حدث فى دار السلام الا عندما توفرت عوامل أخرى ساعدت على التغير بل وعجلت به ·

ومن أجل تحقيق الهدف من الدراسة احتوت الرسالة على مقـــدمة وبابين · وقد تضمنت المقدمة أهداف الدراسة وفروضها الرئيسية · ثم

المجالات الجغرافية والبشرية بهدف التعرف على موقع المنطقة ونوعية السكان الذين يقيمون هناك • ثم المنهج والأدوات • وقد أوضحنا أن هذه الدراسة تتبنى المنهج البنائى الوظيفى الذى يهتم بتناول شبكة العلاقات الاجتماعية المكونة للبناء الاجتماعى الذى يتميز بصفة الاستمرار عبر الزمن • وتجدر الاشارة هنا الى أن فكرتى البناء والوظيفة مع فكرة المماثلة بين المجتمع والكائن العضوى ، فقد كان هربرت سبنسر يؤكد دائما على ضرورة وجود التساند الوظيفى والاعتماد المتبادل بين نظم المجتمع فى كل مرحلة من مراحل التطور الاجتماعى ، وأن الغاية التى يهدف اليها هى ايجاد حالة من التوازن تساعد المجتمع على الاستمرار فى الوجود ، ثم تبلورت الفكرة على يد اميل دوركايم فى موضوع الحقائق الاجتماعية وتبعه بعد ذلك العديد من الباحثين وعلى رأسهم راد كليف براون • هذا بالاضافة الى منهج دراسة الحالة • ومجموعة من الأدوات البحيثة التى تلزم لتحقيق أهداف الدراسة التى استمر العمل الميدانى فيها حوالى العامين وكنت أتردد مرة وفى بعض الاحيان القليلة مرتين فى الأسبوع على الأسر المبحوثة فى مواعيد مختلفة • وراعيت أن يدخل فيها المواسم والاحتفالات الخاصة • أما عن النقطة الأخيرة فى المقدمة فهى تتعلق بالمفاهيم الرئيسية وقد عرضنا فيها مفهومنا الخاص عن التنمية الاجتماعية والاقتصادية - القيم - القرابة - المجتمع الريفى والحضرى - التغير الاجتماعى •

وقد خصص الباب الأول لبيان علاقة النسق القرابى بالقيم والتنمية - وتضمن ثلاثة فصول خصص الفصل الأول لموضوع التنمية الاجتماعية الاقتصادية وعلاقتها بالقيم وتعرضنا فيها للعالم المتخلف والعالم المتقدم وأسباب التخلف والتقدم ، ثم عملية التنمية فى المجتمعات النامية وبصفة خاصة مصر وموقعها حاليا • أما عن الفصل الثانى فقد حاولنا فيه أن نعرض بايجاز شديد الاتجاهات النظرية المختلفة فى دراسة النسق القرابى ، وقد تناولنا الآراء المختلفة التى أدلى بها العلماء القدامى والمحدثون عن تطور النسق القرابى وموقف الدراسات القرابية الحالى • أما الفصل الثالث فقد خصص لاهم القيم القرابية التى ستتعرض لها الدراسة وقد تم اختيارها بناء على أهميتها فى مجتمع الدراسة وكذلك أهميتها لموضوع الدراسة • وهى العصبية فى مقابل الفردية التجمع فى مقابل العزلة والتشتت ، التماسك بين أعضاء الجماعة والمساعدة المتبادلة والعلاقة وجها لوجه فى مقابل التفكك والالتفاف حول الذات وتحقيق الأهداف الشخصية • وأخيرا احترام كبار السن وقوة السلطة الابوية مقابل تزعزع مكانة الكبار وضعف السلطة الأبوية • ولو تخيلنا أن هناك متصلا له بعد أن يمثل البعد الأول منتهى

الصفات الريفية أى ما يسود المجتمع المحلى ، ويمثل البعد الثـانى منتهى الصفات الحضرية أى المجتمع بمفهوم society ويمكن أن يأخذ هنا كمثال الثنائية الشهيرة للعلامة الالمانى تونيز ، نجد أن فكرة هذا المتصل من الناحية العملية غير ممكنة لانه من الصعب أن نجد المجتمع المحلى بمعنى الكلمة ، كذلك أيضا بالنسبة للمجتمع ، وانما يمكن أن نقول أن هناك مجتمعات تميل بدرجة كبيرة أو متوسطة أو بسيطة نحو المحلية ، وهذا الحديث أيضا يمكن أن ينصب على المجتمع فهناك تدرج مستمر من قمة الريفية الى قمة الحضرية ، وعند مناقشتنا لهذه القيم سوف نضع فى اعتبارنا اننا لا نتعرض لاقصى ما تمثلة القمة ، ولكن نراعى ظروف مجتمع الدراسة وما هو موجود فعلا ٠

وبالنسبة للباب الثانى فقد خصص للدراسة الميدانية ، واهتم الفصل الأول بالعلاقة المتبادلة بين النسق القرابى والانساق الأخرى التى لها أهمية فى تكوين البناء الاجتماعى فى مجتمع الدراسة ، وقد راعينا فى تناولنا لهذا الفصل الوضع فى كل نسق من هذه الأنساق قبـل وبعد التغير ، وهذه الأنساق هى النسق الايكلوجى ـ النسق الاقتصادى ـ النسق التعليمى ـ النسق القرابى ٠ أما عن الفصل الثانى فقد خصص لوصف العينة المبحوثة وهى عبارة عن ست أسر تنتمى الى دار السلام القديمة ، وقد كان الاختيار بناء على محكات رئيسية هى التعليم ـ المهنة ـ السن وقد استعنا باستمارة ميدانية فى اختيار هذه العينة المبحوثة ـ وقد استفدنا أيضا من بيانات هذه الاستمارة فى وصف مجتمع الدراسة ٠ هذا بالاضـافة الى أسرتين آخريين وضعت نتائج دراستهما للمقارنة مع النتائج التى توصلنا اليها من دراسة الاسر المبحوثة حيث كانت الأم فى احداهما من الأهالى الأصليين لدار السلام والأب فى الأخرى بنفس الوضع ٠ وفى الفصل الرابع تم عرض النتائج ٠

وقد راعينا ألا نكتفى بمجرد سرد النتائج فقط أو المناقشات النظرية والدراسات الحقلية التى لا تستند الى نظريات محددة واضحة المعالم بل كانت هناك محاولة للمزاوجة بين الاثنين من أجل الوصول الى تحليل دقيق وفهم عميق للمجتمع الذى نقوم بدراسته ٠ كذلك راعينا أن نعطى وصفا دقيقا بقدر الامكان للسلوك الاجتماعى الواقعى بجانب التزامنا بالاتجاه التاريخى والمنهج المقارن ٠

وفيما يلى عرض سريع لبعض نتائج الدراسة :

بالنسبة للعصبية مقابل الفردية ٠ فقد طرحت المناقشة على ضـوء ما أشار اليه العلامة العربى الشهير عبد الرحمن بن خلـدون فى مقدمته

الشهيرة وما جاء بها بخصوص العصبية • وقد تبين لنا أن هناك اتجاها بين الشباب للارتباط بزوجات خارج نطاق العصب والقرابة من جهة الأب ، بل ان الاتجاه امتد الى الارتباط بزوجات من مناطق بعيدة أو من أبناء الأسر التى نزحت الى دار السلام من مختلف أنحاء الجمهورية ـ كذلك أصبح الشباب مسئولا عن توفير التزامات بيت الزوجية بعد أن كان الأب هو المسئول عن ذلك ، ويرجع ذلك الى استقلال الأبناء اقتصاديا مما كفـــل لهم حـــرية الاختيار • وقد تبين ان الشباب الذى لم تتوفر لديه الحرية الاقتصادية بعد يرتبط بأسرته تماما فى موضوع الاختيار للزواج • وأخيرا يمكن أن نقول أن العصبية بالمفهوم التقليدى الذى يسود فى المجتمعات التقليدية أصبح وجودها ضئيلا ، بل وتختفى تدريجيا مع زيادة الميل الى الفردية والاستغلال، والاستقلال •

وبالنسبة للقيمة الثانية وهى التجمع فى مقابل العزلة والتشتت فقد تم تحليلنا على ضوء الآراء العظيمة التى توصل اليها عالم الاجتماع الشهير فرديناند تونيز فى التميز بين المجتمع المحلى community والمجتمع society وذلك لأننا هنا بصدد مجتمع محلى صغير يأخذ فى التحول التدريجى وان لم يصل بعد الى أن يكون مجتمع society وقد توصلت الدراسة الى أن الأسرة فى مجتمع دار السلام بدأت تتغير فعلا وتميل الى الاستقلال وعـدم الارتباط بالأسرة الاساسية التى ولد بها الفرد أو روابط الجيرة • أى أن هناك نوعا من التغير فى القيم من التجمع الذى يتمثل فى نظام الأسرة الممتدة الى التشتت والعزلة ونحو الأسرة النووية •

أما عن قيمة التماسك والتضامن والمساعدة المتبادلة والعلاقة وجها لوجه فى مقابل التفكك والالتفاف حول الذات وتحقيق الأهداف الشخصية فقد طرحنا مناقشتنا على ضوء ما أدلى به دوركايم فى موضوع التمـــاسك أو التضامن الاجتماعى فى كتابه الشهير « تقسيم العمل الاجتماعى » وفيه يميز بين التضامن الآلى الذى ينشأ عن تشابه أنماط الحياة ونظمها فى الجماعات المحلية المختلفة وما يترتب على ذلك التشابه من ترابط وتماسك كما هو الحال على الخصوص فى المجتمعات البدائية والمجتمعات التقليدية بوجه عام • وهذا أقرب فى طبيعته الى نظـــرية المكانة الاجتماعية التى تعتبر فى نظر هنرى‌مين هى أساس قيام المجتمع القديم • وبين التضامن العضوى الذى ينشأ عن التفاضل والاختلاف فى المجتمع وما يتصل بذلك من تقسيم العمل والتخصص ، وما يترتب عليه من ضرورة اعتماد الوحدات المختلفة المتغايرة بعضها على بعض ، وهذا أقرب فى طبيعته الى نظرية « العقد » التى تعتبر

فى نظر هنرى مين أساس قيام المجتمع الحديث : ولا تخرج نظرية توينز التى عرضها فى كتابه « الجماعة المحلية والمجتمع » عن نظرية دوركايم مع بعض اختلافات شكلية بسيطة . ويمكن أن نقول بصفة عامة أن جيل كبار السن ما زال يحافظ على العلاقات الودية والزيارات المتبادلة والتعاون والمساعدة عند اللزوم ، ولكن هذا يظهر بطريقة متفاوتة بين الجيل الثانى من الشباب المتزوج تحت سن الخامسة والثلاثين ، نجد أن كلا من المساعدة والتعـــاون موجودتان ولكن ليس بالدرجة التى كانتا عليها . وكذلك العلاقة وجها لوجه أصبحت أقل مع ازدياد الميل الى الأسرة النووية والأسرة الممتدة المعدلة .

أما عن القيمة الرابعة وهى احترام كبار السن وقوة السلطة الأبوية مقابل تزعزع مكانة الكبار وضعف سلطتهم فقد أثر تحول المجتمع من مجتمع محلى تقليدى زراعى قائم على المكانة الاجتماعية الكبيرة التى تحتلها الكبار الى مجتمع بمعنى society على هذه القيمة حيث أخذت مكانة الكبار فى الضعف وخاصة بعد أن تحللت المجالس العرفية التى تتكون منهم، وكذلك يتحول المجتمع عن الزراعة والاقبال المتزايد على تعليم الابناء الذين استقلوا عن الأسرة الأم بناء على استقلالهم الاقتصادى وأصبح من حقهم أن يكون لهم رأيهم المستقل ـ ولكن هذا لا يعنى أن المجتمع تحلل تماما من قيود الطاعة والولاء والاحترام بل ظهر فى بعض الحالات المبحوثة أن هناك علاقة قوية ما زالت قائمة فى بعض الأحيان بين الكبار والأبناء ، ولكن قد يكون مظهر هذه العلاقة مختلفا عن ذى قبل كما ظهر من تحليل الحالات المبحوثة .

ويتضح من العرض السريع للنتائج اننا لم نعتمد على الاحصائيات فى دراسة البناء الاجتماعى ، هذا على الرغم من أن هناك اتجاها قويا ظهر فى العشرين سنة الأخيرة دعا اليه بعض الباحثين وخاصة فورتيس فى احدى مقالاته حيث ذكر أن مفهوم « البناء » ينطبق تماما على ملامـــح الأحداث الاجتماعية والتنظيمات التى يمكن اخضاعها للوصف والتحليل الكميين ، وذلك على العكس من الثقافة التى تعتبر هى المظهر الكيفى للظاهرات والحقائق الاجتماعية ولكن من الصعب أن نزعم أن الاتجاه الكمى يكفى بذاته لفهم البناء الاجتماعى يمكن أن نقول أنه يساعد فى بعض الأحيـــان فى ازالة ما يحيط ببعض المصطلحات الكيفية من غموض وابهام فى حالة وجود مثـــل هذه المصطلحات . فالاحصائى يجمع بيانات من مصادر مختلفة فى صورة رقمية عن مواقف اجتماعية معينة ويبرز ما يوجد بينها من علاقات ، أما فى حالة استخدام منهج دراسة الحلة فانه يختبر مواقف وأشخاصا وجماعات ونظما اجتماعية وينظر اليها نظرة كلية ثم انه ولا شك يستطيع الوصـــول الى تصميمات من دراسة منظمة ، وهذه التصميمات قد تكشف عن عدد كبير عن

العوامل السببية التى تؤثر فى الموقف الاجتماعى فى حين أن الاحصائى باستخدامه لمعاملات الارتباط لا يكشف الا عن العلاقة بين ثلاثة أو أربعة عوامل على الأكثر فى وقت واحد وأخيرا فان منهج دراسة الحالة من خلال دراسة تاريخ حياة life history رب الاسرة وأعضائها يعتبر من المنـــاهج الهامة فى دراسة مثل هذه المجتمعات الآخذة فى التحول التدريجى من كونها مجتمعات ريفية الى الاتجاه للحضرية فهو يساعد فى الكشف عن عدد كبير من العوامل السببية التى تؤثر فى الموقف الاجتماعى • كـــذلك فان هذه المجتمعات يحتاج أفرادها موضوع التغير الى عملية ترشيد لهذه القيم الجديدة المكتسبة يشترك فيها كل من الأسرة والمجتمع وهذه العملية عـــلى مستوى الأسرة تتطلب درجة معينة من الوعى •

أولا : الوعى بحدوث التغير فى نسق القيم •

ثانيا : توجيه هذا التغير الى وجهته السليمة •

أما المجتمع فهو يلعب دورا أساسيا فى ذلك • فالمجتمع هو مجموع هذه الأسر ويجب على قادة الفكر سواء الاجتماعى والاقتصادى والسياسى والتعليمى أن يواجهوا اهتماما كبيرا لهذه العملية على كافة المستويات لكى يهيىء للجيل الجديد الفرصة لاكتساب قيم جديدة سليمة تعبر عن الواقع المصرى الأصيل •

دراسة للاتجاهات النفسية للشباب الجامعى المصرى

نحو الابتداعات فى الملابس (الموضة)*

جلال الدين محمد عبد العال**

تمهيـــد :

لقد أدرك الناس على مر العصور أن حياتهم الحقيقية فى تغير مستمر ، فظهرت فلسفة التطور والتفسيرا تالعلمية مؤكدة أن الحياة فى جوهرها عملية تطورانها ليست ثابتة أو جامدة اذ تعبر عن نفسها فى احداث متكثرة وازمان متجددة ، ومن ثم أصبح العلم فى أحد جوانبه دراسة للتغير فى مظـــاهره المختلفة • فالتغير حقيقة وجودية فضلا عن أنه ظاهرة عامة وخاصة أساسية تتميز بها نشاطات ووقائع الحيـــاة الاجتماعية ، بل انه ضرورة حيـــاتية للمجتمعات البشرية ، فهو سبيل بقائها ونموها ، فبالتغير يتهيأ لها التكيف مع واقعها المتغير أبدا ، وبالتغير يتحقق لها التوازن والاستقرار فى بنيتها وأنشطتها وعن طريق ــ التغير ــ تواجه الجماعات متطلبات أفرادها وحاجتهم المتجددة •

فلا شك أن جوهر الحياة تجديد وابداع وخلق لا جمود وتكرار آلى ، انه اتجاه نحو النور لا هبوط واستسلام لظلام المادة وقوانينها الغاشمة ، ومن ثم يمكن أن نمضى مع (ديوى) حيث يعتبر أن التغير أخص خصائص زماننا المعاصر حيث لم تعد توجد أنماط تتميز بدرجة كافية من الديمومة والبقـــاء والاستمرار والصلاحية بحيث تهيىء وضعا ثابتا مستقرا نسكن اليه ونزعن له وكما يرى (توفلر) أن التغير ليس ضروريا للحياة فحسب بل ان الحياة ذاتها ، وبنفس المعنى تصبح عملية التوافق هى العملية الاساسية فى الحياة •

أهمية البحث :

(*) ملخص رسالة ماجستير قدمت الى قسم الصحة النفسية بكلية التربيـــة بجـــامعة عين شمس ١٩٧٩ اشراف الأستاذ الدكتور/صلاح مخيمر •

(**) المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية •

لقد قامت الموضة ولا تزال فى أوسع معانيها مظهرا أساسيا من مظاهر التغير وتبنى الجديد الذى من شأنه أن يتحدى الشكل القائم للحياة بأنماطه السلوكية ومختلف النشاطات التى يزاولها الناس ، ومشاعرهم وأذواقهم وفلسفاتهم بل وحتى عقائدهم المقدسة التى ألفــوها مما يظهر فى الصراع الدائب بين القديم والجديد ، ومن ثم بين الاتجاه المحافظ والاتجاه التحررى داخل المجتمع الواحد ومن هنا نجد أن عـالم الاجتمـاع « سمنر Sumner وهو من أبرز الباحثين فى مجال الموضة يتبين الى أن الموضة ليست شيئا تافها كما يتبادر الى الاذهان لانها تمثل شكلا من أشكال سيطرة الجماعة على الفرد. كذلك نجد أن « تونيس Tonnies » يشاركه نفس الرأى من حيث ان الموضة كالعادات والتقاليد تمثـل شـــكلا من أشـــكال الارادة الاجتماعية "social will" وقد نبه العلامة « تارد "Tarde" » الى الاهميـــة القصوى للموضة عندما ذكر أن عصر الأزياء سيعقب عصر العادات الاجتماعية والتقاليد ويحل محله حيث تكون الشهرة والسمعة الحسنة قائمة على امتـــلاك الأشياء الجديدة والغريبة والموضات المستحدثة ٠

وتظهر اهمية موضة الملابس فى التنويعـــات المستمرة فى الطـــرز و « الموديلات » التى تظهر باستمرار فى هذا المجـــال بالاضافة الى الأبواب الثابتة والمخصصة لها فى كل المجلات على وجه التقريب هذا بالاضافة الى عروض الأزياء والمؤتمرات والندوات والبرامج التى تقدم لهذا الغرض سواء ما كان منها على المستوى المحلى أو الدولى ٠

ومن الجدير بالذكر فى هذا المجال أن أزياء المرأة المصرية قد نالت عناية واهتمام كتاب الغرب أكثر مما نالته من الكتاب العرب ٠

واذا كانت التغيرات الاجتماعية اليوم فى مصر قد فتحت أبواب الجامعات على مصاريعها أمام الشباب من كافة الطبقات ، فليس بغريب أن تكون الجامعة اليوم بمثابة مجتمع صغير يلتقى فيه على وجـــه التقريب ما يمثـــل شتى الاتجاهات المختلفة للأزياء ٠

ومن هنا كان اختيار مجتمع الجامعة اطارا للدراسة الحالية عن الأزياء والموضة ، وهذا ليس بغريب على الاطار الجامعى حيث أن جامعة عين شمس قد أقامت لأول مرة معرضا للأزياء لطالباتها وطلابها وذلك خلال عام ١٩٧٦ ٠

ولعل السنوات الأخيرة قد شهدت تغيرا فى أشـــكال الملابس وطرزها والوانها لاقت قبولا بدرجة أو بأخرى الأمر الذى يتطلب دراسة علمية لهذه الظاهرة من خلال واقع المجتمع المصرى ٠

أهداف البحث :

١ ـ التعرف على اتجاهات الشباب الجامعى المصرى نحو موضة الملابس وعلاقتها ببعض المتغــيرات السيكولوجية مثـــل (الانبساطية ، التطرف ، العصابية ، التصلب) ٠

٢ ـ تبين ما ان كان هناك اختلافات فى هذه الاتجاهات بين :

(آ) الاناث والذكور من الشباب الجامعى ٠

(ب) الشباب الجامعى فى الكليات النظرية والكليات العملية ٠

٣ ـ معرفة العوامل النفسية التى تكمن وراء الاتجاهات المتطرفة قبولا واعراضا عن الموضة ٠

فروض البحث :

١ ـ توجد علاقة ارتباط ذات دلالة احصائية بين الاتجاه نحو موضة الملابس وبين بعض المتغيرات السيكولوجية مثـــل (الانبساطية ، التطرف ، العصابية ، التصلب) ٠

٢ ـ توجد فروق ذات دلالة احصائية بين الدرجات التى تحصل عليها الاناث والدرجات التى يحصل عليها الذكور فى مقياس الاتجاه نحو موضة الملابس ٠

٣ ـ توجد فروق ذات دلالة احصائية بين الدرجات التى يحصل عليها الشباب فى الكليات النظرية ودرجات الشباب فى الكليات العملية فى مقياس الاتجاه نحو موضة الملابس ٠

٤ ـ توجد بعض العوامل النفسية التى تكمن وراء كل من الاتجاهات المتطرفة فى التأييد والمعارضة بالنسبة للاتجاه نحو موضة الملابس ، وسوف يتم التحقق من هذا الغرض كلينيكيا ٠

مجال البحث والعينة :

تتحدد هذه الدراسة بالنسبة للعينة المستخدمة والمؤلفة من (٣٠٠) طالب وطالبة من الشباب الجامعى المصرى بكليات نظرية وعملية بجامعة القـــاهرة وتشتمل هذه العينة على (٥٠ طالبا ، ٥٠ طالبة بكلية الآداب) و (٥٠ طالبا، ٥٠ طالبة بكلية الطب) و (،٢٥طالبا ٢٥ طالبة بكلية الحقوق) و (٢٥ طالبا، ٢٥ طالبة بكلية الهندسة) ويمتد عمرهم الزمنى بين ١٩ ـ ٣٤ عاما ٠

تحديد المصطلحات :

(أ) « الاتجاه Attitude »

لا شك أن تعريفات الاتجاه قد تعددت تعددا كبيرا ، كما أنها تأثرت الى حد بعيد بطبيعة النظرية السيكولوجية التى يدين بها صاحب التعريف كما أنها قد تفاوتت تفاوتا كبيرا من حيث الدقة والاحكام والوضوح فبعضها اكتنفه شيء من الغيبية والغموض ، فضلا عن أن بعضها قد خلط بين الاتجاه وبين غيره من المفاهيم الأخرى من قبيل الميل والرأى ٠٠٠٠ الخ والتى لا يتسع المقام هنا لعرضها ولذا لا تفيدنا فى التوصل الى المفهوم الاجرائى والذى نفضل أن نبدأ به فى هذا البحث وهو « مفهوم يعبر عن محصلة استجابات الفرد نحو موضوع ذى صبغة اجتماعية وذلك من حيث تأييد الفرد لهـــذا الموضـــوع أو معارضته أو لا مبالاته » ٠

(ب) الابتداعات فى الملابس (الموضة Fashion)

يمكن القول بأن لفظة « موضة » لم تكن من الألفاظ المتداولة لدى العرب وان اقتربت فى معناها العام من الكلمة العربية « بدعة » فالكلمة الانجليزية (Fashion) والتى تعرف باسم موضة مأخـــوذة أساسا من الكلمة الفرنسية (Mode) ولذا يستخدم البعض كلمة الذوق الوقتى الشائع كمرادف لهذه الكلمة ، أما من حيث المعنى الاجتماعى والنفسى فقد تضاربت تعريفات العلماء والباحثين حوله الا أنه يمكن القول بأن الموضة كلمة تتوقف خصائصها الانفعالية والعقلانية على المجال الذى تحدث فيه ، وعليه ينبغى أن تحدد التعريف الاجرائى الذى تبناه الباحث من حيث الاتجاه نحو موضـــة الملابس وهو « محصلة استجابات الفرد نحو موضة الملابس من حيث التأييد أو المعارضة أو اللامبالاه فى مقياس الاتجاه نحو موضة الملابس » والذى أعده الباحث خصيصا لهذا الغرض ٠

(جـ) العوامل النفسية :

قدم كـــل من وارن (Warren) وكاتل (Cattel) تعريفا للعامل النفسى ، الا أن تعريف وارن قد جاء بصفة عامة بينما اهتم كاتل فى تعريفه بتأكيد الجانب الشعورى بصفة خاصة على حين يؤكد « مخيمر » فى تعريفه للعامل النفسى على المستويات اللاشعورية والعميقة ، ومن ثم يمكن أن نجمع بين التعريفين الأخيرين بمعنى أن نجمع بين المستوى الشعورى واللاشعورى

الاطار النظرى والدراسات السابقة :

الواقع ان ظاهرة الموضة قد استخدمت فى تفسيرها مفاهيم ونظريات شتى من قبيل العقل الجمعى ، المحاكاة ، التقليد ، الايحاء ، النرجسية وتأكيد الذات ، التوتر ، التزين، الاحتشام ، الحماية وما الى ذلك ، الا أنها لم تقدم لنا تفسيرا كافيا يمكن أن تعتمد عليه على النحو الذى نجده عن « مخيمر » فى نظريته عن الموضة والتى تقوم على بعدى الوظيفة والدينامية ، فمن الناحية الوظيفية فانالموضة تتيحللواحد المؤنثأن يبتكر الى غير نهاية مجيبا على نوعية المواقف المتعددة فى الحياة ، ومن ناحية الدينامية فهى محصلة للرغبة الغريزية الاستعراضية عند المرأة والرغبة الاخلاقية الساترة عندها ، وفى خدمة هذه المحصلة تكون عمليـــات الطمس أو النسوية "Leveling" لبعض العيوب ، وعمليات الابراز "Sharpening" للمفاتن بهدف تحقيق التغير افلاتا من الموت بالألفة والرتابة • والحقيقة أنه كى يتسنى لنا دراسة ظاهرة الموضة فى مجتمعنا المصرى فان علينا أن نضطلع بدراسة استطلاعية اعتمدت على استفتاء مفتوح "open-end-questionnaire" للتعرف على مدى أهمية هذه الظاهرة وتحديد المتغيرات السيكولوجية المصاحبة لها الى حد كبير •

وقد أفادت هذ هالدراسة الاستطلاعية ـ والتى أجريت على (مائة) حالة من الجنسين من الشباب الجامعى المصرى ـ فى تصميم مقياس الاتجاه نحـــو موضة الملابس بعد أن روعيت فيه أهم الشروط الـــلازمة فى الاختبـــارات والمقاييس النفسية والتى من أهمها الثبات والصدق •

وتعتبر الدراسات المتعلقة بالموضة وسيكولوجية الملابس بصفة عامة يمكن القول بأنها قليلة ولا تتناسب مع أهمية هذه الظاهرة ، فضلا عن انها لاقت اهتماما وعناية من الكتاب والباحثين الاجانب أكثر مما نالته من جانب الكتاب العرب كما أن الدراسات الاجنبية والعربية فى خـــلال الخمسة عشر عاما الماضية لم تتناول دراسة الاتجاهات النفسية نحو موضة الملابس لدى طلاب الجامعات وعلاقتها ببعض المتغيرات السيكولوجية والتى يدرسها هـــذا البحث وهى (الانبساطية ـ العصابية ـ التطرف ـ التصلب) وكذلك طبيعة الفروق ودلالتها الاحصائية بين الاناث والذكور من جهة وبين شباب الكليات النظرية والعملية من جهة أخرى بينما تركزت معظم الدراسات العربية فى مجتمعنا فى مجال الملابس حول النواحى الفنية والتسويقية ، ومن هنا كانت الحاجة الى دراسات عربية ونفسية ومتعمقة حول هذه الظاهرة من خلال واقع المجتمع المصرى •

أدوات الدراسة :

(أ) الأدوات السيكومترية :

١ - قائمة ايزنك للشخصية •

٢ - مقياس التصلب (عدم تحمل الغموض أ ، ب) •

٣ - مقياس الاستجابات المتطرفة •

٤ - استمارة المستوى الاجتماعى (اقتصادى - ثقافى) •

٥ - مقياس الاتجاه نحو موضة الملابس •

(ب) الأدوات الكلينيكية :

١ - اختبار الحاجات الكامنة •

٢ - المقابلات الشخصية •

٣ - تاريخ الحالة •

المعالجة الاحصائية :

١ - لما كانت هذه الدراسة دراسة سيكومترية (ارتباطية) فقد قام الباحث بعد تطبيق الاختبارات والمقاييس المشار اليها ، بتصحيحها ورصد درجاتها ، ثم استخراج المتوسط ، الوسيط الالتواء ، الانحراف المعيارى ، فضلا عن التوزيع التكرارى والدرجات الخام التى حصل عليها أفراد العينة ، ثم استخدم بعد ذلك معامل ارتباط بيرسون قيم خام •

٢ - استخراج المتوسط والانحراف المعيارى لدرجات مقياس الاتجاه نحو موضة الملابس بالنسبة لكل من الذكور والاناث ، وشباب الكليات النظرية والعملية •

٣ - دراسة مدى الدلالة الاحصائية للفروق بين المتوسطات بين (الاناث والذكور) من جهة و (شباب الكليات النظرية والعملية) من جهة أخرى وذلك وفق درجاتهم فى مقياس الاتجاه نحو موضة الملابس وذلك بعد حساب النسبة الغائبة تمهيدا لاستخدام (ت) من حيث أهم شروطها التجانس • ثم طبقت معادلة (ت) بالصورة المختصرة نظرا لتساوى العينتين •

نتائج الدراسة وتفسيرها :

أولا : نتائج الدراسة السيكومترية (الارتباطية) :

١ ـ جاءت نتائج هذه الدراسة فى معظمها فيما يتعلق بالفرض الأول الذى يقضى بوجود علاقة ارتباطية ذات دلالة احصائية بين الاتجاه نحو موضة الملابس وبعض المتغيرات السلوكية مثل (أ ـ الانبساطية ب ـ التطرف جـ ـ العصابية د ـ التصلب) كما كنا نتوقع وذلك وفقا لما يلى :

(أ) ان شدة الاقبال على الموضة مصاحب لارتفاع حظ الفرد من الانبساطية حيث بلغ معامل الارتباط (٣٥ر٠) دال عند مستوى (٠١ر) وذلك ان الشخص المنبسط كما يرى ايزنك هو شخص اجتماعى يحب الحفلات وله كثرة من الأصدقاء ويسعى وراء الاستثارة ويحب التغير عادة ٠

(ب) كذلك كنا نتوقع أن يكون هناك ارتباط موجب بين شدة الاقبال على الموضة وارتفاع نصيب الفرد من التطرف كأسلوب للاستجابة المتطرفة بصفة عامة (للصفات اللازمة لقيام الصداقة) حيث بلغ معامل الارتباط (١٥ر٠) وهو دال عند مستوى (٠١ر) فالاقبال الشديد على الموضة ينطوى بذاته وفى ذاته على التطرف وان كان التطرف هنا يقوم على نواح جمالية تبعث على الراحة والسرور ٠

(جـ) كنا نتوقع ألا يستمر هذا التطرف اقبالا على الموضة دون أن يكون هناك قدر من العصابية وقد جاءت النتائج تدعم هذا التوقع أيضا حيث بلغ معامل الارتباط (١٦ر٠) وهو دال عند مستوى (٠١ر) فالمتجهون الى الموضة وان كانوا قد حصلوا على درجات عالية فى الانبساطية فقد حصلوا أيضا على درجات عالية فى العصابية ، فكما يشير ايزنك الى أن الانبساطيون العصابيون يظهرون اتجاهات هستيرية ويتجه تفضيلهم الجمالى الى الصور الحديثة المليئة بالألوان وبالنسبة للخلق الجمالى الى الصور الحديثة المليئة بالألوان وبالنسبة للخلق الجمالى فهم يخرجون تصميمات متناثرة كثيرا ما تكون موضوعات مجردة ٠

(د) لم توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة احصائية بين الاقبال على الموضة وبين التصلب حيث بلغ معامل الارتباط (٠٨ر٠) وهو غير دال عند مستوى (٠١ر٠) ولا (٠٥ر٠) مما يجعلنا نستنتج ان الاقبال على الموضة انما ينطوى بالضرورة على مرونة من جانب الشخص وتنعكس هذه المرونة على مختلف انماطه السلوكية بما فيها الاستجابة نحو موضة الملابس ٠

٢ ــ وفيما يتصل بالفرض الثانى من هذه الدراسة والذى يقضى بوجود فروق ذات دلالة احصائية بين درجات الاناث والذكور فى مقياس الاتجاه نحو موضة الملابس ، فقد جاءت النتائج متفقة مع توقعاتنا من حيث أن يكون الاناث أكثر اقبالا على الموضة بالقياس الى الذكور ، فبعد استخراج النسبة الغائية بالنسبة للمجموعتين (اناث وذكور) أمكن استخدام معادل ثابت حيث بلغت (٣ر٩) وبالكشف عن مستوى الدلالة لها وجد انها دالة عند مستوى (٠١ر) فمن الطبيعى أن تكون الاناث أكثر اقبالا على الموضة بالقياس الى الذكور ، فقد رأينا ان الموضة تقوم أساسا على الاستعراضية كغريزة جزئية ، كما أن الموضة وان كانت تستحوذ على اهتمامنا جميعا الا أنها تستحوذ على المرأة استحواذا فريدا فى نوعه ، ولذا فلا عجب من أن نرى التغيرات السريعة التى تحدث بصورة كبيرة فى موضات الملابس النسائية وذلك بالقياس الى موضات الملابس الرجالى ٠

٣ ــ وفيما يتعلق بالفرض الثالث والذى افترضه البـــاحث فى هذه الدراسة من حيث وجود فروق ذات دلالة احصائية بين درجات شباب الكليات النظرية وشباب الكليات العملية فى مقياس الاتجاه نحو موضة الملابس ، فقد جاءت النتائج أيضا مؤيدة لهذا الفرض ، فبعد استخراج النسبة الفـــائية للمجموعتين (شباب الكليات النظرية والعملية) أمكن استخدام معادلة (ت) حيث بلغت (٥ر٣) وبالكشف عنها فى الجداول الاحصائية وجد انها دالة عند مستوى (٠١ر) ولعل ذلك يرجع الى اختلاف طبيعة الدراسة العملية عن الدراسة النظرية فطلاب الكليات العملية الذين أجريت عليهم الدراسة (السنة الثانية بطب القصر العينى ، والسنة الثانية قسم الهندسة الكيماوية بهندسة القاهرة) تفرض عليهم نوعا معينا من السلوكيات حيث أن الدراسة تتطلب قدرا كبيرا من الدراسة والبحوث التطبيقية والتجارب المعملية ناهيـــك عن دروس التشريح وبعض التجارب التى تستخدم فيها مواد كيمائية قد يكون لها تأثير ضار وكبير ليس على الملابس فحسب بل على الجسم أيضا بعكس طلاب الكليات النظرية الذين أجريت عليهم الدراسة (السنة الثالثة بكليتى الحقوق والآداب بجامعة القاهرة) الذين لا تستلزم دراستهم نواحى تجريبية أو معملية بمعنى الكلمة ، ومن ثم ترتكز حياتهم على الحديث الذى لا يعد وأن يكون فى نهاية الأمر نوعا من اللباس والتزين بحيث يعرض فيه المتكلم لآرائه وأفكاره ٠

وبصفة عامة يمكن القول بان الطلاب الذين يتجهون للكليات العملية يكشفون عن اتجاهات وميول تختلف تماما عن الطلبة الذين يتجهون الى الكليات النظرية ، فطلاب النوع الأول انما يتجهون الى المـــارسة الواقعية والعمل الحقيقى بينما يتجه الآخرون الى الآخرين حوارا معهم بهدف الاستحسان

بالقول والكلم ومن ثم يكون من الطبيعى أن تقل النزعة الاستعراضية بكافة وسائلها فى الظهور والتبدى عند طلاب الكليات العملية بينما ترتفع عند طلاب الكليات النظرية وبصفة خاصة فيما يتعلق بالاتجاه نحو موضة الملابس .

ثانيا : نتائج الدراسة الكلينيكية :

وفيما يتعلق بالفرض الرابع والأخير فى هذه الدراسة من حيث انه توجد بعض العوامل السيكولوجية التى تكمن وراء الاقبـــال الشديد والاعتراض الشديد عن الموضة قد أوضحت لنا حقيقة هامة وهى أن تاريخ الحالة الفردية والظروف الحالية هما اللذان يمليان عليها حلا لصراعاتها الأساسية من حيث الاقبال أو الاعراض بشدة نحو الموضة .

فالاقبال الشديد على الموضة قد تكشف راجعا الى صرعات أساسية عند الشخص تجد حلها على مسرح الموضة وذلك على النحو الذى يتضح بشكل صارخ عند الحالة (م) أما الاعتراض المسرف عن الموضة فقد تكشف راجعا الى صراعات موقفية تفرضها الظروف البيئية ، فكان بمثابة اجراء وقتى يتيح تعبئة الطاقات لمواجهة المهمة الحيوية العاجلة .

ثم بعد أن فرغ الباحث من دراسته هذه اتبعها ببعض التوصيات التى يرى ضرورة الاهتمام بها ووضعها فى الاعتبار بالنسبة لظاهرة موضة الملابس بصفة عامة وبالنسبة للشباب الجامعى المصرى بصفة خاصة .

رؤية الصحافة المصرية لأبعاد الصراع العربى الاسرائيلى
تحليل مضمون لجريدة الأهرام
من ٥ يونيو ١٩٦٧ الى ٦ أكتوبر ١٩٧٣*

نجوى حسين خليل**

١ موضوع الدراسة :

ان هزيمة يونيو ١٩٦٧ من أجدر اللحظات التاريخية بالدراسة ، حيث كانت نقطة انطلاق كبرى لحملة نقد ذاتى ترجمت عن نفسها فى كثير من الكتابات والمقالات والتحليلات التى حاولت تفسير الهزيمة حضاريا وسياسيا واعلاميا وعسكريا • ولم يكن تفسير الهزيمة سوى بداية للحديث عن كيفية استجماع شتى القوى العربية للدخول فى معركة حاسمة مع اسرائيل •

ومن ناحية أخرى ، فقد زاد احساس العقل العربى بجسامة جهلنا بالحقائق الخاصة بالمجتمع الاسرائيلى • ومن ثم ، انطلقت الدراسات والمقالات الصحفية لتشريح هذا المجتمع بأبعاده المتعددة • ونشر الوعى العقلانى بالأبعاد المعقدة للصراع العربى الاسرائيلى •

وهنا تكمن مشكلة بحثنا الذى نتقدم به ، فالدراسة تعنى بتحليل الكتابات التى نشرت فى العالم العربى فيما يتعلق بموضوع الصراع فى أعقاب هزيمة يونيو • وتقوم على تحليل مضمون المقالات التى تناولت الصراع العربى الاسرائيلى فى جريدة الأهرام ، من يونيو ١٩٦٧ حتى أكتوبر ١٩٧٣ تحليلا كميا وكيفيا • وذلك للكشف عن الكيفية التى حاولت تلك الكتابات والمقالات عن طريقها أن تؤثر على الرأى العام المصرى والعربى •

٢ - أهداف الدراسة :

تسعى الدراسة الى التحقق من الدور الذى قام به المتخصصون من

(*) ملخص لرسالة ماجستير فى الصحافة تحت اشراف الأستاذ الدكتور خليل يوسف صابات ، كلية الاعلام - جامعة القاهرة ، ديسمبر سنة ١٩٧٩ •

(**) باحثة بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية •

الكتاب والمحررين في جريدة الأهرام ، في نشر الوعي بالأبعاد المعقدة للصراع العربى الاسرائيلى ونشر المعرفة العلمية عن المجتمع الاسرائيلى •

ويتحدد الهدف من هذا البحث فى النقاط التالية :

أولا : وصف دقيق لما نشر فى ساحة الفكر العربى من دراسات وأفكار تتعلق بموضوع الصراع فى الفترة التى تقع بين ٥ يونيو ١٩٦٧ ، ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، بما يعكس نضوجا ووعيا بأبعاد المشكلة العربية الاسرائيلية •

ثانيا : تحليل المقالات والدراسات التى نشرت فى صحيفة الأهرام عقب هزيمة يونيو ، وذلك بغرض معرفة الكيفية التى رأت بها هذه الصحيفة أبعاد الصراع وتعقده نتيجة لدور الدول الكبرى فى منطقة الشرق الأوسط ولفشل الأمم المتحدة فى درء العدوان •

٣ ـ فروض الدراسة :

الفرض الأول : نتيجة للهزيمة فى يونيو ١٩٦٧ ، ظهر منطق عقلانى جديد فى التعامل مع الصراع العرى الاسرائيلى تمثل فى ابراز مدى تعقد الصراع وتنوع الأساليب التى ينبغى أن تتبع لمواجهته ، وفى الدراسة المتعمقة للمجتمع الاسرائيلى والمجتمع العربى •

الفرض الثانى : عكست الدراسات والتحليلات الصحفية بجريدة الأهرام هذا المنطق الجديد ، فى عرضها لأبعاد الصراع والموقف الدولى ودوره فى الصراع وكل من المجتمع الاسرائيلى والمجتمع العربى •

٤ ـ المنهج وأداة البحث :

اعتمدت الدراسة المقدمة على المنهج الوصفى الـــذى يمكن الباحثة من تصوير وتحليل الخصائص والحقائق المتعلقة بطبيعة الظاهرة أو المواقف المراد قياسها •

ولما كانت دراسة العلاقات المتبادلة ، أحد المنـــاهج الوصفية الرئيسية التى تستهدف التعرف على العلاقات بين متغيرات ظاهرة البحث • فقد اعتمدت الباحثة عليها فى الدراسة ـ التى نحن بصددها ـ للكشف عن درجة الارتباط بين متغيرات الظاهرة التى تقوم بدراستها •

واختارت الباحثة طريقة تحليل المضمون - كأداة منهجية تقوم على الدراسة الكمية والكيفية لمضمون وسيلة الاتصال - لأنها تمكنها من اختبار الفروض التى وضعتها لدراستها .

وقد اتبعت فى الدراسة كافة الخطوات المنهجية ، عند تحديد فئات التحليل التى تشملها استمارة البحث . فراعت ضرورة تحديد الفئات بدقة عن طريق وضع شرح تصنيفى لكل فئة مما يسهل ادراج وحدة التحليل بها . ثم قامت بقياس مدى ثبات أداة البحث للتعرف على مدى الاتساق فى تصنيف مادة التحليل نفسها فى الفئات المحددة ، وفقا للتعريفات والمحكمات المحددة بين الباحثة ومجموعة من المحكمين . وكذلك قامت بقياس الصدق الظاهرى لأداة البحث الذى يثبت أن الأداة التى أعدت لتحليل الموضوعات المراد تحليلها ، تقيس بالفعل ما يراد قياسه .

٥ - مجتمع الدراسة :

مقالات جريدة الأهرام المتعلقة بموضوع الصراع العربى الاسرائيلى .

٦ - الاطار الزمنى للدراسة :

الفترة الزمنية التى تقع بين ٥ يونيو ١٩٦٧ و ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

٧ - العينة :

اختارت الباحثة عينة غير متحيزة وممثلة لمجتمع الدراسة . وتبلغ نسبة ٧٥٪ تقريبا .

٨ - تبويب الدراسة :

بعد أن مهدت الباحثة لدراستها بتمهيد شمل التصورات العربية للصراع قبل هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ ، قسمتها الى عدة موضوعات تتمثل فيما يلى من نقاط :

١ - الخطوات المنهجية ، وتتضمن منهج البحث وأداة التحليل وقياس الثبات والصدق لأداة البحث واختيار العينة وطبيعة المعالجة الاحصائية للبيانات .

٢ - تحليل لجوانب الصراع العربى الاسرائيلى .

٣ ـ أبعاد الصراع العربى الاسرائيلى ، وتشمل كافة الأبعاد السياسية والحضارية والاقتصادية والعسكرية والادراكية ٠

٤ ـ تكييف هزيمة ١٩٦٧ ، وتحديد آثار الهزيمة على المجتمع الاسرائيلى والمجتمع المصرى والعربى ٠

٥ ـ جوانب القوة وجوانب الضعف فى المجتمع الاسرائيلى ٠

٦ ـ موقف الأطراف العربية ودورها فى الصراع ٠

٧ ـ المواقف الرسمية لطرفى الصراع والصحافة التى تعبر عنها ازاء الحلول المتاحة لانهاء الصراع ٠

٨ ـ موق فـالدول الكبرى وذات التأثير والهيئات الدولية من الصراع ٠
ثم الخاتمة ، وتضمنت التحقق منالفروض وعرضا لأهم نتائج الدراسة٠

٩ ـ نتائج الدراسة :

يتضح منالتفاعلات العامة فى هذه الدراسة ، والتى من شأنها تحقيق صحة فروض الدراسة ، حرص المفكرين والكتاب والمحررين العرب على اعطاء تصور شامل لطبيعة الصراع وأبعاده وتفاعلاته مع الظروف الدولية المحيطة ٠

وذلك من خلال عرض كافة أبعاد الصراع بالاضافة الى اهتمامهم بتكييف هزيمة ٩٦٧ ١، ومحاولة اثبات أنها هزيمة عسكرية وليست سياسية ، وهذا يعكس تمسكا وتأييدا للنظم السياسية الحاكمة وقتئذ ، ورغبة فى بقائها على قمة الحكم ٠

ولا شك أن تحليل المواقف الرسمية لطرفى الصراع ازاء حل الصراع لانهائه أو ازاء تعقيده وتجميده لفرض الأمر الواقـــع ، يعكس وعى مختلف الكتاب العربي لما يحدثه وقع السلام وفرض حالة من الاستقرار العادل سواء بالحل العسكرى آو السياسي من آثار تتسم بتأييد الرأى العام العالمى ٠

كما أظهرت تلك الدراسات والتحليلات مكامن القوة ومواطن الضعف فى المجتمع الاسرائيلى مما يدل على ازدياد الوعى بضرورة معرفة كيفية التغلب على العدو ، وحرصت أيضا على معالجة الظروف العربية ووضع صورة للطرق المثلى التى يمكن للعرب بسلوكها تفادى السلبيات واحراز نجاح ونصر فى مواجهة العدو الاسرائيلى ٠

وليس من شك ، فى أن تلك المعالجات من شأنها أن تعكس نضوجا ومنطقا عقلانيا لدى المفكرين والمحررين العرب فى تعاملهم مع موضوع الصراع العربى الاسرائيلى وطرح عدة مستويات وبدائل لحل الصراع والوصول الى الاستقرار الدائم ٠

كما يبدو واضحا من التحليل الكمى والكيفى لمقالات جريدة الأهرام ، ان رؤية الجريدة اتسمت بالحرص على معالجة موضوع الصراع باتجاه عام يتوفر فيه الاتساق فى معالجة كافة الأبعاد والجوانب خـــلال سنوات الـــدراسة ر ١٩٦٧ : ١٩٧٣) ٠

وأثبتت الدراسة نتائج أخرى تعكس المنطق العقلانى الذى حرصت عليه جريدة الأهرام فى أعقاب هزيمة يونيو ، وذلك يتمثل فى استعانتها بكتاب متخصصين فى موضوع الصراع العربى الاسرائيلى من كافة نواحيه ومتغيراته٠ مما يساعد بدوره على كسب ثقة القـــارىء واقنـــاعه بالمعلومات المدروسة المقدمة اليه ٠

كما توفرت فى كافة الكتابات والتحليلات الصحفية التى انتشرت فى أرجاء البلاد العربية بعد هزيمة عام ١٩٦٧ وحتى نصر عام ١٩٧٣ ، بعض السمات والأفكار التى تكشف عن العقلانية الجديدة فى رؤية الصراع العربى الاسرائيلى ٠

من ناحية ، أبرزت كافة الجزئيات التى تندرج تحت موضوعات الصراع بما يعبر عن عمق المعالجة وشمولها ٠ ومن ناحية أخرى ، أوضحت ضرورة ادراك المشكلة الأساسية المتعلقة بالصراع وعناصرها التى تتضمن مشكلة فلسطين المستمرة والمشكلة العربية ــ التى تعنى قضية الاراضى العـــربية المحتلة عام ١٩٦٧ ، والتى أصبحت مشكلة رئيسية فى الصراع ــ وهنا ظهر تناول جديد لحل الصراع مرحليا بالبدء بازالة آثار العدوان عن تلك الأراضى العربية المحتلة ثم حل المشكلة الفلسطينية ، كما ظهر اقتراح باقامة دولة فلسطينية أخرى بديلا مرحليا عن تصفية اسرائيل ٠

هذا بالاضافة الى مشكلة الأطماع التوسعية لاسرائيل ، التى تمثلت واضحة عقب انتصارها فى يونيو ١٩٦٧ ٠ كما كشفت عن صلة الوجـــود الاسرائيلى بالاستعمار القديم والجديد ، وأبرزت فاعلية العلاقات السياسية الخارجية لاسرائيل وجوانب التقصير في الاعلام العربى سعيا وراء تلافيها ٠

وأوضحت موضوع التحدى الحضارى الذى يجابهنا ، فتناولت موضوع التقدم الحضارى والعلمى فى اسرائيل وجذوره الغربية فى مقابل التخلف

التكنولوجي والعلمي والحضاري في الدول العربية • وان هذا الفارق الحضاري هو مجرد فارق في الأخذ بالحضارة الحديثة أي في مجال العلم والعقلانية التي تميز تلك الحضارة • وان لعبة الصراع والحرب لم تعد فنا عسكريا خالصا كما كانت من قبل • بل قد غلب عليها التحليل العلمي وتشابك العوامل النفسية والاجتماعية التي تشكل نفسية المقاتل على جبهة القتال والمواطن في داخل المجتمعات المتصارعة ، الى جانب الموارد المتاحة وتأثيرات الرأى العام العالمي•

ولم تكتف تلك التحليلات والكتابات بمعالجة كافة أبعـــاد ومتغيرات الصراع حيث انها طرحت تصورات مستقبلية لدور الأطراف العربية بمـــا يمكنها من تجاوز الهزيمة ، نذكر من تلك التصورات :

١ ـ قدمت سبلا لبناء اعلام عربي يتمتع بالفاعلية والقدرة على التأثير سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي لاكتساب ثقة الرأىالعام المحلي والعالمي• وتتمثل تلك السبل في التنسيق بين كافة جهود أجهزة الاعلام العربي في الخارج بهدف تفادى أى تداخل أو آراء متضاربة قد تضر بالقضية ، والسرعة في تكوين صورة واقعية ازاء أية أحداث أو تطورات في الصراع •

٢ ـ الدعوة الى العلم الحديث واجراء دراسات علمية تتعلق بالصراع العربي الاسرائيلي ، لاعانة المسئولين بالوثائق والبيانات والدراسات التي تمكنهم من رسم السياسة الصائبة واتخاذ القررات القادرة •

٣ ـ ابراز أهمية انشاء علاقات مع أوربا وأمريكا ، وألا نعزل قضيتنا العربية عن العالم الشرقي والغربي على السواء ، والتأكيد على اهمية تحييد مؤيدى العدو الاسرائيلي • لأن ذلك كله من شأنه أن يهيىء جوا أنسب لظروف معركتنا القادمة •

٤ ـ التأكيد على أهمية اتخاذ موقف عربي جماعي وموحد ، بالاضافة الى العناية بالاعداد السياسي للجبهة الداخلية واقامة نوع من الديمقراطية بالمشاركة لخلق انسان عربي جديد يقدر على مواجهة العدو •

٥ ـ المناداة باستخدام الأسلحة الاقتصادية العربية استخداما شاملا وجماعيا ، حرصا على ازدياد فاعليته وقوة تأثيره •

٦ ـ وأخيرا ، طرحت تصورات عسكرية ممكن اتباعها للتغلب عـــلى العدو ، وتتمثل في تجميع كافة الجبهات العربية بغرض توسيع قاعدة القتال، وتطبيق استراتيجية الحرب الهجومية الطويلة المدى •

كما أشارت الى ضرورة الاعتماد على دراسة التاريخ العكسرى للحروب العربية الاسرائيلية لتفادى نواحى القصور فيها ، وأن يتـولى القيـادات العسكرية آكفأ المؤهلين بالعلم وبراعة التصور ٠

وبعد عرض نتائج الدراسة بصورة كيفية ، يتبين أن دراستنا قد حققت الهدف منها ، الذى يتمثل فى الوصف الدقيق لمـا دار فى ساحة الصحافة المصرية والفكر العربى ٠ بما يكشف عن نضوج المفكرين والمحللين والمحررين، ووعيهم بمشكلة الصراع العربى الاسرائيلى من كافة نواحيها ٠

عرض كتاب :

« كل الرجال يولدون فى يوم واحدة »

ماكس جالو[1]

تقديم : أميرة مشهور

ماكس جالو كاتب فرنسى معاصر له عدة مؤلفات متنوعة بعضها قصص روائية والبعض الآخر دراسات تاريخية وسياسية ، فقد قدم للادب المعاصر عدة دراسات عن فترة حكم موسولينى بايطـاليا ، والأحـــداث السياسية بأثيوبيا ، ونظام حكم فرانكو بأسبانيا ، كذلك قدم أبحاثا عن أحزاب اليسار والمافيا ٠

وهذا الكتاب هو الجـــزء الأول ـ المسمى بالفجر ـ لثنائية تاريخية سياسية ، وسوف يصدر الجزء الثانى من الثنائية فى ابريل ١٩٧٩ وعنوانه « الغروب » ، وفى هذا الكتاب يقوم « ماكس جالو » بعرض ودراسة أحداث القرن العشرين فى قالب روائى مبتكر ، حيث يقوم بسرد قصة حياة سبعة أطفال يولدون جميعا يوم أول يناير من عام ١٩٠٠ أى أول يوم من القرن العشرين ، ويحمل كل طفل جنسية مختلفة عن الآخرين ، وبذلك يتعرض الكاتب لأحداث القرن العشرين فى معظم أنحاء العالم ٠

ويتكون الكتاب من ٣٣٣ صفحة وينقسم الى سبعة فصول يحمل كل فصل منها تاريخ سنة معينة هى على التوالى : سنة ١٩٠٠ (الفجر والنهار) ـ سنة ١٩٠٥ (ذكريات الطفولة) ـ سنة ١٩١٧ (لحن موسيقى) ـ سنة ١٩٢٣ (القدر) ـ سنة ١٩٣٤ (الجانب الآخر من المحيط) ـ سنة ١٩٣٧ (ردود الفعل) ـ سنة ١٩٣٩ (منتصف العمر) ، وبذلك يتوقف الكتاب عند تاريخ قيام الحرب العالمية الثانية ٠

---

[1] Max Gallo : Les hommes naissent tous le même jour", 1ère partie : Aurore. Edition Robert Laffont, Paris, Juin 1978.

ملخص الكتاب :

في يوم أول يناير سنة ١٩٠٠ ولد سبعة أطفال في سبع دول مختلفة من العالم ، فقد ولد « آلن روى جالوى » فى سان فرانسيسكو بالولايات المتحدة ويعمل والده بحارا بينما تعمل والدته عاملة خدمات ، أما الطفل الثانى فقد ولد بقرية قريبة من شنغهاى بالصين ، ويعمل والده لدى أحد المزارعين ، وولدت الطفلة الثالثة بمدينة سان بترسبورج بروسيا ، ويعمل والدها مهندسا بأحد مصانع الحديد والصلب الكبرى ، وفى ميونخ بألمانيا ولد الطفل الرابع ووالده خبير بالهندسة التعدينية ، أما الطفلة الخامسة فقد ولدت بوارسوا فى بولندا وهى من أسرة يهودية ويعمل والدها بالتجارة ، وفى لاباز بأسبانيا ولدت الطفلة السادسة وهى هندية الأصل توفيت والدتها بعد ولادتها مباشرة فتبناها راهب ايطالى ، وأخيرا ولد الطفل السابع بفرنسا ويعمل والده أستاذا للطبيعة .

وبالرغم من اختلاف جنسيات هؤلاء الأشخاص السبعة وتباعد أماكن اقامتهم ، الا أن الأقدار قربت بينهم ، ومن خلال أحداث القرن العشرين تعارفوا ومروا بمراحل متشابهة فى حياتهم .

وبمرور السنوات أصبح الطفل الأمريكى بحارا ثم كاتبا صحفيا ، أما الطفل الصينى فقد اشترك فى الثورة الصينية ، كما اندمجت الشخصية الروسية فى الأحداث السياسية التى هزت الدولة منذ بداية القرن العشرين وأصبحت الطفلة البولندية اليهودية عازفة بيانو دولية تجوب أنحاء العالم، ثم اشتركت فى الحركة الشيوعية تحت ستار مهنتها ، أما الأسبانية فقد تزوجت من دبلوماسى أمريكى تنقل فى الدول الأوروبية ، وأصبح الطفل الفرنسى موظفا كبيرا فى الخارجية الفرنسية ، وأخيرا أصبح الطفل الألمانى متطوعا بالجيش ثم عضوا هاما به وبالتالى فقد اشترك فى المأساة النازية .

تحليل الكتاب :

يمثل هذا الكتاب تصويرا لخلفية الاحداث التاريخية والصراعات الاجتماعية والسياسية والفكر السائد منذ أول القرن العشرين حتى نهاية العقد الرابع منه ، وبذلك يتعرض لقضايا عديدة يعرضها بشكل واضح وبسيط من خلال حياة أبطاله .

ويعتبر اختيار مهنة الابطال وكذلك مهنة إبائهم انعكاسا ليس فقط لفكر الكاتب بل أيضا انعكاسا للفكر الشائع عن طبيعة الجنسيات والشعوب

المختلفة ، فان مهنة والد البطل الامريكى بالبحرية وعمل الابن بالبحرية أيضا ثم الصحافة هو انعكاس لصفة المغامرة وعدم الاستقرار الشائعة عن الشعب الأمريكى المهاجر للعالم الجديد ٠

كذلك فان مهنة الوالد الصينى بالزراعة هو انعكاس للوضع السائد فى الصين قبل الثورة فالطبقة الدنيا التى تمثل أغلبية الشعب تعمل بقطاع الزراعة أو بقطاع الخدمات ، ان صورة الفلاح الصينى قبل الثورة هى احدى الأفكار الشائعة أيضا ، أما الابن فقد سلك طريقا جديدا تبعا لتطور الأحداث السياسية واشترك فى صفوف الثورة ، وبذلك صور المرحلة الانتقالية التى مرت بها الصين فى بداية هذا القرن ٠

أما الشخصية الألمانية فقد كانت من أسرة بورجوازية حيث أن رب الاسرة خبير بالهندسة التعدينية وهى أيضا الفكرة الشائعة عن طبيعة الشعب الالمانى الصناعى ، أما الابن فقد تحول الى صفوف الجيش متطوعا فى بادىء الأمر وهو فى السابعة عشرة من العمر ، وبذلك صور طبيعة الشعب الألمانى المتعصب لقضيته الثابت فى قراراته ٠

وقد كانت الأسرة البولندية صورة حية للأسرة اليهودية المتعارف عليها، حيث يعمل رب الأسرة بالتجارة ، أما الابنة فهى فنانة موهوبة وأصبحت عازفة بيانو دولية ثم اشتركت فى الحركة السرية المناهضة للنازية ، وقد عكست هذه الاسرة الأفكار الشائعة عن الطبيعة اليهودية من تفوق تجارى وتفوق فنى ٠

وفى روسيا صورت أسرة البطلة طبيعة الشخصية الروسية القديمة فى شخصية والدى البطلة ، أما الصورة الجديدة للشخصية السوفيتية فقد صورتها البطلة والشباب المحيط بها ، وقد نجح الكاتب فى عرض التمزق الذى صاحب الثورة فى بداية هذا القرن ، كذلك جمع الصفات الشائعة عن طبيعة الشعب السوفيتى فى أبطاله مثل الموهبة الفنية والتعصب السياسى والفكرى والطبيعة الصناعية السائدة فى الاقتصاد السوفيتى ٠

أما الأسرة الفرنسية التى يعمل الوالد فيها استاذا للطبيعة ويعمل الابن موظفا بالخارجية فقد عكست الفكرة الشائعة عن طبيعة الشعب الفرنسى كشعب مفكر فى المقام الأول ٠

وأخيرا صورت الشخصية الأسبانية وضع الأقليات ومشاكلهم ، كذلك عكست طبيعة الشعب الأسبانى بكل زوايا شخصيته ٠

ومن خلال الشخصيات المختلفة لأبطال الكتاب استعرض المؤلف **أحداث القرن العشرين** حتى عام ١٩٣٩ مبرزا الجوانب الاجتماعية والنفسية لهـــذه الأحداث ، فقد عرض الكاتب الأحداث التى سبقت الحرب العـــالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨) فى الدول الأوروبية وبصفة خاصة فى ألمانيا وبولندا ، ثم تعرض لقيام الحرب وما نجم عنها من دمار وازهـــاق لأرواح الرجـــال والشباب ، وما تلا ذلك من يأس ومرارة فى حياة الشعوب .

كذلك عرض الكاتب الأحداث التى سبقت الثورة السوفيتية (سنة ١٩١٩) من تفكك اجتماعى وانقسامات طبقية وبداية الاضرابات العمالية ، كذلك أظهر المؤلف الأخطاء التى صاحبت هذه الأحداث ، ثم قيـــام الثورة وما صاحبها من تغيرات اجتماعية واعتقالات وهروب كثير من الرافضين للثورة خارج البلاد ، ومدى معاناة هؤلاء المهاجرين ، كذلك تعرض الكاتب للنهضة الصناعية فى الدولة بعد الثورة ، وفى نهاية الكتاب بدأ الكاتب فى الاشارة الى الصراعات الحزبية والعمالية التى سبقت الحرب العالمية الثانية .

وتعرض الكاتب أيضا للازمة الاقتصادية الاوروبية التى ظهرت بوادرها فى أواخر العشرينات ثم انتشرت فى الثلاثينات .

وفى نهاية الكتاب بدأت تظهر مقدمات الحرب العالمية الثـــانية التى اندلعت سنة ١٩٣٩ .

كذلك تعرض الكاتب لحركة الجنرال فرانكو فى أسبانيا والأحـــوال السياسية للدولة فى ذلك الوقت .

وفى آسيا كانت الثورة الشيوعية الصينية فى أوائل القرن من أهم الأحداث التى هزت القارة وامتدت آثارها حتى يومنا هذا .

ومن جهة أخرى تعرض الكتاب فى سياق الأحداث السياسية والاجتماعية التى يسردها لعدة **قضايا فكرية وسياسية هامة** ، ومن هذه القضايا وضع اليهود فى العالم وتعرضهم للاضطهاد من قبل الشعوب الأوربية وبالتـــالى احساسهم الدائم بالظلم مما يدفعهم الى التمـــاسك والترابط والتعـــايش متقاربين فى أماكن خاصة ثم الهجرة ، وخاصة من ألمانيا وبولندا حيث بدأت الحركة النازية تظهر وتلاحقهم لابادتهم ، وبذلك استعرض الكاتب بداية مسار الحركة الصهيونية .

كذلك استعرض الكاتب بداية الحركة الشيوعية فى مطـــلع القرن

العشرين والتيارات المؤيدة لها والتيارات التى اعترضتها ، ومدى الخسائر التى نجمت عن هذا الصراع ٠

ومن جهة أخرى عرض الكاتب الحركة الشيوعية فى الصين والأسس التى قامت عليها والفكر الذى نبعت منه وبذلك وضع صورة مقارنة بين نظامين شيوعيين فى نفس الوقت تقريبا ولكنهما اختلفا فى مسارهما بالرغم من تقارب منبعهما فى كل من الاتحاد السوفيتى والصين ٠

كذلك ناقش الكاتب مشكلة الأقليات وبصفة خاصة الأقليات الهندية فى أسبانيا ٠

ومن أهم القضايا التى أثارها هذا الكتاب قضية الفقر ، فهى مشكلة نراها فى معظم دول العالم ، وتعرض لها الكاتب فى الصين حيث صور حالة الفلاح الصينى ومدى المعاناة والقهر المفروضة عليه ، ثم مشكلة الفقر فى الولايات المتحدة وخاصة فى أوائل القرن ، ومشكلة الفقر لدى الأقليات بأسبانيا ، والفوارق الطبقية الكبيرة فى روسيا القيصرية والتى أدت الى اندلاع الثورة البلشفية ٠

كذلك استعرض الكاتب ما أثارته التيارات الفكرية المتعارضة فى القرن العشرين من صراعات دولية وصراعات داخلية فى الدول المختلفة كالاتحاد السوفيتى وألمانيا ، بل أيضا ما أثارته من صراعات عائلية نظرا للاختلاف الفكرى بين الأجيال ٠

رأى الباحث :

تبرز أهمية هذا الكتاب فى كونه اطارا جديدا لاستعراض الأحداث التاريخية والسياسية والفكرية ، حيث قام الكاتب بعرض وتحليل هذه الأحداث منذ أوائل القرن العشرين حتى سنة ١٩٣٩ فى قالب روائى ، كذلك فان اختيار جنسيات مختلفة لشخصيات الكتاب أدى الى اعطاء صورة شبه دولية لهذه الأحداث ، وقد اختار المؤلف عنوان كتابه « كل الرجال يولدون فى يوم واحد » بمعنى يوم مولد انسان القرن العشرين ، مشيرا الى أنه بالرغم من اختلاف الدول فان الانسان واحد فى كل مكان ، وتعرضه لأحداث القرن يؤدى الى نوع من التوحيد الدولى بينه وبين الآخرين ، بل ان القدر قد يجمع بين هذه الجنسيات المختلفة نظرا لوحدة الأحداث والقضايا ٠

الا أن اختيار جنسيات شخصيات الكتاب قد أغفل القارة الافريقية

بأكملها ، حيث نجد أن الكاتب قد اختار خمس شخصيات أوربية وشخصية أسيوية وشخصية أمريكية ، وأغفل تماما الانسان العربى والانسان الافريقى، وقد يرجع ذلك الى أن الوضع السياسى للدول العربية والافريقية فى بداية القرن العشرين حيث كانت معظم هذه الـــدول مستعمران أوربية يرتبط مصيرها بالدول الأوربية ويتشكل واقعها السياسىوالاجتماعى وفقا للسياسات الأوربية ، ومن المؤكد أن هذا النقص فى الشخصيات سوف يظهر بصورة واضحة فى الجزء الثانى من الكتاب الذى سيتعرض لاحداث القرن العشرين منذ سنة ١٩٣٩ حتى الآن وهى الفترة التى بدأت تلعب فيها الدول العربية والافريقية دورا هاما لا يمكن التغاضى عنه على المسرح الدولى ٠

كذلك يبرز بوضوح موالاة الكاتب للحركة الصهيونية وتعاطفه معها ، فقد عرض بدقة الشخصية اليهودية وطريقة وحياة الفرد وشرح الآراء التى تجول بخاطره واحساسه الدائم بالاضطهاد ، ومدى الترابط بين أفراد هذا الشعب ، وشعورهم الدائم بالخوف ٠

ومن ناحية أخرى أوضح الكاتب موقفه من الحرب كشخص محب للسلام ومناهض لاعمال العنف وما ينجم عنها من خسائر أكبر من المشاكل التى قامت من أجلها ٠

وأخيرا فان هذا الكتاب هو دراسة تاريخية وسياسية واجتمـــاعية ونفسية فى قالب مشوق يدفعنا الى ترقب الجزء الثانى منها لتتبع أحداث نعرفها ولكن التجديد فى عرضها هو اللمسة الجديدة والمبتكرة التى تثير اهتمام القارىء ٠

11) Krech, D., Crutchfield, R.S., Ballachey, E.L. : *Individual in Society,* McGraw Hill Book Co., Inc., New York, 1962.

12) Kuhn, M.H., McPartland, T.S. : "An Empirical Investigation of Self Attitudes", American Sociological Review, Vol. 19, 1954, pp. 68-76.

13) Murchison, C. : *A Handbook of Social Psychology,* "Attitudes", by G.W. Allport, Clark University Press, Worcester, Mass., 1935.

14) Northrop, F.S.C. : *The Logic of the Sciences and the Humanities.* World Publishing Co., Cleveland, 1959.

15) Ramsey, Nelson : "Change in Values and Attitudes Toward the Family", American Sociological Review, Vol. 21, 1956, pp. 605-609.

16) Rosenberg, M.J., Hovland, C.I., McGuire, W.J., Ableson, R.P., Brehm, J.W. : *Attitude Organization and Change,* Yale University Press, New Haven, 1960.

17) Rosenberg, M.J. : "Misanthropy and Political Ideology", American Sociological Review, Vol. 21, 1956, pp. 690-695.

18) Scott, W.A. : "Empirical Assessment of Values and Ideologies", American Sociological Review, Vol. 24, 1959, pp. 299-310.

19) Warland, R. : "Definitions and Propositions Concerning Agricultural Values, Beliefs, and Attitudes and Farm Policy", Unpublished ditto manuscript prepared for project No. 1493, Iowa State University, 1964.

20) Young, K. (ed.) : *Social Attitudes,* Henry Holt and Co., New York, 1931.

21) Zetterberg, H.L. : *On Theory and Verification in Sociology,* Bedminster Press, Totowa, New Jersey, 1963.

22) ———— "Public Attitude Towards Stealing", American Sociological Review, Vol. 21, 1956, pp. 320ff.

BIBLIOGRAPHY

1) Anisfeld, M., et al.: "The Structure and Dynamics of the Ethnic Attitudes of Jewish Adolescents", Journal of Abnormal and Social Psychology, Vol. 66, 1963, pp. 31-36.

2) Bardis, P.D. : "Attitudes Toward the Family Among College Students and Their parents", Sociology and Social Research, Vol. 43, 1956-1959, pp. 352-358.

3) Brim, O.G. : "Attitude Content-Intensity and Probalistic Expectations", American Sociological Review, Vol. 20, 1955, pp. 68-76.

4) Catton, w.R. Jr. : "A Theory of Value", American Sociological Review, Vol. 24, 1959, pp. 310-317.

5) Chen, T.H.E., Chen, w. : "Attitudes Toward Parents in China", Sociology and Social Research, Vol. 43, 1958-1959, pp. 175-182.

6) Clark, B.R. : "Organization, Adaptation and Precarious Values : A case Study", American Sociological Review, Vol. 21, 1956, pp. 327-336.

7) Dackawich, S.J. : "An Analysis of the Values of a Modern Middle East Community", Sociology and Social Research, Vol. 44, 1959-1960, pp. 18-26.

8) Das, J.P., Nanda, P.C. : "Mediated Transfer of Attitudes", Journal of Abnormal and Social Psychology, Vol. 66, 1963, pp. 12-16.

9) Glock, Ringer : "Church Policy and the Attitudes of Ministers and Parishioners on Social Issues", American Sociological Review, Vol. 21, 1956, pp. 148ff.

10) Hartley, E.L., Hartley, R.E. : *Fundamentals of Social Psychology,* Alfred A. Knopf, New York, 1952.

components to meaning — an evaluative, a potency and an activity component. The evaluative component obviously most closely with the usual types of attitude scaling. It shows high reliability and considerable content validity when compared with other measurements of attitude toward the same object. The authors suggest that the predictive validity of the evaluative scale may be increased by combining it with ratings on the other two components. This gives us a much clearer picture of the total impression an object makes on an individual and thus should increase the possibility of correctly predicting behaviour. Also, the technique used in the semantic differential is indirect. This may enable the researcher to get a more accurate picture of the attitude than the more direct measurements due to the minimization of falsification in the direct method.

CONCLUSION

In conclusion I want to say that probing into the relationship between attitudes and behavior has greatly clarified my conceptions of the field. I honestly do not know if what I have tried to develope is obvious to any astute student of the field or whether the logical relationship that does exist between the concepts discussed has not been fully realized. The area was confusing to me and my preconceived notions were destroyed upon probing.

There are still some very confused areas that remain in this scheme but they are confusions which will yield to clear thinking. The two major ones that I have discovered are the relationship between beliefs and values and the conceptual and empirical separation of the affective and cognitive aspects of attitudes. It is hoped that the conceptual framework developed will help focus attention in these areas and thus contribute to the organisation of the field.

situation at once. This "impression" is what he knows at that moment and it is to this impression that he reacts. In this moment all his attitudes related to the various stimuli inherent in the situation come into play, not merely the ones which may be related to the particular object which is commonly thought of as objectively real. The individual does not react to the objectively real but to his particular cognition of that reality and, indeed, we attempt to measure attitudes to find out just how the individual's cognition of that reality differs from others. The implication of this interpretation for attitude research would be two-fold. First we should attempt to ascertain as many as possible of the various attitudes that might be called into influence by certain stimuli. In other words, a type of cognitive map including the various components that have been discussed may prove to be useful. Second, the various attitudes that enter a situation need not be logically related to the object we, as scientists, may be concerned about. Thus, a type of item analysis as used by Likert or factor analysis over a series of items may be indicated.

The second type of scaling that has received some use attempts to tap the action tendency component of attitudes. The question is usually asked of a respondent similar to the form, "would you or would you not act in this way in this situation ?", followed by a list of alternative actions from which the respondent chooses. Most of the research bearing on this attitudinal component is, however, carried out in relation to interpersonal traits.

I would like to very briefly discuss an instrument developed by Os-good, Suci, and Tannerbaum which may prove to be valuable in this area though its potential has not been explored. (11, pp. 167-169) The instrument, called a semantic differential, attempts to measure the meaning of a concept through a combined rating on a series of bipolar adjective scales. They suggest that though an individual may know what a term means he can not always express that meaning verbally but that the meaning is accessible through his profile or pattern of his ratings on the scales. Through factor-analysis of many scales they found three

be substituted for the degree of favorableness but the idea is the same. Ideally this should be directly correlated to one of the three components of the attitude, i.e., the place on the continuum is the "real" world correlate of the postulated actual degree of the attitudinal component. But which component do these scales measure ? As I have mentioned, some students in the field feel that the affective component cannot be separated from the evaluative or cognitive component. There is a great deal of difficulty in attempting to identify the content aspect of a particular scale with the cognitive component of the respective attitude and reserving the intensity aspect for identification with the affective component. This, in effect, leaves us only being able to say whether an individual is positive or negative toward an object with no references to degree being possible to make when talking about the cognitive component. The moment was mention degree as measured by present research we must then be talking about the affective component, if we attempt this identification. This is indicated by such words as "strongly" agree, "highly" favorable, or "strongly" approve which are certainly affective words. These words are found in both the Likert and the Guttman types of scales and they are the underlying assumption of the Thurstone technique, i.e., the individual is assumed to be "highly favorable" to an object if he is placed at one end of the continuum. In another attempt to separate the two components, but which may only further confuse the picture, we could ask whether or not the cognitive aspect should include any idea of degree. How can a cognized set of relationships be more or less in some way ? They are either a certain way or they are not that way. But this leaves out the whole aspect of evaluation which is certainly associated with a particular cognitization and is most easily thought of on a continuum of from bad to good.

The point is by now clear that I feel that thinking on this particular area has not been altogether clear. It is entirely possible that there is only one element involved here and that is a combination of all three aspects : the cognitive, evaluative and the affective. A very interesting relationship may be drawn to Northrop's discussion of pure fact. (14, p. 39ff.) An individual experiences all the stimuli of a given object and its attendant

psychological aspect of personality, must be measured inferentially. Attitudes are not actual behavior. This is the essential basis for the conceptual scheme which has been developed in this discussion and which will be used to guide the discussion of attitude measurement. Attitudes guide and direct behavior and all information about them must be inferred through that guided behavior. So attitudes are measured by measuring behavior be it verbal or otherwise.

With three components to attitudes we would expect three types of measurements, one for each component. In actuality only one type of measurement is very widespread and a second has gained only minimal usage. Both of these types of measurement have been used in a general technique called attitude scalling. The first and most widespread type of scaling taps both the cognitive and affective components of the attitude toward an object. Much research in the area has indicated that there are essentially two aspects to this first type of scale — content and intensity. The content aspect refers to the directional aspect and intensity refers to the strength or conviction with which the attitude is held (3, p. 69) By the nature of the instruments used these two aspects are related to each other as a U shaped curve. Persons responding at either extremes, positive or negative, along the content axis are very sure (high intensity) of their position while those whose content is not as definite one way or the other are certainly not intense in their response.

This quality of the cognitive attitude scale can be seen to exist in all of the five types of scaling procedures that are summarized by Krech et al. Of these scaling techniques the authors state that "in every case their objective is identical : to assign an individual a numerical position on a continuum, a position which indicates, for example, the valence of his attitude toward a particular object". (11, p. 147) From the individual's place on this continuum something is then inferred about his attitude. The problem comes when we try to define exactly what we are to infer. The general view held is that we have an indication as to the favorableness or unfavorableness of the individual toward the object. Some other terms such as degree of agreement, etc., may

responding to others : he develops interpersonal response traits. The traits may be "dispositions to respond" but they are dispositions which directly affect behavior. In this connection it was found by Anisfeld et al. in their study of prejudice toward ethnic groups that there existed a general hostility or negative orientation towards people in general in persons who tended to show more prejudice toward any group. Using this unexpected finding as a base they suggest that "problems in ethnic ideology could be formulated in a more comprehensive manner in terms of a person's disposition to people in general rather than in essentially sociological terms of an ingroup-outgroup dichotomy". (1, p. 36).

With the components of attitudes thus shown to be directly related to behavior, it follows logically and necessarily that attitudes themselves bear a direct relationship to behavior. In this framework then it can be said that man's social actions are directed by his attitudes and the systems that they form. (11, p. 139) Some authors have felt strongly enough about the direct relationship between attitudes and behavior to make it the basis for their definition of attitudes. Hartley and Hartley state that attitudes are "those relatively stable patterns of reaction which, though developed through experience, characterize individuals and groups", (10, p. 651) Das and Nanda have indicated that "attitudes are evaluative verbal responses..." (8, p. 12).

With the logical connections between the concepts and behavior shown to exist and thus definitely establishing that relationship there remains no hypothesis of the relationship. From the definition of wants, the basis of all the psychological concepts discussed, as directly forces of behavior has flowed the logical connection of the attitudinal aspect of personality to behavior. This relationship is not in any sense propositional or hypothytical, it becomes axiomatic. Any statement concerning this relationship can validly start with this assumption.

ATTITUDE MEASUREMENT

Attitude measurement is an extensive topic and I will only include a few general points about it and a brief description of one measurement technique in my discussion. Attitudes, being a

tions develop. Because cognitions are formed from experience in dealing with the individual's universe and are formed explicitly for dealing with that universe, in other words for behaving in that universe, they must be the directing forces behind that behavior. As Krech et al. point out, human cognition is very complicated and the separate cognitions tend to form systems. "It is these systems that direct the social actions of the individual". (11, p. 26) Merely looking at the definition of cognition it can only be inferred that the way an individual looks at or sees the world would probably have some influence on his behavior. Whereas by looking at the determinants of cognitions, their direct relationship to behavior must conceptually follow, it can not be denied, Krech et al. seem to imply this in most of their discussion of these concepts but they are not too explicit on this point. Further, it is widely recognized that any measurement of cognitions must be through behavioral responses and the nature of the cognition is then inferred. Simply because its nature must be inferred is no reason to assume that cognitions are not directly related to behavior.

Beliefs and values, being merely two major components of cognitions also bear this direct relationship to behavior. Very often, values are considered to be the criteria for deciding between alternative means and ends. (19, p. 4) This brings out the role which values play and implicitly assumes, as does most literature today, their direct relationship to behavior.

As was the case with cognitions, a determinant of interpersonal response traits is the individual's past experiences of successes and failures with want satisfaction. Here the interdependent nature of the relationship between wants and experience is quite evident. With each successful attempt at satisfying a fundamental want there arises the possibility of the emergence of a new and higher order want (Maslow). The relationship can possibly be stated such that new experiences lead to increased want complexity and that the operation of this increase want complexity impels the individual to seek new experiences. Based upon this interplay between experience and wants, the individual soon (often prenursery school) develops characteristic ways of

ship between these personality components and behavior I hope to show that the framework just developed may be useful in this area of Social-Psychology.

I have been under the impression that a perfectly valid through very general hypothesis in the field of Social-Psychology was that attitudes are related to behavior. I intend to show both that this hypothesis is not valid as an hypothesis but that attitudes must, by their nature, be related to behavior and that any statement in general relating attitudes to behavior must and does follow from a single definition. Although I have been unable to find any specific instances of the testing of this hypothesis directly, this hypothesis seems to be an underlying assumption in most literature on attitudes today but it is rarely, if ever, spelled out. Yet the definition of attitudes, in a behavioral framework, only indicates a tendency toward action and all measurement that is made is of either the observational type or the eliciting of verbal responses which certainly is behavior. As many authors indicate, this measurement is then taken to infer something about the attitudes of the individual (10, 11, 16, 20). The linkable between attitudes and behavior is admittedly very complex but this should not permit us from focussing on the basis of this relationship.

Throughout the development of the conceptual framework I have indicated and implied many places where the concepts are directly, though complexly, related to behavior. Starting with the most basic concept in the framework we find that wants were defined as the "initiating and sustaining forces in behavior". Here the relationship is clear and direct. Wants are by definition the original stimulators of behavior. It is plausible to state that an individual is born with the physiological wants such as hunger and thirst. His behavior is both initiated and sustained through the operation of these wants. The wants can be said to impel him to experience. Through the continual interplay between these two factors, development of the individual is assured. From the experience so gained, the limits imposed upon him by his physiological structure, and the situational aspect of his particular physical and social environment in which he experiences, cogni-

2. Constitutional factors
3. Social environment

Values
(Cognitions of relationships which ought to exist between phenomena, based on beliefs)

Universal Variables
1. Experience
2. Physiological structure

Beliefs
(cognitions of phenomena)
1. Experience
2. Physiological structure
3. Cognitions

Cognition
(process of apprehending and interpreting environment)
1. Experience
2. Physiological structure
3. Wants and goals
4. Physical and social environment

Wants and Goals
(initiating and sustaining forces in behavior)
1. Experience
2. Physiological structure
3. Fusion of wants

WANTS, COGNITIONS, ATTITUDES AND BEHAVIOR

One test of a good conceptual framework is its efficacy in handling the concepts and the interrelationships with which it deals. By focusing on the very general problem of the relation-

ceptualization. As I have said, the criterion which I used was the informative value of the concept. Several writers have preferred to arrange the concepts in the directly opposite fashion. However, this scheme is usually referred to as the level of abstraction and is equally as valid. There is general consensus that attitudes must have an object to have focus for the attitude — in this sense they must be specific. On the other hand, beliefs and values may be very nebulous with respect to any object and very abstract. But it must be remembered that beliefs can also be very specific. For example, I can believe, very specifically, that this scheme is the "end all, be all" in attitudinal conceptualization. Another point to consider is the fact that all the concepts that I have discussed have been oporationalized, or at least subject to attempts in this direction. In this sense it may be equally profitable to consider high conceptual levels on the left of my diagram (or right) and possible empirical measures on the rights (or left).

Conceptual Diagram with Determinants

Attitudes
(system of positive or negative evaluations, pro or con action tendencies, and emotional feelings).

Cognitive-Evaluative	Affective	Action Tendencies

1. Experience
2. Physiological structure
3. Cognitions

Interpersonal Response Traits
(dispositions to respond in distinctive ways to others)

1. Experience with want satisfaction

values and beliefs, also develop. It is these components that contribute the evaluative aspect to attitudes.

The second aspect of attitudes is the affective aspect. There seems to me to be a certain amount of difficulty in separating this component from the evaluative aspect of attitudes. The literature is not clear as to how these are to be separated. As has been mentioned, he cognitive and affective aspect are integrated in an individual. He rarely separates that which he cognizes from the effect it has on him. It is probable that the emotional response is based upon the value that an object or condition is cognized to have for the individual. As has been shown, what an individual sees as existing in his world is often not free of evaluation. Even at the conceptual level, at this point I am not ready to say that an evaluation can be separate from the emotional response it elicits. Placing a value of "like" or "good" on an object implies a favorable feeling toward that object.

The third component of attitudes is the "pro or con action tendencies". The conceptual linkage between the concepts I have been discussing and this aspect of attitudes is quite similar to the linkage leading to the cognitive component of attitudes. The wants of an individual drive him to forms of behavior in attempting to satisfy them. His experience in these attempts at satisfaction help to form what we have called the individual's interpersonal traits. The response traits, being defined as "dispositions to respond", clearly form the substance of the third component of attitudes. Thus this component can be seen to be directly linked with the basic concepts in this discussion.

Engering in at every level to the development and formulation processes of the attitudinal components of personality are the two universal variables — experience and physiological structure. A diagram of the relationship between the personality aspects and the influence that is exerted by the two universal variables can be found on page 14. This represents the conceptual scheme upon which I will base all my further discussion of attitudes and their components.

This diagram presents attitudes as the highest level of con-

act". Rosenberg et al. say that attitudes are typically defined as "predispositions to respond in a particular way toward a specified class of objects". (16, p. 1) Allport indicates that they are "a mental and neutral state of readiness..." (13, p. 798) and Hartley and Hartley mention that they are "those relatively stable patterns of reaction..." (10, p. 651) In addition to this aspect that is mentioned in many definitions, most of the literature mentions the presence of two other components to attitudes — a cognitive and an effective component. Hartley and Hartley feel that attitudes have a cognitive base and that because the individual does not separate those things that he cognizes from the effect they have no him, the cognitive aspect is integrated with the affective aspect. (10, pp. 655-656) Rosenbert et al. state that on the basis of what is observed while attempting to measure attitudes, three categories of responses can be discerned : cognitive, affective, and behavioral. (16, p. 1) with the discerning of these three components of attitudes, Krech et al. seem to have come up with the most comprehensive definition of attitudes to date. They define attitudes as "enduring systems of positive or negative evaluations, emotional feelings, and pro or con action tendencies with respect to social objects". (11, p. 139).

The conceptual framework that I am trying to develop should be fairly evident by now. A discussion of conceptual levels can be found in the following paragraphs but for the moment I will use a criterion suggested by Zetterberg in his discussion of propositions that informative value determine the level of the proposition. (21, p. 21) Attitudes are of the highest informative value of any of the concepts that have so far been discussed. The conceptual linkage between the concepts in this paper can be sketched in the following manner. The first component of attitudes, using the definition of Krech et al., the positive and negative evaluations, are, in fact, the operation of values based on beliefs, and are a product of the cognitions of the individual. This cognitive-evaluative component can thus be seen to have its roots in the original concept of the wants-goals complex. Wants and goals, the most basic (of lowest informative value) concept are active determinants in the cognitions of the individual. With the development of cognitions, the two cognitive components,

ing are developed. The next concept to be discussed in the scheme is what is called interpersonal response traits. Krech et al. define interpersonal response traits as "relatively consistent and stable dispositions to respond in distinctive ways to other persons". (11, p. 104) It is important to note that, as a psychological factor in personality, the traits are only dispositions to respond, not responses themselves.

It is mentioned that these traits may be formed very early in a person's life, even before nursery school age, and that they are a result of three determinants. These determinants are constitutional factors, the growth of the individual within the confines of a given social environment, and the past history of his experiences of success and failure with the means of want satisfaction. Summing this up is the statement that "...interpersonal response traits of the individual are the end products of his characteristic experiences in satisfying his most frequently and most intensely aroused wants". (11, p. 115) In looking at the determinants of the traits, we are immediately brought back to the two variables that I have called universal variables — experience and physiological structure. As I mentioned before, the particular social environment is a variable which is included in the variable of experience.

Attitudes

The three categories that I have discussed so far — motivation, including wants and goals, cognition, including values and beliefs, and interpersonal response traits — have all been looked at in a way which will allow for easily relating them to attitudes. As was the case for values, there is quite a wide range of definitions of attitudes. Much of the sociological research that is reported in the literature today does not define either attitudes or values (2, 5, 15, 17, 22). Attitudes are usually conceived of as having a specific object and are thus reported as the measurement of the attitudes toward a variable or the relationship of the attitudes toward a variable with another variable. However, in the definitions of attitudes that have been proposed the most frequently occuring component of any attitude is a "tendency to

Perhaps a few examples would be of some help here. First, an inrividual can dislike Negroes, that is, evaluate them negatively, because for him they are bad. He has no choice, that is simply the way things are. In this case Negroes are a 'bad' and his evaluation is not merely based upon his belief of what is but is an integral part of his belief of what is. Often, however, values are not this integrally related to beliefs. For example, an individual may dislike a certain practice in a governmental bureaucracy and he may, at the same time, have certain beliefs about that bureaucracy such as government is necessary and democracy is the only legal form of government and the American form of democracy is the only functioning form of democracy in the world today, etc. In this framework, American democracy is believed to be "what is" in the area of government. Based upon these beliefs the individual says that this particular practice which he values negatively must be eliminated because it does not allow for, or else it hinders, the full realization of what is, i.e. American democracy. This process is often not carried out consciously and it seems probable to me that most beliefs carry with them the idea that what is bad or good by its very nature. Two things can be pointed out at this time. First, values are very definitely based upon beliefs, in fact, they may be considered the evaluative component of beliefs. Second, according to Warland, values, as well as beliefs, contain the idea of "subjective interpretation" or cognition. With these points kept in mind, I would like to suggest the following as a definition of values. Based, upon belief, a value is a cognitive organization of the relationship which ought to obtain between two or more phenomena for the full realization of the individual's beliefs. Just as cognitions and the want-goal complex are based upon what I have called the basic or universal variables, values and beliefs can be seen to be so rooted. Both valuing and believing are cognitive processes and thus have their roots in the same determinants as cognitions, namely experience and physiological structure.

Interpersonal Response Traits

As the total personality of the individual grows, develops, and responds to the environment, characteristic ways of respond-

ment determines the type of experiences as individual undergoes. The fourth determinant for cognitions is the types of wants and goals that have developed within the individual. As Krech et al. showed, these are determined by experience and physiological structure. Thus it can be seen that the two most important variables entering as determinants into this discussion are physiological structure and experience. For the sake of Identification and because of their ubiquitous nature I will call them universal variables. These two universal variables are important in the development of the conceptual framework.

There are two concepts that are very common in Social-Psychological literature which I feel belong in this discussion of cognition. These concepts are values and beliefs. Let us first look at the concept of beliefs. After a review of the literature, Warland, in an unpublished report dealing with these concepts, concludes that beliefs are "an enduring organization of subjective interpretations of some phenomenon(a) of the individual's world". (19, p. 2) Warland goes on to say that a belief does not indicate whether a course of action has a positive or negative effect upon an actor but that it delimits various alternatives of action in the sense of which is the true or real action. As I stated earlier, the phrase "subjective interpretations" can be replaced with the term "cognition" without altering the meaning of the definition. Beliefs, then, are an enduring organization of cognitions of phenomena in an individual's cognitive world. Whether or not there is "in fact" an objective reality need not concern us but the most common connotation to the concept of belief is that it includes the idea of what "is" to the individual. This is our "organization of cognitions" which must take place in the "individual's cognitive world" about phenomena that occur in his entire environment.

The second aspect of cognitions that I mentioned and also wish to consider is values. Here a wide range of definitions exist in the literature. Warland defines a value as a "subjective interpretation of the relationship which **ought** to exist between phenomena. A preference or an expression of what is desirable". (19, p. 2) Krech et al. on the other hand define values as "beliefs about what is a desirable or a 'good' (e.g., free speech) and what is an undesirable or a 'bad' (e.g., dishonesty)". (11, p. 102)

to 'see' the world, the way it is structured for us by our participation in the life of a given group (10, p. 226) and as "the process by which we register what is in the field of view in a way that is meaningful". (10, p. 229) They do not, in this same publication, define cognition. An example of the somewhat confusing use of these terms is found in their discussion of attitudes :

> "Obviously, since percepts with which attitudes are connected grow out of contact with the perceived object, attitudes have a cognitive base. However, because the individual does not easily separate that which the cognizes, experiences or perceives from the effect such experiences have on him, the cognitive aspects of attitudes are integrated with the individual's emotional responses to the objects of his attitudes". (10, pp. 655-656)

After showing perception to be at least in part based upon experience, they have used the terms synonymously. A cursory review of their discussion of the definition, process of formulation, and nature of perception in comparison with the discussion of Krech et al. concerning cognition leads me to believe that the terms refer to the same phenomena — they are synonymous. Just as Hartley and Hartley do not define cognition but treat it as a general vocabulary word, Krech et al. treat perception in the same way. I will proceed using cognition.

Without going further into the nature of cognitions, the formulation of cognitive systems, and the nature of these systems, I would like to discuss briefly the basis of cognitions. Cognitions can be seen to be the products of four determinants : (1) the physical and social environment, (2) the physiological structure, (3) wants and goals and (4) past experience. (11, pp. 17-18) A comparison of these four determinants with the two major sources of wants and goals reveals a great deal of similarity. Both are dependent upon physiological structure and experience. Cognitions also depend upon the particular physical and social environment in which the individual finds himself but this variable is ultimately reducible to experience for the nature of the environ-

are the hunger and sex wants. There may be two possible reasons for the emphasis that these two wants have received. First is their accessibility in terms of the experimental design, especially the hunger want. Second, and possibly more important, is their ubiquitous nature. These wants are literally almost always present and when they go unsatisfied for any period of time their effect in behavior becomes progressively more marked.

A second source of wants is experience. Through experience or learning an individual develops an ever increasingly complex set of wants. As this set grows and develops through various experiences in want satisfaction old wants may fuse to form new or "higher order" wants. For an example of a theory of the emergence of higher order wants see Maslow (1943). (11, p. 76) Thus an individual's entire range of psychological activities are organized and integrated in working toward a goal and his whole personality is influenced by his wants and goals.

Cognition

The next concept that is essential in this scheme is the concept of cognition. This concept is very simply defined as "the way things look to an individual,... his cognitive world". (11, p. 17) To phrase this definition a little more intensively, I would say that cognition is the process whereby an individual apprehends and interprets the entire environment in which he finds himself. Thus, even though each individual must live in a unique cognitive world by virtue of his unique physiological structure and his unique social experiences, we expect wide ranges of similarity because of the broad base of similarity in human structure and social environments. (11, pp. 66-67) To me it seems that this concept encompasses what we usually think of when we say "subjective interpretation". It may also be that the concept of perception can be included in cognitions. This position is borne out by Rosenberg et al. when they state that "cognitions include perceptions, concepts and beliefs about the attitude object..." (16, p. 4) However, the terms perception and cognition are often confused and confusing. Hartley and Hartley define perception variously as referring "to the way in which we come

the individual would often continue in the face of difficulties. This concerns the aspect of persistence in action. This simple explication of motivation leads us to ask just what are the forces underlying and guiding these motivations. And this in turn leads us to what I feel are the keystones or the beginning points of human behavior — wants and goals.

It can easily be shown that there are two types of driving forces in human behavior-positive and negative. The positive forces include such things as "desires", "needs", or other things that impel an individual toward an object or condition. The negative forces include things such as "fears", "aversions", or other forces which tend to repel an individual away from the object or condition. These forces seem different in many ways but there is a uniting factor in that "both are seen as initiating and sustaining forces in behavior". (11, p. 69) The important point that I wish to make here is that by definition wants are related to behavior. Even though the relationship is not simple, i.e., the same wants, such as hunger, may produce action ranging all the way from berry picking to opening an icebox door or various wants as divergent as "alttuism" and "power" may impel an individual to do good works in a community, this does not mean that the relationship is not direct. Because wants are the driving forces in human behavior and that behavior is to some extent governed by thought, an individual's thought and action must reflect his wants.

A want directs behavior. Directed behavior must have an object and that object is defined as the goal. Just as wants cover both the positive and negative cases, a goal may be either an object or condition or merely to "get away from" an object or condition. Thust wants and goals are inseparable-one does not exist without the other.

With a moment's thought, it is easy to see that there are two primary sources of wants. (11, p. 71) One source that has received considerable emphasis from the Psychologists is the one that gives rise to wants based on the physiological organization of the human being. The most obvious and most tested of these

(20, p. 4) When **Human Nature and Conduct** by John Dewey was first published in 1922, it contained one of the first clear statements of the social foundations of human behavior. It elucidated the relationship between cultural forms and institutions and the habits of individuals. "The instincts do not make the institutions: it is the institutions that make the instincts". (20, p. 5)[1] Upon these foundations, then, the study of attitudes has grown to be a significant branch of Social Psychology.

CONCEPTUAL FRAMEWORK

As stated earlier, the major focus of this paper is on the relationship between attitudes and behavior. Because of the lack of conceptual clarity in this field, I will attempt to present a general conceptual scheme which I feel can be most useful in this area. This scheme is based, to a large extent, on Kretch et al. (11) and I have attempted to show its comprehensiveness by the fact that many contemporary writers, using their own definitions and concepts, can be conviently placed in this framework. Perhaps with a general scheme such as this some clarity can be achieved.

Wants = Goals

Human beings act. They respond to a practically infinite variety of stimuli and their behavior is observable. When one begins to ask the question "why" in human behavior the social scientist usually replies with some concept of motivation. Motivation is usually accepted to be a term designating the primary driving forces in human behavior. Motivation or the motives of men are not often considered to be precise scientific concepts. Krech et al. suggest two aspects to questions of "why" in human behavior. (11, p. 68) Why does an individual choose this alterative instead of one of the many other alternatives? This pertains to the direction of the action. The second question concerns why

(1) For a more complete discussion of the early development of the concept of attitudes see Young, K. **Social Attitudes,** Chapt. 1. by E. Faris.

INTRODUCTION

The purpose of this paper began as an exploration of the history, uses and implications of the general hypothesis that attitudes are related to behavior. However, the literature seemed to be confusing to me. There seemed to be relatively no instances where this hypothesis was explicity tested but merely numerous instances where the type or kind of relationship was explored assuming that some type of relationship did exist. But the definitions of attitudes range all the way from defining them as types of behavior to mere psychological components of personality. The definitions of attitudes as behavior were greatly outnumbered and seemed only to take into account superficial aspects of the concept so I felt that I should examine the psychological definitions more closely. These definitions, on the other hand, did not specify the need for any direct relationship to behavior. The purpose of this paper, then, is to attempt to develop a conceptual scheme in which the relationship of attitudes to behavior is clearly demonstrable. Two brief discussions will follow this development in which the implications of this scheme for some hypotheses that have been proposed in the area and for techniques of attitudinal measurement will be briefly outlined.

The development of attitudes seems to have come about as a result of a search for initial assumptions governing human behavior. For many years this search was governed by lengthy discussions and enumerations of human "instincts". However, these instincts were completely individualistic in their origin and not social. Thus the basis for a truly social science could not be found in them. W.I. Thomas was perhaps one of the first to introduce his concept of values and attitudes in the 1920's but the change in assumptions from the individual to the social was not really apparent at this time. Znaniecki, in his **Laws of Social Psychology**, 1925, "revealed plainly that the acts and experiences are the determining antecedents beyond which it was not profitable or even possible to seek any stable elements or absolutes".

TABLE OF CONTENTS

THE RELATIONSHIP OF ATTITUDES TO BEHAVIOR

By

Dr. Medhat M. Sabri*

* Assistant Professor of Rural Sociology, Department of Agricultural Economics, College of Agriculture, Ain Shams University.

THE NATIONAL REVIEW OF SOCIAL SCIENCES

CONTENTS

No. 1 January, 1980 Vol. 17

The National Review of Social Sciences

Issued by :

The National Center for Social and Criminological Research, Egypt.

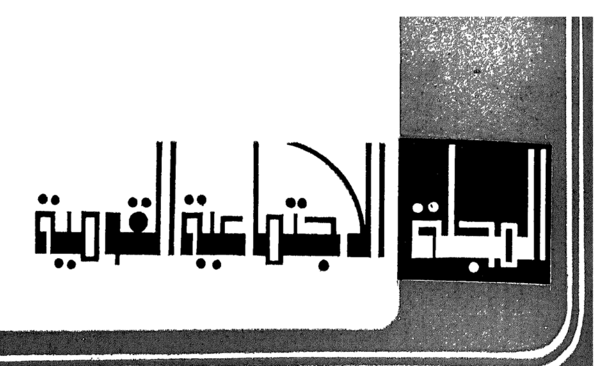
Price Per Issue	Issued Three Times Yearly	Annual Subscription
U.S. $ 4.00	January — May — September	U.S. $ 12.00

THE NATIONAL REVIEW OF SOCIAL SCIENCES

No. 1 January, 1980 Vol. 17



Issued by : The National Center for Social and Criminological Research, Egypt



العدد ٢ - ٣ مايو - سبتمبر ١٩٨٠ المجلد ١٧



المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية

المجلة الاجتماعية القومية

تصدر عن :

المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية

بريد الجزيرة — القاهرة

ثمن العدد	تصدر ٣ مرات سنويا	الاشتراك السنوى
٣٠ قرشا	يناير . مايو . سبتمبر	٩٠ قرشا

المجلة الاجتماعية القومية

العدد ٢ - ٣ مايو - سبتمبر ١٩٨٠ المجلد السابع عشر

المحتـــويات

صفحة

● بحوث ومقالات :

● رسائل جامعية :

صفحة

- كتب جديدة :

- مقالات باللغة الانجليزية :

ترجو هيئة تحرير المجلة أن يراعى فيما يرسل اليها من مقالات الاعتبارات الآتية :

١ ـ ان يذكر عنوان المقال موجزا ، ويتبع باسم كاتبه ومؤهلاته العلمية وخبراته ومؤلفاته فى ميدان المقال أو ما يتصل به .

٢ ـ أن يورد فى صدر المقال عرض موجز لرؤوس الموضوعات الكبيرة التى عولجت فيه .

٣ ـ أن يكون الشكل العام للمقال :

- مقدمة للتعريف بالمشكلة وعرض موجز للدراسات السابقة .
- خطة البحث أو الدراسة .
- عرض البيانات التى توافرت من البحث .

٤ ـ أن يكون اثبات المصادر على النحو التالى :

للكتب : اسم المؤلف ، اسم الكتاب ، بلد النشر : الناشر، الطبعة ، مكتبة النشر، الصفحات .

للمقالات من مجلات : اسم المؤلف . عنوان المقال ، اسم المجلة (مختصرا) ، السنة ، المجلد ، الصفحة .

للمقالات من الموضوعات : اسم المؤلف ، عنوان المقال (اسم الموسوعة) ، تاريخ النشر .
وتثبت المصادر فى نهاية المقال مرتبة حسب الترتيب الهجائى لأسماء المؤلفين وتورد الاحالات الى المصادر فى المتن فى صورة (اسم المؤلف ، الرقم المسلسل للمصدر الوارد فى نهاية المقال ، الصفحات) .

٥ ـ أن يرسل المقال الى سكرتارية تحرير المجلة منسوخا على الآلة الكاتبة من أصل وصورتين على ورق فولسكاب ، مع مراعاة ترك هامشين جانبيين عريضين ومسافة مزدوجة بين السطور .

٦ ـ المجلة غير مسئولة عن رد أصول المقالات الى أصحابها فى حالة عدم قبولها من اللجنة الاستشارية للتحرير .

مفهوم التربية الخلقية فى المنظور الاسلامى العربى

الدكتور سيد عويس*

لعل من حق القارىء على الكاتب أن يعرف أول ما يعرف معنى مفهوم « التربية » ومعنى مفهوم « الأخلاق » . فالمفهومان من المفاهيم الانسانية . والملاحظ أن هـذه المفاهيم مفاهيم فى الأغلب الأعم غامضة أى لهـا معان عديدة ، وهى أيضا مفاهيم فضفاضة أى لهـا صور متعددة ، وقد تستخدم فى بعض الأحيان فى مواقف متناقضة .

ومفهوم « التربية » قد تعددت معانيه ودلالاته . ومع ذلـك فالكاتب يرى أنه ينبغى أن تفهم التربية على أنهـا « عملية تغيير » بواسطتها ينمو الانسان ويزدهر وتتفتح ملكاته وقدراته ، وهو أى الانسان اذ يفعل ذلك فانه يكون نفسه ويتحول هو ذاته ، مـع تكوينه وتحويله الآخرين والبيئة التى يعيش فيها . ان عملية التغيير هذه تهدف أولا وقبل كل شىء الى اعداد المواطن (الانسان) لكى يستطيع أن يؤدى أدواره الاجتماعية التى يتوقعهـا منـه المجتمع الـذى ولد فيه ويعيش . انهـا عملية تـكوين الشخصية ، أى عملية جعل « الفـرد » « شخصا » أى فـرد له شخصية اجتمـاعية . أى يكون المواطن شخصا ذا اتجـاهات فكرية نحو من يحيط به من النـاس سواء كانت هذه الاتجاهات مما يفيـد أو يضر المجتمع وجماعاته . وتكون فائدته للمجتمع وجماعاته فى ضوء قيم هذا المجتمع ، ويكون ضرره فى نفس هذا الضوء . أى أن قيم المجتمع وجماعاته قد تكون قيما ايجابية ، قيما بناءة تكون من وراء أفكار أعضاء المجتمـع ومن وراء اتجـاهاتهم ونظرتهم نحو الأمور والأشـياء والأشخاص ، أى نحو الحيـاة التى يعيشونها أو التى يصنعونها أو التى يحاولون صنعها على السواء . وهى قيم بناءة لأنها تدعو الى الخير ولا تدعو الى الشر . ونعنى بالخير كل ما يعين على العمل الصالح من أجل الآخرين ، أى كل ما يعين على التغيـير الى الأفضـل والى الأقوى والى الأعظم . ومن ثم فهى قيم حميدة تدعم الروح المعنوية فى صفوف أعضـاء المجتمع أى مجتمع ، وترتفع بهذه الروح وتثبتها وتقويها . وقد تكون قيم

---

* المستشار بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية .

المجتمع وجماعاته على عكس ذلك ـ قيما سلبية ـ قيما غير بناءة لا تدعو الى الخير بل تدعو الى الشر ، تدعو الى ما يعين على العمل غير الصـــالح من أجل الآخرين ٠

واذا كان مفهوم التربية يعنى أنه عملية تغيير الفرد فى المجتمع لكى يكون شخصـا أو فردا ذا شخصية له أدواره الاجتمـاعية التى يؤديها فى المجتمع ، فان مفهـــوم « الأخلاق » هو أنماط السلوك التى تصـــدر عن الشخصية الاجتماعية عندما تواجه الحيـــاة بظروفها ومواقفها الاجتماعية ٠ وأنماط السلوك البشرية عديدة ومتباينة ومتناقضة جميعـا ٠ وقد تكون أنماطا فاضلة أو أنماطا غير فاضلة ٠ فالخلق الفاضل هو ذلـك الذى يرمى الى أفضل الحالات الاجتماعية ٠ وفى الوقت نفسه يسعى ويعمل بعقل وروية على تخير الوسائل التى بها يدرك هذا الغرض الأسمى ٠ والخلق غير الفاضل يرمى الى العكس ٠ أى يرمى الى أسوأ الحالات الاجتماعية التى ترمى بدورها الى السلبية والهدم ، أى الى الشر ، أى ترمى الى ما يعين على العمل غير الصالح من أجل الآخرين ٠ أى أن الكاتب لا يرى ما يراه البعض من أن الخلق شىء نفسى داخلى أو هو الدافع الذى يحرك الانســان للفعل ، وأما الفعل نفسه فهو السلوك ٠ أى أن الخلق هو شىء باطنى فى الانسان لا علاقة له بالبيئة الاجتماعية الا عن طريق شىء آخر هو السلوك ٠ أى أن الناظر الى الانسان لا يرى الأخلاق وانما يشاهد العمل أو الفعل ، أو بعبارة أخرى ان أحد هذين الأمرين هو سبب والآخـــر نتيجة له ٠ فالأخلاق هى السبب ، والســلوك أو العمل هو النتيجة ـ ان هذه فلسفة ثنائية ـ ولكن فلسفة الدين الاسلامى الحنيف هى التوحيد ٠ وهذا بخلاف ما يقبله أهل الغرب الذين وجدوا متسعا فى بيئتهم لجميع الفلسفات من توحيدية وثنائية وحتى جمعية ٠ فالملاحظ أننـــا لو أمعنا النظر لوجدنا أن الأمر بخلاف ذلك ٠ فمثلا قد توجد حالة تطلب من الكائن الحى (الشخص) أن يعمل أو ينشط ٠ فقـد يأخذ هـــذا الشخص فى التفـكير ـ أى فى غربلة اختباراته الســابقة بقصد اكتشاف الصلة أو المشابهة بين هذه الحالة التى تستدعى عملا ونشـاطا وبين ما مر عليه فى عهده السابق ٠ وعنـدما يكتشف المشابهة فى الحالتين يشرع فى البحث عما عمله فى الحالة الأولى ، أى أن يراجع استجابته السابقة لتـلك الحالة ـ تلـك الاستجابة التى أتت بالغرض فى الدفعة الأولى ٠ ثم يتخيل أنه عمل فى هـــذه الحالة الراهنة ما عمله فى الأولى ، وبالطبع يقدر لفعله الحالى نتيجته التى قد تترتب عليه ٠ وبعد أن يفرغ من كل هذا يشرع فى العمل المادى الظاهر ٠ ويتحول مجرى التفاعل فى نفسه من تفاعل نفسانى داخلى مستتر الى فعل ظاهر صريح واضح (سلوك بشرى) ٠ وكل هـــذه

العملية هى عملية متصلة ليس لها انقطاع وليس لجزئياتها انفصال(١) ٠

وإذا كان السلوك البشرى يصـــدر عن الشخصية الانسانية فى ضوء محدداتها ومنها خبراتها الاجتماعية الثقافية ٠ فالملاحظ أن القيم الاجتماعية تؤدى كما سبق أن أوضحنا فى هذه العمليات دورا خطيرا ٠ والملاحظ أيضا أن مصادر هذه القيم الاجتماعية ، بأنواعها العديدة ، عديدة كذلك ٠ منها وأهمها التراث الدينى والتراث التـــاريخى ، ومنها التراث الأدبى والفنى ، ومنها الأمثال الشعبية سواء كان ذلك مكتوبا أو غير مكتوب يحيا فى نفوس أعضاء المجتمع ٠

والتراث الدينى أهم مصادر القيم الحميدة ٠ وهى قيم شتى ، أى آن أنواعها عديدة ٠ منها القيم الاجتماعية الايجابية التى تتضمن الصبر والمثابرة والكفاح والايمان بالنصر وتقوية العزائم ٠ والأمثلة على ذلك نجدها فى الآيات القرآنية الكريمة التى تزهو بمعانى هذه القيم وتنشر شذاها :

١ ــ « يا أيهـــا الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » (٤٧ م محمد : ٧) ٠

٢ ــ « لن يضروكم الا أذى وان يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون » (٣ م آل عمران : ١١١) ٠

٣ ــ « ولا تهنوا فى ابتغـــاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كمـــا تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما » (٤ م النساء : ١٠٤) ٠

٤ ــ « ولا تهنـــوا ولا تحـــزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين ٠ ان يمسسكم قرح فقـــد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين النـــاس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين » (٣ م آل عمران : ١٣٩ ــ ١٤٠) ٠

٥ ــ « وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين ٠ وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا أغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » (٣ م آل عمران : ١٤٦ ــ ١٤٧) ٠

٦ ــ « بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هـــذا يمددكم ربكم

بخمسة آلاف من الملائكة مسومين . وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم » (٣ م آل عمران : ١٢٥ ـ ١٢٦) .

٧ ـ « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » (٣ م آل عمران : ٢٠٠) .

٨ ـ « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » (٨ م الأنفال : ١٥ ـ ١٦) .

٩ ـ « ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله كأنهم بنيان مرصوص » (٦١ م الصف : ٤) .

١٠ ـ « ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين » (٨ م الأنفال : ١٨) .

١١ ـ « ... واصبروا ان الله مع الصابرين » (٨ م الأنفال : ٤٦).

١٢ ـ « وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » (٤١ ك فصلت : ٣٥) .

١٣ ـ « والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين . الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون » (٢٩ ك العنكبوت : ٥٨ ـ ٥٩) .

١٤ ـ « يا بنى أقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور » (٣١ ك لقمان : ١٧) .

١٥ ـ « فاصبر ان وعد الله حق ... » (٤٠ ك غافر : ٥٥) .

١٦ ـ « فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا » (٧٦ م الانسان : ٢٤) .

١٧ ـ « ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة » (٩٠ ك البلد : ١٧) .

١٨ ــ « والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » (١٠٣ ك العصر : ١ ــ ٢ ــ ٣) ٠

١٩ ــ « واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون » (١٦ ك النحل : ١٢٧) ٠

٢٠ ــ « ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين » (٢ م البقرة : ١٥٥) ٠

ومن القيم الحميدة التى تضمنها التراث الدينى ، نجد القيم الاجتماعية الايجابية التى تتضمن الاقبال على التطوع للجهاد والتدين والجهاد فى سبيل الله والثبات وضبط النفس ٠ وآيات القرآن الكريم تتلألأ بمعانى هذه القيم وتنشر نورها :

١ ــ « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » (٨ م الأنفال : ٦٠) ٠

٢ ــ « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير » (٢٢ م الحج : ٣٩) ٠

٣ ــ « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون » (٥ م المائدة : ٣٥) ٠

٤ ــ « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون » (٩ م التوبة : ٢٠) ٠

٥ ــ « فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا » (٤ م النساء : ٨٤) ٠

٦ ــ « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ٠ واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ٠٠٠ » (٢ م البقرة : ١٩٠ ــ ١٩١) ٠

٧ – « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين » (٢ م البقرة : ١٩٣) ٠

٨ – « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » (٢ م البقرة : ٢١٦) ٠

٩ – « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما » (٤ م النساء : ٧٤) ٠

١٠ – « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعلمون بصير » (٨ م الأنفال : ٣٩) ٠

١١ – « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » (٩ م التوبة : ١١١) ٠

١٢ – « قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين » (٩ م التوبة : ٢٤) ٠

١٣ – « يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا » (٤ م النساء : ٧١) ٠

١٤ – « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون » (٣ م آل عمران : ١٦٩) ٠

١٥ – « وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ٠٠٠ » (٣ م آل عمران : ١٤٥) ٠

١٦ – « لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على

القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما » (٤ م النساء : ٩٥) ٠

١٧ — « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » (٣ م آل عمران : ١٧٣)٠

ومن القيم الحميدة التى تضمنها التراث الدينى ، نجد القيم الاجتماعية الايجابية التى تتضمن التضحية فى سبيل المجموع بالمال والجهد وأداء الواجب وتحمل المسئولية فى العمل الايجابى المشترك ٠ وآيات القرآن الكريم تشع بدلالات هذه القيم وتنشر هداها :

١ — « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » (٢ م البقرة : ٢٦١) ٠

٢ — « آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير » (٥٧ م الحديد : ٧) ٠

٣ — « ٠٠٠٠ وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين » (٣٤ ك سبأ : ٣٩) ٠

٤ — « ٠٠٠٠ وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » (٢ م البقرة : ٢٧٢)٠

٥ — « يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غنى حميد » (٢ م البقرة : ٢٦٧) ٠

٦ — « يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ٠ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » (٦١ م الصف : ١٠ — ١١) ٠

٧ — « وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين » (٦٣ م المنافقون : ١٠) ٠

٨ — « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » (٢ م البقرة : ١٧٧) .

ومن الآيات القرآنية الكريمة ما هو مصدر لا ينضب لبعض القيم الاجتماعية الايجابية التى تتضمن الثقة بالنصر والتوكل المثمر المقترن بالسعى والعمل والتفاؤل والصبر على مزاولة المشاق والطاعة التلقائية والتمسك بالأخلاق الحميدة والمثل العليا :

١ — « يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وان يكن منكم مئة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون » (٨ م الأنفال : ٦٥) .

٢ — « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ، ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم » (٤٧ م محمد : ٤) .

٣ — « فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يترك أعمالكم » (٤٧ م محمد : ٣٥) .

٤ — « وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا . وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطأوها وكان الله على كل شىء قديرا » (٣٣ م الأحزاب : ٢٦ — ٢٧) .

٥ — « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » (٤ م النساء : ٥٩) .

٦ — « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون . ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون » (٨ م الأنفال : ٢٠ — ٢١) .

٧ — « وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين » (٨ م الأنفال : ٤٦) ٠

٨ — « ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين » (٣ م آل عمران : ١٥٢) ٠

٩ — « يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا أن الله كان بما تعملون خبيرا » (٤ م النساء : ٩٤) ٠

١٠ — « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » (٣٣ م الأحزاب : ٢١) ٠

١١ — « لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما » (٤ م النساء : ١١٤) ٠

١٢ — « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون » (٤٩ م الحجرات : ١١) ٠

١٣ — « يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا » (٤٩ م الحجرات : ١٢) ٠

١٤ — « والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا » (٣٣ م الأحزاب : ٥٨) ٠

١٥ — « أرأيت الذى يكذب بالدين ٠ فذلك الذى يدع اليتيم ٠ ولا يحض على طعام المسكين » (١٠٧ ك الماعون : ١ — ٢ — ٣) ٠

١٦ — « واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ان الله كان على كل شيء حسيبا » (٤ م النساء : ٨٦) ٠

١٧ - « وان ليس للانسان الا ما سعى » (٥٣ ك النجم : ٣٩) ٠

١٨ - « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون » (٤١ك فصلت : ٨) ٠

١٩ - « انا لا نضيع أجر من أحسن عملا » (١٨ ك الكهف : ٣٠) ٠

٢٠ - « ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون » (٤٦ ك الأحقاف : ١٩) ٠

٢١ - « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » (٩ م التوبة : ١٠٥) ٠

٢٢ - « ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا » (١٧ ك الاسراء : ١٩) ٠

٢٣ - « فاذا عزمت فتوكل على الله » (٣ م آل عمران : ١٥٩) ٠

والآيات القرآنية الكريمة التى تتضمن قيم الأخوة والألفة والتماسك فى محيط المجتمع وجماعاته عديدة ٠ وكلها قيم اجتماعية ايجابية تتلألأ بمعانيها هذه الآيات وتحث عليها :

١ - « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » (٥ م المائدة : ٢) ٠

٢ - « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب الجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا » (٤ م النساء : ٣٦) ٠

٣ - واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » (٣ م آل عمران : ١٠٣) ٠

٤ - « انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » (٤٩ م الحجرات : ١٠) ٠

٥ — « ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصــير » (٢ م البقرة : ٢٣٧) ٠

٦ — « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقســطوا اليهم ان الله يحب المقســطين » (٦٠ م الممتحنة : ٨) ٠

٧ — « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شــعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عنــد الله أتقــاكم ان الله عليم خبير » (٤٩ م الحجرات : ١٣) ٠

٨ — « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » (٤١ ك فصلت : ٣٤) ٠

وفى ضوء الآيات الــكريمة السابقة نلاحظ أهم القيم الاجتماعيــة الايجابية التى يدعو اليها الدين الاســلامى الحنيف ، والتى يجب أن تعتبر جزءا من شخصية كل مسلم ٠ وبالاضافة الى هذه الآيات نجد العــديد من الأحاديث النبوية التى تفسرها وتؤكدها ٠ وبالاضافة الى ذلك نجد شخصية نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم نموذجا يحتذى وقدوة يهتدى بها « لقــد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليــوم الآخر وذكر الله كثيرا » (٣٣ م الأحزاب : ٢١) ٠

ولقد أثبت العلامة الامام الغزالى فى كتابه احياء علوم ألدين بيــانا من محاسن أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم التى جمعها بعض العلماء والتقطها من الأخبار ٠ فقد كان صلى الله عليه وسلم :

« أحلم الناس ، وأشجع الناس ، وأعدل الناس ، وأعطف الناس ، لم تمس يده قط يد امرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه ، وكان أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم وان فضل شىء ولم يجد من يعطيه وفاجأه الليل لم يأو الى منزله حتى يتبرأ منه الى من يحتاج اليه ، لا يأخذ مما آتاه الله الا قوت عامه فقط من أيسر ما يجــد من التمر والشعير ويضع سائر ذلك فى سبيل الله ، لا يسأل شــيئا الا أعطاه ، ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى انه ربما احتاج قبل انقضاء العام ان لم يأته شىء ، وكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم فى مهنة أهله ويقطع اللحم معهن ، وكان أشد الناس حياء لا يثبت بصره فى وجه أحد ، ويجيب

دعوة العبد والحر ، ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافىء عليها ويأكلها ولا يأكل الصدقة ، ولا يستكبر عن اجابة الأمة والمسكين ، يغضب لربه ولا يغضب لنفسه ، وينفذ الحق وان عاد ذلك عليه بالضرر أو على أصحابه ، عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو فى قلة وحاجة الى انسان واحد يزيده فى عدد من معه فأبى وقال : انا لا أنتصر بمشرك ، ووجد من فضلاء أصحابه وخيارهم قتيلا بين اليهود فلم يحف عليهم ولا زاد على مر الحق بل وداه بمائة ناقة وان بأصحابه لحاجة الى بعير واحد يتقوون به ، وكان يعصب الحجر على بطنه مرة من الجوع ، ومرة يأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع عن مطعم حلال وان وجد تمرا دون خبز أكله وان وجد شواء أكله وان وجد خبز بر أو شعير أكله وان وجد حلوا أو عسلا أكله وان وجد لبنا دون خبز اكتفى به وان وجد بطيخا أو رطبا أكله ، لا يأكل متكئا ولا على خوان ، لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى لقى الله تعالى ايثارا على نفسه لا فقرا ولا بخلا ، يجيب الوليمة ويعود المرضى ، ويشهد الجنائز ويمشى وحده بين أعدائه بلا حارس ، أشد الناس تواضعا وأسكنهم فى غير كبر ، وأبلغهم فى غير تطويل ، وأحسنهم بشرا ، لا يهوله شىء من أمور الدنيا ، ويلبس ما وجد فمرة شملة ومرة برد حبرة يمانيا ومرة جبة صوف ما وجد من المباح لبس ، وخاتمه فضة يلبسه فى خنصره الأيمن والأيسر ، يردف خلفه عبده أو غيره ، يركب ما أمكنه مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بغلة شهباء ومرة حمارا ومرة يمشى راجلا حافيا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة يعود المرضى فى أقصى المدينة ، يحب الطيب ويكره الرائحة الرديئة ، ويجالس الفقراء ، ويؤاكل المساكين ، ويكرم أهل الفضل فى أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم ، يصل ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم ، لا يجفو على أحد ، يقبل معذرة المعتذر اليه ، يمزح ولا يقول الا حقا ، يضحك من غير قهقهة ، يرى اللعب المباح فلا ينكره ، يسابق أهله ، وترفع الأصوات عليه فيصبر ، وكان له لقاح وغنم يتقوت هو وأهله من ألبانها ، وكان له عبيد واماء لا يرتفع عليهم فى مأكل ولا ملبس ، ولا يمضى له وقت فى غير عمل لله تعالى أو فيما لابد منه من صلاح نفسه ، يخرج الى بساتين أصحابه ، لا يحتقر مسكينا لفقره وزمانته ولا يهاب ملكا لملكه ، يدعو هذا وهذا الى الله دعاء مستويا ، قد جمع الله تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب نشأ فى بلاد الجهل والصحارى فى فقر وفى رعاية الغنم يتيما لا أب له ولا أم فعلمه الله تعالى جميع محاسن الأخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأولين والآخرين وما فيه النجاة والفوز فى الآخرة والغبطة والخلاص فى الدنيا ولزوم الواجب وترك الفضول » (٢) .

ولعل أعظم ما يلخص خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى « وانك لعلى خلق عظيم » (٦٨ ك القلم : ٤) ، وقوله جل شأنه « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ا نالله يحب المتوكلين » (٣ م آل عمران : ١٥٩) .

فى ظل هذا المناخ الاجتماعى الثقافى الذى يشع بالقيم الايجابية التى تضمنتها آيات القرآن الكريم ، كما تضمنتها أحاديث رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم ، وتحت رعاية القدوة الحسنة والأسوة الكريمة عاش المسلمون الأوائل ونشئوا تنشئة اجتماعية صالحة أنتجت تربة خلقية رائعة يسرت لهم أن يسطروا صفحات خالدة فى تاريخ الانسانية . ولعل أجل ما يصف هؤلاء قوله جل وعلا :

« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما » (٤٨٠م الفتح : ٢٩) .

* * *

واذا كانت القيم الايجابية السابقة قد تمثلها أصحاب الرسول صلىالله عليه وسلم ، وأصبحت جزءا من شخصياتهم يواجهون بها المواقف الاجتماعية المتباينة والمتناقضة من غير أن يحيدوا عن الصراط المستقيم ، ويؤكدون بها تحقيق رسالة الاسلام ــ اذا كان الأمر كذلك ، فقد تمثل نفس القيم الذين أتوا من بعدهم وغرست فى نفوس الأخيرين أروع الاتجاهات التى تهدف الى تحقيق نفس هذا الهدف الأسمى . كان الأولون مثلا عليا سار على دربهم الأخيرون . والتاريخ يذكر الفتوحات التى مزقت أكبر دولتين فى العالم فى ذلك الحين ، دولة فارس والدولة الرومانية ، يذكر فتوحات العراق وسوريا وفلسطين والهند وفارس والقسطنطينية وآسيا الصغرى وآسيا الوسطى القديمة ، كما يذكر الفتوحات غربا وشمالا فى مصر وشمال أفريقيا وسيسيلى (جزيرة صقلية) وقبرص وأسبانيا حتى حدود نهر اللوار فى فرنسا (بواتييه) ويذكر التاريخ حدود الامبراطورية الاسلامية حتى الصين شرقا ، وحدودها فى قارة افريقيا فى السودان والحبشة الى نيجيريا . ويذكر

التاريخ الاسلامى دائما القادة العسكريين العظام الذين أثبتوا تفوقهم العسكرى أمام الدنيا بأسرها ، يذكر التاريخ خالد بن الوليد والمثنى ومسلمة وعمرو بن العاص وابن أبى سرح وعبد الله بن نافع بن عبد القيس وابن الحصين وموسى ابن نصير وطارق بن زياد وقتيبة بن مسلم وغيرهم ٠(٣)

ولم يكن التفوق العسكرى وحده أو روح الفداء وحدها أو كان التفوق الحضارى بكل أنماطه ، بل كان كل أولئك جميعا ، فضلا عن الايمان الراسخ بالقيم الايجابية التى تمثلها المسلمون الأوائل من أمثال الخليفة أبو بكر (مات فى عام ٦٣٤ م) ، والخليفة عمر (مات فى عام ٦٤٤ م) ، والخليفة عثمان (مات فى عام ٦٥٦ م) ، والخليفة على (مات فى عام ٦٦١ م) ٠ كما تمثلها من أتى بعد الخلفاء الراشدين وحذوا حذوهم — هى التى بنت حضارة الاسلام العظيمة المتفوقة ٠ فالملاحظ أن العلم العصرى قد يبشر ببداياته علماء مسلمون أفاضل ابتداء من جابر بن حيان (مات فى عام ٨٠٣ م) ، أى منذ القرن الثامن الميلادى ٠ ويكفى أن نذكر العصر الاسلامى الذهبى فى خلال المدة من القرن الثامن الميلادى الى القرن العاشر الميلادى والترجمات لأمهات كتب الاغريق الى اللغة العربية ٠ كما نذكر الجهود التى بذلها علماء وفلاسفة من أجل ازدهار العلم والفلسفة من أمثال الخوارزمى (مات فى عام ٨٥٠ م) ، والكندى (مات فى عام ٨٧٣ م) ، والرازى (مات فى عام ٩٢٥ م) ، والفارابى (مات فى عام ٩٥١ م) ، وابن سينا (مات فى عام ١٠٣٧ م) ، وأبو الحسن بن الهيثم (مات فى عام ١٠٣٩) ، والبيرونى (مات فى عام ١٠٤٨ م) ، وابن رشد (مات فى عام ١١٩٨ م) ، وابن جبير (مات فى عام ١٢١٧ م) ، وابن بطوطة (مات فى عام ١٣٦٨ م) ، وابن خلدون (مات فى عام ١٤٠٦ م) ، وغيرهم وغيرهم ٠

ومن الفقهاء الاعلام نذكر الامام أبو حنيفة النعمان (مات فى عام ٧٦٧ م) ، والامام مالك بن أنس (مات فى عام ٧٩٥ م) ، والامام أبوعبدالله محمد بن ادريس الشافعى (مات فى عام ٨٢٠ م) ، والامام أحمد بن حنبل (مات فى عام ٨٥٥ م) ، وغيرهم وغيرهم ٠

ومن جامعى الأحاديث النبوية ومصنفيها العلماء الأفاضل البخارى (مات فى عام ٨٧٠ م) ، ومسلم (مات فى عام ٨٧٥ م) ، وابن ماجه (مات فى عام ٨٨٦ م) ، وأبو داود (مات فى عام ٨٨٨ م) ، والترمذى (مات فى عام ٨٩٢ م) ، والنسائى (مات فى عام ٩١٥ م) ، وغيرهم وغيرهم(٤) ٠

كان هؤلاء العلماء والفلاسفة والفقهاء ، ومازالوا ، أعلام الحضارة الاسلامية العتيدة ، ولم يكن يقابلهم معاصرون فى الغرب ، وعملوا فى ضوء قيمهم التى تعطر بها المناخ الاجتماعى الثقافى ، وكلها قيم ايجابية ، فى سبيل خير الناس وصلاح المجتمع والكشف عن الحقيقة · وبذلوا فى سبيل تحقيق كل ذلك كل غال · كانوا المعلمين الأوائل لأهل الغرب الذين سرعان ما اكتشفوا المعرفة عندهم فنهلوا منها منهلا عذبا · وقد اعترف العلماء الغربيون والفلاسفة الغربيون بهذه الحقيقة وسجلوها فى كتبهم ودوائر معارفهم وأكدوها فى كل وقت · ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره « جورج سارتون » صاحب (تاريخ العلم) بعد أن عدد بعض أسماء أعلام العرب : « انها مجموعة رائعة من الأسماء التى لا يصعب على المرء أن يضيف اليها آخرين · ولو أن أحدا أشار الى جدب القرون الوسطى من الناحية العلمية ، فما عليك الا أن تجابهه بتلك القائمة من الأسماء ، الذين ظهروا فى فترة صغيرة نسبيا ، أى ما بين عامى ٧٥٠ م و ١١٠٠ م » · وعلى نفس الدرب يسير الفيلسوف الامريكى « درابر » فيقول : « تأخذنا الدهشة أحيانا عندما ننظر فى كتب العرب ، فنجد آراء كنا نعتقد أنها لم تولد الا فى زماننا ، كالرأى الجديد فى ترقى الكائنات العضوية وتدرجها فى كمال أنواعها ، فان هذا الرأى كان مما يعلمه العرب فى دراساتهم ، وكانوا يذهبون به الى أبعد مما ذهبنا ، فكان عندهم علم يشمل الكائنات غير العضوية والمعادن ·· والأصل الذى بنيت عليه الكيمياء عندهم هو ترقى المعادن فى أشكالها » ·

وقد كتب « اناتول فرانس » بأسلوبه المعهود : « سأل السيد «دوبوا» مرة السيدة « نوزيير » ما هو أكثر أيام التاريخ شؤما ؟ فلم تستطع السيدة « نوزيير » الاجابة عن هذا السؤال · وحينئذ قال السيد « دوبوا » ان أكثر أيام التاريخ شؤما هو اليوم الذى جرت فيه معركة « بواتييه » فى عام ٧٣٢ م ، حين تراجع العلم والفن العربيان والحضارة العربية أمام البربرية الأفرنجية · أى فى معركة « بلاط الشهداء » التى ردت فيها جيوش الغال (فرنسا) الجيوش العربية الزاحفة على فرنسا من أسبانيا بقيادة عبد الرحمن الغافقى » ·(٥)

وقد كتب الفيلسوف الانجليزى المعاصر « جون لويس » فى كتابه (مدخل الى الفلسفة) الذى ترجم الى العربية فى عام ١٩٥٧ ما يلى :

« ان الفلسفة الغربية مدينة بدين لا يمكن أن يقدر للفلاسفة العرب الكبار وخاصة ابن سينا وابن رشد · ولعل فى نقل كتابى (مدخل الى

الفلسفة) الى العربية ما يشير الى ذلك التقدير الكبير الذى نكنه نحن معشر الغرب ، لهؤلاء الاعلام ، ولعل فيه قسطا يسيرا من الوفاء بديننا لأولئك القوم الذين دفعوا بالفكر الغربى الى الآمام ٠

فى أقصى الشرق فى جمهورية أوزبكستان السوفيتية ، تقف مدينة بخارى ، أكثر مدن آسيا الوسطى القديمة تطبعا بالطابع الشرقى ، اذ تحتوى على ٣٦٥ مسجدا ٠ هناك ولد ابن سينا فى عام ٩٨٠ م وقضى أكبر قسط من حياته ٠ هناك اشتغل ابن سينا بالطب فكان من أعلام فنه فى العالم أجمع ٠ هناك عرض ابن سينا فلسفة أرسطو طاليس عرضه الخاص القوى ٠ قال ان المادة أزلية وانها لم تخلق ، وان كانت المادة تكتسب صورتها بفضل العقول التى هى انبثاقات من الله ٠ ان البرت الكبير العالم الاسكولائى الكبير فى العصور الوسطى تعلم من ابن سينا الكثير ، وراح يؤكد أن فكرة خلق المادة لا يمكن البرهنة عليها فلسفيا ٠

فى أقصى الغرب ، فى أسبانيا ، تقف مدينة قرطبة ، فى مقابل مدينة بخارى من أقصى الشرق ٠ ولد ابن رشد فى عام ١١٢٦ م ، فى هذه المدينة التى كان جده قاضيا لها ٠ كان ابن رشد معلقا وشارحا لفلسفة أرسطوطاليس ، وقد طور مذهبه الفلسفى بطريقته الواضحة الابداعية الخاصة ٠ انه لم يكتف بالقول بأزلية المادة ، بل راح يؤكد أنه فى مقدور الجنين أن يتطور بفضل قوته الكامنة الذاتية ٠ لقد دافع ابن رشد بقوة عن ابن سينا فى وجه المفكرين الدينيين المحافظين الذين كانوا ينتقدونه ٠ وسواء فى بغداد أو فى أسبانيا ، لم تستمر الشعلة التى أوقدها هؤلاء الرواد الكبار مدة طويلة ، بل ان الأعمال الكبيرة التى أنجزوها ظلت لا تقدر ولا يعترف بها سنوات عديدة ٠ والحق ان فلسفتهم ، وخاصة على النحو الذى أثرت فيه فى الفكر الغربى فى العصور الوسطى ، ساعدت على ارساء النظرة العلمية ، لا النظرة اللاهوتية ، الى أمور هذه الدنيا »(٦) ٠

و « جورج سارتون » و « درابر » و « اناتول فرانس » و « جون لويس » ، وغيرهم مهما كانت آراؤهم ومهما كانت فلسفتهم ، المنصفون منهم وحتى غير المنصفين قد اعترفوا بالفضل لذويه ، أى بفضل العلماء والمفكرين والمثقفين العرب الذين أنبتتهم الامبراطورية العربية ٠ لم يكونوا مغالين فى الاشادة بهذا الفضل لأنهم كانوا يتحدثون عن علماء بلغ من قدسية العلم والثقافة لديهم مبلغ العقيدة الدينية ومستواها ، التى كانت ولا تزال فى المستوى الأرفع من الاعتقادات ٠ وهذا « أبو الدرداء » يتحدث

عن علم الفلك فيقول : « ان شئتم لأقسمن لكم : ان أحب عباد الله الى الله ، الذين يرعون الشمس والقمر والنجوم والأظلة ، لذكر الله »(٧) ٠

ومع ذلك فان التاريخ يذكر فى ضوء ما كتبه « موريس جود فروى » فى كتابه (المؤسسات الاسلامية) « انه حتى القرن الخامس عشر الميلادى كان علماء الغرب المسيحى يعتمدون دائما على كتب علمـــاء العرب المسلمين فضلا عن أعمال أرسطوطاليس »(٨) ٠ وماذا بعـــد « القرن الخـامس عشر الميلادى » ان لذلك قصـــة وأية قصـــة ! فالتاريخ يذكر انه قبـل أن يموت « ابن رشد » باحدى ومائة سنة ، وبعد أن مات « البيرونى » بتسع وأربعين سنة ، أى فى عام ١٠٩٧ م ، بدأ ضـــد العالم الاسلامى أغرب عـدوان ، وأطول عدوان شهده العصر الوسيط ٠ اما أنه أطول عـــدوان فلأنه قـــد استغرق قرنين من الزمان ٠ اذ أن الحمـــلات الصليبية الست قد استمرت حتى استطاع العرب المسلمون اجلاء آخر معاقل الصليبيين عن « عكا » فى عام ١٢٩١ م ٠ وفى خلال هذه الفترة الزمنية الطويلة اتخذ هذا العـــدوان الأجنبى على الأرض العربية الاسلامية العديد من الأشكال : حملات مسلحة ، ودسائس ومؤامرات لقلب الحكم الوطنى ، ودول صليبية أقيمت على الأرض العربية ، وزحف تجارى على المنطقة وضرب للمصــــالح العربية الاســـلامية فيها ٠ والحقيقة التى لم يعد ينكرها أحد اليوم ، أن هذه الحرب كانت عملية من أجرأ عمليات النهب الاستعمارى التى شهدتها القرون الوسطى وأوقحها٠ كانت حربا عدوانية من جانب الغرب ، ودفاعية من جانب العرب المسلمين ٠ كانت استعمارا أوروبيا قبل أن تحدث الثورة الصناعية وتنمو الرأسمالية ، وتعرف الامبريالية طريقها الى المستعمرات ٠ وكان عدوان الصليبيين أغرب عدوان ٠ وذلك لأن الجيوش التى تحركت للقيـــام به ، والملوك الذين قادوا هذه الجيوش ، والنبلاء الذين لعبوا دورا رئيسيا فى الحمـــلات ، قد ادعوا يومها أن حربهم انما هى حرب دينية ، وانها قامت باسم الدين ، وان هدف هذه الحرب انما هو « استعادة » الأرض التى شهدت مولد « المسيح » عليـــه السلام كما شهدت صلبه ، والمدينة التى يكن لهـــا قلب كل مسيحى أعز الذكريات ، والتى استحقت أن تدعى بحق « أم الأنبياء »(٩) ٠

وكان من نتائج الحروب الصليبية ، حتى بعـــد انحسار موجتهـــا عن العالم العربى الاسلامى ، وبعد أن أجلى العرب آخر قواتها عن « عكا » آخر معاقلها فى عام ١٢٩١ م ، قد سببت لحركة التطور العربى واستمرت تسبب لقوى المجتمع العربى الاسلامى ، الكثير من الأضرار ، كما حققت واستمرت تحقق للقوى المعادية للعروبة ، الكثير من الأهـــداف مدة قرنين ، بل وأكثر

من قرنين من الزمان · وفى هـذا الضوء نستطيع أن نقـول أن الحروب الصليبية قد فتحت أبواب النكسة الاسلامية العربية ·(١٠)

واذا كانت الحملات الصليبية على العالم الاسـلامى العربى قد اتخذت شكل حملات عسكرية كبرى ، فلقد شن المغول المتوحشون ثلاث حمـلات رئيسية ضد هذه المنطقة من العالم · واذا اعتبرنا الحملات الصليبية صورة المرحلة الأولى من مراحل الخطر الكبير الذى أحاق بالعالم العربى الاسلامى ، فان المرحلة الثانية من مراحل هذا الخطر قد اتخذت شـكل التحالف بين الخطر الصليبى وبين الزحف المغولى المدمر على العالم العربى الاسلامى ، ذلك الزحف الذى أصبح يضرب به المثل فى الابادة والتخريب والافناء ·

وعلى الرغم من أن عام ١٢٩١ م كان عام انتصار اسلامى عربى ، قضى فيه المماليك على الحملة المغوليـة الثـالثة التى عاثت فسـادا فى الأرض السورية . فان هذا العام نفسه أصبح بداية لعصر النكسة التى أصـابت الأمة العربية الاسلامية · كانت القـوى المملوكية التى جاءت بعـد القوى المملوكية المنتصرة هى قوى المماليك الذين لم يعيشوا أحـداثا عربية كبرى تحـدث لهم تحـولات فى الفكر والتكوين النفسى ، وتقربهم من العـرب وتدمجهم فى المجتمع الذى يحكمـونه كما حدث لأبطال مثل صـلاح الدين الأيوبى والظـاهر بيبرس · ولم يكن حكم هـذه القوى المملوكية ، غـير العربية ، قصيرا وطارئا ، بحيث لا تستطيع أن تكبل الروح العربية ، وتنزل الهزيمة بالقيم العربية ، وتوجه الطعنات المتوالية لحضارة العرب وثقافتهم · لم تكن فرصة حكم هـذه القوى قصيرة ، بل استمرت أكثر من خمسـة قرون ، منفردة بالسلطة حينا ، ومشتركة فيها أحيانا أخرى مع قوة لا تقل عنها جهلا بالعروبة ، أو عداء لها ، هى قوة الأتراك العثمانيين ·(١١)

ولم تكن آثار الانتكاسة الاسلامية العربيـة والردة الرجعيـة ، التى أحدثها طول عهد المماليك بالحكم للعالم الاسلامى العربى قاصرة عـلى شيوع التحلل والتفسخ وانكسار الشوكة العربية فى المشرق فقط ، وفى البلاد التى خضعت خضوعا مباشرا لهؤلاء المـاليك · فلم يأت عام ١٤٩١ م حتى كان التزيف الذى سببته جراح أعداء الدويلات العربية فى الأندلس قد بلغ بهذه الدويلات نهـاية المطاف · والأندلس هذه منذ أن فتحهـا العرب فى عام ٧١٠ م ، والذين دام حكمهم فيها نحوا من ثمانية قرون ، الأندلس هذه ، كانت قد أصبحت مهجرا لعديد من القبائل العربية ، وكانت قد شـهدت حركة « تعريب » نموذجية وعملاقة ، وكانت قد تحولت الى ما يشبه الجامعة

الفكرية والمنارة العلمية التى تتلمذت عليها قوى أوروبا الجديدة التى قادت عصر البعث والاحياء · وقد تم هذا الانتصار المسيحى لحساب غلاة الرجعيين فى الكنيسة المسيحية ، والدليل على ذلك البحر من الدم الذى دفعته أعاصير من الحقد الأسود ، والذى أغرقت فيه محاكم التفتيش حضارة العرب الانسانية فى الأندلس ، وأغرقت معها فى ذلك الدم كل العرب الأندلسيين· وبعد خمسة أعوام من سقوط الحكم العربى الاسلامى فى الأندلس نجح اكتشاف الملاحين البرتغال لطريق « رأس الرجاء الصالح » فى جنوب أفريقيا · ومن ثم تحولت التجارة الآسيوية الأفريقية عن طريقها العربى ودارت مع البرتغاليين حول أفريقيا الى « لشبونة » عاصمة البرتغال · وضعفت بذلك القوى التجارية العربية ·(١٢)

لقد كانت كل هذه الأحداث مقدمات للنتيجة المحزنة التى شهدها العالم العربى لحكم آل عثمان الذى لم يكن لمظالمه حدود ، والتى كانت أهدافه هى نفس ما رمت الى تحقيقه الحروب الصليبية ، والزحف المغولى المدمر ، وما ساعد على تحقيقه حكم المماليك ، والرحلة البرتغالية · كانت نفس الأهداف التى تتجه الى نفس الاتجاه للطعنة التى تروم القضاء على القاعدة القومية لتقتلها ، أو على الأقل لتعوق نموها وتضع أمامها الصعاب والعقبات ، والتى تجعل انتصارها أمرا أشبه بالمستحيل ·(١٣)

ومع ذلك فلا ضربات الحروب الصليبية ، والمغول ، وحكم المماليك ، ولا تحول التجارة الى « رأس الرجاء الصالح » ، ولا الحكم العثمانى الوضيع ، ولا مصادرات الأتراك وسلبهم ونهبهم – ما كان لذلك ، ولا لغيره ، ولا لأقسى منه وأشد ، ليطفىء شعلة الايمان فى قلب الشعب العربى ، أو يفرغ المجتمع العربى من قواه الاجتماعية صاحبة المصالح الحقيقية فيه ، والتى تتناقض مصالحها مع مصالح الحكام الظالمين · ان هذه القوى صاحبة المصالح الحقيقية لم تمت ، ولم يقض عليها ، وانما هى استمرت ، بل نمت · فالمجتمع العربى ، على الرغم من عصر النكسة ، قد استمر يحيا ، وعلى الرغم من مأساته ، لم يتوقف عن الحياة والسعى فى مناكب الأرض لصنع وسائل معاشه وما يعينه على قضاء حوائجه من أدوات ·(١٤) استمر هذا المجتمع فى ضوء ما غرس فى تربته من عناصر ثقافية ايجابية وقيم ومبادىء ومثل عليا ، حتى بعد أن واجه الاستعمار الغربى السافر ، منذ أن وصم هذا الاستعمار تركيا وسماها « الرجل المريض » · أى منذ القرن الثامن عشر ، عندما طلب الغرب أول ما طلب فى شخص انجلترا والنمسا ، ثم روسيا بعد ذلك « مناطق نفوذ » فى الامبراطورية العثمانية · استمر المجتمع

العربى الاسلامى يعيش مأســاة الاستعمار الغربى السافر عندما احتــل الفرنســيون الجزائر فى عام ١٨٣٠ م ، وعنــدما احتلوا تونس فى عام ١٨٨١ م ، وعندما احتل الانجليز مصر بعد ذلك بعام واحد ، وحتى قبــل ذلك عندما شن « نابليون » حملته ونزلت جيوشه بالاسكندرية فى يوليــو عام ١٧٩٨ م ، وبعد ذلك عندما احتل المستعمر الغربى الأرض الليبية فى عام ١٩١١/١٩١٢ (الايطاليون) ، وبحجة الانتداب احتل فلسطين والعراق (الانجليز) ، وسوريا ولبنان (الفرنسيون) ، أو بحجة الحماية والاستعمار احتل عدن وسلطنة مسقط وعمان والكويت وقطر والبحرين مثلا ٠

ولم يأل الشعب العربى من المحيط الى الخليج جهــدا ، على الرغم من مظالم الاستعمار القديم والحديث ، فى مقاومة هذه المظالم ٠ ذلك أن العرب، حتى فى أشد عهود السـيطرة والقهر التركى ، كانوا ينظرون الى الأتراك نظرتهم الى قوم أقل منهم فى مستوى الحضارة وجماعة بلا تراث ولا تاريخ ٠ وكانت هذه النظرة ، ولا تزال ، فى ضوء القيم الايجابية الراسخة والمبادىء والمثل العليا الاسلامية تحيط بكل مستعمر ظالم آخر ٠ برز فى ســبيل ذلك منهم الزعماء والمفكرون والعلماء والمجاهدون والفدائيون ، وقد ســطر التاريخ لهم صفحات وصفحات من نور ٠ وحتى الآن نجـد الشعب العربى اذ يواجه الاستعمار الامبريالى والصهيونية العــالمية يقــاوم ولا يستكين ، ويصمد الصمود الايجابى فى ضوء ما رسخ فى تربة تراثه الاجتماعى الثقافى الدينى من عناصر اجتماعية ثقافية ايجابية ٠ ان عبــارة « لا اله الا الله » وعبارة « الله أكبر » تفعــل كل منهما فعلها الساحر فى تقــوية النفوس واستثارة الهمم ولا تزال ٠ ولعل ما يحدث من نكسات فى بعض الأحيان أن يكون مرجعه عدم وضــوح الرؤية ٠ وقد يرجــع ذلك الى انعــدام وجود السياسة الاجتماعية القومية المتفق عليهــا ، وانعدام التنظيم المسئول عن تحقيق هذه السياسة حتى يتم التخطيط السليم واختيــار الأولويات التى تهدف دائما الى اشــاعة الرؤية الواضحة للحاضر والمســتقبل فى محيط الملايين ، حتى لا يسيروا وهم فى ظلام خلف قيادات قد تنطق باسمهم ولكنها لا تهتم بمصالحهم الحقيقية ٠ والتاريخ العربى الاسلامى يذكر أن الجمــاهير الشعبية قد سارت خلف بعض القيــادات فى أكثر من ثورة ، وأكثر من انتفاضة ، وأكثر من تمرد ، ولكن هذه القيادات كانت تقف دائما وباستمرار عند الحدود التى لا تمكن من تغيير المجتمع الى الأفضل وبنــاء مجتمع آخر جديد ٠ (١٥) ٠

* * *

وفى ضوء أهداف الدراسة الحاليه عن « التربية الخلقية » نود أن نؤكد أن القيم الحميدة العـــديدة فى المجتمع الاسلامى العربى المعـــاصر ، وأهـــم مصادرها التراث الدينى المستمر استمرار الحياة ، ما زالت تعيش فى ظل المناخ الاجتماعى الثقافى لهـــذا المجتمع • واذ ندعو الى « وضوح الرؤيه » فى محيط أبناء هذا المجتمع وبنـاته فى ضوء وضع سياسة اجتماعية قومية متفق عليها ، حتى يستطيعوا أن يؤدوا المهـــام الملقاة على عاتقهم فى الفترة الحالية وأ نيسهموا فى مسيرة الحضارة الانسانية ـ فان المقصود من هـــذه الدعوة هو تيسير بذر بذور الاستعداد للتغيير الى الأفضـــل فى نفوسهم • أى أن وضوح الرؤيه يعنى فى الواقع الادراك والفهم ، أى هو يعنى تيســير الاستيعاب لكل ما يعمل فى المجتمع ، ولكل ما يقال فيه ، ولكل ما يصنع فيه وتمثل كل ذلك • كما يعنى الثقة المتبادلة بالقادرين المخلصين من أبنائه وبنـــاته الذين يعملون والذين يقولون والذين يصنعون • وهو يعنى كذلك ادراك توقيت كل ما يعمل وكل ما يقـــال ، وكل ما يصنع ، وادراك ظروف هذا التوقيت • ووضوح الرؤية فى محيط أعضاء المجتمع العربى المعـــاصر ، فى ضوء المهام الملقـــاة على عاتقهم فى الفترة الحالية لا يعنى الادراك والفهم والاسنيعاب والتمثل والثقة المتبادله بالقادرين المخلصين من أبنائه وبنـــاته الذين يعملون فيه والذين يقولون والذين يصنعون فحسب ، بل هو ييسر غرس الحاجة الملحة الى كل ذلك ، حاجة أعضاء المجتمع العربى المعاصر الملحة الى كل ذلك • ان غرس الحاجة الملحة الى كل ذلك فى نفوس هؤلاء الأعضـــاء يعنى فى الواقع تيسير الظروف المواتية لتفجير طاقاتهم الانســـانية الكامنة لتعمل ، كلها ، فى سبيل توفير الامكانيات ، المادية والمعنوية جميعا التى تيسر تحقيق الأهداف ، كل الأهداف • نحن فى مسيس الحاجة فى ضوء ظروف المجتمع العربى المعاصر الى العمل البنـــاء القادر الواعى • ان هـــذا العمل هو شرط وجودنا الانسانى • والتحديات التى تواجهنا ، كلها ، نستطيع بالعمل البناء القادر والواعى ، وحده ، أن نواجهها وأن نوجهها فى ســـبيل الخير الذى نأمله •(١٦)

والملاحظ أن العمل البناء القادر الواعى يصدر بالضرورة عن شخصيات اجتماعية قادرة واعية • ولا يمكن أن تتكون هذه الشخصيات الاجتمـــاعية القادرة الواعية فى فراغ • بل تكونها ، كما سبق أن أوضحنا ، عمليـــات التربية التى يعـــدها المجتمع لأعضائه عن طريق أجهـــزة التنشئة الاجتماعية التى توجد فيه • فالمواطنون الصالحون وغير الصالحين هم أعضـــاء المجتمع ، أى مجتمع • وهم كأعضاء فى المجتمع لا يعيشون فى فراغ • أى أنه لا يوجد فـــرد أو شخص لا يعيش فى علاقات اجتمـــاعية دائمة ، أى فى جماعات •

والملاحظ أيضا أن أجهزة التنشئة الاجتماعية التى توجد فى المجتمع ، أى مجتمع هى جماعات اجتماعية ، بل هى أهم الجماعات الاجتماعية الأساسية التى يكون عضو المجتمع فى ضوء الضرورة الاجتماعية عضوا فيها • واذا كانت هذه الجماعات الاجتماعية الأساسية (أى أجهزة التنشئة الاجتماعية) توجد فى كل المجتمعات ، فان وظائفها فى مجتمع ما قد تختلف عنها فى مجتمع آخر • وذلك لأن المناخ الاجتماعى الثقافى الذى يظلل المجتمعات يكون فى الكثير من الأحوال مختلفا حسب عقائد كل مجتمع وقيمه ومثله العليا • ومن ثم فاننا نجد أن المواطن الصالح مفهوم متغير • فهو فى المجتمع الأمريكى غيره فى المجتمع الروسى ، وهو فى المجتمع البريطانى غيره فى هذين المجتمعين • وهو فى المجتمع العربى الاسلامى غيره فى كل هذه المجتمعات • أى أن شخصية المواطن الصالح فى كل مجتمع من هذه المجتمعات متباينة ، ومن ثم تكون أدواره الاجتماعية التى تتوقعها منه هذه المجتمعات متباينة كذلك ، أى أن نظرته نحو الحياة وعلاقاته الاجتماعية واتجاهاته وأسلوب تفكيره تختلف بالضرورة حسب المجتمع الذى يعيش فيه • والملاحظ كذلك ، أننا اذ ندعو الى وضع سياسة اجتماعية قومية متفق عليها حتى تتضح الرؤية ، فاننا نهدف الى تيسير وضع سمات المواطن الصالح المسلم المعاصر والاتفاق على هذه السمات • ولا يعنى هذا التحديد أو محاولة هذا التحديد فى رأى الكاتب أننا نهدف الى تحويل أعضاء المجتمع العربى الى قوالب جماعية • اننا لا نود أن نتعامل أبدا مع قوالب جماعية ، ولكن نود أن نتعامل مع أناس من البشر ، أناس متباينين • أى أناس من حقهم أن يتباينوا وأن يختلفوا • ان أهم اهتماماتنا هو أن نيسر لكل عضو عن طريق ارتباطاته بجماعاته أن ينضج فى الاتجاه الذى يميزه عن غيره ، وأن يصبح ذاته الكاملة ، وأن يكون الاحساس بقيمته كشخص ليكون فعلا وحقا عضوا فى المجتمع أكثر نفعا وأكثر قيمة • وذلك فى ضوء قيم التراث الدينى ومبادئه ومثله العليا • والملاحظ مرة رابعة أن الجماعات الاجتماعية الأساسية المشار اليها عديدة ، نذكر منها على سبيل المثال ، الأسرة أو العائلة والمؤسسة الدينية والمدرسة ومؤسسة شغل أوقات الفراغ والمؤسسة السياسية ومؤسسات الاعلام والثقافة (الصحافة ، الكتب ، دار السينما ، الاذاعة والتليفزيون مثلا) • والملاحظ أن المؤسسة الدينية فى المجتمع العربى تؤدى دور القاسم الأعظم بين أجهزة التنشئة الاجتماعية فى هذا المجتمع • أى أن الدين فى هذا المجتمع يمثل مصدرا هاما من مصادر المعرفة الانسانية •(١٧)

والمؤسسة الدينية الاسلامية فى المجتمع العربى تتضمن أهم

ما تتضمن المسجد وما يتصل به من نشاطات • والمسجد فى ضوء النظرة الاجتماعية الثقافية هو مؤسسة اجتماعية ثقافية • وهو ككل مؤسسة اجتماعية ثقافية له بناء اجتماعى معين وله وظائف اجتماعية معينة كذلك • ويقصد بالبناء الاجتماعى للمسجد ، هنا ، نظامه الداخلى الذى يتضمن ضمن ما يتضمن طبيعة العلاقات الكلية بين المسئولين الذين يعملون فيه (شيخ المسجد وأمامه وخطيبه والمؤذن وقارىء السورة والخادم •••) فى ضوء أدوارهم الاجتماعية ومكانتهم الاجتماعية والمبادىء التى تحكم هذه العلاقات • والملاحظ أن أهم دور اجتماعى ف ىالبناء الاجتماعى للمسجد وأرفع الأدوار الاجتماعية الأخرى مكانة هو دور « امام المسجد » ، وان أهم المبادىء التى تحكم العلاقات بين الأدوار الاجتماعية فى المسجد هى « مبادىء » الشريعة الاسلامية و « القيم الايجابية » التى تشع من تعاليم الدين الاسلامى الحنيف • أما الوظيفة الاجتماعية للمسجد فهى النشاط الانسانى المنتظم الذى يقوم به المسئولون على المسجد كجماعة منظمة فى المجتمع بقصد تحقيق الخير لأعضائه • والملاحظ أن النشاط الانسانى المنتظم كوظيفة اجتماعية ثقافية للمسجد قد اختلف من عصر الى عصر • ولكنه مهما اختلف أو تغير فقد كانت أهدافه دائما تسعى الى تحقيق الخير (بدلالاته المختلفة) لأعضاء المجتمع •

والملاحظ أن دور رجل الدين فى شخص « امام المسجد » ومساعديه دور هام جدا • فهو واحد أو يجب أن يكون واحدا من القادة الاجتماعيين الثقافيين فى المجتمع العربى المعاصر الذين يقومون بالاسهام فى عمليات التنشئة الاجتماعية لأعضاء هذا المجتمع • انه يفعل ذلك ، أو يجب أن يفعل ذلك ، بالتعاون مع غيره من القادة الاجتماعيين الثقافيين الآخرين مثل الطبيب والمدرس والاخصائى الاجتماعى والمسئول السياسى والمسئولين عن أجهزة الاعلام والثقافة وغيرهم ، فضلا عن آباء المجتمع وأمهاته • ويعتبر هؤلاء القادة ومن فى حكمهم رموز النظام الاجتماعى ولسان حاله ، وهم فى حقيقة الأمر يكونون جزءا هاما من كل شخص من أعضاء المجتمع ، أى أن سلوك أعضاء المجتمع وأداء أدوارهم الاجتماعية يكونان « عادة » فى حدود النظام الاجتماعى الذى يعيشون فيه • وقد آن الأوان لكى تهدف مهنة كمهنة رجل الدين الى توضيح مكانها المناسب فى المجتمع العربى المعاصر • وفى ضوء التاريخ نجد أن كلا من رجل الدين والطبيب ، فى بعض الفترات ، قد عملا معا فى انسجام وتآزر وتفاهم • وفى أحيان أخرى نجدهما قد عملا فى سبيل تحقيق أهداف مماثلة وان كان اعترافهما بأهدافهما المشتركة اعترافا جزئيا• واذا رجعنا الى الماضي السحيق نجد أن مهنة الطب كانت ، ما في ذلك من

شك ، مجرد فرع من فروع مهنة رجل الدين ٠ وقد كان من نتائج هـــذا الاتصال الوثيق بين المهنتين بعض الصعوبات وان كان يمكن أن ينتج عنه التعاون الضرورى بينهما ٠ ومهما يكن من الأمر فسواء اعترف بهذا التشابه بين المهنتين فى الأصول والفروع والأهداف أو لم يعترف به فانهما فى واقع الأمر تتقابلان فى مواقف اجتماعية عديدة : عند كوارث الولادة ، مثـلا ، والأمراض الخطيرة وعنـــد الموت ٠ وهما يخدمان فى بعض الأحيـــان نفس الأشخاص ٠ ان ما يعانى منه المريض قد يدفعه الى زيارة عيـادة الطبيب ، كما يدفعه كذلك الى زيارة رجل الدين فى المسـجد ٠ وبالاضـافة الى ذلك نجد أن المهنتين فى حاجة ماسة الى الاعتراف بالاسهامات الرائعة التى قامت بها العلوم الانسانية كعلم الاجتمـاع وعلم النفس وعلم الانثروبولوجيـا ٠ ولا يكتفى بالاعتراف ، ولكن يجب أن تعمل المهنتان جنبا الى جنب مع هذه العلوم وفى سبيل تطبيقها من أجل خير الانسان ٠

ولعل تعاون رجل الدين فى شخص « امام المسجد » ومســـاعديه مع الطبيب أن يتأكد أيضا مع غيره من القـادة الاجتماعيين الثقافيين الآخرين مثل المدرس فى المدرسة والأخصائى الاجتماعى فى المؤسســات الاجتمـاعية التربوية والمسئول السياسى والمسئولين عن أجهزة الاعلام والثقـافة وغيرهم فضلا عن آباء المجتمع وأمهاته ٠ والملاحظ أن المجتمع العربى المعاصر يتطلب فعلا هذا التعاون ويرجوه ، وهو فى ضــــوء ظروفه الاجتماعية الراهنة فى مسيس الحاجة الى تشجيعه والحرص عليه ٠ والمسألة فى رأى الكاتب تحتاج الى التخطيط الرشيد والى التنسيق الواعى ٠

وفى ضوء الحقائق السابقة نلاحظ أن دور المسجد كمؤسسة اجتماعية ثقـافية أو كجهاز اجتماعى يسهم فى عمليـات التنشئة الاجتماعية لأعضاء المجتمع العربى الاسلامى المعاصر دور كبـير الأهمية أو يجب أن يكون دورا كبير الأهمية ٠ ان دور المسجد يعنى فى هـــذا الضوء الاسهام فى تكوين المواطنين الصـــالحين الذين يحتاجهم المجتمع العربى الاســلامى فى الوقت الحاضر احتياجا ملحا ٠ فالكاتب يرى ولعل القارىء أن يرى ما يراه الكاتب ، اننا فى ضوء ظروف هذا المجتمع الحالية نواجه معركة تحقيق الحياة الفاضلة ٠ واذا كان من واجبنا أن نعمل جاهدين على أن لا يعلو صوت على صوت هـذه المعركة ، فانه يجب أن نركز اهتماماتنا وطاقاتنا نحو تحقيق النصر فى هذه المعركة ٠ ان معركة تحقيق الحياة الفاضلة تعنى فى حقيقة الأمر الانتصار على التحديات التى تواجهنا فى سبيل تحقيقها ومنها الانتصار على أدوائنـا ومشاكلنا وتطهير أرضنا من التخلف الثقافى جميعا ٠ ان هـذه المعركة كل

لا يتجزأ ٠ ذلك لأن التفوق الحضارى الذى نرنو اليه يحتاج أول ما يحتاج الى المواطنين الصالحين ٠ وان تكوين هؤلاء المواطنين الصالحين جزء لا ينفصل عن استعداداتنا لتحقيق أهدافنا : الانتصار فى سبيل تحقيق الحياة الفاضلة التى تتسع لأعضاء المجتمع العربى الاسلامى المعاصر لكى ينطلقوا يشيدون للمستقبل ويجددون حيويتهم ويسهمون فى مسيرة الحضارة الانسانية ٠(١٨)

والملاحظ أن المسجد كمؤسسة اجتماعية ثقافية له تاريخ طويل وله قدسية واجلال ٠ وآثاره فى نفوس المسلمين لا تخفى على أحد ٠ وفى ضوء تاريخه الطويل نجد أن رسالة المسجد قد تضمنت التوجيه والتوعية والتعليم وبث روح الاسلام ونشر تعاليمه ٠ وقد أسهم المسجد الأول فى الاسلام بالدور الايجابى فى بناء الدولة الاسلامية والدور القيادى لما بعده من مساجد ٠ وفيه نزل الوحى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠ وكان رسول الاسلام يستقبل فيه السفراء ويدير شئون الدولة ويخطب جماعة المسلمين على المنبر فى الأمور السياسية والدينية ، أى أن بين جنبات هذا المسجد كانت توجد الصفوة المختارة من الصحابة تتربى وتتعلم وتتثقف ٠ ومنه انطلقت جحافل المجاهدين تغزو وتفتح وتنشر الاسلام فى المشرق والمغرب ٠ وفى أيام أبى بكر وعمر وعثمان كان المسجد مركزا للخلافة الاسلامية ٠ وكان المسجد فى عهد عمر بن الخطاب المكان المختار فى قضائه وتدبير شئون دولة الاسلام الفتية ٠

وعندما فتح المسلمون مصر فى عام ٢٠ هجرية ، كان أول عمل قام به قائد المسلمين أن بنى المسجد وبنى بجواره بيته ، وبنى أصحابه حواليه حتى أسسوا مدينة الفسطاط ٠ وقد بنى هذا المسجد فى مصر ليكون نقطة الارتكاز التى ينشأ عليها اطار الاسلام ٠ وفى أول أمر هذا المسجد كانت تذاع فيه الأخبار الهامة التى تهم الدولة ٠ وفى هذا المسجد جلس للتدريس أحد الصحابة الأجلاء ، ثم تكاثرت فيه حلقات الدراسة بعد ذلك ٠ وتطور هذا المسجد الى مركز ثقافى عظيم ومحكمة للقضاء فيما بعد ٠

والملاحظ أن العلوم التى كانت تدرس بالمساجد لم تكن قاصرة على علوم الدين ، وانما كانت تتعداها الى سواها من معارف العصر ٠ ومن الأمثلة على ذلك نجد أن علم الكلام والدراسات الأدبية واللغوية وعلوم الكيمياء والطب والصيدلة والهندسة والميكانيكا والسياسة والمال كانت كلها تدرس فى المساجد الاسلامية ٠ وفى كلمة نلاحظ أن المسجد فى المجتمع العربى الاسلامى لم يكن مكانا للعبادة وحدها بل كان جامعة تحمل المشعل لنشر

الدعوة الاسلامية وعلوم العصر ومعارفه وكانت تثقف القادة الصالحين وتكونهم فى جميع الميادين فى داخل البلاد الاسلامية وخارجها • كما كان المسجد مجلس أمة ومركزا للخلافة ودارا للقضاء ، وفضلا عن ذلك كان جهازا من أجهزة الاعلام •(١٩)

ووظيفة المسجد كجهاز من أجهزة التنشئة الاجتماعية فى المجتمع العربى المعاصر تعنى أشياء كثيرة • ومنها بل أهمها العودة الى رسالة المسجد القديمة وبخاصة ما تعلق منها بتخريج أو الاسهام فى تخريج القادة والمصلحين الذين يحتاجهم المجتمع • ومنهـا أن يكون المسجد مركز اشعاع فى البيئة الاجتماعية الثقافية التى يوجد فيها ، يهتم أول ما يهتم بالناس الذين يعيشون فيها ، الأطفال منهم والشباب والرجال والنساء على السواء ، أى أنه يتعاون التعاون الأكيد مع أسر الحى وعائلاته • ومنها أن يكون المسجد معهدا للتعليم والاطلاع الثقافى ، أى أنه يتعاون تعاونا صادقا مخلصا مع المدرسة ومع الجامعة • ومنها أن يكون المسجد جهازا مخلصا لقيم الاسلام الايجابية ومبادئه السليمة ومثله العليا ، ويتعاون تعاونا وثيقا مع أجهزة الاعلام والثقافة فى المجتمع • ومنها أن يكون المسجد مكانا صالحا يجتمع فيه القادة الاجتماعيون الثقافيون الحقيقيون من أعضاء الحى الذى يوجد فيه حيث يتدارسون تحت اشراف امام المسجد مشاكل الحى الاجتماعية والثقافية وأعضاءه المشكلين • أى أن يكون المسجد فضلا عن أنه مكان للعبادة مركزا اجتماعيا يقوم فى جد واخلاص ، يشترك مع غيره من أجهزة التنشئة الاجتماعية فى المجتمع العربى المعاصر ، فى عمليات التنمية الاجتماعية فى المادة البشرية فى البيئة الاجتماعية الثقافية التى يوجد فيها وفى عمليات وقاية هذه المادة البشرية وفى عمليات علاجها على السواء •

ويلاحظ أن اقتصار وظيفة المسجد على الوعظ والارشاد والقاء الخطب لا يجدى كثيرا • ان الذى يجدى كثيرا أن يعيش الناس فى الحى الذى يوجد فيه المسجد القيم الرائعة التى يتضمنها هذا الوعظ وهذا الارشاد وهذه الخطب ، وأن يعيشوا كذلك مبادئها ومثلها العليا • ولن يكون ذلك الا بالتربية الخلقية ، أى باتاحة الفرصة تلو الفرصة لهؤلاء الناس أطفالا كانوا أو شبابا أو رجالا أو نساء لكى يمارسوها ، وذلك بأن يواجهوا المواقف الاجتماعية العديدة التى تكسبهم هذه القيم وهذه المبادىء وهذه المثل العليا • ويتطلب وجود هذه المواقف الاجتماعية فى رأى الكاتب وجود بعض الامكانات فى مبنى المسجد • منها على سبيل المثال لا الحصر وجود حجرة تجتمع فيها أسر الحى وعائلاته فى المناسبات الأسرية أو العائلية أو غيرها ، ودار حضانة لأطفال هذه الأسر ، ومكتبة لشباب الحى تحتوى على

الكتب المناسبة ، ومستوصف طبى ، ومدرسة تسهم اسهاما فعالا فى القضاء على الأمية فى محيط أعضاء الحى ، وقاعة للاجتماعات العامة ، وفضلا عن ذلك وجود مكان يزاول فيه بعض أعضاء الحى بعض أوجه النشاط الاجتماعى الثقافى - على أن يتم كل ذلك تحت الاشراف الواعى الجاد .

والملاحظ أنه ليس من الضرورى أن يكون كل هذه الامكانات أو يكون بعضها موجودا فى كل مسجد من مساجد المجتمع العربى المعاصر . ان وجود هذه الامكانات ، كلها أو بعضها ، يرجع بالضرورة الى حاجات البيئة الاجتماعية الثقافية التى يوجد فيها المسجد . كما يرجع أيضا الى أولويات الحاجات الحقيقية التى يحتاجها فعلا أعضاء الحى الذى يوجد فيه المسجد ، والملاحظ أيضا أن وجود هذه الامكانات ، كلها أو بعضها ، أو حتى غيرها ، غير كاف . ان وجود الاستعداد عند أعضاء الحى الذى يوجد فيه المسجد لاستخدام هذه الامكانات أمر أكثر ضرورة . وخلق الاستعداد فى الناس أطفالا كانوا أو شبابا أو رجالا أو نساء يعتمد كل الاعتماد على دور رجل الدين فى المسجد كجهاز من أجهزة التنشئة الاجتماعية فى المجتمع العربى المعاصر .

ان هذا الدور يعنى أن يؤهل رجل الدين فى المسجد دينيا وعلميا ، نظريا وعمليا ، ليكون شخصا يستطيع أن يعمل مع الجماعات الاجتماعية الأساسية أو غيرها من الجماعات فى مجتمع المسجد المحلى ومن أجلها . وهو اذ يفعل ذلك يجب أن يكن الاحترام للناس . ولا يعنى الاحترام مجرد أن يكون رجلا مهذبا ، انه أكثر من ذلك ، انه شعور عميق يؤكد أن كل انسان جدير بالاعتبار . واحترام الناس يعنى عدم التمييز بين الناس فى ضوء نماذج سلوكهم البشرى ، أى مهما كانت صور هذه النماذج وأنماطها ، أو فى ضوء آرائهم واتجاهاتهم أو حتى أذواقهم . ولكن الاحترام المقصود يعنى أنه مهما كان الشخص ومهما كانت شخصيته ومهما كانت مكانته الاجتماعية فهو فى ضوء قيم الاسلام الخالدة يستحق اهتمام رجل الدين كانسان، كواحد من البشر . فالاحترام مفهوم انسانى ، وهو أيضا مفهوم ديمقراطى ، وهو سبيل تطور الجماعات وأعضائها الى الأفضل .(٢٠)

« عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تحقرن من المعروف شيئا ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق » - (رواه مسلم) .

« وعن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبسمك فى وجه أخيك صدقة ، وأمرك بالمعروف ، ونهيك عن المنكر صدقة

وارشادك الرجل فى أرض الضلال لك صدقة ، واماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة ، وافراغك من دلوك فى دلو آخيك لك صدقة » (رواه الترمذى وحسنه ، وابن حيان فى صحيحه ، وزاد : وبصرك للرجل الردىء البصر لك صدقة) ٠(٢١)

ورجل الدين لكى يؤدى دوره كقائد اجتماعى ثقاف فى المجتمع العربى المعاصر وهو يعمل مع الجماعات الاجتماعية الأساسية أو مع غيرها من الجماعات فانه من الضرورى أن يقبل أعضاء هذه الجماعات كما هم ، أى بصفاتهم الايجابية والسلبية على السواء ٠ فتقبل الناس كما هم وكما عندهم من امكانات ييسر تكوين العلاقة بين رجل الدين كقائد اجتماعى ثقافى وبين من يعمل معهم ٠ وتقبل أعضاء الجماعات ينبع من الشعور الحار نحو الانسانية ككل ٠ وهو ينبع أيضا من الرغبة فى تخفيف أعباء المعاناة عن كاهل الانسانية أيا كان أعضاؤها ومهما اختلف أعضاؤها وتباينوا ٠ ومهما يكن فأعضاء الجماعة ، أية جماعة ، يشعرون بقبول القائد الاجتماعى الثقافى لهم اذا لم يكن مصدر تجريح لهم ، وان كان من حقه أن ينقدهم نقدا بناء ، وأن يقيم لهم بعض الحدود ٠ فالملاحظ أنه لا يوجد الشخص الذى يحاول أن يرضى الآخرين اذا كان يحتقرهم ٠ ولكن كل انسان مستعد لأن يقوم بعمل ما ، لأن يضحى بشىء ما ، من أجل الناس الذين يعاملونه معاملة طيبة ٠ ان رجل الدين فى ضوء تقبل أعضاء الجماعة أو الجماعات الذين يعمل معهم ومن أجلهم يستطيع أن يفعل الكثير حتى لو كانت الجماعة التى يعمل فى محيطها جماعة من الأشخاص المنحرفين ٠ انه يستطيع أن ينجح فى اعادة تربيتهم ، أى أن ينجح فى تغيير جهاز قيمهم الاجتماعى من جهاز غير مقبول شرعا الى آخر مقبول شرعا ومتوقع ٠

« عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : المسلم أخو المسلم لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره ٠ التقوى ها هنا ، التقوى ها هنا ، ويشير الى صدره ، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه وعرضه وماله » (رواه مسلم وغيره) ٠(٢٢)

والملاحظ أن رجل الدين كواحد من القادة الاجتماعيين الثقافيين فى المجتمع العربى المعاصر يجب أن يهتم أول ما يهتم بالوسائل التى تساعد أعضاء الجماعات فى مجتمع المسجد المحلى لكى ينموا وينضجوا ٠ وطبيعى أن الجماعة باقية لأعضائها وليست لرجل الدين ، ومن ثم فانه يجب أن يكون على بينة من مشاعره الخاصة التى تؤثر فى كل عمل يقوم به ٠ انه

يجب أن يهتم فى كل الأوقات بنتائج ما يقوم به من أعمال وبأن ما يقوم به من أعمال يكون حقيقة فى سبيل مصلحة الجماعة ، وليس فى سبيل الرياء واشباع حاجة فى نفسه • ان رجل الدين فى ضوء هذا الدور الخطير ، فى الواقع ، يمثل المجتمع العربى المسلم • فهو يسهم أو يجب أن يسهم فى القيام ببعض العمليات الاجتماعية الثقافية فى هذا المجتمع : عمليات التنشئة الاجتماعية ، أى عمليات التربية الخلقية لأعضاء هذا المجتمع • وفى ضوء قيم المجتمع العربى المسلم ، وهى بالضرورة قيم الاسلام وتعاليمه ، وفى ضوء مبادىء هذا المجتمع ومثله العليا يعمل رجل الدين • ومن المؤكد أن العبء الملقى على عاتقه عبء جسيم • ان المجتمع العربى الحالى من المحيط الى الخليج ينتقل من مرحلة الى أخرى • ان الرواسب البالية تحوم لا تزال فى المناخ الاجتماعى الثقافى لهذا المجتمع فى الوقت الحاضر • ان هذه الرواسب تنفر منها تعاليم الدين الاسلامى وتأباها • ان رجل الدين لكى يؤدى دوره كقائد اجتماعى ثقافى فى المجتمع يجب أن يصارع الرواسب البالية فى محيط الجماعات التى يعمل معها ومن أجلها حتى يصرعها • وهو اذ يفعل ذلك يفعله فى ضوء عقيدة سليمة وايمان خالص ، ويتعاون مع غيره من القادة الاجتماعيين الثقافيين فى المجتمع فى سبيل تحقيق ذلك •

« عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمته فعرفها قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت • قال : كذبت ، ولكنك قاتلك لأن يقال : جرىء ! فقد قيل ، ثم أمر فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار • ورجل تعلم العلم وعلمه ، وقرأ القرآن ، فأتى به فعرفه نعمته فعرفها • قال فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن ، قال : كذبت ولكنك تعلمت ليقال : عالم ! وقرأت القرآن ليقال قارىء ! فقد قيل ، ثم أمر فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار • ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتى به فعرفه نعمه فعرفها • قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها الا أنفقت فيها لك • قال : كذبت ، ولكنك فعلت ليقال : جواد ! فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار » (رواه مسلم : « جرىء » بفتح الجيم وكسر الراء بالمد : أى شجاع حاذق) •(٢٣)

ورجل الدين وهو يؤدى دوره كقائد اجتماعى ثقافى فى المجتمع العربى المعاصر تكون له بالضرورة علاقات وثيقة بالجماعات التى تعيش فى المجتمع المحلى الذى يوجد فيه المسجد • والمعروف أن المجتمعات كبيرة كانت

أو محلية ، لا تثبت على حال • أى أنها متغيرة على الدوام • أى أنها متـل الأشخاص ومثل الجماعات دينامية • والقائد الاجتماعى الثقافى يعيش فى المجتمع وهو يعمل • وهو فى ضوء حياته وعمله فى مركز مناسب يلاحظ منه صور التغيير الاجتماعى الثقـافى التى تحدث باستمرار • خصوصا فى المجتمع العربى المعاصر ، أى المجتمع الذى يعيش فى الوقت الحاضر فى ثورة اجتماعية ، ويحاول فى اصرار أن يواجه تحديات هذه الثورة الاجتماعية • وفى ضوء ملاحظات رجل الدين ، القائد الاجتماعى الثقافى ، لألوان التغيير الاجتماعى الثقافى يستطيع أن يقوم مداها • وفى ضوء هذا التقويم يستطيع أن يتعرف على الآثار الاجتماعية الثقـافية المترتبة عليها • ان رجل الدين فى ضوء هذا الدور الخطير هو احدى عيون المجتمع وجماعاته ، المجتمع المحلى الذى يعمل فيه والجماعات التى تكون هذا المجتمع • وهو فى ضوء مهـامه التربوية شخص مسـئول لا يعمل لحسابه • أى أنه يعمـل لحساب هـذا المجتمع • وذلك بالاسهام فى تكوين المادة البشرية فيه ، أى تكوين المواطنين الصالحين ، وهم أكثر من يتحملون نتائج التغيير الاجتماعى الثقافى سـواء فى فكرهم أو مشاعرهم أو سلوكهم • وأعضاء هذه الفئة الطليعية هم دم الحياة للتنمية الجديدة التى يقوم بها المجتمع العربى المعـاصر ، أى أنهم من أهم وسائلها ، وهم أيضا من أهم أهدافها •

« روى عن أنس رضى الله عنـه أن النبى صلى الله عليه وسـلم قال لأبى أيوب : ألا أدلك على تجارة ؟ قال : بلى • قال : صل بين النـاس اذا تفـاسدوا ، وقـرب بينهم اذا تبـاعدوا » رواه الطبرانى • وعنـده : « ألا أدلك على عمل يرضاه الله ورسوله ؟ قال : بلى • قال : صل بين الناس اذا تفاسدوا وقرب بينهم اذا تبـاعدوا » ــ رواه الطبرانى : وعنـده : « ألا أدلك على عمل يرضـاه الله ورسوله ؟ قال : بلى • فذكره » • (ورواه الطبرانى أيضا والأصبهانى عن أبى أيوب قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا أيوب ! ألا أدلك على صدقة يحبها الله ورسوله ؟ تصلح بين الناس اذا تباغضوا وتفاسدوا) •(٢٤)

واذا كانت الحاجة ماسة الى رجال الدين كقادة اجتماعيين ثقافيين فى المجتمع العربى المعاصر يعملون مع الجماعات الأساسية وغيرها من الجماعات حتى تستطيع أن تؤدى أدوارها فى تكوين المواطنين الصالحين فى هـذا المجتمع ــ فان الحاجة ماسة أيضا الى حسن اختيار هؤلاء القـادة والاختيار وحده لا يكفى • فهم ، كقادة مهنيين ، فى مسيس الحاجة الى التدريب الذى يهدف الى التربية أو يهـدف الى اعادة التربية • ان التدريب الذى يعنى التلقين ، وحده ، لا يجدى • ان تكوين هؤلاء القادة يعنى بناء شخصياتهم ،

أى يعنى تأهيلهم دينيا وعلميا ، نظريا وعمليا . أى أن هذا التدريب المقترح نوعان : تدريب نظرى وتدريب عملى . والنوعان فى ضوء ظروف المجتمع العربى الحالى ضروريان . ان رجل الدين كقائد اجتماعى ثقافى يجب أن يحذق بالممارسة النوعين . أى يجب أن يكون على دراية عملية مستخدما مواقف تطبيقية من المادة النظرية التى تكون مستواه النظرى . والمستوى الدينى العلمى لرجل الدين كقائد اجتماعى ثقافى يجب أن يؤسس فضلا عن العلوم الدينية المتخصصة ، على الاسهامات الرائعة التى قامت بها العلوم الانسانية كعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم الأنثروبولوجيا وغيرها من العلوم التطبيقية الأخرى مثل الخدمة الاجتماعية : طرقها ومجالاتها وميادينها جميعا .

والكاتب فى ضوء ما كتب عن موضوع « التربية الخلقية » فى الدراسة الحالية ، يقدم بعض الخطوط العريضة عن هذا الموضوع الهام . ان القضية التى تناولها قضية على درجة كبيرة من الأهمية . وفى ضوء هذه الأهمية كتب ما كتب . وقد كتب الكاتب ما كتب ، كل ما كتب ، فى ضوء ما يعلمه علم اليقين عن المكانة الاجتماعية الرفيعة التى يكنها أعضاء المجتمع العربى المعاصر لرجل الدين ، وعن سلطانه المعنوى الخطير على هؤلاء ، وفى ضوء ما تأكد له من سيادة ظاهرة التدين فى هذا المجتمع . ولعل ما يعلمه الكاتب فى هذا المجال وما تأكد له فيه أن ييسرا قيام المسجد بدوره فى تكوين المواطنين الصالحين فى المجتمع العربى المعاصر . وقيام المسجد بهذا الدور الخطير يعنى فى الواقع عودة الروح لبعض وظائف المسجد القديمة ، كما يعنى تجديد حيويته ، واسهامه فى التنمية الشاملة التى يحتاجها المجتمع العربى المعاصر ، فضلا عن رفع لواء الحضارة الاسلامية فى ضوء ظروف العصر الذى نعيش فيه . وهى ظروف مواتية لهذه الحضارة اذا لاحظنا الأيديولوجيات العديدة الغربية وتنافرها ، واذا لاحظنا أيضا علاقة الدين فى الغرب وارتباطه بالطبقة السائدة فيه وتبريره للاستغلال الامبريالى والصهيونى على السواء . أى اعتماد الدين فى الغرب على سند آخر غير الايمان . وحتى اذا وجد فى محيط المجتمع العربى المعاصر صدى لهذه الأيديولوجيات المتنافرة ، فيجب أن نعلم علم اليقين أن هذه الأيديولوجيات لا يمكن أن تقاوم بالعنف والقوانين ، وأن الاسلام الخالص فى ضوء قيمه الايجابية الرفيعة وفى ضوء تعاليمه الشامخة ، وفى ضوء حرية الفكر ، كفيل بضمان سلامة الطريق التى يسلكها المجتمع العربى المعاصر .

« المراجع والتعليقات »

١ - يعقوب فسام : التربية والأخلاق ، القاهرة ، مطبعة المجلد الجديدة ، ١٩٣٠ ، صفحتا ٢٦ - ٢٧ .

٢ - أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى : احياء العلوم ، الجزء الثانى ، القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى ، ١٩٥٧ ، صفحات ٣٥٣ - ٣٦٠ .

٣ - أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى : تاريخ الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، الجزء الرابع ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٠ ، صفحات ١٠٤ ، ١١٢ ، و ٢٥٣ - ٢٥٥ .

أنظر أيضا :

— Reuben Levy, ''An Introduction to the sociology of Islam'', vol. 1, London, Williams and Norgate Limited, 1931, PP. 8-33.

٤ - — Maurice Gaudefory-Demombynes, "Muslim Institutions", London, George Allen and Unwin Ltd., 1950, PP. 60, 68, 205-206.

أنظر أيضا :

— Encyclopaedia Britannica, Inc. "Encyclopaedia Britannica", US.A., 1968, Volumes, 1, 2, 11 and 13.

أنظر كذلك :

- محمد عمارة : فجر اليقظة القومية ، القاهرة ، القاهرة للثقافة العربية ، ١٩٧٥ ، صفحات ١٩٢ - ٢٠٢ .

٥ - فجر اليقظة القومية ، صفحتا ٢٠٦ - ٢٠٧ .

٦ - جون لويس : مدخل الى الفلسفة ، ترجمة أنور عبد الملك ، القاهرة ، الدار المصرية للكتب ، ١٩٥٧ ، صفحة ٦ .

٧ ـ فجر اليقظة القومية : صفحتا ٢٠٧ ـ ٢٠٨ ٠

٨ ـ أنظر : "Muslim Institutions", P. 204.

٩ ـ فجر اليقظة القومية : صفحات ٢١٨ ـ ٢٢٠ ٠

١٠ ـ المرجع السابق : صفحة ٢٢٩ ٠

١١ ـ نفس المرجع : صفحات ٣٥٣ ـ ٣٥٥ ٠

١٢ ـ نفس المرجع : صفحات ٣٥٦ ـ ٣٥٨ ٠

١٣ ـ نفس المرجع : صفحات ٣٦٢ ـ ٣٦٤ ٠

١٤ ـ نفس المرجع : صفحات ٣٩٩ ـ ٤٠١ ٠

١٥ ـ نفس المرجع : صفحتا ٤٠١ ـ ٤٠٢ ٠

١٦ ـ سيد عويس : حديث عن الثقافة : بعض الحقائق الثقافية المصرية المعاصرة ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، عام ١٩٧٠ ، صفحتا ٣٠١ ـ ٣٠٢ ٠

١٧ ـ سيد عويس : الخدمة الاجتماعية ودورها القيادى فى مجتمعنا الاشتراكى المعاصر ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٦ ، صفحات ٣٢٩ وما بعدها ٠

١٨ ـ سيد عويس : تشريعات الأحداث الجنائية فى مصر من وجهة نظر علم الاجتماع القانونى ، القاهرة ، المجلة الجنائية القومية ، العدد الثالث من المجلد الثانى عشر ، نوفمبر ١٩٦٩ ، صفحة ٦١٦ ٠

١٩ ـ وزارة الأوقاف : المساجد ، بيانات احصائية عن المساجد الأهلية فى الجمهورية العربية المتحدة ، الجزء الثانى ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، صفحات أ ـ ق ٠

٢٠ ـ الخدمة الاجتماعية ودورها القيادى فى مجتمعنا الاشتراكى المعاصر ، صفحات ، ١١٢ ـ ١١٤ ٠

٢١ — الامام الحافظ زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى : الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، الجزء الثالث ، القاهرة ، مكتبة الجمهورية العربية ، ١٩٧١ ، صفحتا ٦٦٧ — ٦٦٨ ٠

٢٢ — الترغيب والترهيب ، الجزء الثالث ، صفحة ٨٥٦ ٠

٢٣ — الامام المحدث الحافظ محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووى : رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، القاهرة ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ، ١٩٥٦ ، صفحة ٥٩٢ ٠

٢٤ — الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، الجزء الثالث ، صفحتا ٧٤٧ — ٧٤٨ ٠

بسم الله الرحمن الرحيم

البناء الاخلاقي في الاسلام

الدكتورة زينب رضوان*

نظرة الاسلام للانسان موضوع التكليف :

للاسلام نظرة مستقلة فى النفس الانسانية تختلف عن غيرها اختلافا أساسيا وان كانت فى الفروع والتفصيلات قد تلتقى فى بعض الأحيان بغيرها من النظريات ·

ونظرة الاسلام فى تكاملها وتناسقها وشمولها لكل جوانب النفس وكل جوانب الحياة غير مسبوقة من الوجهة التاريخية وما تزال حتى اليوم بعد كل ما ظهر من النظريات تنفرد وحدها بالشمول والعمق والاتزان ·

وان ما يتميز به الاسلام أنه يأخذ الكائن البشرى على ما هو عليه لا يحاول أن يقسره على ما ليس من طبيعته كما تصنع النظم المثالية · وان كان فى الوقت ذاته يعمد الى تهذيب هذه الطبيعة الى آخر مدى مستطاع دون أن يكبت شيئا من النوازع الفطرية أو يمزق الفرد بين الضغط الواقع عليه من هذه النوازع وبين المثل العليا التى يرسمها له(١) ·

فالانسان فى رأى الاسلام مزيج من جسد وعقل وروح وكل ما أودع فيه من قدرات خاصة بهذه النواحى ، أودعت فيه ليستخدمها على نحو متوازن يحقق له ولغيره المنفعة لا الضرر · فالله سبحانه ما أودع فى نفس الانسان من قوى لا تنفعه أو لا يحتاج اليها · فاذا أهمل الانسان بعض ما أودع فى نفسه من وسائل على حساب بعضها الآخر كان من المخطئين ، ولهذا أتت الشريعة لترشد الانسان فى استخدامه لقواه المختلفة وتنظف الوسائل التى

---

* خبيرة بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ·

(١) محمد قطب : الانسان بين المادية والاسلام ، ص ٨٠ ·

يستجيب بها لنوازعه حتى ترتفع الحياة كلها وتصبح كريمة خليقة بمعنى التكريم الذى أسبغه الله على الانسان هادفة بهـذا الى التوفيق الدائم بين أهداف الحياة وضرورات المجتمع ، ونوازع الفرد دون أن يطغى هدف على هدف آخر ولا مصلحة على مصلحة وانما يسير الكل فى توافق واتساق يحقق حين يتم أقصى ما يمكن من السعادة(١) • والواقع أن الرجل الصالح فى الاسلام لا ينبغى أن يتصور على مثال الحكم البوذى المجرد من الشهوة ولا على مثال الحكيم الرواقى الذى لا يبالى بالألم •• فالقداسة الاسلامية لا تتمثل فى لا مبالاة مطلقة حيال الفطرة ولكن فى تفضيل مؤكد للقيم الروحية بصفـة خاصة • ولذلك نجد أن القرآن حين يصف المؤمنين الصادقين لا يقول (انهم لا يحبون الا الله) ولكن يقول : (والذين آمنوا أشد حبا لله)(٢) •

وفى ضوء هذه النظرية الشاملة للانسان يرسم القرآن منهجه الذى يحقق به المثال الاخلاقى فى أعلى درجات صلاحيته لهـذا الكائن موضوع التكليف •

أسس البناء الأخلاقى فى الاسلام :

البناء الاخلاقى فى القرآن بناء جديد بمنهج جديد يجعل العقل حكما وينصب الضمير رقيبا ويحدد هدفه الأسمى أنه السعى لابتغاء مرضاة الله - وتفصيل ذلك أن القرآن قد علمنا أن الكائن البشرى قد خلق ناقصا وقابلا للكمال فى آن •• فمع أنه قد ولد محروما من جميع المعارف العقلية والحسية فانه قد زود بملكات* قادرة علىأن نقدم له مايتمنى من هذه المعارف(٣) وأن الله عندما صاغ نفسالانسان وسواها استودعها فكرتى الخير والشر(٤) ، (٥) فالانساناذن زود ببصيرة أخلاقية(٦) وهدىطريقى الفضيلة والرذيلة(٧)،(٨)

---

(١) ابو الأعلى المودودى ، مبادىء الاسلام ، ص ١٢٠ - ١٢١ بتصرف •

(٢) محمد عبد الله دراز ، دستور الأخلاق فى القرآن ، ص ٥٩٩ - ٦٠١ •

(٣) البقرة ١٦٥ •

(٤) المرجع السابق ، ص ٥٨٥ •

(٥) (ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها) الشمس ٧/٨ •

* (والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شـيئا وجعل لكم السمع والأبصـار والأفئدة) النحل ٧٨ •

(٦) (بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره) القيامة ١٤ •

(٧) نفس المرجع ، ص ٢٧ •

(٨) (ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين) البلد ٨ - ١٠ •

وهو الى جانب هذا كائن عاقل يتميز عن غيره من سائر المخلوقات بالقدرة على اختيار البدائل اختيارا حرا واعيا يتحمل مسئوليته تلك المسئولية التى تتميز بطابع جد فردى حسب ما يؤكده العديد من الآيات القرآنية(١) وأن هذه الحرية الواعية فى اختيار الفعل هى التى تحدد القيمة الأخلاقية المميزة لأفعاله تأكيدا لدور العقل فى البناء القيمى للانسان ٠

وبناء على ذلك فالاخلاق الاسلامية ترفض كل فعل هو نتاج لخضوع لا مسوغ له ، كأن يكون منبثقا من عاطفة أو هوى أو يكون نتيجة ضغط لاى قوة قاهرة تبطل قدرة الفرد الاختيارية على الفعل التى تتحدد على أساسها المسئولية الأخلاقية(٢) ٠

فأساس قبول الأعمال عند الله هو رضا القلب وتلقائية العمل والسرور والبهجة التى يؤدى بها الواجب(٣) ، بشرط أن يكون هذا الأداء قائما على أساس من الادراك الواعى المستنير لحقيقة الفعل فليس القصد الذى يهدف اليه الاسلام أن يذلل الانسان للخير كما يذلل الحيوان ٠ بل القصد منه أن يرتقى عقله وترتقى نفسه بالعلم فيعمل الخير لأنه يفقه أنه الخير النافع المرضى لله ويترك الشر لأنه يفهم سوء عاقبته ودرجة مضرته(٤) ٠

وانطلاقا من هذا المبدأ نجد أن القرآن لا يقدم لنا الأمر الالهى على أنه سلطة مطلقة مكتفية بنفسها لكى تكون فى أعيننا أساسا لسلطان الواجب ، انما على العكس نجد أن القرآن قرن كل حكم فى الشريعة بما يسوغه وربط كل تعليم من تعاليمه بالقيمة الأخلاقية التى تعد أساسه(٥) ٠

ولكن هل يضمن لنا العلم وحده بحقيقة الخير والشر أن نحصل على أخلاق فاضلة حقا تبتغى وجه الله وحده ؟ ، بالطبع لا ٠

---

(١) لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) البقرة ٢٨٦ ٠
(ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه) النساء ١١١ ٠
(من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى) الاسراء ١٥ ٠
(اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم) غافر ١٧ ٠
(٢) دراز : دستور الأخلاق ، ص ٢٥ بتصرف ٠
(٣) وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون) التوبة ٥٤ ٠
(٤) المرجع السابق : ص ٥١ ٠
(٥) على عبد الواحد وافى : حقوق الانسان فى الاسلام ، ص ١٢٤ ٠

حقيقى أن العلم الواعى بحقيقة الخير والشر مطلب ضرورى للالزام الاخلاقى الا أنه ليس كافيا بذاته ليثمر الفضيلة ، فكثير من الناس يعلم الخير ولا يفعله ويعرف الشر ويأتيه(١) · لذلك كان لابد لهـذا العلم من دعامة قوية تسنده وتترجمه فى الواقع الخارجى الى فعل خير ـ وهذه الدعامة لن تكون سوى الضمير الانسانى وهو بعينه ما اعتمد عليه القرآن فى بنائه الأخلاقى وعمل على تنشئته وانمائه ·

وظيفة هذا الضمير أن يقف حارسـا يقظا يحـول بين النفس الأمارة وشهواتها كلما حاولت أن ترتكب مخالفة أو تقع فى محظور ووجود هـذا الوازع داخل الانسان كفيل بأن يعد لنا أفرادا مثاليين · لأن الأخلاق هنـا لا تعتمد على قانون وضعى وانما على رقابة الله والله مع الانسان اينما غدا أو راح(٢) · وهـذا هو الفرق بين أخلاق ينشئها القانون وأخـلاق ينشئها الضمير الوازع الموصول بالله · فالقانون يغش ويخدع ويحتال عليه ويؤول· أما رقابة الضـمير فهى تعنى رقـابة الله فهـل يمكن أن يغيب شيئا عن رقابة الله الذى هو (عليم بذات الصدور)(٣) ·

هذا الى جانب أن الضمير يضع تماسكا أخلاقيا بحيث تصدر عنه كل الفضائل كوحدة رصينة لا انفصام بينها ، فلا يصدق الانسان ثم يسرق ولا يخلص لأسرته ويغش الآخرين(٤) · فعن الضمير تصدر الأخلاق ·

ولا يقتصر أمر تطبيق هذه المبادىء على سلوك الفرد حيال نفسه أو تجاه الآخرين وانما ينسحب الأمر كذلك على أسلوبه فى أداء العبادة اذ أن الأخلاق الاسلامية فى أساسها ثمرة عبادة قانتة · فما يميزها أنهـا ليست شعائر تؤدى وطقوسا تمارس وانما لها مضمونها الأخلاقى الذى اذا خرجت عنه فقدت قيمتها وأصبح لا خير فى أدائها حتى ولو ملأت الأرض(٥) ·

ولنضرب لذلك مثلا بالصلاة وهى أوضح العبـادات الشخصية فهى بالنسبة الى أولئك الذين يؤدونها بروحها ذات وظيفتين أخلاقيتين : فهى

---

(١) (ان النفس لأمارة بالسوء) يوسف ٥٣ ·

(٢) (ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أين ما كانوا) المجادلة ٧ ·

(٣) المـائدة ٧ ·

(٤) توفيق سبع : واقعية المنهج القرآنى ـ ص ٤٠٠ ·

(٥) نفس المرجع : ص ٣٨٣ ـ ٣٨٤ بتصرف ·

تجعلنا روحيـــا على اتصال بالمنبع الشامل لجميـــع الكمالات(١) ايمانا به والتماسا للعون منه ثم هى تنهى عن الفحشاء والمنكر(٢) • فان لم تؤد الى هذه الغاية فهى ليست صلاة مقبولة(٣) •

وكذلك الصوم فهو يحفظنا من الشر ويدفع عنا شره الجوارح ويجعلنا أقدر على أن نحترم القانون بما تدرب عليـــه ارادتنا لتتحرر من عبـــودية الشهوات • ثم هو الى جانب ذلك وسيله لبلوغ التقوى(٤) • أما اذا أقدم الفرد على أداء هذه الفريضة وهو لا يدرك بعقله ضرورتها فلا فائدة ترجى من وراء امتناعه عن طعامه وشرابه(٥) •

وأيضا الصدقة فهى ذات أثر مزدوج الفائدة لأنها تطهر النفس حين تصرفها عن حرصها الزائد على الكسب • ثم هى أسمى تعبير عن التعاون الاجتماعى الذى يجعل للفقير حقا معلوما فى أموال الغنى(٦) لا يذل الفقــير ولا يجعل الغنى يشعر بعزته وقوته(٧) • ولذلك اذا أقدم الفرد على الانفاق بغرض آخر غير ذلك كأن يخلع عليه الناس لباس التقوى أو السخاء والكرم فان عمله سيكون مردودا عليه وصفقته عند الله ستكون كاسدة غير نافعة وخاسرة غير رابحة(٨) •

أما الحج فانه يمثل أوضح موقف تتجلى فيه معانى الوحدة والترابط فى الجماعة الاسلامية وتتجسد فيه مبادىء الاخوة والمساواة والكرامة تلك المبادىء التى حرص الاسلام على أن تسود بين الأمة الاسلامية • وذلك عندما يقف الأبيض بجانب الأصفر والأحمر والأسود من المسلمين شريفهم ووضيعهم يتجهون جميعا لله وحده يطلبون رحمته ومغفرته وأكرمهم عنده هو أكثرهم

---

(١) (ولذكر الله أكبر) العنكبوت ٤٥ •

(٢) (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) العنكبوت ٤٥ •

(٣) محمد أبو زهرة : تنظيم الاسلام للمجتمع ص ٢١ أيضـــا عبد الله دراز دســـتور الأخلاق — ص ٢٥٨ •

(٤) (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كمـــا كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) البقرة ١٨٣ •

(٥) دراز — دستور الأخلاق فى القرآن — ص ٢٥٨ •

(٦) (وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) الذاريات ١٩ •

(٧) (وسيجنبها الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الأعلى) الليل ١٧ •

(٨) (يا أيهـــا الذين آمنوا لا تبطلوا صـــدقاتكم بالمن والأذى ، كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ، فمثله كمثل صفوان عليه تراب ، فأصـــابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شىء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين) البقرة ٢٦٤ — محمـــود شلتوت — من توجيهات الاسلام — ص ٣١٠ •

تقوى . ثم يخرجون من هذا الموقف الجليل الذى يتجدد كل عام ليترجموا هذه المبادىء الى سلوك واقعى يكفل للحياة مسيرة صحيحة .

أما من لا يعنى بتطبيق تلك المبادىء فلن يكون له نصيب من رحمة الله وقد سبق أن حرم ابليس — طاووس الملائكة — من هذه الرحمة جزاء نكرانه للكرامة الانسانية .

وهكذا ترتبط كل عبادة مما سبق بثمرتها الواقعية من تطهير الخلق وتزكية النفس وتقوى الله والبعد عن كل فاحشة ونكر . فقيمة العبادة تتحدد بتلك الآثار الواقعية التى تتركها فى حياة العابد وليست فى كثرتها . لذلك فهى لن تثمر ثمرتها الصحيحة الا اذا أداها الفرد عن وعى وادراك للغرض المنطوى ورائها ، وكان ضميره رقيبا عليه فى أدائها وهدفه منها هو ابتغاء مرضاة الله .

خصائص التكليف الأخلاقى فى القرآن :

أهم ما يتميز به التكليف الأخلاقى الاسلامى أنه يسر ومتين وعلينا أن نتبين ذلك من خلال التعرف على خصائص هذا التكليف .

فان أول ما يصادفنا فى القانون الأخلاقى فى القرآن طابع الشمول والضرورة وكذلك التدرج فى الواجبات الأخلاقية .

ويتجلى طابع الشمول فى أن مجموع أوامره تتجه فى جملتها الى الانسانية جمعاء[١] كذلك تطبيق القاعدة الواحدة ، ولتكن العدالة أو الفضيلة بعامة ، يجب أن يتم على نسق واحد سواء طبقها الفرد على نفسه أم على الآخرين[٢] . وسواء أكان هذا التطبيق على أقربائه أم على البعداء . على الأغنياء أو على الفقراء[٣] وسواء أكان خارج الجماعة أم داخلها[٤] على الأصدقاء أم على الأعداء[٥] .

---

(١) : قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا) الأعراف ١٥٨ .

(ليكون للعالمين نذيرا) الفرقان ١ — (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) الأنبياء ١٠٧ .

(٢) (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) البقرة ٤٤ .

(ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) المطففين ١ .

(٣) (كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأبين ان يكون غنيا أو فقيرا) النساء ١٣٥ .

(٤) (ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل . ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون . بلى من أوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين) آل عمران ٧٥ — ٧٦ .

(٥) (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا . اعدلوا هو أقرب للتقوى) المادة ٨ — محمد عبدالله دراز — دستور الأخلاق — ص ٥٣ — ٥٤ .

بيد أن شمول الواجب لا يعني امتداده الى جميع الأفراد فحسب ولكنه كذلك يستتبع تطبيقه على مختلف الظروف التى يمكن أن يوجد فيهـــا فرد معين(١) ٠ الا أن هـــذا الوصف الأخـــير للواجب قد يصطدم بالطبيعـة البشرية ـ التى راعها القرآن بداءة فى جميع تشريعاته ـ عندما تجد نفسها عاجزة عن أداء الواجب في موقف تقصر فيه قدراتها عن أدائه ٠ لذلك جعل القرآن تطبيق الواجب الأخلاقى محاطا بشرطين :

أولهما : أن يكون يسيرا على الطبيعة الانسانية بعامة ٠ حسب ما أكده كثير من النصوص القرآنية(٢) التى تنفى عن الأخلاق الاسلامية كل تكليف لا تقر العادة امكان تحمله ، كما تنفى كل مشقة يمكن أن تستنفد قوى الانسان حتى ولو كانت فى حدود طاقتها(٣)، ٠

ثانيهما : امكانية ممارسة الفعل الاخلاقى من واقع الحياة المحسوسة وهذا ما أكدته أيضا كثير من النصوص القرآنية(٤) ٠

ولكن مع هذين الشرطين يظل الواجب الأخلاقى ضروريا بمعنى أنه لا ينبغى أن ينحنى أمام حالتنا الذاتية ولا أمام مصالحنا الشخصية ، فمن الارتياب أو مرض القلوب كما يحدثنا القرآن ـ ألا تذعن للقانون الا حين تفيد منه على حين يخضع له المؤمنون دون قيد أو شرط(٥) ٠

---

(١) دراز ـ دستور الأخلاق ـ ص ٥٥ ٠

(٢) (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) البقرة ١٨٥ ٠
(وما جعل عليكم فى الدين من حرج) الحج ٧٨ ٠
(ويريد الله أن يخفف عنكم) النساء ٢٨ ٠

(٣) المرجع السابق ـ ص ٧٣ ٠

(٤) (لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها) الطلاق ٧ ٠
و (لا تكلف نفسا الا وسعها) المؤمنون ٦٢ ٠
(لا يكلف الله نفسا الا وسعها) البقرة ٢٨٦ ٠

(٥) (واذا دعوا الى الله ورســوله ليحكم بينهم اذا فـريق منهم معرضــون ٠ وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين ٠ أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون ٠ انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون) النور ٤٨ ـ ٥١ ـ دراز ـ دستور الأخلاق ـ ص ٥٥ ٠

الا أن الضرورة هنا فى الأخلاق القرآنية تفترق عن الضرورة المادية وعن الضرورة المنطقية من حيث انها لا تقهر الجوارح كالأولى ولا تكره المدارك كالثانية وانما هى تفرض نفسها بخاصة على الضمير(١) ٠

أما فيما يتعلق بالتدرج فى الواجبات الأخلاقية فكلنا يعلم أن لدى الناس اختلافا فى استعدادهم الفطرى والمكتسب لتحقيق الحد الأعلى فى الخير الاخلاقى مما يترتب عليه أنهم لا يتساوون فى موضوع الكفاح ولا فى الشكل الذى ينبغى أن يبدو فيه جهدهم الأخلاقى(٢) ٠

ومن ثمة نرى الأخلاق الاسلامية المتسمة بالنظرية الواقعية لحقيقة البشر لا تفرض أعلى درجات الكمال الممكن على أنها الزامية ٠ وانما نراها تعين فى كل عمل يقبل التحديد درجتين من الخير الحد الأدنى الذى لا يهبط العمل دونه الا اذا أخل بالواجب ٠ ثم يعلو فوق ذلك دون تجاوز للحد الأقصى ٠٠ وبعبارة أخرى الخير الالزامى والخير المرغوب فيه(٣) ٠

والى جانب هذا التدرج فى السلم القيمى يوجد تدرج آخر متعلق بحقيقة الفعل ، فالقرآن يعلمنا أن بين الطرفين من الخير والشر يوجد مكان للفظ وسط فبين المأمور به والمنهى عنه يوجد المسموح به أو المباح ٠

ثم انه يميز فى المفروض أولا : الواجب الرئيسى ثم يجيىء دور التكاليف الأخرى ثم أخيرا الأعمال التى يتصاعد ثوابها ٠ كما أنه يرتب فى المحرم الكبائر ثم تأتى السيئات الأخرى من الفواحش واللمم ٠ وكذلك نراه يميز بين درجتين من الاعمال المباحة وتعنى بهما المسموح به والمتغاضى عنه(٤) ٠

ومما هو جدير بالملاحظة أنه فى الحالة التى يسمح بدرجة دنيا من الجهد يستنهض فى الحال شجاعتنا لنقاوم اغراء الضعف والفتور وهو ينصحنا أن نتحمل الآلام التى تنشأ عن هذه المقاومة وأن نتمسك فى شجاعة بالحل

---

(١) دراز : دستور الأخلاق ص ٥٦ بتصرف ٠

(٢) دراز : مرجع سابق ص ٥٩٤٠ ٠

(٣) المرجع السابق ـ ص ٩٢ ٠

(٤) المرجع السابق ـ ص ٩٣ ٠

الأمثل[١] . فمع أن الله لا يفرض علينا تكليفا فوق وسائلنا الا أن هـــذا لا يمنع أنه يحثنا على طاعته بكل ما نملك من قوانا[٢] .

فالبحث عن الأفضل هو ما يدعو اليه القرآن[٣] ويؤكد أن الذين كان لهم التفوق الأخلاقى على الأرض سوف يكونون أول من يلقـــاهم الله يوم القيامة[٤] . ويرتبط هذا بموضوع الرخص فى الاسلام وهى ما سنتحدث عنه الآن :

الرخـص :

جاءت الرخص فى التشريع القرآنى تخفيفا على الناس وانعكاسا لمعنى اليسر الذى تتسم به الأخلاق الاسلامية . فالجسم الذى يتألم من مرض مثلا لا يجب عليه أن يؤدى نفس الجهد الذى يؤديه الرجل الصحيح ـ وعليه ـ جاءت الرخص تشريعا لحالات استثنائية .

وهذه الاستثنائية التى يتعرض بمقتضاها الواجب لتعديل مجددة بأمرين : **أولهما** : أنها تختص أســـاسا بالواجبات الدينية ولا علاقة لها بتكاليفنا الانسانية ، فليس لواجب الأمانة ألف شـــكل ولا لواجب الوفاء بالالتزام ولا لواجب احترام حياة البرىء من الناس أو احتـــرام ملكيتهم وشرفهم .. الخ .

ثانيهما : ان الرخص فى تطبيقها لا تعفى سوى الضعفاء والمعوقين . وهى بعد هذا لا علاقة لها بالايمان القلبى لأنها لا تؤثر الا فى جانب مادى معين من الواجب مع محافظتها تماما على العنصر الجوهرى ، فان أخطر المشقات لا تعفى المؤمن من أداء صلاته ولا تسمح بأن نسىء لتاريخ الحج فالتعديل حتى فى هذا النطاق ليس ابطالا ولا اسقاطا[٥] .

ولقد عالج القرآن موضوع الرخص بأقصى درجات الحذر والمخافتة والواقع أنه لا يذهب الى حد أن يقول : (اعملوا تبعا لما يقتضيه الموقف) ولا يقول أيضا (يجوز لكم أو يباح أن تعملوا هكذا) بل اننا لو تأملناه عن

---

(١) (وان تصبروا خير لكم) النساء ٢٥ ـ دراز ـ دستور الأخلاق ص ٦٥٦ .

(٢) (فاتقوا الله ما استطعتم) التغابن ١٦ .

(٣) (فبشر عبـــادى الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله واولئك هم أولو الألباب) الزمر ١٧ ـ ١٨ .

(٤) دراز ـ مرجع سابق ص ٦١٧ ، ٦١٨ بتصرف .

(واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) الزمر ٥٥ .

وأيضا الآيات : ٥٥ من سورة المائدة ، ٤٨ الواقعة ١٠ ـ ١١ .

(٥) (وقد فصل ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه) الأنعام ١١٩ .

(ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) آل عمران ٩٧ .

قرب لرأينا أن الضرورة لم تلغ التكليف وانما هى ترفع أثر المخالفة فحسب فمتى وقعت هذه المخالفة عفا الله عنها(١) .

ونلاحظ فيما يتعلق بالقرآن أنه فى جميع المواضع التى يتحدث فيها عن الدوافع المعفية من هذه الشعيرة أو تلك لا يستخدم سوى ألفاظ شائعة فى عموم الجنس مثل (المرض) (المسافرين) فهو حين اكتفى بالمعنى القريب الذى يفهم عموما من الصعوبة فى موقف كهذا لم يقل مطلقا اى درجات المرض ولا أية مسافة أو مدة فى السفر ، ولذلك فقد اختلفت آراء الفقهاء الى أقصى حد عندما حاولوا تحديد أدنى مسافة يقطعها المسافر مسافرا ... بيد أن عدم التحديد بهذه الصورة كان ضروريا فى نفس الوقت لانقاذ حرية الضمير الأخلاقى ولولاه لما بقى للفرد أثر من حرية الاختيار . وبهذه الطريقة التى استخدمها القرآن فى التعبير بوضوح ومرونة استطاع أن ينشىء اطارا متوافقا لبناء هذا الوسط الاخلاقى من القيمة الأخلاقية ، وفى هذا الاطار يدعى كل فرد الى ممارسة نشاطه بأن يضع نفسه على درجة مناسبة من العلو فى سلم القيم تبعا لطاقته المادية ومطامحه الأخلاقية(٢) .

ولقد يحدث دون شك أن تقود المرء رغبة خفية فى التخلص من الواجب فيفيد من هذه المرونة فى القاعدة العامة يطبقها على حالات متقاربة من نفس الطبيعة فى الظاهر ، وفى هذه الحالة تنقذ المظاهر دون أن تكون الأخلاق قد نالت حقها بمثل هـــذا التصرف . ومن الواضح أنه لا يمكن التحدث عن الأخلاق الا بعد ما يكون المرء صادقا مع نفسه . وهذا هــو التحفظ الذى ما زال القرآن ينفثه فى آذاننا (فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم)(٣) .

(ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله)(٤) .

وهو يثبت من حيث المبدأ بطلان أى عذر لا يستمد منبعه من الصدق(٥): (بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره)(٦) .

---

(١) (ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم) النور ٣٣ .

(فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم) المادة ٣ ـ دراز ـ مرجع سابق ـ ص ٦٥٤ ـ ٦٥٥ .

(٢) دستور الأخلاق فى القرآن ـ ص ٦٦٣ ـ ٦٦٤ .

(٣) المائدة ٣ .

(٤) التوبة ٩١ .

(٥) دستور الأخلاق فى القرآن ـ ص ٦٦٥ ـ ٦٦٦ .

(٦) القيامة ١٤ ـ ١٥ .

التوبـــة :

وهى باب من أبواب رحمة الله يفتحه لعبادة الذين يرجعون من غفلتهم ويحاولون أن ينهضوا من كبوتهم • وأهم ما تتميز به أنها جزاء أخلاقى •• يفترض تدخل الجهد • وهى واجب جديد يفرضه الشرع علينا على أثر تقصير فى الواجب الأول(١) •

وهى واجب ملح وعاجل حتى أنه لا يصادف ارجاء الا عرضه لخطر زوال فائدته ، وأول الأخطار يتمثل فى أن استمرار الارادة فى موقفها الخاطىء ينشىء فى كل لحظة خطأ جديدا والله يقول فى صفة المتقين (ولم يصروا على ما فعلوا)(٢) •

ورغبة الانسان فى أن يغتنم فى حاضره كل الشهوات المتاحة وأن يؤجل محو كل ذنوبه الى أن يتوب توبة صادقة مع النزع الأخير ـ ليست سوى وهم باطل فان القرآن يؤكد (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن)(٣) •

وبين التوبة العاجلة والتشبث بالموقف المذنب هنالك الحل البليد الذى يتمثل فى أن يأسف الانسان على الماضى ثم يؤخر اصلاحه الى حين • وهنا مكمن الخطر لأن القرآن ينص على أن مغفرة الذنب ليست الا لمن يتوبون من فورهم أو بعد قليل(٤) • فاذا كان أجل الحياة مجهولا وهو غالبا ما يحين على حين غرة فمن الحكمة أن نستبق الساعة أعنى أن نكون دائما على أهبة السفر وأن نحسب باستمرار حسابه(٥) •

والى جانب هذا فان التوبة فى الأخلاق الاسلامية وظيفة اصلاحية ، فلا يكفى لكى يعتبر الفرد تائبا أن يأسف على الشر الذى اقترفه ويعـزم

---

(١) (وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) النور ٣١ •
(يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) التحريم ٨ •
(٢) آل عمران ١٣٥ •
(٣) النســاء ١٨ •
(٤) (انما التــوبة على الله للذين يعملون الســوء بجهــالة ثم يتوبون من قريب) النساء ١٧ •
(والــذين اذا فعــلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاســتغفروا لذنوبهم) آل عمران ١٢٥ •
(٥) دستور الأخلاق ـ ص ٢٥٠ ـ ٢٥١ •

الا يعود اليه فان ذلك لا يكفي بداهة لرفع أثر العمل المقترف ... وانما يقصد بالتوبة في الواقع موقف للارادة أكثر تعقيدا ينظر الى الماضي والحاضر والمستقبل ويتجلى في الأفعال لا في اتخاذ خط سلوك جديد فحسب ولكن أيضا في اعادة تجديد البناء الذي تهدم بصورة منهجية . وتعبير القرآن تعبير بناء جدا في هذا الصدد فهو يضيف دائما الى كلمة (تاب) كلمات أخرى مثل : (وأصلح - أو وأصلحوا)(١) . وقوله (ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا)(٢) . فهو مجموع من الشروط التي جعلها ضرورية لكسب الغفران الموعود .

وأول دليل على التوبة النصوح هو الواجب الآتي المعجل الذي بدونه تصبح فكرة التوبة متناقضة ، هذا الواجب ينحصر في العدول السريع عن الذنب أعني ايقاف الشر الذي كان المذنب يوشك أن يجترحه .

ثم تأتي من بعد ذلك عمليتان ايجابيتان تكملان هذا الدليل ، همـا اصلاح الماضي وتنظيم مستقبل أفضل . وفكرة الاصلاح هي وحدها التي تبقى غامضة لا يستطاع تحديدها كمفهوم له معنى وحيد - وهي تبدو لنا - في الواقع - تغير من طبيعتها تبعا لنوع الخطأ الواجب اصلاحه .

فاذا كان الخطأ في واجب أهمل وما زال الأمر به قائما فان الاصلاح ينبغي أن يتمثل في قضاء حقيقي ذي طابع أخلاقي (فكلمة أصلح) هنا تعني تدارك . فالعمل الناقص يجب أن يعاد ويؤدى بطريقـــة مناسبة آجلا أو عاجلا(٣) .

ولكن حين تكون الحالة شرا ايجابيا حدث فعلا فكيف نصلح ما لا يقبل الاصلاح ، هنا يظهر معنى آخر للكلمة فان (أصلح) لن تعني (أعاد) بل (عرض) . واذا كان مستحيلا أن تبطل الخطأ في ذاته فمن الممكن على الأقل أن نمحو آثاره بأداء أفعال ذات طبيعة مناقضة وها هو القرآن يعلمنا أن

---

(١) (الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئـك أتوب عليهم وأنا التـواب الرحيم) البقرة ١٦٠ .

(أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم) الأنعام ٥٤ .

(٢) المـائدة ٩٣ .

(٣) (واذكر ربك اذا نسيت) الكهف ٢٤ (فعدة من أيام أخر) البقرة ١٨٥ .

(الحسنات يذهبن السيئات)(١) • وأن أولئك الذين (خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم • خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)(٢) •

تتبقى ملاحظة أخيرة وهى أن تأثير التوبة النصوح التى تحدث بشروطها المطلوبة ما كان لينهار بسبب العودة المحتملة الى الذنب وهو أمر ممكن مع العزم الشديد الآن فهى حالة عارضة وعلينا أن نكرر جهودنا للاصلاح دون أن نيأس أبدا والله سبحانه يقول (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) •

وبعد التعرض لخصائص التكليف الأخلاقى فى القرآن نتحدث عن مجالاته :

مجالات التكليف الأخلاقى :

يمكن تحديد تلك المجالات فى ثلاث نواح • أولا : واجبات الفرد تجاه الله • ثانيا : واجباته تجاه ذاته ، وأخيرا : واجباته تجاه الآخرين •

وسوف نعرض لذلك باختصار •

أولا : واجبات الفرد تجاه الله :

المؤمن مطالب بعدة واجبات تجاه الخالق يكفل أداؤه لها بث الطمأنينة فى نفسه وضمان استقراره فى الحياة ، ففائدتها عائدة أساسا على الفرد الذى يؤديها لأن الله غنى عن عباده لا تنفعه طاعتهم ولا تضره معصيتهم • وتتلخص تلك الواجبات فى الايمان بالله وما أنزل من حقائق والطاعة المطلقة له • وتدبر آياته(٣)، وشكره على نعمائه(٤) والرضا بقضائه(٥) والتوكل

---

(١) هود ١١٤ •

(٢) التوبة ١٠٢ — ١٠٣ — دستور الأخلاق — ص ٢٥١ — ٢٥٣ •

(٣) (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليتدبروا آياته ، وليتذكر أولو الألباب) ص ٢٩ •
(أفلا يتدبرون القرآن ؟ أم على قلوب أقفالها ؟) محمد ٢٤ •

(٤) (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) • النحل ٧٨ •

(٥) (ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا : انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) البقرة ١٥٥ — ١٥٧ •

عليه(١) وعدم اليأس من رحمته(٢) والوفاء بعهده(٣) ودوام ذكره(٤) وتجنب مجالسين الخائضين فى آياته(٥) وأداء الفرائض من صلاته(٦) وذكاة وحج(٧) والتوبة اليه(٨) ، والتماس مغفرته وأخيرا حب الله(٩) بحيث يكون حبه فوق كف شيء(١٠) ٠

ثانيا : واجبات الفرد تجاه ذاته :

والفرد حسب ما يقرر القرآن عليه تجاه ذاته واجبات يؤديها لترتفع بها نفسه وتشرف وتصبح خليقة بالتكريم الذى أسبغه الله عليها ، وفى الوقت ذاته تكفل له تحقيق السعادة والفلاح ٠

وتلك الواجبات ذات شقين أوامر ونواه :

فبالنسبة للشق الأول فان الفرد مطالب بأن يحقق لذاته طهارة

---

(١) (ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده ؟ وعلى الله فلتوكل المؤمنون) آل عمران ١٦٠ ٠

(٢) (ولا تيأسوا من روح الله ، انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) يوسف ٨٧ ٠

(٣) (وفيهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ، فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه ، بما أخلفوا الله ما وعدوه ، وبما كانوا يكذبون) التوبة ٧٥ ـ ٧٧ ٠

(٤) (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) الأحزاب ٤١ ٠

(ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون) الحشر ١٩ ٠

(٥) (واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) ـ الأنعام ٦٨ ٠

(٦) (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) ـ النساء ١٠٣ ٠

(٧) (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين) آل عمران ٩٧ ٠

(٨) (وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) ـ النور ٣١ ٠

(٩) (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) المائدة ٥٤ ٠

(١٠) (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) البقرة ١٦٥ ٠

النفس(١) ونقاء السريرة وأن يتحلى بالعفة(٢) ويكون متحكما فى أهوائه(٣) صادقا فى قوله(٤) دمثا في أخلاقه يتسم بالرقة والتواضع(٥) فى سـلوكه متزن فى أحكامه(٦) معتدل فى سلوكه(٧) ٠

الا أن واجبات الفرد تجاه ذاته لا تنتهى عند هذا الحد فالخير لا يتحقق للانسان بمجرد أن يفعل فقط ما أشرنا اليه سابقا من الأوامر ٠ لذلك لكى يكمل له الخير عليه أن يمتنع عما يؤدى الى ضرورة فليس عليه أن يقدم على الانتحار أو يتسبب فى بتر عضو من أعضائه(٨) ٠ كذلك ينهـاه الشرع عن الكذب(٩) والنفـاق(١٠) والافعـال التى تناقض الأقوال(١١) والبخل(١٢) والاسراف(١٣) والرياء(١٤) والاختيال(١٥) والكبر(١٦) والتظـاهر بالقـدرة

---

(١) (ونفس وما سـواها فألهمهـا فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) الشمس ٩ ـ ١٠ ٠

(٢) (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله) ـ النور ٣٣ ٠

(٣) (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) ـ ص ٢٦ ٠

(٤) (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) ـ التوبة ١١٩ ٠

(٥) (واقصد فى مشيك واغضض من صـوتك ان أنـكر الأصـوات لصـوت الحمير) لقمـان ١٩ ٠

(٦) (يا أيهـا الذين آمنـوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهـالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) الحجرات ٦ ٠

(٧) (وعبـاد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) ـ الفرقان ٦٧ ٠

(٨) (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) ـ البقرة ١٩٥ ٠

(٩) (واجتنبوا قول الزور) ـ الحج ٣٠ ٠

(انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون) ـ النحل ١٠٥ ٠

(١٠) (ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام واذا قيل له : اتق الله أخـذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهـاد) البقرة ٢٠٤ ـ ٢٠٦ ٠

(١١) (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتـا عنـد الله أن تقولوا ما لا تفعلون) الصف ٢ ـ ٣ ٠

(١٢) (ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا ، الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) النساء ٣٧ ٠

(١٣) (ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) ـ الاسراء ٢٦ ـ ٢٧ ٠

(١٤) (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون) الماعون ٤ـ٦ ٠

(١٥) (ولا تمش فى الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور) ـ لقمان ١٨ ٠

(١٦) (انه لا يحب المتكبرين) ـ النحل ٢٣ ٠

والعلم(١) والحســـد والطمــع(٢) والتعلق بالدنيا(٣) لأن كل هــذه صفات خليقة بأن تفسد بينه وبين أفراد الجماعة ويحدث نفرة يأباها الاسلام الذى يدعو الى الوحدة والترابط لأنها الطريق الوحيد لسلامة سير الحياة ٠

ثالثا : واجبات الفرد تجاه الغير :

أمرت الشريعة الاسلامية الانسان بأداء حقوق نفسه وجسده فى جانب وأمرته فى الجانب الآخر ألا يؤدى هذه الحقوق على نحو يمس بحقوق غيره من عباد الله فى الدنيا ٠ لذلك نراها تحدد له التزاماته تجاه الآخرين وأول هذه الالتزامات ما جاء منها متعلقا بجماعته الصغيرة أى بأصوله وفروعه ٠

حيث ألزمت الشريعة كل فرد بالاحسان الى والديه(٤) وخفض جناح الرحمة لهما(٥) وطاعتهما ٠ واحترام حياة الأولاد(٦) وأداء حقوقهم كاملة ٠

أما بالنسبة للجماعة الكبرى فنقرأ من الدستور الاخلاقى للجماعــة الاسلامية ان كل فرد مأمور ٠ بأداء الأمانات(٧) والوفاء بالعهــــد(٨) وأداء الشهادة الصادقة(٩) واصلاح ذات البين(١٠) والتراحم(١١)، والاحسان ولا سيما الى الفقراء(١٢) ٠ وتحرير العبيد(١٣) أو تيســـير حريتهم(١٤)، وتثمير

---

(١) (قال انما أوتيته على علم عندى ، أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا) ـ القصص ٧٨ ٠

(٢) (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنســاء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله) النساء ٣٢ ٠

(٣) (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحيــاة الدنيـــا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى) طه ١٣١ ٠

(٤) (وبالوالدين احسانا وبذى القربى) ـ النساء ٣٦ ٠

(٥) (واخفض لهما جنـــاح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صــغيرا) الاسراء ٢٤ ٠

(٦) (ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم) ـ الأنعام ١٥١ ٠

(٧) (ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها) ـ النساء ٥٨ ٠

(٨) (وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا) ـ الاسراء ٣٤ ٠

(٩) (واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى) ـ الأنعام ١٥٢ ٠

(١٠) (انما المؤمنـــون اخوة فأصلحوا بين أخويــكم واتقوا الله لعلــكم ترحمون) ـ الحجرات ١٠ ٠

(١١) (والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) ـ الفتح ٢٩ ٠

(١٢) (يسألونك ماذا ينفقون ؟ قل : ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتــامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم) البقرة ٢١٥ ٠

(١٣) (وما أدراك ما العقبة ، فك رقبة) ـ البلد ١٢ ـ ١٣ ٠

(١٤) (والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذى آتاكم) النور ٣٣ ٠

أموال اليتامى(١) والعفو(٢) ودفــــع السيئة بالحسنة(٣) والدعــوة الى الخير والنهى عن الشر(٤) ونشر العلم(٥) والاخوة والكرم(٥) والحب العام والعدل والرحمة(٧) ٠

ونهى عن القتل(٨) والسرقة(٩) والغش(١٠) ٠ والاختلاس(١١) وكل تملك غير مشروع(١٢) وأكل مال اليتيم(١٣) وخيانة الأمانة(١٤) ـ الايذاء بلا ذاع(١٥) ـ الظلم(١٦) والتواطؤ على الشر(١٧) وشــــهادة الزور(١٨) وكتمان الحق(١٩) ـ وقول السوء(٢٠) ـ سوء معاملة اليتيم أو الفقير(٢١) والسخرية

(١) (ويسألونك عن اليتامى ٠ قل : اصــلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانــكم والله يعلم المفسد من المصلح) البقرة ٢٢٠ ٠

(٢) (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس) ـ آل عمران ١٣٤ ٠

(٣) (ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار) ـ الرعد ٢٢ ٠

(٤) (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخــير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنــكر وأولئك هم المفلحون) آل عمران ١٠٤ ٠

(٥) (واذ أخــــذ الله ميثــــاق الذين أوتوا الــكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) ـ ال عمران ١٨٧ ٠

(٦) (والذين تبوءوا الدار والايمــــان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجـــدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا) الحشر ٩ ٠

(٧) (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى) ـ النحل ٩٠ ٠

(٨) (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق) ـ الأنعام ١٥١ ٠

(٩) (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) ـ المائدة ٣٨ ٠

(١٠) (ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على النــاس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون) المطففين ١ ـ ٣ ٠

(١١) (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) ـ الأعراف ٨٥ ٠

(١٢) (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالــكم بينكم بالبــاطل الا أن تكون تجارة عن منــكم) النساء ٢٩ ٠

(١٣) (وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا) النساء ٢ ٠

(١٤) (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم) ـ الأنفال ٢٧ ٠

(١٥) (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنــات بغــير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا) الأحزاب ٥٨ ٠

(١٦) (ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا) ـ الفرقان ١٩ ٠

(١٧) (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) ـ المائدة ٢ ٠

(١٨) (واجتنبوا قول الزور) ـ الحج ٣٠ ٠

(١٩) (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه) ـ البقرة ٢٨٣ ٠

(٢٠) (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم) ـ النساء ١٤٨ ٠

(٢١) (فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر) ـ الضحى ٨ ـ ٩ ٠

واحتقار الناس(١) ـ التجسس(٢) ـ الافتراء(٣) •

اللامبالاة بالشر العام(٤) •

الى جانب هذا فقد رسم القرآن للفرد أسلوب تصرفه الفردى كى يحقق به صالحه العام فرغب اليه أن يكون سلوكه مهذبا يبعد صاحبه عن ايذاء غيره أو ايذاء نفسه • فوجهة للاستئذان قبل الدخول على الغير(٥) وخفض الصوت عند التحدث والتحية عند الدخول(٦) ورد التحية بأحسن منها(٧) وحسن الجلسة(٨) وأن يكون موضوع الحديث خيرا(٩) واستعمال أطيب العبارات(١٠) والاستئذان عند الذهاب(١١) • كل هذه الوصايا التى يقدمها القرآن للفرد تهدف الى جعله انسانا مهذبا فى قوله مطمئن النفس والبال فى حياته ـ ايجابيا فى الحياة بعمله لا يقصر ايجابيته على منفعته وحده بل تتسع لتشمل جميع أفراد الجماعة معه بما يدعم العلائق الاجتماعية ويثبت قواعد الحضارة •

---

(١) (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم) ـ الحجرات ١١ •

(٢) (ولا تجسسوا) ـ الحجرات ١٢ •

(٣) (ويل لكل همزة لمزة) ـ الهمزة ٣ •

(٤) (لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون • كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) المائدة ٧٨ ـ ٧٩ •

(٥) (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون) النور ٢٧ •

(٦) (فاذا دخلتم بيوتا غير بيوتكم فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة) ـ النور ٦١ •

(٧) (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) ـ النساء ٧٦ •

(٨) (يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم) ـ المجادله ١١ •

(٩) (وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذى اليه تحشرون) ـ المجادلة ٩ •

(١٠) (وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) الاسراء ٥٨ •

(١١) (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه) ـ النور ٦٢ •

القانون كاداة للتغير الاجتماعى

الدكتور عادل عازر(*)

يعتبر القانون من أهم الأدوات التى يلجأ اليها المخططون وواضعو السياسة فى مجالات الحياة المختلفة ، لتنظيم أو لاحداث تغير فى المجال المستهدف • ولذلك اهتمت الدراسات المقارنة بالتعرف على طبيعة القاعدة القانونية وتحديد وظيفة القانون فى المجتمع ، ثم دراسة دور القانون ـ وحدود هذا الدور ـ فى احداث تغيير فى مجالات الحياة المختلفة •

طبيعة القاعدة القانونية :

تعددت المدارس التى تعرضت لدراسة طبيعة القاعدة القانونية، وقد ذهب بعض الكتاب الى القول بأن هناك أربع مدارس رئيسية(١) :

١ ـ المدرسة الوضعية :

ويتجه أنصارها الى ابراز الطابع الآمر فى القاعدة القانونية ، فيعرفونها بأنها أمر تصدره السلطة السياسية فى الدولة • ويقولون ان ما يميز القاعدة القانونية عن غيرها من القواعد غير القانونية (مثل قواعد الأخلاق والعرف) هو صدور القانون من أجهزة الدولة المختصة • كما يولون اهتمامهم لاجراء دراسات تحليلية ومنطقية للمفاهيم القانونية التى يتضمنها النظام القانونى فى الدولة • ولذلك يطلق البعض على هذه المدرسة ، اسم المدرسة التحليلية، وكان من أبرز أنصارها جون أوستين وهانز كلسن • ومن الجدير بالذكر أن هذه المدرسة تقتصر اهتمامها على « الوضع الحالى » للقانون دون أن تولى اهتمامها لما يجب أن يكون ، ولهذا السبب أطلق عليها البعض اسم المدرسة الوضعية(٢) •

---

* مستشار بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية •

(١) Edwin W. Patterson : Jurisprudence-Men and Ideas of the Law Brooklyn, 1953, P. 13.

الدكتور أحمد محمد خليفة : النظرية العامة للتجرم ١٩٥٩ ، ص ٤٢ •

(٢) باترسون : المرجع السابق ص ١٤ •

٢ - المدرسة التاريخية :

اهتمت بدراسة علاقة الفرد بالتنظيمات الاجتماعية المختلفة ، واتبعت في هذه الدراسة المنهج التاريخي ، مولية اهتماما كبيرا بالتنظيمات البدائية، ومبرزة الطابع الوطني للتشريع ٠ وقد اهتمت المدرسة التاريخية الألمانية ، وعلى رأسها سافيني وبوشتا بدراسة نشأة القانون وتطوره وارتباطه بالقيم الوطنية في كل دولة(١) ٠ ويعيب المدرسة التاريخية اعلانها عجزها عن التدخل لتطوير القانون ، وان كل مهمة المدرسة هي تسجيل التطور التاريخي للقوانين المختلفة(٢) ٠

٣ - الاتجاه الفلسفي في دراسة القانون :

ويضم كل الفقهاء الذين يحاولون ربط القانون ببعض القيم أو الأفكار المثالية ٠ ومثال ذلك القول بأن هدف القانون هو تحقيق العدالة في المجتمع، أو أن يشجع الناس على التدين والصلاح والتقوى ٠ وفي نفس هذا الاتجاه الفلسفي ذهب « كانت » الى آن التبرير الوحيد للقيود القانونية ، هو أنها تسعى الى تحقيق حرية الأفراد في المجتمع ، وذهب « بنتام » الى آن هدف القانون هو تحقيق أكبر قدر من السعادة لأكبر عدد من الناس(٣) ٠ ومن الواضح أن هذه المدرسة تحلق في الآفاق المثالية والأفكار الخيالية وهو ما يعجز عن مواجهة متطلبات الواقع ٠

٤ - المذهب الاجتماعي في دراسة القانون :

كرد فعل للاتجاه المنطقي والأسلوب التجريدي الذي ساد دراسة القانون في القرن الثامن عشر ، ظهر في القرن التاسع عشر مذهب يسعى الى الاستفادة من معطيات العلوم الاجتماعية في دراسة القانون ، والمناداة بضرورة معالجته في ضوء المضمون الاجتماعي للمجتمع ٠ وبرزت في هذا المجال ثلاثة اتجاهات هي : مذهب النفعية الاجتماعية ، ومذهب المدرسة الألمانية ، وأخيرا مذهب يمثله روسكوباوند ٠ ونتعرض فيما يلي بشيء من التفصيل لكل من هذه الاتجاهات ٠

١ - مذهب النفعية الاجتماعية :

كان لرودولف اهرنج الفضل في اظهار الدور الأساسي للقانون في تنظيم المجتمع ، فقد تبين أن ما يعتبر حقا للفرد انما هو في الحقيقة « مصلحة »

---

(١) بترسون : المرجع السابق ص ١٦ ٠

(٢) الدكتور أحمد محمد خليفة : المرجع السابق ص ٤٤ ٠

(٣) باترسون : المرجع السابق ص ١٧ ٠

يحميها القانون ، وأن لكل قانونهدفا أو غاية يبغى المشرع تحقيقهـا . ويستطرد اهرنج فى شرح نظريتــه الى القول بان الانسان بطبيعته انانى وميال الى تحقيق مآربه الشخصية ، ولذلك كان لزاما أن يضع القانون الحدود ليمنع تطرف أنانية الفرد حتى لا يتعدى الى المساس بحقوق الغير فى المجتمع. ولذلك يذهب اهرنج الى أن هدف القانون هو تحقيـق الظروف التى تلائم الوجـود والحياة الاجتماعية ، وهو ما استتبع تسـمية نظريته بالنفعية الاجتماعية(١) .

وفى مجال تحليل طبيعة دور القانون فى تنظيم المجتمع ، يقول أهرنج أنه يوجد فى كل مجتمع قدر من المصالح المتصارعة ، وان هذه المصالح تختلف فى مدى أهميتها وفى قيمتها الاجتماعية الى الحد الذى يمكن معه أن يقال بأن بعضها يعتبر مناهضا للمجتمع . وفى ظل هذا الصراع بين المصالح يبرز دور القانون بوصفه حكما غـير متحيز يسعى الى ربـط النظم القانونية بالاحتياجات والمصالح الفعلية ، ويهدف الى تطوير النظم القانونية بحيث تلاحق تطور تلك المصالح . ويضيف اهرنج أن تحقيق هـذه الغاية يتطلب أن يكون المسئولون عن السياسة التشريعية على المام كامل بالمجالات والظواهر الاجتماعية المراد تنظيمها ، بحيث يراعى فى هذا التنظيم تحقيق التوفيق والتنسيق بين المصالح ، وايجاد حلول موفقة تقضى على الصراع القـائم بينهما(٢) .

وقد أسهم كل من فيبر واهرليش فى ابراز أهمية الخلفية الاجتماعية للنظم القانونية ، فأظهر فيبر أن فى خلفية كل نظام قانونى فلسفة نابعة من وجود المجتمع بذاته(٣) . وفى اتجاه مشابه تكلم اهرليش عما أسماه « بالقانون الحى » ويفسر وجهة نظره قائلا بأنه توجـد فى كـل مجتمع مجمـوعة من التنظيمات الاجتماعية ، وهى فى مجموعها تشكل أسلوب الحياة فى المجتمع، وتشبه فى ذلك ما يسميه الانثروبولوجيون بنمط الثقافة . ويضيف أن « القانون الحى » ليس مفهوما ثابتا بل « ديناميكيا » ومتغيرا ولذلك فان العملية التشريعية تتطلب اجراء دراسات واقعية وميدانية للتعرف على كل تطور أو تغير يحدث فى الحيـاة الاجتماعية . ويخلص الى القـول بأنه اذا

---

(١) باترسون : المرجع السابق ص ٤٥٩ .

(٢) Dennis Lloyd : The Idea of Law, Pelican, 1970, P. 208.

(٣) لويد : المرجع السابق ص ٢٠٨ .

استطاع القانون أن يعبر بصدق عن أسلوب الحياة الاجتماعية ، فان احترام الناس للقانون يكون تلقائيا دون حاجة الى آمر أو قهر . ويتطلب تحقيق ذلك أن يتمتع المشرع بحساسية فى قياس « نبض المجتمع »(١) .

(ب) فقه المصالح : (المدرسة الألمانية) :

يطلق اسم المدرسة الألمانية على اتجاه ساد فى ألمانيا لوضع أساس جديد لمنهج قانونى يسعى الى اجراء دراسات تحليلية للصراع القائم بين المصالح فى المجتمع(٢) .

ويشرح فيليب هيك — أحد أقطاب المدرسة المذكورة — أهدافها قائلا ان فقه المصالح هو منهج يهدف الى تحقيق الغايات العملية التى يسعى القانون الى ارسائها فى المجتمع ، وعلى هذا الأساس يجب ألا يتبادر الى الذهن أن فقه المصالح يسعى الى تقديم فلسفة عامة أو نظرية فى مجال فلسفة القانون ، ذلك أن كل ما يهدف اليه فقه المصالح هو دراسة الصراع القائم بين المصالح المختلفة فى المجتمع ، وأن يتعرف على أثر تطبيق القانون والحلول التى يقدمها لمعالجة هذا الصراع(٣) .

ويستطرد « هيك » فى شرح أفكار المدرسة الألمانية ، قائلا ان النص القانونى لا ينشأ فى فراغ بحيث يقال ان النص خلق وضعا قانونيا أو اجتماعيا لم يكن له وجود قبل اصدار القاعدة القانونية ، ذلك أن كل نص قانونى انما يتقرر لفض أو لتنظيم صراع قائم بالفعل بين مصالح اجتماعية متعارضة .

فمن المعلوم أن الانسان يشعر بحاجات وضرورات تتطلبها الحياة ، ويجد أشياء وأموالا وقيما لاشباع هذه الحاجات ، وبذلك تنشأ رابطة خاصة تربطه بهذا المال أو الشىء أو القيمة ، ويترتب على ذلك نشأة ما يسمى « بالمصلحة الخاصة » . وقد يرى المشرع — كما سنرى — أن أمرا يقتضى تدخله لاضفاء

---

(١) باترسون : المرجع السابق ص ١٦ ، ولويد : المرجع السابق ص ٢٠٩ .

(٢) Lon Fuller : Introduction to the Jurisprudence of Interests translated and edited by M. Magdalena Schock, Harvard University Press, 1948, P. XVIII.

(٣) Philipp Heck : The Jurisprudence of Interests, ibid., P. 31

حمايته على تلك المصلحة ، وبذلك تصبح مصلحة قانونية محمية بنص وبجزاء قانونيين(١) ٠

ويذكر « هيك » أن القانون يتدخل فى مجالات متعددة لتنظيم الصراع القائم بين المصالح ، وان تدخله يختلف من حيث الشكل والمدى حسب طبيعة المجال المراد تنظيمه(٢) ٠

١ ـ فقد يتدخل القانون فى مجال التنازع بين المصالح الخاصة ، وذلك بهدف وضع تنظيم قانونى يلجأ اليه الأفراد ويحتكمون اليه لفض منازعاتهم الخاصة ٠ وأوضح مثال لمثل هذه التنظيمات ، أحكام الالتزامات فى القانون المدنى ٠

٢ ـ وقد يرى المشرع أن هناك مصلحة عامة تقتضى اصـدار تنظيم قانونى لأحد المجالات وعندئذ يفرض المشرع هذا التنظيم على الكافة بنصوص آمرة ٠ ومن أبرز الأمثلة على ذلك نص القانون على ضرورة توثيق عقود الزواج وعلى قيد المواليد فى دفاتر المواليد ، وتنظيم الزواج بأكثر من زوجة وتنظيم الطلاق ٠

٣ ـ وأخيرا قد ينشأ تنازع بين المصالح العامة والمصالح الخاصة ، وفى هذه الحالة يثور البحث حول ملاءمة تغليب المصلحة العامة والتضحية بالمصلحة الخاصة ٠ وما من شـك فى أن أبرز مثال لهـذا النوع من التنظيمات هو ما يتضمنه القانونى الجنائى من نصوص للتجريم ٠

(ج) نظرية روسكوباوند فى المصالح :

تأثر باوند باتجاهات المدرسة الألمانية ، ولذلك يؤكد الحاجة الى دراسة القانون فى ظل المضمون الاجتماعى Social Context . ويقول انه بدراسة الواقع الاجتماعى عن طريق اجراء بحوث علمية يستطيع المشرع أن يحصل على معلومات أساسية عن المصالح المراد تنظيمها ٠ وعندئذ تتخذ العمليـة التشريعية مظهرا علميا يطلـق عليه باونـد « الهندسـة الاجتماعية » Social Engineering وباعتناق هذا المنهج الجديد يتيسر التعرف على

---

(١) تراجع رسالتنا عن النظرية العامة فى ظروف الجريمة ـ القاهرة ١٩٦٦ ص ٦٢ ٠

(٢) هيك : المرجع السابق ص ١٣٢ ٠

كافة المصالح الاجتماعية ، ثم يتم فحصها أو مقارنتها وتصنيفها ، توطئة لاضفاء الحماية القانونية على المصالح التى يراها المشرع جديرة بالحماية(١) ٠

وبعد ٠٠٠ نطرح السؤال ذاته الذى حاولت المذاهب الفلسفية المختلفة الرد عليه : كيف اذن تقيم المصالح والقيم المختلفة ؟ ونرى أن أقرب الآراء رجاحة هو ما تضمنته كتابات هيك فى شرح فقه المصالح ، وعلى وجه التحديد قوله : « أن كل نص قانونى يحمى مصلحة اجتماعية ويحد فى الوقت ذاته من نطاق المصالح المتعارضة مع المصلحة المحمية ٠ ويقتضى أداء هذا الدور أن يتصدى القانون لتقييم المصـــالح التى يتناولهـــا التنظيم القانونى ، وهو ما يستتبع بالضرورة اصدار « حكم تقييمى » Value Judgment على المصالح الاجتماعية محل المعالجة التشريعية ٠ ويهدف هذا التقييم (وبالتالى التنظيم) الى الاسهام فى ارساء نظام اجتماعى Social order منشود أى أنه يبغى تحقيق مثل اجتماعية Social ideal وغايات محددة(٢) ٠

وعلى هذا الأساس نرى أن كل مصلحة وكل قيمة اجتماعية تؤدى دورا وظيفيا يسهم فى تحقيق غرض من أغراض النظام القانونى والاجتماعى فى المجتمع ٠ وبناء على ذلك فان تقييم المصالح بهدف التوفيق والتنسيق بينها أو بهدف المفاضلة بينها ، يقتضى التعرف على « وظيفة » تلك المصلحة فى محيط المصالح الاجتماعية وفى ظل النظام القانونى والاجتماعى ٠ ولا بد أن يثور السؤال التالى : هل يتقيد المشرع عندما يتصدى لاصدار تنظيم يقيم مصالح اجتماعية ، « بالواقع الاجتماعى » بمعنى أنه يلتزم « بنقل » الواقع كما هو الى النصوص التشريعية أم أن دور المشرع يقتضيه اصدار حكم تقييمى قد يتعارض فى بعض الأحيان مع الواقع الاجتماعى ؟

قال البعض أن علماء الاجتماع يميلون بصفة عامة الى القول بضرورة التقيد بكل دقائق الواقع الاجتماعى ، ويضيفون أن دور القانون — وعلى وجه الخصوص فى مجال القيم — يقتصر على تقنين العرف والعادات واتجاهات الرأى العام ٠ ويذكرون مثالا لذلك أن الواقع الاجتماعى فرض نفسه عـلى التشريع عندما قررت دول كثيرة مساواة الأولاد غير الشرعيين بالأبنـــاء الشرعيين فى كافة الحقوق(٣) ٠

---

(١) لويد . المرجع السابق ص ٢١٠ ٠

(٢) هيك : المرجع السابق ص ١٣٤ ٠

(٣) Jean Carbonnier : Flexible Droit, Pichon et Durand-Auzias, Paris, 1969, P. 272.

غير أن معظم رجال القانون لا يوافقون على الرأى القائل « بنقل » الواقع الاجتماعى كما هو الى النصوص القانونية ، ويضيفون الى ذلك قولهم أن المعالجة التشريعية تفرض بالضرورة اصدار « حكم تقييمى » على الوقائع التى يرى المشرع تنظيمها ، ويذكر البعض المثال التالى : تبين من أحد البحوث التى أجراها كنزى أن نسبة كبيرة من الازواج يخونون زوجاتهم ، ورغم ذلك لا يعتبر هذا الواقع الاجتماعى مبررا للمناداة باباحة الخيانة الزوجية . ومع تسليمنا بضرورة ارتباط القانون بالواقع الاجتماعى بحيث يكون معبرا وممثلا له ، الا أن دور القانون لا يقتصر على « الحفاظ » على الواقع الاجتماعى، بل يمتد الى ما هو أشمل فيسهم فى التطور وفى خلق العوامل اللازمة لحدوث التغير الاجتماعى .

بعض سلبيات السياسة التشريعية فى مصر :

ما زالت السياسة التشريعية فى مصر - وعلى وجه الخصوص فى المجال الاجتماعى تتعرض لسلبيات عديدة . وأبرز تلك السلبيات يتمثل فى سيل التشريعات التى تصدر دون أن ترتبط بسياسة اجتماعية واضحة المعالم ، فتصدر القوانين لمعالجة جزئيات دون أن يربط بينها خط فلسفى يبغى تحقيق سياسة اجتماعية شاملة .

ويعيب بعض القوانين أنها لا تحظى بقسط كاف من البحث والدراسة ، فتصدر قاصرة أو غير ملائمة للواقع الاجتماعى . ونقتصر على ذكر المثالين التاليين :

(أ) تحت تأثير عوامل مختلفة ، يسود بين الحين والآخر اتجاه ينادى باجراء تعديل تشريعى - أو كما يحلو للبعض أن يطلق عليه ثورة تشريعية . وفى كثير من الأحيان لا تدعو الحاجة الفعلية لاجراء أى تعديل ، وفى أحيان أخرى لا يكون التعديل المقترح ملائما ولا مثمرا . وعلى سبيل المثال أجريت دراسة فى سنة ١٩٧٢ عن النظم التى كان معمولا بها لمعالجة مشكلة الاحداث الجانحين والمعرضين للانحراف ، وقد انتهت الى أن معظم السلبيات فى هذا المجال مرجعها سوء تطبيق تلك النظم ، وان القوانين فى حد ذاتها لا يشوبها عيب جوهرى . وقد أيد هذا الرأى السادة القضاة الذين استطلعت آراءهم فى هذه الدراسة(١) . ومع ذلك شن بعض المسئولين فى سنة ١٩٧٤ حملة

---

(١) عادل عازر وسلوى بكير : محكمة الأحداث - دراسة ميدانيه ، المجلة الجنائية القومية ، مجلد ٢/٢٥ يوليو سنة ١٩٧٢ ص ١٦٧ .

هدفت تعديل القانون ، وعلى وجه الخصوص رفع سن الحدث من ١٥ سنة الى ١٨ سنة مسايرة لبعض النظم الأجنبية • وما زال الجدل حول ملاءمة هذا التعديل مستمرا • وما لا يذكره المجادلون من الجانبين هو أن النظم المقارنة فى مجال معاملة الأحداث ، انما تفرد لكل فئة عمرية معاملة ملائمة ، وتخصص لكل فئة مؤسسات منفصلة للايداع وتطبق كل منها النظم التربوية والاصلاحية التى تلائم الفئة التى تودع فيها • والملاحظ أن التعديل الذى أجرى سنة ١٩٧٤ اقتصر على رفع سن الحدث ، ولم يغاير فى المعاملة بل أخضع فئة جديدة من الصغار للمساوىء والقصور القائم فى مؤسسات الأحداث •

(ب) وفى حالات أخرى يتأثر واضع التشريع ببعض النظم الأجنبية فينقلها بدون أن يجرى دراسة عن مدى ملاءمتها للواقع المصرى • ومن الأمثلة عن ذلك المناداة بالأخذ بنظام القضاء الشعبى أو بنظام المحلفين(١) • ومسايرة لهذا الاتجاه أخذ المشرع المصرى أحد أشكال نظام القضاء الشعبى وهو ماسمى بلجان فض المنازعات الزراعية •

وقد أسفر التطبيق عن اخفاق كامل ومشاكل عديدة أدت الى تعويق العدالة فى هذا المجال ، وانتهى النظام الى الالغاء •

والمهم فى هذا الصدد هو أن يسبق سن التشريع دراسة واقعية للمجال المراد تنظيمه ، وهو ما لا يتحقق فى كثير من الأحيان ، مما يسفر عن اصدار تشريعات غير ملائمة للبيئة أو عن نظم تعجز عن تحقيق الأهداف المنشودة(٢) •

دور القانون فى احداث تغير اجتماعى :

باستقراء الخبرات السابقة يتبين المرء أن العديد من الاصلاحات بل والثورات الاجتماعية لم تكن لتثمر لولا مساندة القانون كأداة لأحداث التغير الاجتماعى •

ويجدر التنويه الى أن تقدير مدى ملاءمة الالتجاء للقانون كأداة لأحداث

---

(١) جمال العطيفى : المساهمة الشعبية فى ادارة العدالة الجنائية ، مقال فى الآفاق العداله الجنائية — سابق الاشارة اليه ص ٢٨٥ •

(٢) عادل عازر : حقوق الانسان والدعوى الجنائية ، مقال فى الآفاق الحديثة فى تنظيم الحديثة فى تنظيم العدالة الجنائية — المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية سنة ١٩٧٦ ص ١٩٩ •

التغير الاجتماعى ، ومدى فاعلية هذه الأداة للوصول الى النتائج المنشودة هى أمور فى غاية الأهمية والحساسية ، وتتطلب دراسة متأنية للمجال المراد تنظيمه ، ولمدى تقبل الأفراد للتغير المنشود ولرد الفعل المتوقع للتشريع المقترح ٠

ونرى أن هذه الأمور فى حاجة الى شىء من التفصيل ٠

فهناك حقيقة يجب أن يدركها المخطط والمشرع وهى أن القانون ـ مثله مثل سائر الظواهر الاجتماعية ـ يتأثر بعوامل اجتماعية متعددة ، مثل تكوين المجتمع ، ونظامه السياسى ، والظروف الاقتصادية والاجتماعية السائدة الخ ٠٠٠ ويلاحظ أنه فى جميع الحالات يكون التأثير متبادلا بين القانون والظواهر الاجتماعية المختلفة ٠ فهناك تفاعل مستمر وتأثير متبادل بين النص القانونى والعوامل الاجتماعية المرتبطة ـ سواء كان ذلك فى مرحلة وضع واصدار النص القانونى أو فى المراحل التالية التى تتعلق بالتفسير وبالتطبيق أو بالتعديل التشريعى ٠ ولا تقل أهمية تأثير القانون فى الأفراد ، وخاصة فيما يتعلق بالتشريعات التى ترتبط بالتنمية الاجتماعية ، ولفهم هذه العلاقة نتعين التفرقة بين الأثر المباشر والأثر غير المباشر الذى يترتب على تطبيق النص القانونى ، فقد يصدر المشرع نصا آمرا يتضمن تكليفا بالقيام بعمل أو بالامتناع عنه ٠ وفى هذه الحالة يكون التكليف أو الأمر مباشرا وصريحا يفرض واجبا على المخاطب بأحكامه ٠ ويغلب هذا الأسلوب على معظم القوانين فتتضمن أوامر ونواهى صريحة ٠ غير أنه فى حالات أخرى قد يفضل المشرع اتباع أسلوب مغاير ، وذلك بأن يضع تنظيما لأحد المجالات ويضمنه توجيها ضمنيا باتباع سلوك معين ٠ وفى هذه الحالة يقال ان المشرع يسعى الى التأثير فى الأفراد المخاطبين بأحكام القانون لاتباع سلوك ينشده المشرع ٠ وعلى سبيل المثال نذكر أن نصوص قانون الضرائب تتضمن اعفاءات ضريبية لرب الأسرة عن أولاده وبحد أقصى لا يزيد عن ثلاثة أولاد ٠ وهو ما يعتبر توجيها وحثا للحد من الانجاب ، وحرمانا لمن ينجب أكثر من هذا العدد من الميزات المقررة فى هذا القانون ٠

ولهذه الاعتبارات يتعين على واضع السياسة الاجتماعية التى تبغى التغير أن يبنى هذه السياسة على أسس علمية تستخلص من نتائج دراسات تجرى

طبقا لمناهج البحث الاجتماعى والنفسى(١) ٠ وعلى أن تتضمن هذه الدراسات المجالات التالية :

١ ـ دراسة المجال المراد تنظيمه أو احداث تغيير فيه :

قبل أن يعتنق المشرع سياسة تبغى التغيير، يتعين عليه أن يدرس المجال المراد تنظيمه أو احداث تغير فيه ، وعلى أن يشمل ذلك التعرف على طبيعة وتكوين المجال المراد تنظيمه والعناصر والظروف المحيطة به(٢) ودراسة القيم والعادات والتقاليد التى ترتبط أو التى يمسها التغير المقترح(٣) ٠ وبذلك يتحقق لواضع السياسة الاجتماعية وضوح الرؤية ، وتتوفر له المعلومات الكافية لرسم السياسة على أسس من الواقع الاجتماعى ٠ وباستقراء الماضى يتبين أن بعض السياسات والقوانين فى مصر قد وضعت دون اجراء دراسة كافية ودون أن تتوفر لواضعها المعلومات الصحيحة ٠

وللأسف قد تزيف بعض المعلومات والبيانات بهدف خدمة فكرة أو غرض معين ، مثل محاولة التهوين من حجم حالات الطلاق وتقديم بيان تنسب فيه حالات الطلاق الى العدد الكلى للسكان (بما فى ذلك عدد الشيوخ والأطفال الرضع !) ولذلك يتعين على واضع السياسة الاجتماعية ان يسعى الى التعرف على الحقائق والاحصاءات السليمة حسبما تظهره البحوث والمسوح العلمية ٠

وعلى واضع السياسة الاجتماعية أيضا أن يتعرف على مدى « المرونة » التى يتميز بها المجال المراد تنظيمه ، أى التعرف على مدى قابلية المجال المراد

---

(١) Paul Amselek : Methode Phenomenologique et Theorie du Droit, Bibliotheque de philosophie du Droit, Paris 1964, P. 442.

(٢) Guy E. Swanson : Social Change, Scott, Foresman & Co., Illinois, 1971, P. 12.

(٣) أمسيلك : المرجع السابق ص ٤٤٥ ٠

تنظيمه لاستيعاب التغيير المقترح(١). وفى ضوء الاجابة على هذا السؤال يقدر مدى النجاح المتوقع للتغيير المنشود ٠

٢ ـ التنبوء بالتغيير وبأسلوب تحقيقه :

بعد دراسة المجال المراد تنظيمه ، يتعين على واضع السياسة الاجتماعية ان يحدد أهدافه وأسلوب تحقيقها بوضوح ٠ ويجدر التنبيه الى أن التخطيط فى أى مجال يفترض التنبؤ العلمى الذى يعتمد على دراسة الظروف والعوامل المحيطة ، بهدف التعرف على مدى ملاءمة المناخ والتوقيت لتطبيق السياسة المقترحة ولكى يأخذ فى اعتباره رد الفعل المتوقع من قبل الأشخاص الذين يتأثرون بالتغير ٠

٣ ـ الآثار النفسية الناجمة عن التغيير :

لابد للسياسة التشريعية التى تبنى على أسس علميـــة ان تأخذ فى الاعتبار الأثر النفسى ورد الفعل المتوقع لاتباع السياسة المقترحة ٠ وذلك لأن نجاح السياســـة التشريعية يتوقف اما على التأييد المتوقع للسياســـة المقترحة أو على الأقل على القبول الضمنى أو السلبى أى الاذعـــان للتغير المستحدث(٢) ٠ واذا ما توقع واضع السياسة مقاومة السياسة ، ففى هذه الحالة عليه أن يوازن ويجرى تقديرا محسوبا لمدى ملاءمة وجدوى التغيير الذى يصادف قدرا من المقاومة ٠ فاذا انتهى تقدير واضع السياسة الى أن التغيير المنشود ذو أهمية قصوى للمجتمع فان عليه أن يخطط لنظام يحقق الأهداف المنشودة ٠ وقد يضمن القانون جزاء ملائما لمن يتصدى لمعارضـة التغيير ٠ وقد يتراوح هذا الجزاء بين بطلان التصرفات التى يأتيها الأفراد بالمخالفة لأحكام التنظيم الجديد ، وبين النص على أقصى مراتب الجزاء القانونى وهو العقوبة الجنائية لمن يخالف أحكام القانون الجديد، وأبرز مثال للتشريعات التى أحدثت تغييرا جذريا فى المجتمع المصرى وواجهت مقاومـة من بعض الطوائف قانون الاصلاح الزراعى الذى حدد الملكية الزراعية وتضمن جزاءات قانونية وصلت الى حد العقوبة الجنائية لمخالفة بعض نصوص هذا القانون ٠

---

(١) سوانسون : المرجع السابق ص ١٤ ٠

(٢) Georges Ripert: Les Forces Creatices du Droit, Librairie Generale de Droit et de Jurisprudence, Paris, 1977, P. 339.

مدى صلاحية القانون كأداة للتغير الاجتماعى :

وبعد ٠٠ يجدر التساؤل : هل يصلح القانون كأداة لاحـــداث تغيير اجتماعى فى جميع الحالات ؟

كما سبق أن ذكرنا يتعين اجراء دراسة واقعية للتعرف على المجال المراد تنظيمه وعن الأثر المتوقع للتعديل المقترح ٠ وقد اتبعنا هذا المنهج فى دراسة أجريناها عن علاقة القانون بالمشكلات السكانية فى مصر(١) ٠ وقد أظهرت هذه الدراسة تباينا واضحا فى الآثار الاجتماعية التى تترتب على تطبيق القوانين التى تناولتها الدراسة ٠ كما سعى البحث أيضا الى التنبؤ بالآثار المتوقعة للاقتراحات أو المشروعات المقترحة لتعديل بعض القوانين ٠

ونذكر فيما يلى أمثلة مستمدة من الدراسة المذكورة عن مدى صلاحية القانون كأداة لاحداث التغيير الاجتماعى ٠

نموذج لمجال لا يصلح فيه القانون أداة للتغيير : نموذج الفجوة الثقافية :

يتردد من وقت لآخر اقتراح برفع الحـد الأدنى لسن الزواج ٠ فمن المعلوم أن القانون رقم ٧٨ لسنة ١٩٣١ يقرر ١٦ سنة حدا أدنى لسن زواج الاناث ، و ١٨ سنة حدا أدنى لسن زواج الذكور ٠ ويحرم القانون رقم ٤٤ لسنة ١٩٣٣ توثيق الزواج قبل هذا السن ويقضى بمعاقبة المأذون أو الموثق اذا ما خالف هذه الأحكام ٠

ويذهب أنصار رفع الحد الأدنى لسن الزواج الى أن الاحصاءات تظهر أن عددا كبيرا من الفتيات يتزوجن فى سن مبكـرة ، وأن مؤدى ذلك أن خصوبة المرأة تمتد لسنوات عديدة مما يتيح لها الفرصة لكثرة الانجاب ٠ ويرى هؤلاء أن اقتراح رفع السن عن الحد المقرر حاليا يؤدى الى الحد من فترة الخصوبة والى زواج الفتاة فى سن تكون فيها أكثر نضجا ، ويخلصون الى أن هذا الاقتراح يؤدى فى النهاية الى خفض معدلات المواليد ٠ ولذلك يقترحون استصدار قانون جديد يقضى برفع الحد الأدنى لسن الزواج ٠

ونرى أن الفيصل فى مدى صحة هذا الاتجاه ، ومدى صلاحية القانون

---

(١) Law and Population in Egypt, a research carried out in collaboration with UNFPA, Cairo, 1975.

كأداة لاحداث التغيير المنشود ، يتوقف على دراسة المجال المراد تنظيمه ٠ وهو ما تم فعلا فى بحث القانون والسكان ، ونوجز فيما يلى أهم نتائجه ٠

١ ـ الاحصاءات عن سن الزواج :

تظهر الاحصاءات الرسمية لسنة ١٩٧٠ أن نسبة كبيرة من الاناث تزوجن فى سن مبكرة : ٢ر٥٠٪ فيما بين ١٦ ـ ١٩ سنة و ٤ر٢٩٪ فيما بين ٢٠ ـ ٢٤ سنة ٠ وأن متوسط سن زواج الاناث بلغ ٢ر٢٠ سنة ٠

وبالنسبة للذكور تبين أن ٨ر٣٢٪ تزوجوا فيما بين ٢٠ ـ ٢٤ سنة و ٢ر٢٧٪ فيما بين ٢٥ ـ ٢٩ سنة ٠ وان متوسط سن زواج الذكور كان ٣ر٢٦ سنة ٠

٢ ـ سن الزواج ومعدلات الانجاب :

كما أوضحنا يقول أنصار الاتجاه لرفع الحد الأدنى لسن الزواج ، بأن الاحصاءات تظهر وجود ارتباط بين مدة الحياة الزواجية وزيادة معدل الانجاب٠

ويبين الجدول التالى احصاءات سنة ١٩٦٠ فى هذا الصدد ٠

سن الزوجة ومدة الحياة الزواجية

سن الزوجة	مدة الحياة الزواجية				
	أقل من ٥ سنوات	٥ ـ ٩	١٠ ـ ١٩	٢٠ ـ ٢٩	٣٠ فأكثر
أقل من ٢٠	٧٦ر٠				
٢٠ ـ ٢٤	٢٤ر١	٨٤ر٢			
٢٥ ـ ٢٩	٣٦ر١	٢ ر٣	٨٤ر٤		
٣٠ ـ ٣٤	٢٤ر١	١٤ر٣	٣٩ر٥		
٣٠ ـ ٢٩	١	٩٤ر٢	٨٢ر٥	٤٦ر٧	
٤٠ ـ ٤٤	٨٣ر٠	٢٥ر٢	٢١ر٥	١٩ر٧	
٤٥ ـ ٤٩	٧٣ر٠	٥٩ر١	٤٤ر٤	٧٣ر٧	٠٤ر٨
٥٠ فأكثر	٦٧ر٠	٧٩ر٠	٩٢ر١	٤٤ر٥	٤٥ر٧
المجمـــوع	٠ ر١	٠٣ر٣	٣١ر٥	٠٨ر٧	٥٨ر٧

ويرى أنصار الاتجاه المذكور أن رفع الحد الأدنى لسن زواج الاناث يحد من فترة الخصوبة ومن مدة الحياة الزواجية ويؤدى بالتالى الى خفض معدل الانجاب[١] ٠

وينفى البعض الآخر صحة النتائج التى يتوصل اليها الفريق الأول ، ويذهبون الى ان رفع السن بضع سنوات لن يؤثر تأثيرا جوهريا فى معدلات الانجاب ٠

٣ — دراسة الواقع تظهر نموذجا للفجوة الثقافية :

وفى رأينا أن النتائج التى أظهرها بحث القانون والسكان فيما يتعلق بسن زواج عينة البحث ، تحسم كل مناقشة حول الالتجاء الى القانون كأداة لرفع الحد الادنى لسن الزواج ٠ وفيما يلى نبين ذلك تفصيلا ٠

(أ) بسؤال عينة البحث من الزوجات عن سنهن الفعلية وقت الزواج، اظهرت أجاباتهن النتائج التالية :

السن وقت الزواج بالنسبة لعينة الزوجات

السن وقت الزواج	فى الريف	فى الحضر
— ١٩	٨٠ر٣	٧٢ر٣
٢٠ — ٢٤	١٧ر٣	١٩
٢٥ — ٢٩	١ر٧	٨ر٣
٣٠ — ٣٤	—	٠ر٢
٣٥ — ٣٩	—	—
٤٠ — ٤٥	٠ر٣	—

(ب) كما أوضح البحث نتيجة هامة لا يمكن تبينها من الاحصاءات الرسمية ، وذلك لأن كافة الاحصاءات الرسمية تبنى على أساس فرض منطقى

---

(١) السكان والتنمية فى مصر — الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء — القاهرة ١٩٧٨ ص ٥٨ ٠ ويضيف المرجع المذكور : ان متوسط النساء اللاتى يتزوجن كل عام يقترب من ٣٠٠ الفوتصل نسبة اللاتى يتزوجن فى سن مبكرة (أقل من ٣٠ سنة حسب الاحصاءات) الى أكثر من ٨٠٪ ٠ وهو ما يتيح لهن الفرصة للحمل والانجاب خلال مدة تتراوح بين ١٩ — ٣٤ عاما وهى مدة طويلة تسمح بانجاب عدد كبير من الأطفال (المرجع السابق ص ٥٨) ٠

هو أن المتعاقدين وقت الزواج قد أوفوا الاشتراطات القانونية ومن بينها بلوغ الحد الأدنى لسن الزواج · ولكن التعرف على الواقع يظهر أن أحكام القانون تجيز اثبات سن الطرفين « بشهادة تسنين » يقدر فيها الطبيب السن اذا ما كان أحد الطرفين « ساقط قيد » أى ليست له شهادة ميلاد · وفى الواقع يعتبر هذا الحكم ثغرة يستغلها الكثيرون للتلاعب فى اثبات السن وقت الزواج ·

(ج) وبدراسة هذا الموضوع ، تبين أن نسبة كبيرة بلغت ٤٢٪ من الزوجات فى الريف قد تزوجن بالفعل قبل بلوغ السن القانونية · فقد تزوجت ٥٪ منهن فى سن ١٢ سنة و ٧ر٧٪ فى سن ١٣ سنة ، ٧ر٦٪ فى سن ١٤ سنة · و ٧ر٢٢٪ فى سن ١٥ سنة ·

(د) ومما يجدر ذكره أيضا أن بعض الرجال فى الريف افادوا بأنهم تزوجوا قبل السن القانونية : فى سن ١٥ سنة (حالة واحدة) ، ١٦ سنة (٥ حالات) ، ١٧ سنة (٩ حالات) ·

(هـ) ويتضح مما تقدم أن الكثيرين يخالفون أحكام القانون فى هذا الصدد ، وبالتالى يتخلفون عن السلوك المنشود فى القاعدة القانونية ·
وقد أطلق البعض على مثل هذه الظاهرة تعبير الثغرة الثقافية cultural lag

العوامل المسهمة فى ظاهرة الزواج المبكر :

أوضح البحث تضافر عوامل متعددة تسهم فى وجود واستمرارية ظاهرة الزواج المبكر ، نبينها بايجاز[١] :

١ — البناء والتكافل الأسرى : يختلف تركيب الاسرة فى الريف عنه فى الحضر ، ويؤثر ذلك فى الظروف التى تسهم فى ظاهرة الزواج المبكر ·

(أ) فيغلب على الأسرة الريفية نمط الأسرة الممتدة · ويعتبر هذا التركيب عاملا هاما يوفر للراغبين فى الزواج سكنا عند زواجهم وبذلك يتغلبون على أحد العوائق الهامة التى تواجه الشباب فى بداية حياتهم ·

فقد أوضحت الدراسة الميدانية ان ٧ر٧٣٪ من الرجال اقاموا مع أسرهم

(١) يحيل القارىء الى تقرير البحث سابق الاشارة اليه ، فى تفصيل هذه النتائج ·

بعد الزواج وأفاد ٢٪ منهم أنهم أقاموا مع أسرة الزوجة ، واستقل ٢٣٫٧٪ من العينة فى مسكن منفصل ٠

(ب) أما المناطق الحضرية فيغلب فيها نمط الأسرة النووية ، ولذلك يرتفع نسبيا عدد الأزواج الذين أقاموا فى مساكن منفصلة عند الزواج ٠ (٦٠٪ من العينة) ٠ غير أنه بسبب صعوبة وجود السكن أحيانا يواجه الشباب فى الحضر صعوبات قد تؤخر زواجهم ٠ ومع ذلك تتغلب بعض الأسر الحضرية على هذه المشكلة فتوفر الاقامة لحديثى الزواج ٠ ويلاحظ أن بعض هذه الأسر يفد من المناطق الريفية ، وبالتالى يكون متأثرا ومتقبلا لنمط الأسرة الممتدة ٠ فتبين من دراستنا أن ٣٣٫٧٪ من الأسر الحضرية أقاموا بعد الزواج مع أهل الزوج ، بينما أقام ٥٫٢٪ من العينة مع أهل الزوجة ٠

٢ — المساعدات المالية : تعتبر الالتزامات المالية المترتبة على الزواج من الصعوبات التى تواجه الشباب ، ومنها دفع المهر وشراء مستلزمات منزل الزوجية ٠ وقد تبين من الدراسة أن المساعدات المالية التى يقدمها أهـــل الزوجين تعتبر من العوامل التى تسهم فى التبكير بالزواج :

(أ) فبالنسبة للمهر تبين أنه فيما يقرب من نصف العينة فى الريف (٤٨٫٣٪) ساهمت أسرة الزوج فى دفع المهر ، بينما أسهم أهل الزوج فيما يقرب من ربع عينة الحضر (٢٤٫٧٪) فى دفع المهر ٠

(ب) وفيما يتعلق بتأثيث منزل الزوجية أفادت عينة الريف أن الأهل قد أسهموا فى أغلب الحالات فى شراء أثاث المنزل : أهل الزوج (٢٢٫٧٪) أهل الزوجة (٣١٪) ، أسهمت الأسرتان (٢٦٪) ٠ وبالنسبة للمناطق الحضرية تبين أنه فى ٥٨٫٢٪ من الحالات قامت أسرة الزوجة بتأثيث منزل الزوجية ٠

٣ — انخفاض مستوى التعليم : تظهر الاحصاءات الرسمية أن انخفاض مستوى التعليم يرتبط ارتباطا واضحا بالزواج المبكر ٠ فتظهر الاحصاءات الرسمية لسنة ١٩٧٠ أن ٧٤٫٧٪ من الاناث اللاتى تزوجن فى تلك السنة كن أميات ٠ وقد تزوجت ٥٠٫٢٪ منهن فى سن يتراوح بين ١٦ — ١٩ سنة ٠ وتبين الاحصاءات أنه كلما ارتفع مستوى التعليم ، انخفضت معدلات الزواج المبكر(١) ٠

---

(١) تراجع احصاءات الزواج لسنة ١٩٧٠ ٠

٤ – **القيم والعادات** : يميل الوالدان – وعلى وجه الخصوص فى الريف – الى زواج الاناث فى سن مبكرة ، ويعتقدون أنه يسهل اقناع الفتاة فى السن المبكرة بقبول الزوج الذى يختاره الأهل(١) • ومن العوامل الأخرى التى تسهم فى هذه الظاهرة ، بعض القيم التى تتصل بمطلب عفة الفتاة قبل الزواج • وقد أفاد بالفعل عدد من عينة البحث فى المناطق الريفية (٥ر١٤٪) أن مطلب العفة قبل الزواج يعتبر من العوامل التى تسهم فى تبكير الوالدين فى زواج بناتهم • كما أن القيود التى توضع على السلوك الجنسى – خاصة فى الريف – تعتبر من العوامل التى تسهم فى ميل الرجال للزواج المبكر(٢) •

ويضاف الى الاعتبارات المتقدمة عامل آخر ذو طبيعة اقتصادية ، لأن بعض الآباء الفقراء يميلون الى زواج فتياتهم فى سن مبكرة رفعا لبعض المعاناة التى يعانونها فى مواجهة متطلبات الحياة •

وفى ضوء ما تقدم نخلص الى القول بأن هناك العديد من العوامل الاجتماعية والاقتصادية التى تسهم فى دعم ظاهرة الزواج المبكر • كما أوضحنا أن هذه العوامل والعادات والتقاليد التى تسود على الأخص فى المناطق الريفية وبين الطبقات ذات المستوى التعليمى المنخفض – قد أدت الى مخالفة الأحكام القانونية التى تقرر حدا أدنى لسن الزواج • وأنه أزاء هذه العوامل مجتمعة لا نرى جدوى للرأى المنادى برفع الحد الادنى لسن الزواج • وبالتالى فان القانون لا يعتبر أداة صالحة لاحداث التغيير فى هذا المجال • ففى هذه الحالة لا يمكن أن يتحقق التغيير الا برسم سياسة اجتماعية تبغى التأثير فى العوامل التى تسبب ظاهرة الزواج المبكر ومن أهمها التعليم والتوعية ورفع مستوى معيشة الفقراء •

نموذج لمجال يصلح فيه القانون اداة للتغيير :

لجأت دول عربية عديدة الى اصدار تشريعات لاحداث تغيير منشود فى محيط قوانين الأسرة ، وعلى وجه التحديد فى مجال تنظيم الزيجات المتعددة والطلاق • ونتناول هذا الموضوع بشىء من التفصيل •

أولا : الزيجات المتعددة : انقسمت الدول العربية فى تنظيمها للزيجات المتعددة الى ثلاث طوائف • ففى حين تطلق طائفة منها حق الزوج فى التعدد

---

(١) محمد عاطف غيث : القرية المتغيرة . ١٩٦٢ ص ١٤٤ •

(٢) محمد عاطف غيث : علم الاجتماع الريفى ، ١٩٦٧ ص ١٦٢ •

دون فرض قيود عليه (من بينها الكويت والسعودية والسودان) · وتتجه طائفة ثانية الى تقييد حق الرجل فى التعدد باذن يصـــدره القضاء (مثل القانون المغربى) ، تذهب طائفة ثالثة الى تحريم التعدد (وهو ما أخذ به القانون التونسى) ·

وقد ثار الجدل طويلا فى مصر حول مدى ملاءمة التدخل التشريعى لتقييد حق التعدد · وقيل فى مجال معارضة فكرة التدخل التشريعى أن ظاهـرة الزيجات المتعددة ضئيلة وهى فى سبيلها الى الزوال · وما من شك فى أن هذا الموضوع كان ـ وسيظل محلا للخلاف فى الرأى ، ومع ذلك فيتعين أن يدعم الرأى بواقع الاحصاء وما تظهره الدراسات العلمية ·

تظهر احصاءات الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء أن متوسط عدد حالات الزواج المتعدد خلال السنوات من ١٩٦٥ ـ ١٩٦٩ منسوبا الى اجمالى عدد عقود الزواج فى الفترة المذكورة ، بلغ ٠٨ر٨٪(١) · وفى سنة ١٩٧٠ بلغ عدد عقود الزواج المتعدد التى تمت خلال تلك السنة ٢٤٢٨٣ ويمثل هذا العدد ٤٥ر٧٪ من عقود الزواج التى تمت فى تلك السنة(٢) ·

وتظهر احصاءات سنة ١٩٧٠ أن أعلى نسب الزواج المتعدد كانت فيما بين الرجال فى فئا تالسن من ٢٥ ـ ٣٤ سنة ، ويليهم الرجـــال فيما بين ٣٥ ـ ٤٠ سنة ·

وسعى جهاز التعبئة العامة والاحصاء الى التعرف على مدى ارتبـاط الزواج المتعدد بحالة الزوج التعليمية · وأوضحت الاحصاءات فى تلك السنة أن ٧ر٤٤٪ من هؤلاء الأزواج كانوا أميين ، و ٩ر٢٪ يقرأون فقط و ٧ر٤٧٪ يقرأون ويكتبون (دون أن يحصلوا على أى مؤهل علمى) ، وقد تناقصت

---

(١) المرأة المصرية فى عشرين عاما ، ١٩٥٢ ـ ١٩٧٢ ، دراسة أعدها مركز الأبحـــاث والدراسات السكانية بالجهاز المركزى للتعبئة العـــامة والاحصـــاء ، مرجع رقم ٣٥٠٢س/٧٤ سنه ١٩٧٤ ص ١٩ ·

(٢) احصاءات الزواج والطلاق أعدها الجهاز المركزى للتعبئة العامه والاحصاء ١٩٧٠ ، ص ٤٦ ·

النسب مع ارتفاع مستوى تعليم الأزواج(١) •

كما أجريت دراسة(٢) عن علاقة الزيجات المتعددة بالانجاب ، فتبين أن متوسط عدد الأولاد فى حالة الزواج بأكثر من زوجة بلغ فى الحضر ٤ر٥ طفلا ، وفى الريف ٦ر٦ طفلا • هذا بينما بلغ المتوسط العام لعدد الأولاد فى الأسر التى تم اختيارها عينة فى البحث المذكور ١٨ر٤ طفلا •

وفى مثل هذه الحالة يثور التساؤل عن مدى ملاءمة اصدار تشريع ينظم الزواج المتعدد ، أى بتقرير قيود على ممارسة هذا الحق • فقد يتجه الرأى الى تقييد التعدد فى الأحوال التى يتعارض فيها التعدد مع مصلحة الأسرة والمجتمع(٣) • وفى هذه الحالة يجب أن يطرح أولو الأمر على بساط البحث ماهية السياسة الاجتماعية التى تصلح لتحقيق الأغراض الاجتماعية المنشودة، وكيفية تحقيق هذه السياسة • وعلى سبيل المثال قد يرى البعض أن زيادة فرص التعليم والتوعية هى أصلح السبل للحد من الآثار غير المرغوبة • وقد لا يكتفى البعض بالتعليم والتوعية على اعتبار أنهما لا يتحققان فى الأمد القريب ، وعلى اعتبار أن الاحصاءات الرسمية قد أظهرت أن مجرد محو الأمية - أى القراءة والكتابة لم يؤثر فى معدلات الزواج المتعدد • ولذلك يرون أن للقانون دورا تثقيفيا يبغى احداث تغير اجتماعى • وفى مثل هذه الحالة يتضافر القانون مع غيره من الأدوات والأساليب الأخرى ، لتحقيق السياسة الاجتماعية المنشودة •

ثانيا : الطلاق : تعتبر معدلات الطلاق فى مصر مرتفعة ، فطبقا للاحصاءات الرسمية بلغت حالات الطلاق فى سنة ١٩٧٠ - ٦٨٨١٠ حالة • واذا ما نسب هذا العدد لعدد عقود الزواج فى السنة نفسها يتبين أن معدل الطلاق منسوبا لمعدل الزواج فى سنة ١٩٧٠ كان ١ : ٤ وتفيد الاحصاءات أيضا أنه فى حين بلغ معدل الزواج ٩ر٧ لكل الف من السكان بلغ معدل

---

(١) المرجع السابق ص ٧٨ •

(٢) Law and Population Project in Egypt, Vol. II, Legal Implications of Population Problems, The National Center for Social and Criminological Research, Cairo 1975, P. 124.

(٣) المرأة المصرية فى عشرين عاما : المرجع السابق ص ١٩ •

حالات الطلاق ٢ لكل ألف من السكان(١) • وقد كانت معدلات الطلاق أكثر ارتفاعا فى المناطق الحضرية • وظهر ارتباط واضح بين الطلاق والمستوى التعليمى ، فبلغت حالات الطلاق بين الأميين ٩٦٪ من مجموع عدد حالات الطلاق فى سنة ١٩٧٠(٢) •

وبالنسبة لعلاقة الطلاق بالانجاب ، ذهب البعض الى القول بأن المرأة التى تطلق ثم تتزوج مرة أخرى تنجب عددا أكبر من الأولاد ، وهو ما يؤدى الى انجاب عدد أكبر من الأولاد • غير أن البحث الذى أجراه المركز أوضح عدم صحة هذا الفرض • فقد تبين أن مدة خصوبة المرأة تقل اذ تمر فترة زمنية بين طلاقها وزواجها الثانى (بلغت فى المتوسط ٧ر٥ سنوات) وأظهر البحث بجلاء انخفاض متوسط عدد أولاد المرأة التى تطلق ثم تتزوج زواجا جديدا • فبلغ المتوسط ٤ر١ طفلا ، فى حين بلغ متوسط عدد أولاد المرأة التى لم تطلق فى عينة هذا البحث ٢ر٤ طفلا(٣) •

ومع ذلك ظهر ارتباط من نوع آخر بين الطلاق والانجاب ، فتظهر الاحصاءات أن ٦١٪ من حالات الطلاق فى الريف و ٤٧٪ من الحالات فى الحضر كانت بين أزواج لم ينجبوا اطلاقا • كما أن معدلات الانجاب بالنسبة للذين انجبوا كانت منخفضة : ٦ر٣٨٪ انجبوا طفلا واحدا ، ٨ر١٥٪ طفلين ، و ٩ر٨٪ ثلاثة أطفال •

ويتبين مما تقدم أن عدم الانجاب أو انجاب عدد قليل من الأولاد ، يجعل الطلاق أيسر حدوثا •

ويضاف الى ما تقدم أن نسبة كبيرة من السيدات يشعرن أن انجاب عدد من الأطفال يسهم فى تدعيم روابط الأسرة وتحقيق الاستقرار ، والحيلولة دون حدوث الطلاق بسهولة • فقد عبرت ٤١٪ من عينة السيدات المطلقات عن اعتقادهن بأنه كان فى الامكان الحيلولة دون حدوث الطلاق اذا ما أنجبن عددا أكبر من الأولاد •

ويضاف الى ما تقدم عامل آخر يسهم فى احساس المرأة بالخوف من المستقبل وهو ما يحدوهن الى الرغبة فى تدعيم الروابط الأسرية بانجاب عدد

---

(١) احصاءات الزواج والطلاق لسنة ١٩٧٠ ، المرجع السابق •

(٢) المرجع السابق •

(٣) بحث القانون والسكان : سابق الاشارة اليه ص ٢٩٢ •

أكبر من الأطفال · هذا العامل يتمثل فى اعتمادها الاقتصادى المطلق ـ فى الغالبية العظمى من الحالات ـ على موارد الزوج · وقد سعينا الى التعرف على كيفية مواجهة المرأة المطلقة لنفقات المعيشة بعد طلاقها · وقد تبين أن مصدر الايراد فى ٧ر٦٧٪ من الحالات هو ما تقدمه لها أسرتها الأصلية (الأبوين أو الاخوة الخ ···) ، وأن ١ر٢٠٪ من عينة النساء المطلقــات اعتمدن على ما يتكسبنه من عملهن ، وفى ١ر١٠٪ من الحالات اعتمدن على النفقة المستحقة لأولادهن · وفى ٩ر٧٪ من الحالات على دخل خاص ، وفى ٣٪ منها على ما يدره عمل الأولاد ·

ومما تقدم يتضح أن للطلاق أثرا سلبيا فيما يسببه من شعور المرأة بعدم الاطمئنان والخوف من المستقبل ، وهو ما يحدوها فى كثير من الأحيان الى الرغبة فى زيادة الانجاب · ويزيد من أهمية هذا الاعتبار أن الاحصاءات الرسمية لسنة ١٩٧١ قد أظهرت أن ٩٦٪ من مجموع حالات الطلاق كانت بين فئة الأميين(١) ·

وفى حالة الطلاق ـ مثل حالة الزواج المتعدد ـ يثور الجدل عن مدى ملاءمة التدخل التشريعى لتنظيم حق الرجل فى الطلاق · ويقرر المؤيــدون للتنظيم بأن للقانون دورا تثقيفيا يسهم به فى احــداث التغــير الاجتماعى المنشود · ولا يغفل هذا الرأى أثر التعـليم والتوعيــة فى تحقيق الغاية المنشودة ـ فينادى بضرورة العمل على تضافر الجهود والتنسيق بين الأدوات المتعددة لتحقيق التغير الاجتماعى الذى تستهدفه السياسة الاجتماعية ·

ونضيف فى هذا الصدد أن المشرع قد أخذ فعلا بالقانون أداة لتحقيق التغيير فى محيط العلاقات الأسرية اذ أصدر القانون رقم ٤٤ لسنة ١٩٧٩ ·

وننبه الى أمرين : أولا أنه لا يمكن الحكم على هذا القانون ومدى ملاءمته لاحداث التغيير المنشود ، الا بعد تقييم الآثار الاجتمــاعية التى تترتب على تطبيقه بعد مرور فترة زمنية كافية · وثانيا يحتمل اخفــاق القانون فى احداث الأثر المطلوب اذا كان غير مدعم بأدوات اجتماعية أخرى مثل التعليم والتوعية · بل وننبه الى أن السياسة الاجتماعية فى مصر قلما تسعى أو تحقق التنسيق والتكامل بين الأدوات والأساليب المختلفــة التى ترتبط بالسياسة أو الخطة الاجتماعية المستهدفة ·

---

(١) احصاءات الزواج والطلاق : سابق الاشارة اليها ·

نموذج لتخلف التشريع عن مسايرة التغير الاجتماعى :

قد يحدث تطور أو تغير فى أحد جوانب أو مظاهر الحياة فى المجتمع · فالحياة فى المجتمع فى حركة ديناميكية مستمرة ، تتفاعل مع عوامل عديدة ، وتتغير تحت وطأة المتطلبات المتجددة ، وتتأثر بالتطور العلمى والتكنولوجى الذى يحدث فى العالم المحيط ·

ومع هذا التحرك والتغير الدائب والمستمر ، قد تتخلف بعض النظم والقوانين التى تنظم بعض جوانب الحياة فى المجتمع ، بمعنى أن القانون يتخلف عن مسايرة الواقع الاجتماعى ، وعندئذ يقع صراع بين المصالح الاجتماعية المتغيرة وبين النظم القانونية ، التى لم تساير التغيير ، بل ظلت على صورتها التى كانت عليها قبل حدوث التغير الاجتماعى · ومن المتصور أن تختلف أشكال هذا الصراع ، وكذا ما يسفر عنه الصراع من نتائج :

(أ) فمن المتصور أن يفرض أولو الأمر على الأفراد احترام نصوص القانون والرضوخ لأحكامه ، رغم معارضتها للمصالح الاجتماعية التى أوجدها التغير الاجتماعى · وفى هذه الحالة قد يسفر فرض نصوص القانون عن اعاقة التطور الاجتماعى أو الحد من الآثار المترتبة عليه ·

(ب) وعلى طرف نقيض قد يذعن المشرع لمتطلبات التغيير ، فيلغى أو يعدل نصوص القانون لكى تساير المصالح التى أوجدها التغير الاجتماعى ·

(ج) وأخيرا قد لا يستجيب المشرع للمتطلبات الاجتماعية المتغيرة فلا يصدر قانونا جديدا يساير هذه المتطلبات · وفى الوقت ذاته قد لا يرى فرض نصوص القانون القائم بالقوة - بل وقد يتهاون فى تنفيذها الى درجة تصبح فيها هذه النصوص مواد ميتة أو معطلة ·

ومن بين الصور الواضحة - لتخلف التشريع عن مسايرة التغير الاجتماعى ، تلك النصوص التى يتضمنها قانون العقوبات المصرى والتى تحرم الاجهاض المتعمد · فقد نص القانون على أن من يسقط امرأة حبلى يعاقب عن جنحة عقوبتها الحبس · ثم قضى القانون بأنه اذا كان المسقط طبيبا ، فانه يعاقب عن جناية عقوبتها الأشغال الشاقة · ولا يعفى الطبيب من العقوبة الا اذا وجد سبب للاباحة مثل انقاذ حياة الأم ·

وقد سعينا فى المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية الى دراسة ظاهرة الاجهاض فى المجتمع المصرى · وأزاء ما واجهنا من صعوبات خلال

العمل الميدانى[١] ، تمثلت فى تخوف المبحوثات من الاجابة بصدق وصراحة عن مدى ممارستهن للاجهاض كوسيلة للحد من الانجــاب ، اتجهت هيئة البحث الى تنظيم ندوة علمية دعى اليها لفيف من الاساتذة والخبراء والممارسين فى ميادين الطب والاجتماع والقانون والدين ، وذلك لمناقشة الجوانب المختلفة لظاهرة الاجهاض فى المجتمع المصرى[٢] ٠

وقد أسفرت الندوة المذكورة عن نتائج هامة ، نشير الى بعضها فى ايجاز فيما يلى[٣] :

١ ــ يتعين التسليم بوجود ظــاهرة الاجهاض فى مصر ــ فى الحضر والريف على حد سواء ولا يجوز التقليل من أهمية حجم هــذه الظاهرة أو التغاضى عن الاعتراف بوجودها ٠

٢ ــ يصعب تحديد حجم الاجهاض كظاهرة اجتماعية فى مصر ، وذلك لعدم توافر الاحصاءات التى يمكن الاعتماد عليها ٠ ومع ذلك أجرى بعض السادة أساتذة الجامعات بعض البحوث توصلت الى تحديد مؤشرات يمكن الاستعانة بها فى التعرف على معالم هذه الظاهرة فى مصر ٠

وقد أجرى بعض الأطباء فى الاسكندرية ومن بينهم الأستاذ الــدكتور أحمد جعفر أستاذ أمراض النساء ــ بحثا فرقوا فيه بين حالات الاجهــاض التلقائى مقارنا بعدد حالات الاجهاض العلاجى المتعمد ٠ وقد أسفر البحث عن أن نسبة الاجهاض التلقائى فى الطبقات فوق المتوسطة والطبقات العليا تصل الى ١٣٪ من حالات الحمل كلها ، بينما بلغت نسبة الاجهاض المتعمد ١٥٪ من حالات الحمل ، أى أنها كانت أكبر من حجم الاجهاض التلقائى ٠ واتفق بحث آخر اجراه الاستاذ الدكتور ابراهيم كمال فى القاهرة على أن الاجهاض المتعمد يزيد عن الاجهاض التلقائى ٠ وأجرى الاستاذ الدكتور صلاح كريم بحثا فى مستشفى جامعة القاهرة (القصر العينى) تبين منه أن ثلث الحالات التى

---

(١) وكان ذلك ضمن الدراسة التى أجريت فى بحث القانون والسكان . سابق الاشارة اليه ٠

(٢) أقيمت هذه الندوة بمقر المركز القومى للبحوث الاجتمــاعية والجنــائية ، فى يوم الخميس الموافق ٦ يونيو ١٩٧٤ ٠

(٣) نشرت أعمال الندوة سالفة الذكر فى تقرير بحث القانون والاسكان . سابق الاشارة اليه ص ١٩٨ ــ ٢٥١ ٠

تدخل قسم الولادة هى حالات اجهاض ، ان ثلث هذا الثلث يشك فى كونه اجهاضا متعمدا[١] ٠

٣ ـ اتفق الحاضرون على أن تحريم الاجهاض فى مصر لم يسفر عن انخفاض حالات الاجهاض المتعمد ، بل على العكس فان الظاهرة فى ازدياد ٠
٤ ـ تجرى عمليات الاجهاض لدواع طبيـة وانسـانية ، واجتماعية واقتصادية ، ويتزايد اجراء الاجهاض لدواع اجتماعية واقتصادية ٠

٥ ـ تجيز أحكام الشريعة الاسلامية اجراء الاجهاض اذا كان فى الحمل أو الولادة ما يهدد حياة الأم للخطر ٠ كما يباح الاجهاض طبقا لمذهب الزيدية فى حالة العجز عن الانفاق ، وذلك متى توافرت شروط معينة ٠ ويشترط لاجراء الاجهاض فى جميع الأحوال أن يتم خلال ١٢٠ يوما من حدوث الحمل ٠
٦ ـ موقف القانون المصرى ـ وعلى وجه الخصوص قانون العقوبات ـ متخلف عن مواجهة الواقع الاجتماعى وعن مسايرة التغير الذى طرأ وفرض نفسه فعلا ٠ فما زال قانون العقوبات يعاقب على الاجهاض ويشدد العقوبة على الطبيب ٠ وقد ترتب على ذلك وضع غريب اذ تجرى عمليات الاجهاض على الملأ وفى المستشفيات الجامعية لدواع طبية واجتماعية ، وتغض الدولة النظر عن مخالفة نصوص القانون ، ولكنها لا تعدله ٠

٧ ـ اتفق الحاضرون فى الندوة على أن الأمر يدعو الى اجراء تعديـل جذرى للقانون لمواجهة الواقع ولتحديد الحالات التى يسمح فيها باجراء عملية الاجهاض ٠

وبعد ٠٠ نخلص من هذه الدراسة الى القول بأن القانون يعالج مصالح اجتماعية ، وان هذه المصالح متغيرة ومتطورة بحسب احتياجات المجتمع ٠ وفى ضوء هذه الاعتبارات يكون فى استطاعة المشرع أن يلجأ الى القانون كأداة لتنظيم العلاقات والمصالح القائمة ، أو كأداة لتغيير هـذه العلاقات وما يرتبط بها من قيم وعادات وتقاليد ، وذلك حسب تقديره لمدى الحاجـة لاحداث التغيير ، وفى ضوء تقديره للنتائج التى ينتظر حدوثها نتيجة لتطبيق التشريع المقترح ٠

ويجب ألا يتبادر الى الذهن أنه بمجرد اصدار القانون ـ فى الحالات التى يصلح فيها أداة لاحداث التغيير ـ تتحقق تلقائيا الأهداف المنشودة ٠

---

(١) بحث القانون والاسكان : سابق الاشارة اليه ص ٢٢٤ ٠

فالقانون ليس سوى أداة أو أحد العوامل الذى يتفاعل مع غيره من العوامل والظواهر الاجتماعية · وقد يكون هذا التفاعل ايجابيا أو سلبيا بالنظر الى مدى ما يترتب عليه من نتائج تتفق أو نتعارض مع الأهداف المنشودة ·

وعلى أساس ما تقدم يتعين على واضع السياسة الاجتماعية أن يتدخل بالتأثير وبتوجيه العوامل والظواهر الاجتماعية فى المجال المراد تنظيمه بحيث يتحقق التكامل والتنسيق بين العناصر المختلفة المؤثرة فى تحقيق السياسة المستهدفة ·

عقدت الحلقة الدراسية الثانية لبحوث الأعلام التى نظمها المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية (وحدة بحوث الرأى العام والأعلام) ، والهيئة العامة للاستعلامات (مركز النيل للأعلام والتعليم والتدريب) حول مساهمة العلوم الاجتماعية فى تطوير بحوث الأعلام وذلك بمقر المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة فى الفترة من ١٣ ـ ١٦ ديسمبر ١٩٨٠ ·

وقد قسم الموضوع الرئيسى للحلقة الى المداخل التالية والتى قدم فى كل منها عدد من البحوث :

* المدخل السياسى والاقتصادى ·
* المدخل السيكولوجى لبحوث الأعلام ·
* المدخل اللغوى لبحوث الأعلام ·
* المدخل النفسى الاجتماعى لبحوث الأعلام ·
* المداخل السلوكية لبحوث الأعلام ·

تأثير وسائل الاعلام على المشاركة السياسية عند المواطن المصرى

دراسة تجريبية على عينة من الريف

دكتورة نادية حسن سالم(*)

تنقسم الدراسة الحالية الى مقدمة عن التطور الذى شهدته الدراسات الاعلامية والسياسية فى النصف الأخير من القرن الحالى وتعريف للمشاركة السياسية ثم عرض نموذج تجريبى لاستخدام المفاهيم السياسية الحديثة على عينة من الريف المصرى ، وذلك فى ثلاثة مباحث يشمل المبحث الأول فروض الدراسة والمنهج المستخدم ، والمبحث الثانى عينة الدراسة ، والمبحث الثالث عرضا لنتائج الدراسة ومناقشة النتائج وخاتمة .

مقدمـــة :

اذا كانت وسائل الاعلام قد قوى دورها وعظم تأثيرها عالميا ومحليا نتيجة للتغيرات الكمية والكيفية فى وسائل الاعلام .فان الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التى تمر بها المجتمعات النامية قد فرضت وظيفة جديدة للاعلام نابعة من نظرية المسئولية الاجتماعية ، فتلك الدول التى تحاول أن تتغلب على التخلف الطويل الذى عانته خلال عصور الاستعمار دعتها الى توظيف كل امكانياتها ومن بينها الاعلام فى التنمية الاجتماعية الشاملة ، عندئذ يصير على الأعلام أن يلعب دورا كبيرا فى التغير الاقتصادى والاجتماعى والسياسى، وقد فرض ذلك بدوره تعدد مجالات البحوث الاعلامية وتشعب ميادينها ، كما ان انفصال العلوم الانسانية بعضها عن البعض نتيجة لمقتضيات الدراسة والبحث الذى استوجب تقسيم العمل بين العلوم الانسانية المختلفة واختصاص كل واحد منها بميدان معين لا يعنى أن يظل كل علم سجين ميدان تخصصه فقط ، فهناك بعض الظواهر الاعلامية التى تدخل فى نطاق بحوث

(*) خبير أول بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، ورئيسة وحدة بحوث الرأى العام والاعلام بالمركز .

الاعلام تؤثر أو تتأثر بظواهر تدخل فى نطاق علم آخر كالاقتصاد أو السياسة أو علم النفس أو الاجتماع أو القانون ، وبالتالى لا يمكن دراسة الظاهرة الاعلامية باعتبارها ظاهرة معلقة فى فراغ بعيدة عن المجتمع بينما العملية الاتصالية عملية ديناميكية ، فالمرسل جزء من المجتمع ومتلقى الرسالة الاعلامية تحدده طبيعة المجتمع(١) ٠

وانطلاقا مما سبق تبنت الدراسة الحالية منهجا تكامليا وذلك من خلال تأثير وسائل الاعلام المختلفة ومدى التعرض لها على المشاركة السياسية بأعتبارها مدخلا من مداخل دراسة التنمية السياسية ٠ ويعتبر ذلك الاتجاه من أحدث الاتجاهات فى الدراسات السياسية التى ظلت سجينة لفترة طويلة فى اطار الشكليات القانونية ، والتى أضفت على تلك الدراسات منهجا تقليديا كلاسيكيا يعتمد على الدراسات القانونية كالدستور وشرعية الحكم مع التركيز على الظواهر السياسية فى حالتها السكونية دون محاولة للتحليل والكشف عن الانماط السياسية والعمليات السياسية التى تتعرض لها الظاهرة المراد دراستها ٠ وكان للتطور الذى حدث فى منهاجية العلوم الاجتماعية أثر كبير فى التمهيد للمدرسة السلوكية(٢) التى اعتمدت على الانفتاح على نتائج البحوث فى مجالات العلوم الاجتماعية الأخرى ، ولكن من الملاحظ فى هذا المضمار أن العديد من الدراسات التى أهتمت بدراسة المشاركة السياسية أو السلوك السياسى عملت على تفتيت الظواهر الاجتماعية الى جزئيات ، وذلك يرجع الى تغلب الدراسات المايكرو مع اغفال الدراسات الماكرو الكلية ، علما بأن الظواهر الاجتماعية والسياسية الجزئية تصبح عديمة الجدوى ان لم تكن من خلال اطار نظرى يسمح بتفسير علمى للظواهر التى تحدث بقدر يساعد على التنبؤ المستقبلى بمسار تلك الظواهر(٣) ٠

---

(١) د٠ نادية سالم « تكامل البحوث الاعلامية » اجتماع خبراء البحوث الاعلامية ـ القاهرة (٢٥ـ١٩٧٨/١٢/٢٨) جامعة الدول العربيه ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ ادارة الإعلام ٠

(٢) John C. Wahlke, "The behavioratism in political science" (The American political science review), U.S.A. March 1979, No. 1, vol. 13, PP. 9-32.

(٣) Khan Moians Zafar, "The behavioral approach in politics prospects and pitfalls", in (Indian Journal of Politics), India Aligarh Publisher (No. 13, vol. 3), December 1978, PP. 221-226.

ومما سبق يتضح أن الدراسة الحالية ستنطلق من بعدين : البعـــد الأول يهتم بالمنهج التجريبي فى الدراسة • والبعد الثانى ينطلق من التطور الذى أحدثته المناهج السلوكية فى المدارس التقليدية للعلوم السياسية من خلال الآثار التى تمارسها وسائل الاعلام على التنشئة السياسية باعتبارها أحد مقومات التنمية السياسية فى المجتمع المعاصر • وهذا يقودنا الى تعريف علمى للمقصود بالتنمية السياسية والثقافة السياسية والمشاركة السياسية •

يقصد بالتنمية السـياسية وجود نظـــام قانونى له طـابع العمومية ينطبـــق على كل الأفـراد فى المجتمع بغض النظـــر عن الطبقة أو الدين أو الأصل • كما أن التجنيـــد للمناصب العـــامة يقوم على عنصرى الكفاءة والتفوق وليس على اعتبارات القرابة والنسب والعلاقات الاجتماعية • كما أن التنمية السياسية تتضمن مزيدا من المشاركة الجماهيرية والاسهام الشعبى فى العملية السياسية(١) •

أما الثقافة السياسية فهى مجموعة الاتجاهات والمعتقدات والقيم التى تنظم وتعطى معنى للنظام السياسى •

ويمكن تحديد الأبعاد الأساسية للثقافة السياسية من خلال المنطلقات التـــالية :

١ ـ مفهوم السلطة :

توجد فى كل مجتمع تقاليد معينة يمكن من خلال دراستها التعرف على الأنماط والعادات وكيفية اتخاذ القـــرار وتنفيذه • ويرتبط هـــذا بمفهوم السلطة ، فاذا تصور المواطنون أن القرارات السياسية قد اتخذت من خلال الأنماط والعادات والكيفية المتفق عليها فان هذه القرارات يصبح لها شرعية فى نظرهم ومن ثم يجب قبولها والخضوع لها • وهكذا ففى كل نظـــام سياسى يوجد تصور ســائد لكيفية اتخاذ القرارات من خلال أية مؤسسات ودور المواطنين فى هذه العملية(٢) •

---

(١) د• على الدين هلال « محاضرات فى التنمية السياسية » (القاهرة ـ كلية الاقتصاد والعلوم السياسية) ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ ص ٧٥ •

(٢) Gabrial Almond and Sidney Verbal. "The Civic Culture" (New York, Little Brown Co. 1965).

٢ ـ الثقة وعدم الثقة :

يهتم هذا الجانب بالقيم المتعلقة بالثقة وعدم الثقة والشك ، فقد يكون اصدار القرار مشوبا بنوع من الشك فى مدى شرعية مصدرى القـــرار ، وقد يتعدى ذلك الى الشك فى العمل مع الآخرين .

٣ ـ الانتماء القومى :

ويقصد بذلك قضية الهـــوية . أى الى أى الجماعات يشعر الفـــرد بالانتماء والارتباط ، فقد يكون مستوى الولاء للقرية أو للمنطقة التى يتبعها الفـــرد أو يرتفع الى مستوى الولاء القومى أو الولاء الفئـــوى أو السلالى أو الدينى .. الخ .

٤ ـ المساواة والحرية :

ويهتم هذا الجانب بالاتجاه نحو القوة والعلاقة بين متخذى القـــرار السياسى والشعب . هل هى علاقة قائمة على المساواة أم على عدم المساواة اذ أن بعض المجتمعات التقليدية تتخذ موقفا تبريريا لعدم المســاواة وينبع ذلك من ثقافاتها السياسية التى تقدم تبريرات معنوية وأخلاقية على عكس بعض الثقافات السياسية الأخـــرى التى تركز على الحـرية واحترام حقوق الأفراد والمساواة بين المواطنين(١) .

ويقصد بالمشـــاركة السـياسية اشراك المواطن فى صـياغة السياسة العامة بشكل مباشر أو غير مباشر على كافة مستويات النظام السياسى ويمكن تحـديد المشـــاركة السياسية من خلال تعـــدد متدرج يمثل أقصى درجات المشاركة الســياسية وأقل درجة من درجات المشـــاركة مثل : تقلد منصب سياسى ، السعى نحو منصب ســـياسى ، العضوية الايجـابية فى التنظيم السياسى ، العضـــوية السلبية فى التنظيم شبه الســـياسى والمشاركة فى الاجتماعات السياسية والمظاهرات والمشاركة فى المناقشات السياسية غير الرسمية والاهتمام العام بالسياسة والتصويت(٢) .

---

(١) Sidney Verba: "Small groups and political behavior", Princeton: Princeton University Press, 1967, P. 3.

(٢) Paul Allen Beck and M. Kent Jenwings: 'Political periods and political participation in (the American Political Science Review), U.S.A. The American Political Science Association, No. 3, Vol. 13, PP. 737-751.

المبحث الأول

فروض الدراسة والمنهج والأدوات

الفرض الأول :

تزاول وسائل الاعلام تأثيرا قويا على المشاركه السياسية والثقافة السياسية للمواطن المصرى الريفى وان كان ذلك لا يعنى أن الوسيلة الاعلامية هى السبب الأساسى والمباشر لاحداث التغيير فى الثقافة السياسية والمشاركة السياسية ، فهناك عوامل أخرى تزاول تاثيرها أيضا كالأسرة والمدرسة والعقيدة ولذا فالوسيلة الاعلامية تعتبر سببا ضروريا لاحداث التأثير وليس سببا أساسيا ووحيدا ، ولمحاولة اختبار ذلك الفرض تم تقسيم العينة كما سيتضح فى المبحث الثانى الى خمسة أنواع : من لا يتعرض لأى وسيلة اعلامية ومن يستمع للاذاعة فقط ومن يستمع للاذاعة ويشاهد التليفزيون ومن يشاهد التليفزيون ويستمع للاذاعة ويقرأ الجرائد ومن يتعرض لكافة وسائل الاعلام ·

الفرض الثانى :

تزاول الوسيلة الاعلامية أثرا ديناميكيا لا استاتيكيا على الجمهور · ويمكن تفسير الفارق بين دراسة الاعلام فى حالته الاستاتيكية أو الديناميكية كالتالى : ان وجهة النظر الاستاتيكية تنظر للوسيلة الاعلامية باعتبارها السبب القوى الوحيد لاحداث التغيير على اتجاه وعقيدة وسلوك الملتقى ، بينما هناك عوامل ديناميكية عديدة تؤثر على فاعلية الاتصال مثل السمات الشخصية للملتقى والظروف الاقتصادية والاجتماعية المحيطة بالمستقبل ، ولذا اهتمت الدراسة بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للقرى عينة الدراسة من خلال مستوى التنمية الذى حققته كل قرية · ويقصد بمستوى التنمية تعريفا متكاملا بمعنى زيادة الناتج والانتاجية الزراعية ليتحول الاقتصاد الريفى من اقتصاد موجه أساسا للاكتفاء الذاتى الى اقتصاد تجارى مع رفع الدخل الفردى · وكذلك الاهتمام بالصناعات التحويلية الى تعتمد أساسا على الانتاج الريفى ثم زيادة الخدمات الاجتماعية فى القرى مثل محو الأمية وتنظيم الأسرة ورفع المستوى الصحى(١) ·

---

(١) Dennis A. Roadinelli: Administration of integrated rural development policy, "World Politics", Princeton University Press, 'Vol. 16, No. 3," April 1979, PP. 389-417.

الفرض الثالث :

تزاول وسائل الاعلام أثرا على نظرة المواطن المصرى الريفى الى هويته. فمن الضرورى معرفة الى أى الجماعات يشعر الفرد بالانتماء داخل القـــرية هل ينتمى الى القرية أو الى المحـافظة أم تمارس وســـيلة الاعلام دورا فى الاندماج القومى بصورة تجب الولاءات الفئوية المختلفة .

الفرض الرابع :

يزاول الاتصال الشخصى أثرا على المشاركة السياسية للمواطن المصرى الريفى وذلك نتيجة للتراث الشعبى والتقاليد السائدة فى الريف المصرى.

منهج الدراسة وادواتها :

اتبعت الدراسة منهجـا تجريبيـا يعتمد على نظـرة تكاملية للمعـرفة الانسانية ولأن السلوك الانسانى بالغ التعقيـد كان الاهتمام بجانب واحد فقط من الدراسة يمنع الاحاطة والالمـام بكل جوانب الظاهرة المراد دراستها ولذا كان الاتجـــاه المنهجى الحـديث ما يعـــرف بالتكاملية فى العــــلوم الانسانية(١) .

أدوات الدراسة :

اعتمدت الدراسة على الاستمارة كأداة للبحث ومرت بالاجراءات الخاصة بصياغة الاستمارة مثل تحـــديد أهم المواضيع المراد دراستها والنـابعة من الفروض السابق تحديدها مثل مدى ممارسة المواطن المصرى الريفى لحقوقه السياسية كممارسته لحقه الانتخابى وعضـويته فى الأحـزاب السـياسية ثم تصوره للنظام الحزبى الأمثل ونظـــرته الى مفهوم الديمقراطية ومفهـوم الرقابة الشعبية ومفهوم الحكم المحلى واختبارات الثبات والصدق .

المبحث الثانى

يتناول هذا المبحث أسس اختيار عينة الدراسة ووصف للقرى التى تم اختيرها للتطبيق الميدانى :

---

(١) Geoffrey Brown: "Experiments in the social sciences" Harper & Low Publishers, 1975.

(أ) أسس اختيار عينة الدراسة :

اختيرت أربع قرى للدراسة التجريبية فى ضوء عـــدة متغيرات نابعة من الفروض السابق تحديدها ٠

١ ــ متغير التنمية ٠ ويقصد به زيادة محسوسة فى الانتـاج الحقيقى والخدمات الشـاملة والـكاملة مع الارتبـاط بحـركة المجتمع تأثيرا وتأثرا باستخدام الأساليب العـلمية الحدينة فى التكنولوجيـا والادارة مع التنمية الاجتماعية والثقافية ٠

٢ ــ متغير القرب والبعد عن المراكز الحضـارية ، فسهولة الاتصـال بالبندر أو عاصمة المحافظة قد تعتبر عاملا مهمـا من عوامل التنمية بمعناها الشامل اذ أن الانتقال بين القرى والبنادر وعواصم المحافظات قد يؤدى الى نقل افكار ومعلومات وأنماط حضارية متقـدمة على عكس البعد عن المراكز الحضـــارية أو عواصم المحافظـات الذى قد يعتبر عاملا من عوامل التخلف الا فى حالة تيسر وسائل المواصلات ٠

٣ ــ متغير الثقافات الفرعية وبحرى وقبلى ، اذ ان أبنـــاء كل قرية قد يحملون من خلال تنشئتهم الاجتماعية والسياسية وتراثهم الثقافى قيمـا ونقاليد وسمات وأنماطا حيـاتية تختلف من منطقة الى أخرى اذ أن هنـــاك فروقا بين المواطن الريفى فى وجه بحرى عنه فى وجه قبلى ٠

٤ ــ متغير التعرض لوســائل الاعلام ٠ ولذا حاولت الدراسة منـــذ البداية أن تعزل تأثير كل وسيلة اعلامية من الوسيلة الأخرى ٠

وفى ضوء المتغيرات السابقة تم حصر عــدد مشروعات التنمية المتكاملة فى المجال الاقتصادى والاجتماعى والعمرانى ، وتم حساب متوسط حسابى لعـــدد مشروعات التنمية فى كل مجـــال من مجالات التنمية الاقتصـادية والاجتماعية والعمرانية ٠

وفى ضوء المتوسط الحسابى السابق ذكره كانت أكثر القرى التى تم فيها تنمية متكاملة هى قرية هو التـــابعة لمركز نجع حمـــادى والرحمانية التابعة لنفس المركز فى نطاق محافظة قنا وقريتى الرجدية ودمرو التابعتين لمحافظة الغربية ٠

وكانت وحده مجتمع البحث هى كل أفراد القرية واعتبرت الدراسة أنه فى ضوء المتغيرات السابق ذكرها يمكن تلمس الدور الذى يمكن أن تمارسه العوامل العديدة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ووسائل الاعلام على المشاركة السياسية عند المواطن المصرى الريفى ٠

(ب) وصف عينة البحث :

سيتم تناول الأربع قرى من خلال الوصف الجغرافى للقرية وتوزيع عدد السكان تبعا للديانة والنشاط الاقتصادى والحالة التعليمية والجنس والمهنة٠

أولا ـ الرحمانية التابعة لمحافظة قنا فى الوجه القبلى :

موقع القرية : الرحمانية قرية من مركز نجع حمادى وسميت كذلك تبعا لمصرف الرحمانية الذى يوجد فى غرب القرية وكانت القرية تعرف قديما باسم سلمية الحائط ويحدها النيل من الغرب والجبل الشرقى على شمالها وقريتى القصر والصياد من شرقها وقرية العزيز والسلمية من جنوبها ٠

وعدد سكانها الاجمالى تبعا لآخر تعداد بالعينة فى ١٩٧٦ هو ٩٩٩٨ والمساحة ٦٨٤ر٤ كم٢ ٠

وفيما يلى بعض الاحصاءات الهامة عن الرحمانية :

١ ـ توزيع السكان حسب الديانة

مسلم	مسيحى
٤٢٠٠	٤٨٣٢

٢ ـ توزيع السكان حسب النشاط الاقتصادى والأفراد ـ ٦ سنوات فأكثر

النشاط الاقتصادى	القرية الرحمانية
الزراعة والغابات والصيد	١٦٠٥
المناجم والمحاجر	٢
الصناعات التحويلية	٢٦٧
التشييد والبناء	٩٧
التجارة	١٢٢
النقل والمواصلات	٤٠
الخدمات	٢١٩
الأنشطة غير الواضحة	٧٠
ليس لهم نشاط	٤٥٧٧

٣ ـ توزيع السكان حسب الحالة العملية ـ ٦ سنوات فاكثر

الحالة العملية	القرية الرحمانية قبلى
صاحب عمل ويديره	٧٧
يعمل لحسابه ولا يستخدم أحدا	٦٩٩
يعمل بأجر نقدى	١١٧٩
يعمل لدى ذويه بدون أجر	٣٨٩
لا يعمل ويبحث عن عمل (متعطل)	٧٦
غير قادر على العمل	٦٩
لا يعمل ولا يبحث عن عمل	١٠٥٧
يعمل لدى الغير بدون أجر	١٢

٤ – توزيع السكان حسب الحالة التعليمية – ١٠ سنوات فأكثر

الحالة التعليمية	القرية الرحمانية قبلى
أمى	٢٧٤١
يقرأ ويكتب	١١٧٤
ذوو المؤهلات أقل من العليا	٣٧٥
العليا	٤٠

ثانيا – هو التابعة لمحافظة قنا فى الوجه القبلى :

موقع القرية : هو قرية من مركز نجع حمادى ·

ويقع فى شمالها نهر النيل وفى الغرب قرية القمانة وفى الجنوب حدود الجبل الغربى وفى الشرق الحلفاية بحرى مركز دشنا وعدد سكانها الاجمالى ١٧١٤٦ والمساحة ١٤ر١٥٧ كم٢ ·

وفيما يلى بعض الاحصاءات الهامة عن هو

١ – توزيع السكان حسب الديانة

مسلم	مسيحى
١٥٩٤٢	١٢٠٤

٢ – توزيع السكان حسب النشاط الاقتصادى – الأفراد ٦ سنوات فأكثر

النشاط الاقتصادى	القرية هـــو
الزراعة والصيد	٢٩٤٧
المنــاجم والمحاجر	٢
الصناعات التحويلية	٥٨٧
التشييد والبنــاء	١٣٨
الكهرباء والغــاز والميــاه	١
التجـــارة	٢٩١
النقل والمواصلات	٣١
الخــــدمات	٢٤٥
الأنشطة غير الواضحة	١٣٤
ليس لهم نشــاط	٨٢٩٧

٣ ـ توزيع السكان حسب الحالة العملية ـ ٦ سنوات فاكثر

الحالة العملية	القــرية هـــو
صاحب عمل ويديره	٢٣٨
يعمل لحسابه ولا يستخدم أحدا	٩٤٨
يعمل بأجر نقـــدى	٢٤٩٧
يعمل لدى ذويه بدون أجر	٥٣٩
يعمل لدى الغير بدون أجر	٩
لا يعمل ويبحث عن عمل (متعطل)	١٦٣
غير قادر على العمل	٦١
لا يعمل ولا يبحث عن عمل	١٩٢١

٤ ـ توزيع السكان حسب الحالة التعليمية ـ ١٠ سنوات فاكثر

الحالة التعليمية	القـرية هــــــو
أمى	٣٩٧٦
يقـرأ ويكتب	٢٨٧٨
ذوو المؤهلات أقل من العليا	٨٩٩
العليــــا	٢٩٦

ثالثا ـ دمرو التابعة لمحافظة الغربية فى الوجه البحرى :

موقع القرية : هى قرية من مركز المحـــلة الكبرى وهى قرية قديمة كان اسمها دمرو الكنائس ثم بعد ذلك دمرو الحمارة ودمرو الحمام وهى على شمال ترعة القضـاية وفى الجنوب الغربى كنيسة السردوس وفى الجنــوب الشرقى قرية شـنـباس الملح وعـــدد سكانهـا الاجمـالى ٣٥٢٥ ومساحتها ٢٠٤ر٧ كم٢ .

وفيما يلى بعض الاحصاءات الهامة عن دمرو

١ ـ توزيع السكان حسب الديانة

مســـلم	مسيحى
٣٥٢٥	—

٢ - توزيع السكان حسب النشاط الاقتصادى - الأفراد ٦ سنوات فأكثر

النشاط الاقتصادى	القرية دمرو
الزراعة والغابات والصيد	٨١٧
المناجم والمحاجر	—
الصناعات التحويلية	٤٤
التشييد والبناء	٦
التجارة	٤٠
النقل والمواصلات والتخزين	٢١
الخدمات	١٣٢
الأنشطة غير الواضحة	٣
ليس لهم نشاط	٣٤٢
غير مبين	—

٣ - توزيع السكان حسب الحالة العملية - ٦ سنوات فأكثر

الحالة العملية	القرية دمرو
صاحب عمل يديره	٧٠
يعمل لحسابه ولا يستخدم أحدا	٣٠٤
يعمل بأجر نقدى	٣٤١
يعمل لدى ذويه بدون أجر	٣٤٤
يعمل لدى الغير بدون أجر	٥
لا يعمل ويبحث عن عمل (متعطل)	٨
غير قادر على العمل	٨
لا يعمل ولا يبحث عن عمل	٣٢٨

٤ ـ توزيع السكان حسب الحالة التعليمية ـ ١٠ سنوات فاكثر

الحالة التعليمية	القرية دمرو
أمى	١١٩١
يقرأ ويكتب	٧٥٤
ذوو المؤهلات أقل من العليا	٩٣
العليا	١٢

رابعا ـ الرجدية التابعة لمحافظة الغربية فى الوجه البحرى

موقع القرية : هى قرية من مركز طنطا اسمها الأصلى الراشدية ثم حرف اسمها بعد ذلك الى الرجدية ويحدها من الشمال والغرب قرية شبشير الحصة ومنشية الأوقاف ومن الجنوب قرية أخنادى الزلاقة ويبلغ عدد سكانها الاجمالى ٢١٢٠ ومساحتها ٦٫٢٩٣ كم٢ ٠

وفيما يلى بعض الاحصاءات الهامة عن الرجدية :

١ ـ توزيع السكان حسب الديانة

مسلم	مسيحى
٤٦٩٧	٢١

٢ — توزيع السكان حسب النشاط الاقتصادى والأفراد — ٦ سنوات فأكثر

النشاط الاقتصادى	القرية الرجدية
الزراعة والغابات والصيد	١٤٦٢
المناجم والمحاجر	—
الصناعات التحويلية	١١٧
التشييد والبناء	٩
الكهرباء والغاز والمياه	—
التجارة	٣١
النقل والمواصلات والتخزين	٢٣
الخدمات	١٢٢
أنشطة غير واضحة	٣
ليس لهم نشاط	٤٦٦
غير مبين	٢

٣ — توزيع السكان حسب الحالة العملية — ٦ سنوات فأكثر

الحالة العملية	القرية الرجدية
صاحب عمل يديره	٤٣٩
يعمل لحسابه ولا يستخدم أحدا	٢٣٧
يعمل بأجر نقدى	٤٥٥
يعمل لدى ذويه بدون أجر	٦٣٣
يعمل لدى الغير بدون أجر	٢
لا يعمل ويبحث عن عمل (متعطل)	—
غير قادر على العمل	٦
لا يعمل ولا يبحث عن عمل	٤٦٠
غير مبين	٣

٤ ـ توزيع السكان حسب الحالة التعليمية ـ ١٠ سنوات فأكثر

الحالة التعليمية	القرية الرجدية
امى	١٣٩٧
يقرأ ويكتب	٨٨٧
ذوو المؤهلات أقل من العليا	٧٢٨
العليا	٥٠

المبحث الثالث : نتائج الدراسة

سيتم التعرض لنتائج الدراسة فى ضوء المطالب التالية :

المطلب الأول : أثر الوسيلة الاعلامية على معلومات المواطن المصرى الريفى السياسية ٠

المطلب الثانى : أثر الوسيلة الاعلامية على المعرفة بوظائف الأجهزة السياسية فى القرية المصرية ٠

المطلب الثالث : أثر الوسيلة الاعلامية على السلوك السياسى للمواطن المصرى الريفى ٠

المطلب الأول ـ أثر الوسيلة الاعلامية على المعلومات السياسية للمواطن المصرى الريفى :

تبين من التحليل الاحصائى أن هناك علاقة طردية بين التعرض لوسائل الاعلام ومعلومات المواطن المصرى الريفى عن الأجهزة السياسية ، فعلى سبيل المثال العينات التى تعرضت لوسائل الاعلام المختلفة ازدادت معرفتها السياسية سواء عن المجلس المحلى أو مجلس المحافظة ٠ وكذلك المعرفة بمجلس الشعب اذ ذكرت العينات التى لم تتعرض لأى وسيلة اعلامية أنها سمعت عنه بنسبة ٢٠٪ بينما العينات التى تستمع الى الاذاعة

فقط أجابوا بمعرفتهم عن المجلس بنسبة ٩٠٪ أما من يملك راديو وتليفزيون فاستمع عن مجلس الشعب بنسبة ٩٨٪ بينمـــا المعرضون لكافة وســائل الاعلام ارتفعت نسبتهم الى ١٠٠٪ ٠

وظهر تأثير التعرض لوسائل الاعلام المختلفـــة عن المعرفة بالأحزاب بصورة جلية اذ أن من لا يملك أى وسيلة اعلامية أجاب بأنه لم يسمع عن الأحزاب بنسبة ٧٥٪ أما من يملك راديو فقط فانه لم يسمع عن الأحزاب بنسبة ٤٨٪ ومن يملك راديو وتليفزيون سمعوا بنسبة ٥٦٪ ولم يستمعوا بنسبة ٤٣٪ أما العينة التى تملك راديو وتليفزيون وتقرأ الصحف فقـــد أجابوا بنسبة ٧٧٪ أنهم سمعوا عن الأحزاب بنسبة ٨٥٪ وترتفع النسبة الى ١٠٠٪ بالنسبة لمن تعرضوا لكافة وسائل الاعلام ٠

المطلب الثانى - أثر الوسيلة الاعلامية المعرفة بوظائف الاجهزة السياسية فى القرية المصرية :

أظهرت الاجابات ارتبـــاطا عكسيا بين التعرض للوسيلة الاعـــلامية والمعرفة الحقيقية بوظائف الأجهزة الســـياسية فى القرية المصرية ، اذ أنه كلما تم التعرض للوسيلة الاعـــلامية كلما أجابت العينات بأن المجـــالس المحلية لا تقـــوم بأداء وظائفها بصورة ناجحـــة ، ويرجع ذلك الى تأثـــير التمثيليات والبرامج التى تناولت وظائف المجـــالس المحلية وأكدت على أن بعض العناصر التى تنتخب فى المجالس المحلية لا تقوم بأداء وظائفها بشكل جدى والبعض يعمل لنفع خاص وان كان السؤال الخـــاص بمجلس الشعب وأدائه وظائفه كسلطة رقابية على الجهاز التنفيذى أظهر نتائج مختلفة وربما يرجع ذلك الى التراث المصرى القديم فى نظرة المواطن المصرى الى الســـلطة المركزية اذ أنه رغم قانون الحكم المحلى والمجالس المحلية مازال المواطن العادى ينظر الى الأجهزة الحكومية المركزية باعتبارها مصدرة القرار بينما المجالس المحلية تتولى التنفيذ ٠

المطلب الثالث - أثر الوسيلة الاعـــلامية على السلوك الســـياسى للمواطن المصرى الريفى :

تبين من النتائج أن للوسيلة الاعلامية دورا غير أساسى فى ارتفـــاع نسبة المشاركة السياسية للمواطن المصرى الريفى ، ويظهر ذلك فى معرفة

المواطن بموعد الانتخابات الدورية لمجلس الشعب على سبيل المثال ، ومعرفته بمرشح الدائرة التى ينتمى اليها ومعرفته بأسماء الأحزاب السياسية المختلفة وانتمائه الى حزب معين ، اذ أن السؤال الخاص بموعد انتخابات مجلس الشعب فى المنطقة التى ينتمى اليها أفراد العينة أوضح أنه ليس هناك فروق جوهرية أو أساسية بين الذين يتعرضون للوسيلة الاعلامية أو لا يتعرضون . فالذى لا يملك وسيلة اعلامية تعرف على اسم عضو مجلس الشعب بنسبة ٨٠٪ ومن يملك راديو ٨٩٪ ومن يملك راديو وتليفزيون ٩٢٪ ومن يملك راديو وتليفزيون ويقرأ الصحف ٨٣٪ والمعرض لكل وسائل الاعلام بنسبة ٨٥٪ ولتفسير ذلك سئلت عينات البحث عن المصدر الذى يتلقون من خلاله معلوماتهم عن الأحداث السياسية والمركزية والمحلية فأجابت أغلبية العينات انهم يعتمدون على الاتصال الشخصى أكثر من وسائل الاتصال ، ويرجع ذلك الى نظرة الشك التى يشعر بها المواطن المصرى أحيانا ازاء السلطة السياسية والأجهزة الحكومية وان كان ذلك يصلح لتفسير أسباب الاعتماد على الاتصال الشخصى فى معرفة المعلومات السياسية ، الا أن التحليل الاحصائى أثبت أن العينة التى تستمع الى الاذاعة وتشاهد التليفزيون وتقرأ الصحف تعتمد على الصحف والمجلات فى الحصول على معلوماتها مما يظهر أن ظاهرة الشك السابق ذكرها تصلح لتفسير سلوك غير الملمين بالقراءة والكتابة بينما كلما ارتفعت نسبة التعليم لدى أفراد العينة كلما ازداد اعتمادهم على وسائل الاعلام ، وان كان قد ظهر من النتائج انه عند سؤال العينات عن معلوماتهم عن الأحزاب وموعد انتخاباتها وأسماء الأحزاب المختلفة أجابت العينات التى تعرضت لوسائل الاعلام اجابات سليمة ، وهذا عكس ما حدث عند سؤالهم عن انتخابات مجلس الشعب ووظائفه ويرجع ذلك الى دور وسائل الاعلام أثناء فترة البحث فى التركيز على حملات اعلامية عن الأحزاب .

أما فيما يتعلق بسلوك المواطن المصرى الريفى السياسى الفعلى أى مشاركته الفعلية فى الانضمام للأحزاب السياسية المختلفة فانه كلما تعرض المواطن للوسيلة الاعلامية كلما ازدادت رغبته فى المشاركة الفعلية ، وربما لا يرجع ذلك الى الوسيلة الاعلامية فقط فان من يتعرض لوسائل اعلام مختلفة ينتمى الى طبقة اجتماعية تختلف عن الطبقات التى لا تملك أى وسيلة اعلامية ، وكذلك ترتفع لديها نسبة التعليم وهذا يظهر أهمية الاحتراس فى تفسير النتائج الكمية ، اذ لابد من الاحاطة بالظواهر المختلفة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية قبل التعميم .

مناقشة نتائج الدراسة فى ضوء فروض البحث :

اولا : أثبتت نتائج الدراسة كما ظهر أثناء التعرض لنتائج الدراسة فى المبحث الثالث ان وسائل الاعلام تزاول تأثيرا قويا على المشاركة السياسية والثقافة السياسية ويرتبط ذلك بالوضع الاقتصادى والاجتماعى للمواطنين الذين يتعرضون للوسائل الاعلامية المختلفة ، على عكس العينات التى تمثل طبقات اجتماعية أقل فى المستوى الاقتصادى والتى ما زالت تعتمد على الاتصال الشخصى فى معرفتها بالأحداث السياسية .

ثانيا : فيما يتعلق بالفرض الثانى فان الدراسة كما اتضح من قبل اهتمت بالفروق بين قرى الوجه البحرى والقبلى والبعد عن عاصمة البندر الذى تنتمى اليه القرية ، وكذلك درجة التنمية التى وصلت اليها القرى . ولكن تبين من الدراسة الوصفية للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للقرى السابقة انها تتشابه تماما فى العديد من السمات ، لذا فالتعميم على مستوى الاربعة قرى ممكن علميا فكل من الرحمانية وهو ودمرو والرجدية تتصف بالزراعة كمهنة أساسية للمواطن بجانب السمات الأخرى الغالبة على الريف المصرى من وجود نسبة عالية من البطالة والأمية وهذا يوضح أيضا أن الشخصية المصرية ذات السمات المتشابهة فى الريف المصرى تجب أى ثقافات فرعية أخرى وخاصة أن البناء الاقتصادى متشابه تماما بين القرى المصرية المختلفة .

ثالثا : أثبتت الدراسة ان وسائل الاعلام تزاول أثرا كبيرا على نظرة المواطن المصرى الريفى الى هويته ، واتضح ذلك من تركيز عينة البحث فى معلوماتها على المعلومات المركزية كمعرفتهم بانتخابات مجلس الشعب أو الأحداث السياسية الهامة والأحزاب على حين أنهم عندما سئلوا عن المجالس المحلية كانت اجاباتهم تدل على عدم الثقة المطلقة فى امكانية تلك الأجهزة فى اتخاذ قرارات سياسية مستقلة ، ويرجع ذلك الى النظرة التقليدية المصرية الى السلطات المركزية منذ الفراعنة وأثناء نظم الحكم السياسية المختلفة التى مرت على مصر بجانب وجود نهر النيل كأداة ربط بين الأطراف النائية والعاصمة المركزية واحتياج القرى الدائم الى وسائل تنظيمية مركزية .

رابعا : أكدت الدراسة ان الاتصال الشخصى يزاول أثرا على المشاركة السياسية للمواطن المصرى الريفى غير المتعلم والذى ينتمى الى طبقات اجتماعية واقتصادية منخفضة بينما كلما ارتفعت نسبة التعليم وارتفع

المستوى الاقتصادى والاجتماعى للأفراد كلما ازداد اعتمـــادهم على وسائل الاعلام .

الخاتمـــة :

تعرضت الدراسة الى تأثير وسائل الاعلام على المشاركة السياسية عند المواطن المصرى مع دراسة تجريبية على عينة من الريف وانطلقت من أبعـاد أساسية للتنمية السياسية والمشاركة السياسية ، أولهـــا مفهوم السلطة وكيفية تصور المواطن الريفى لكيفية اتخاذ القرارات بصورة مركزية واتضح من النتائج أن هناك اعتمادا من المواطن المصرى الريفى على السلطة المركزية. كما أن البعد الثانى الخاص بالثقة وعدم الثقـة والشك ظهر فى شك أفراد عينة البحث من عدم قيام العديد من الأجهزة غير المركزية المحلية بواجبهـا بصورة تتجرد فيها من المصلحة الشخصية الى المصلحة العـــامة ، ويرتبط ذلك باعتقاد أفراد العينة أن اتخـــاذ القرار الحاسم ليس فى امكانيـة تلك الأجهزة وانما فى العاصمة المركزية .

وتناولت الدراسة أيضـــا قضية الهوية أى الجمـــاعات يشعر المواطن المصرى بالانتماء وظهر أن الانتماء الواضح هو الانتمـــاء القومى الذى يجب الجماعات الفئوية .

وأظهرت الدراسة أيضا أن نسبة المشـــاركة الســـياسية للمواطن الريفى المصرى ما زالت ضعيفة وهذا يتطلب دراسة أكثر شمولا وعينـــات أكبر حجما لدراسة تلك الظاهرة وخاصة أن العديد من المؤلفـــات ترى أن احدى السمات الأساسية للشخصية المصرية هى السلبية المطلقة ازاء السلطة السياسية .

ملاحظات حول المنهج والنظرية
فى بحوث المستمعين والمشاهدين

د. صلاح قنصوه*

لا يجرى البحث العلمى على طائفة من المواصفات والشروط المسبقة التى يمكن أن تثمر نتائجها تلقائيا فى أى مجال من المجالات . ولكن يسبقه أولا تحديد معالم المشكلة أو المادة المراد بحثها ، وتعيين سياقها الذى تنشأ فيه . فبالنسبة لبحوث استطلاع آراء المستمعين والمشاهدين للاذاعة والتليفزيون ، لابد أن نكون قبل كل شىء على بينة فيما نقصده من « جمهور » المستمعين والمشاهدين ، أو بعبارة أخرى ، ما هى طبيعة هذا الجمهور ؟ هل هو مجتمع له خصائصه المتميزة ، أو هو شريحة مستقلة من المجتمع العام ؟ أو أن عملية الاستماع أو المشاهدة تمثل جانبا يمكن عزله وافراده ببساطة عن سائر جوانب النشاط الفردى والاجتماعى ؟

ويبدو أن معظم البحوث والدراسات تفترض ذلك ضمنا بحيث لا يبقى أمام الباحث الا أن يهيىء مقاييسه واختباراته لقياس الرأى أو الاتجاه ازاء البرامج ، أو لقياس الأثر الناتج عنها ، وهى مقاييس واختبارات يمكن أن تزوده بها فروع علم النفس وخاصة علم النفس الاجتماعى .

وينطوى استخدام هذه المقاييس والاختبارات على افتراضين صريحين أو مضمرين :

الأول : هو أن الاتصال ، وهى هنا الاذاعة والتليفزيون ، شىء ، وأن الجمهور المستمع أو المشاهد شىء آخر ، كل منهما فى جانب .

الثانى : هو أن جمهور المستمعين أو المشاهدين ، برغم تمايز فئاته ، وأنماط استماعه أو مشاهدته ، جماعة يمكن تجريد خواصها وأذواقها بحيث لا تختلف فى مجموعها عن أى جمهور مشاهد أو مستمع فى أى مكان فى

---

* خبير أول ورئيس وحدة بحوث مناهج البحث بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية .

العالم ، فكذا فى المائة يقبلون على البرامج الفلانية ، وكذا فى المائة لا يقبلون. أى أن المستمع أو المشاهد يصبح فى نهـــاية الأمر شخصية تجريدية يمكن رسم قسماتها بالأرقام والجداول والبيانات الاحصائية • وليس القياس الكمى عيبــا أو قصـــورا بطبيعة الحال ، ولـكنه يصبح كذلك اذا أدى الى تجريد جمهور المستمعين والمشاهدين من السياق الاجتماعى والتاريخى ، والاكتفاء به بديلا عن التفسير العلمى ، وسنزيد ذلك ايضاحا فيما يلى :

فأما ما يتصل بالافتراض الأول المتعلق بطبيعة العلاقة بين وســـائل الاتصال وجمهورها فان الطرفين لا يمثلان جانبين مستقلين أحدهمـا مرسل والآخر مستقبل للرسالة بقــدر ما يمثلان طرفين على متصل Continuum واحد • هذا المتصل المشترك هو المجتمع الفعلى بنظامه السياسى والاجتماعى واتجاه حركته ، وتوزع السلطة وعلاقاتها بين فئـــاته وقواه • فالرســالة الاعلامية التى يبثها جهــاز الاذاعة والتليفزيون ويستقبلها الجمهور تصــاغ وتوجه وفقا لخطة ظاهرة أو خفية ، مشروطة بنظام المجتمع • فهل هدف الخطة التسوية بين الأذواق ؟ أو تقديم شىء ما لكل فئة ؟ أو رفع المستوى الثقافى ؟ أو توجيه الرأى العام حول محور موحد ؟ أو تعــديل آراء واتجاهات ؟ الى آخر هذه الأسئلة • ولذلك يختلف دور الاذاعة والتليفزيون ، كما يختلف دور المستمعين والمشــاهدين من مجتمع الى آخر • فهنــاك المجتمعــات الرأسمالية ، والاشتراكية ، ومجتمعات العالم النامى أو العالم الثالث •

ففى المجتمعات الرأسمالية المتقدمة نجد مجتمع « الجملة » Mass Society وهو المجتمع الذى يستجيب أعضاؤه لنفس المثير باستجابة متماثلة وبطريقة واحدة على الرغم من استقلال الواحد عن الآخر وانفصاله عنه ، وهو المجتمع الذى يراد للانسان فيه أن يكون « ذا بعـد واحد» One-dimensional man حيث تحاول بعض قوى المجتمع ذات المصلحة طمس كل مقـــاومة ومعارضة ومحاولة احتوائها فى مجتمع الاستهلاك الكبير الذى يسلم الى ضمور بعــد الرفض وارادة التغيير لحساب بعــد التوفيق والامتثال للقوى التى تســير المجتمع حسب مطالبهــا ومقاييسها التى تقوم على المثـــل الأعلى للرواج فى السوق • فتستعين بوسائل الاعلام لخلق الحاجة الى سلعها وأفكارها ــ والمعنى واحد ــ لدى أعضاء المجتمع • فيجد الفرد نفسه محاصرا بالفكر أو السلعة عن طريق الاغراء بها ، ثم الدعوة اليها ، ثم التعويد عليها • وفى سبيل ذلك تجند وسائل الاعلام لبث هذه الدعوة وتنفيـذها للتسوية بين قيم الأفراد فى قالب واحد • فالمواطن لا يعدو أن يكون مجرد عميل أو زبون • ويفضى هذا فى النهاية الى اختناق حرية الفرد فى اختيار ما يريد وتجريده من حرية

الفكر والنقد وصوغ الآراء بعيدا عن تلك المؤثرات التى تطوق حواسه وعقله طوال الوقت ٠

وفى المجتمعات الاشتراكية لم تعد ملكية الاذاعة والتليفزيون ملكية خاصة ، وبالتالى لا يأتى الربح فى مقدمة أهدافها أو مجرد الترفيه والسطحية والاثارة أو مقاومة التغير الاجتماعى لحساب أهداف خاصة لفئات أو طبقات معينة ٠ بل هناك ايديولوجية شاملة تربط بين خطة الدولة وبين أوسع فئات المجتمع ، هى التى تتبناها الاذاعة والتليفزيون ، وكل وسائل الاتصال الرسمية وغير الرسمية ٠ وبذلك تدخل الاذاعة والتليفزيون عنصرا من بين عناصر أخرى تتكامل معا فى تحقيق الهدف من الرسالة الاعلامية ٠ وبذلك يكون الاعلام فى المجتمعات الاشتراكية اعلاما مخططا ، متكاملا ايجابيا ، ستهدف تغييرا عميقا ، ومخططا بدوره ٠

أما مجتمعات العالم الثالث أو المجتمعات النامية فليس من الانصاف أن نضعها جميعا فى سلة واحدة ٠ فهى تختلف فيما بينها وفقا لمرحلة النمو التى بلغتها ، ولتاريخها الحضارى ، ونظامها السياسى ، ودرجة وضوح ايديولوجيتها ٠ وينعكس هذا على وضع الاذاعة والتليفزيون سواء من ناحية الأهمية أو الدور الذى تتجه الدولة لهما ، أو من جهة الهدف أو الوظيفة ، وهذا من شأنه أن يؤثر بالتالى فى محتوى برامجهما ورسالتهما ، وموقف الجمهور منهما ٠ ففىالبلدان النامية الاشتراكية تستخدم الاذاعة والتليفزيون كمثير أساسى لخلق الوعى بالحاجة الى التنمية والتغيير ، وابتعاث الطموح توطئة لارضائه بخطط التنمية ، وتعديل بعض القيم والاتجاهات التى تعوق نجاح التنمية ٠

بينما لا تنتهج البلدان النامية غير الاشتراكية خطة متماثلة فى توجيه الاذاعة والتليفزيون وقد يغلب على برامجها الترفيه فى غيبة الايديولوجية الموحدة ٠

ولا ريب أن يكون لهذا التباين والتفاوت فى طبيعة « المتصل » الذى يضم معا طرفى وسائل الاعلام من جهة ، والجمهور المستمع أو المشاهد من جهة أخرى ، وهو المجتمع العام الفعلى بقواه الاجتماعية والسياسية ، واتجاه حركته ، نقول ، لا ريب أن يكون لهذا الاختلاف أثره فى اجراءات البحث العلمى على آراء المستمعين والمشاهدين ٠

ويمكن أن تصنف هذه البحوث بوجه عام الى :

١ - بحوث لقياس الرأى والاتجاه نحو الاذاعة والتليفزيون وبرامجها٠

٢ ــ بحوث لقياس الأثر الذى تنتجه الإذاعة والتليفزيون وبرامجها ٠

٣ ــ بحوث تجمع بين كليهما ، وهى بحوث يغلب عليها طابع التقويم ٠

والواقع أن البحوث المتعلقه بالجمهور المستمع أو المشاهد ليست ترفا علميا ، بل هى ضرورة لاستكمال وظيفة وسائل الاتصال أو الاعلام ٠ وذلك لأن الاتصال الاعلامى ليس اتصالا شخصيا يتم وجها لوجه بحيث يكون مزدوج الاتجاه ذهابا وجيئة بين المرسل والمستقبل ، بل هو أقرب الى أن يكون موجها من طرف واحد ٠ وبذلك لا يتيسر تعديله والمشاركة فيه عن طريق ما يسمى فى السبرنطيقا Cybernetics بالتغذية المرتدة Feedback التى تجمع بين التعليمات والسلوك المطلوب فى نسق ونظام يتبادل التأثر والتأثير ٠ ولهذا فان بحوث جمهور المستمعين والمشاهدين Audience Research ينبغى أن نقوم بديلا عن هذه العملية الجوهرية ٠

ولابد لهذه البحوث ــ وشأنها فى ذلك شأن أى بحث علمى ــ أن تحقق وظائف المنهج العلمى وهى : الوصف ، والتفسير ، والتنبؤ ، والتحكم Control أى التوجيه والتأثير ٠

غير أنه يبدو أن معظم هذه البحوث فى هذا الصدد قد وقفت عند مجرد الوصف ولم تتحرك خطوة نحو سائر الوظائف ٠ بل انها قنعت فى وصفها باستخدام المنهج التجريبى المباشر Empirical Research ٠ ، وهو المنهج الذى يعتمد على المثل القائل « من اليد الى الفم » بمعنى أن نتائج استخدامه لا يتجاوز فائدتها نطاق العينة أو الجمهور المطبق عليه البحث فى مكان وزمان محدودين ، لا تتجاوزه الى أية تعميمات أوسع يمكن أن تفيد الباحثين أو القائمين بالتخطيط فيما بعد ٠ فهل يمكن أن نبلغ شيئا ذا قيمة من مجرد التعرف على تفضيلات الجمهور بالنسبة للرسالة الاعلامية الفعلية ؟ هل يمكن أن نقف على أذواقه الحقيقية من استطلاع الآراء ؟ اننا نعرف كما يؤكد علماء النفس أن هناك مسارب كثيرة للتحيز Bias بصدد الرسالة الاعلامية بوصفها أحد المثيرات أهمها التعرض الانتقائى للرسالة ، والاستبقاء (التذكر) الانتقائى ، وكذلك الادراك أو تشويه الادراك الانتقائى ٠ وبالتالى فان اجابات الجمهور لا يمكن أن يعتمد عليها فى رسم صورة صادقة موضوعية لتفضيلاته وأذواقه ، ولابد أن تساندها أساليب منهجية أخرى ، كذلك تتعذر معرفة أذواق الجمهور ازاء البرامج ، قبلها وبعدها ، لتعذر الفصل بين المثير والاستجابة لأن تأثير وسائل الاتصال تعمل إلى جانب مؤثرات ثقافية

واجتماعية أخرى فى تشكيل هــذه الأذواق • كما لا يسهل الوقوف على أثر الاذاعة والتليفزيون وبرامجها النوعية على فئات الجمهور لأنه ، كما قدمنا ، لا يمكن عزل مؤثر واحد تماما عن سائر المؤثرات فى سياق اجتماعى وثقافى شديد التعقيد • والتأثير المراد بحثه لا يتشــكل فى وقت قصــير بل يمتد تكوينه عبر زمان طويل بحيث يصعب قياس الأثر فى مدة وجيزة ، هـــذا فضلا عن تداخل المؤثرات الأخرى •

ونظرا لقلة المتغيرات Variables لتى يقام بينها معاملات الارتباط فى بحوث المستمعين والمشاهدين مثل السن والنوع والمهنة وما أشبه من جهة ، وتفضيلات البرامج من جهة أخرى ، فانها لا تكفى فى تحديد معالم فئـــات الجمهــور وكشف أبنيته Structures الرئيسية فيمــا يتعــلق بوسائل الاتصال • وبالتالى لا تسمح لنا بتفسير مقنع •

ونجد مصداقا لهذه المحاذير فى بحث فرانز فانون « الثــورة الجزائرية فى عامها الخامس أو أثر الثورة فى المجتمع » (١٩٥٩) حيث عقد فصلا عن الاذاعة فى الجزائر قبل الثورة وأثناءها • فقد كانت اجابات الجزائريين عن السبب فى مقاومتهم لاقتنــاء جهـــاز الراديو والاستماع الى راديو الجزائر الفرنسى هو أن احتمال حدوث الضحك فى حضرة رب الأسرة أو الأخ الأكبر والاستماع جماعة لكلمات الغــزل والأحاديث الطائشة يحــدث فى وسط الأسرة توترات لا يمكن احتمالها ، وتجاوزا لا يمكن التسامح فيه •

فيعد هذا مستوى معينا من التفسير ، ولكنه ليس هو التفسير العميق للظاهرة • فقد أفادت السلطات من هذا التفسير السطحى وقسمت الارسال بحسب اهتمــامات الأسرة وتكوينها فــكان بعض البرامج يستهدف الرجال وبعضها يستهدف النساء ، وهكذا •• ولم يكن هـــذا علاجا ناجحا • حتى اشتعلت الثورة فاقبل الناس ع لىشراء أجهزة الراديو والاستماع اليهــا • اذن فثمة سبب عميق آخر هو أن الراديو الفرنسى فى الجزائر كان يمثــل سلطة المستعمر وقيمة صوته المقتحم للأسرة الجزائرية فى صميم خصوصيتها ولكن مع الثورة أقبل الجزائرى على الاذاعة ليسمع أصواتا أخرى بهدف حماية ذاته وتجنبا لما يعتبره منــاورات كاذبة من رجل الاحتـــلال وأكاذيبه التى يطلقها عما يسميه بالتمرد ، وكان لابد له أن يستمع الى اذاعات أخرى تذكر له حقيقة ما يجرى من أحــداث الثورة وليستمع الى تعليماتها ويهــرع الى تنفيذها • فعندما أنشىء « صوت الجزائر » كان ذلــك ردا من الجزائرى على اعلام العـــدو باعلامه الخـــاص • وهنا كان الاقبـــال على الاستماع واقتناء

الأجهزة . لذلك فان الباحث الذى كان يتحرى اجابات مرضية فى المرحلة السابقة على الثورة لم يتوصل الى تبديد جهله اذ كان يجب أن تؤخذ جميع الأعذار والتبريرات المقدمة بأقصى درجة من الحذر . ويبقى اذن ألا يتوقع على مستوى الاختبار أو القياس التجريبى المباشر الحصـــول على تفسير معقول للموقف واتجاهاته الراهنة .

ولا يعنى هذا استحالة الاعتمـاد على بحوث المستمعين والمشاهدين من الوجهة العلمية ، ولكنه يعنى استحالة انفصال هذه البحوث عن سائر نتائج البحث فى فروع العلو مالاجتماعية والتـــاريخ . فليس ثمة نظرية علمية خاصة يمكن أن تستقل بها بحوث المستمعين والمشاهدين . ولابد أن ترتبط بكافة المتغيرات الاجتماعية والسياسية والتاريخية لبلوغ مســتوى عميق من التفسير الـذى يعتمد عليه التنبؤ بالاتجاهات والسلوك وبالتـالى بامكانيات التحكم فيه وتوجيهه . ويمكن أن يضاف الى هذا اجراء الكثير من البحوث العملية أو التوجيهية Action Research التى تعرض بالدراسة لبرامج يخطط عمدا ليكشف البـاحث عن مـــدى كفاءته وفاعليته ، أو يتعرف على ما ينبغي أن يصنع لسد حاجة بعينها لا يمكن أن يقف المخطط ازاءها مكتوف اليدين ترقبا لنتائج بحوث نظرية بعيدة المدى . ويمكن أن تسهم فى ذلك الى حد ما نوادى الاستماع والمشاهدة الجماعية .

وبعبارة أخرى ، فان ما يروج له كثيرا هذه الأيام من علم يطلقون عليه « علم الاتصال » Communicology ، ليس علما مستقلا ، ولا يمكن له أن يكون كذلك ، اذا ما نظرنا الى الملاحظات السابقة بعين الاعتبار . فهو يشبه من الوجهة المنهجية والنظرية علما آخر هو « علم الاجرام » Criminology الذى يشتغل به باحثون ينتمون الى علوم متعددة ، مثـــل علم النفس وعلم الاجتماع ، والطب النفسى فضلا عن القانون . فهو ومعه « علم الاتصال » « مجال للبحث » تتوافر عليه علوم متعددة أكثر من كونه علما مستقلا بأهدافه وموضوعاته ومناهجه . والنظر الى علم الاتصال بوصفه « مجالا للبحث » يتيح الفرصة لدراسة ظاهرة الاتصال فى سـياقها الاجتماعى والنفسى والسياسى والتاريخى على وجه أوفر دقة وأكثر عمقا مما لو انفرد به تخصص مزعوم يجرد تلك الظاهرة من أبعادها الحقيقية ، وتعقيداتها الفعلية .

التوافق والتكيف الشخصى والاجتماعى
لدى أطفال الملاجىء « اللقطاء »**

اعداد : مهـا الكردى*

مقـــدمة

ان البيئة المحيطة بالفـــرد تؤثر ولا شك فى تكوين شخصيته ، فاذا كانت البيئة الأولى (الأسرة) سوية أو عادية فان الطفل ينشـــأ فى وسط سليم نوعا ما وبالتالى يســـتطيع أن يتكيف مع البيئة الخارجيـــة بمعدلات طبيعية ٠

وهذا لأن الأسرة ، وهى الخلية الأولى فى المجتمع ، لها دور فعال فى تكوين الشخصية ٠ فاذا كان الطفـــل يحس بالأمن والطمـــأنينة فى منزله فسيظهر هذا الأمر بالضرورة فى معاملاته الخارجية مع الأفراد المحيطين به ٠

أما اذا كانت البيئة غير سوية وغير طبيعية أو صناعية فان هذا ينعكس بلا شك على الطفل عند اختلاطه بالبيئة الخارجية ٠

ونحن نعنى هنا أن ينشأ الطفل بين أم وأب طبيعيين لكى يشعر بالأمن والثقة ، لأنه من الممكن أن يولد الطفل بين أم وأب بالفعل ولكنهما فى الواقع غير متوافقين وغير راضيين عن حيـــاتهما معـــا مما ينعكس على معـــاملاتهما لأطفالهما وذلك « لأن فاقد الشىء لا يعطيه » ٠

اذن فليس من الضرورى أن يولد الطفل فى بيئة تتكون من الأم والأب فقط لكى ينشأ سويا وطبيعيا ، ولكن الأهم من ذلك هو اعطاء الطفل الحنان والحب والطمأنينة والثقة ٠

فاذا كان هذا هو حال الطفل فى وسط مفروض انه سوى (بين الأم والأب) فماذا اذن عن الأطفال الذين ينشأون فى الملاجىء والمؤسسات ؟

---

* باحث مساعد بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ٠

** دراسة استطلاعية ميدانية اجريت سنة ١٩٧٦ ٠

ان هـذه المؤسسات تحاول تقـديم كل الرعاية اللازمة للأطفـال كى لا يشعروا بأنهم يعيشون فى بيئة صناعية غير طبيعية وهذا لأن الطفل الصغير حساس (بطبعه الرقيق) الى كل ما يدور حوله — لذا فان المشرفات على هذه البيوت والمؤسسات يتم اختيارهن وفق أساليب معينة كى يستطعن تعويض الطفل الصغير عما فقده بدون ذنب ارتكبه لكى يولد ويعيش فى ظل هذه الظروف القاسية ٠

وكما نعلم ان هـذه المؤسسات تجمع بين الأطفـال اللقطاء « غير الشرعيين ، مجهولى الأب والأم » والأطفال الأيتام « فاقدى الأب فقط أو الأم فقط أو الاثنين معا » ولكن نسبة الأيتـام الى اللقطاء صغيرة نوعا ما اذ أن أكثر الملاجىء تضم معظم الأطفال اللقطاء ٠

والطفل اللقيط أو اليتيم الذى لا يجد الرعاية الكافية يشـعر بأنه وحيد ومنبوذ من المجتمع فينعكس هذا بشدة عليه ويتحول الى فرد عدوانى لا تهمه القيم أو القوانين ٠

ونستطيع أن نقول ان البيئة المحيطة بالطفل ينبغى أن تمتـاز بالهدوء والطمأنينة لكى ينعكس ذلك فى معاملاته الخارجية فكما يقـول « بروير » Brower ان الطفل الذى لم يتعلم الحب فى منزله يستحيل عليه بعد ذلك أن يصدق الآخرين أو أن يثق فيهم ثقة تامة ٠ فهو قد أوذى وتعرض للألم ولا يريد أن تتكرر معه مثل هذه الخبرات المؤلمة ٠ فمن لدغ مرة يخاف العقارب بعد ذلك وان فاقد الشىء لا يعطيه ،

المشكلة واهميتها :

ان شعور الطفـل بأنه يتمتع بحب أبويه وأسرته وبأنه مرغوب فيه من زملائه ، ويتمنون له الخير أمر مهم جدا بالنسبة له ٠

فان الطفل الذى يشعر بحقوقه كفرد فى المجتمع بالطبع سيحاول أن يعرف واجباته ويؤديهـا على أحسن وجهه ٠ لأنه لو أحس بأنه غير مرغوب فيه (وخاصة أطفال الملاجىء والمؤسسات الذين عادة يشعرون بأنهم منبوذون من المجتمع ليس لذنب اقترفوه ولكن يؤخذون دائمـا بذنب أبويهم اللذين بلا رحمة تركوهم لذنب ارتكبوه هم أنفسهم) ٠ فان هـذا الطفل يصبح عضوا فاسدا فى المجتمع أو يصبح على الأقل بلا دور على الاطلاق كأن ينطوى

على نفسه وينعزل ويظل سلبيا ، ومن الممكن أن يكون مع أقرانه جماعة من الأقلية تقترب من بعضها جدا وتبتعد عن المجموع ٠

ان هذه المشكلة تمثل ولا شك جانبا مهما فى حياتنا لأن نسبة هؤلاء الأطفال وخاصة اللقطاء ليست صغيرة بل كبيرة نسبيا ، فان احصاءات وزارة الشئون الاجتماعية تشير الى ازدياد أعداد هؤلاء الأطفال كل عام ٠

وكما يقول « ايريكسون Erikson » فى كتابه « الطفولة والمجتمع » The child and society ان أول وأهم أزمة فى حياة الانسان هى (أزمة الثقة) crise of trust ٠ فما لم توضع بذور هــذه الثقة فى علاقة الطفل بالأم فان البداية تكون ضعيفة وغير موفقة ٠ وقد يتعذر على الطفل بعد ذلك أن يثق فى الآخرين المحيطين به أو فى العالم الخارجى من حوله » ٠

وقد أنشئت الملاجىء والمؤسسات التى تأوى الأطفــال المشردين كى تعوضهم عما فقدوه ويصبحوا نافعين للمجتمع بدلا من أن يصبحوا ضــده Anti-society وقد ركزت هذه المؤسسات على دور الأم دون الأب ٠ فان المشرفة تكون بمثــابة أم للطفل لأن الأم هى الأساس الأول وأنه ينظر للمجتمع من خلالها ٠ لذلك اذا كانت قاسية تبدلت نظرة الطفل وتحول الى فرد عدوانى ضد المجتمع ويكون فى الأغلب من الجانحين ما لم يحس بوجوده وقيمته فى المجتمع ٠

لذلك فان هذه المشكلة تشكل أهمية كبيرة فى مجتمعنا أو فى أى مجتمع آخر أيضا ، لأنها تمس الأطفال وهم نواة أى مجتمع لأنهم اذا شبوا أسوياء

يكونون نافعين لمجتمعهم ٠

كذلك نتســاءل : هل الطفــل الــذى يحس بأنه غــير مرغــوب فيه ومنبــوذ يكون غير متوافق ولا يتكيف مع الآخــرين ، ولا يستطيع أن يتعرف على الصواب والخطأ ؟ وهل يؤدى هذا النبذ الى تكوين جماعات الأقلية وتكوين اتجاهات التعصب العنصرى ؟

لذلك نريد معــرفة أثر البيئة الصــناعية أو غير الطبيعية (الملاجىء والمؤسسات) فى ظهور مشكلات التوافق والتكيف الشخصى والاجتمــاعى ٠ بمعنى : هل أطفال الملاجىء والمؤسسات يعانون من سوء التوافق بمقارنتهم بالأطفال العاديين الذين يعيشون مع ذويهم ؟

هدف البحث :

يهدف هذا البحث الى اعطاء صورة للطفل المتوافق ، بمعنى : الى أى مدى يشعر الطفل بذاتيته ورضـائه عن نفسه وخلوه من أعراض وعلامات الانحراف النفسى · فنحاول تقديم :

١ ــ صورة للتكيف الاجتماعى الذى يتضمن عدة نواح تعبر عن علاقات الطفل الاجتماعية مثل اتباعه للمستويات الاجتماعية واكتساب العـادات والقيم وعدم وجود ميول مضـادة للمجتمع وعلاقاته المدرسية وعلاقاته فى بيئته المحـلية ، والى أى مدى يقوم الطفل بوظيفته كعضو فى المجتمع الذى يعيش فيه ومدى توافقه مع المعايير والمستويات السلوكية الاجتماعية ·

٢ ــ تقـديم صـورة للتكيف الشخصى للطفل من ناحية اعتمـاده على نفسه وشعوره بقيمته الذاتيـة ، ومدى شعوره بحريته وشعوره بالانتمـاء ومدى تحرره من الانطواء والميل الى الانفراد والانعزال ، وخلوه من الأمراض العصبية · وذلك لكى نصل الى التوافق أو التكيف العام للطفل ·

٣ ــ مقارنة الطفل العادى (الذى يعيش وسط آمه وأبيه) والطفل اللقيط (الذى يعيش فى الملجأ) لكى نعطى صورة لتوافقه وتكيفه الشخصى والاجتماعى ·

٤ ــ الخروج بفروض عن التوافق والتكيف لدى أطفال الملاجىء والأطفال العاديين (بحث استطلاعى) ·

*** التعريفات الاجرائية :**

(أ) مفهوم التوافق Adjustment

على الرغم من أن مفهوم التوافق من أكثر المفـاهيم شيوعا واستخداما فى علم النفس وعلم الاجتماع على السواء الا أنه مع ذلـك استخدم للتعبير عن معان متعددة · ويرجع ذلك الى أنه يستخدم للتعبير عن عملية process وحالة state فى نفس الوقت · فهو **عملية** لأنه يتضمن نوعا من النشـاط الذى تثيره متطلبات أو حاجات معينة يتـلاءم الكائن عن طريقها مع البيئة المحيطة به · كما أنه **حالة** لأنه يستخدم أيضا فى الاشارة الى النتيجة النهائية لمثل هذه التعديلات والأنشطة التى توصل اليها الكائن(١) ·

---

(١) طه ، فرج : قراءات فى علم النفس الصناعى ·

كذلك يرتبط معنى التوافق بفكرة الاندماج الاجتماعى • فالتوافق يتم بواسطة الفرد على نحو يجعله قابلا للانتماء الى جماعة معينة أما الاندماج فيتحقق بواسطة الجماعة نفسها عندما تقبل انضمام عضو جديد اليها •

ويتوقف التوافق على التغيرات التى تلحق بالفرد والتى تعتبر فى ذات الوقت شرطا لاندماجه فى المجتمع وقبول الفرد داخل المجتمع • أى أنه لاندماجه فيه يجب أن يشترك الفرد مع أفراد هذا المجتمع فى قدر معين من القيم والأفكار والاتجاهات •

فالتوافق اذن عملية بين طرفين :

(١) البيئة الاجتماعية • (٢) الفرد نفسه •

وهما يتبادلان التأثير والتأثر بحيث لا يستطيع الفرد أن يغير فى المؤثرات الاجتماعية التى يتعرض لها لكى تصبح أشد ملاءمة لمطالبه وأن يعدل من مطالبه وحاجاته لكى يوائم بينها وبين هذه المؤثرات • فالهدف من التوافق هو ايجاد توازن بين حاجات الفرد ومطالب البيئة « فالتوافق يتضمن خفض التوتر الذى تستثيره الحاجات Needs. فاذا تحقق خفض التوتر بدون تورط فى توتر ذى درجة معادلة أو أزيد من الخطر اعتبر التوافق مرضيا[١] » •

فان جميع ما نقوم به من سلوك ما هو الا محاولة ناجحة أو فاشلة لخفض التوتر وتحقيق التوافق المطلوب •

أما سوء التوافق Maladjustment فانه ينشأ عندما تكون الأهداف ليست سهلة فى تحقيقها ، أو عندما تشبع بطريقة لا يوافق عليها المجتمع ، وكثير من جوانب سوء التوافق لا تحقق اشباعا بالكلية •

وقد عرف يونج K. Yong التوافق بأنه « المرونة التى يشكل بها الكائن الحى اتجاهاته وسلوكه لمواجهة مواقف جديدة بحيث يكون هناك تكامل بين تعبير الكائن عن طموحه وتوقعاته ومتطلبات المجتمع » •

---

(١) نفس المرجع السابق •

كذلك أشار فلويد البورت F. Alport فى كتابه علم النفس الاجتماعى الى أن الشخصية هى استجابات الفـــرد المميزة للمثيرات الاجتماعية وكيفية توافقه مع مظاهر البيئة الاجتماعية ٠

ولكن مع ذلك هناك عوامل تحول دون احتفاظ الفرد بهذا التوازن مما يؤدى الى سوء التوافق ومن أمثلة هـــذه العوائق الاحباط Frustration بمعنى احباط رغباته وعـدم اشباعها والصراع conflict أى اثارة دافعين أو أكثر ولا يمكن اشباعهما معا ٠

وهنـــاك ما يسمى بالتـكيف التعويضى Substitude Adaptation او كما يعرف « بميكانيزمات التوافق Adaptation Mechanisms ٠ ويأخذ صورا متعددة ٠ فهو أحيانا عن طريق الكبت Repression أو تجاهل مشاعر القلق وهى شـائعة وأحيـــانا أخـرى عن طريق الاسـقاط Projection بأن يلصق بالآخرين السمات والدوافع التى تمثل صراعا ذاتيا لديه ٠ أو عن طريق التبرير Rationalization أو عن طريق النكوص Regression بأن يرتد الى مرحلة سابقة أو عن طريق الازاحة Displacement وغيرها من أساليب وحيل الدفاع(١) ٠

فان هذه الحيل « المحاولات اللاشعورية للفـرد لكى يحمى نفسه مما يهـــدد تكامل الأنا لديه ولكى يخفف كذلك من التوتر والقلق الناجمين عن الاحباطات والصراعات التى لم تحل(٢) » ٠

والحقيقة أن بعض هذه الحيل تساعد فى محاولات الفرد للتوافق فقـــد تأخذ أشـكالا بنـاءة مثـل التعويض أو الاعلاء Sublimation أو التوحد بالأقوى Identification ٠ ولكن من ناحية أخرى فان الاعتماد على الحيل الدفاعية كوسـائل لحل الاحبـاط أو الصراع يعتبر شـكلا ذاتيا شـاذا فى التوافق ٠

واننا عادة ما نجد أن سوء توافق الفرد فى ميـــدان معين قد انعكس تأثيره على غيره نتيجة لوحدة الكائن الحى ٠

وبالنسبة للطفل « فأن التـوافق لديه يظهـر فى صـــورة مشـاركة اجتماعية والاندماج وسط الجماعة والتفوق ٠٠٠ الخ ٠

---

(١) فرويد ، أنا : الأنا وميكانيزمات الدفاع ٠

(٢) نفس المرجع ٠

أما سوء التوافق فيظهر فى الابتعاد عن الآخرين والانطواء والانعزال أو العدوان الشديد Aggression

وان الطفل الذى يحرم فى سنته الأولى من حنان الأم ولا يجد بديلا يقوم مقامها ويعوض حنانها يتأثر تأثرا كبيرا واضحا ولفترة طويلة من الزمن وربما استمر ذلك طول حياته(١) ·

(ب) التكيف الشخصى Personal Adaptation

ونعنى به الاعتماد على النفس · أى ميل الطفل للقيام بما يراه من عمل دون أن يطلب منه ذلك ودون الاستعانة بغيره ، كذلك قدرته على توجيه سلوكه دون أن يخضع لأحد غيره وهذا لكى يؤهله للاعتماد على نفسه وتحمل المسئولية فى الكبر · كذلك يعنى شعوره بتقدير الآخرين له وبأنه قادر على النجاح ومقبول من المجتمع وفى استطاعته اختيار أصدقائه بنفسه ·

(ج) التكيف الاجتماعى Social Adaptation

ان الفرد يستطيع أن يدرك حقوق الآخرين وموقفه حيالهم وضرورة اخضاع رغباته لحاجات الجماعة ، ويظهر مودته نحو الآخرين ولا يعانى من صعوبة التعامل مع الغرباء ولا يكون أنانيا وخاليا من الأعراض العدوانية ويشعر بالسعادة مع أقرانه وجيرانه ويحترم العلاقة بينه وبين الوسط الذى يعيش فيه ويكون محبا للآخرين مساعدا لهم(٢) ·

(د) اللقيط Enfant trouvé

أى الطفل مجهول الأب والأم والذى يعيش اما فى بيوت التبنى أو المؤسسات الاجتماعية والملاجىء ·

*** الأبحاث والدراسات السابقة :**

١ ـ دراسة جولد فارب **Farb** قام بدراسة مجموعتين من المراهقين الذين أبعدوا عن أمهاتهم منذ الشهور الأولى من الحياة وقد عاشت المجموعة الأولى فى بيوت تكفلهم وترعاهم رعاية طيبة بينما عاشت المجموعة الثانية فى مؤسسات وملاجىء وقد ظلوا بها فترة طويلة من الزمن ·

---

(١) غنيم ، محمد سيد : سيكولوجية الشخصية ·

(٢) المليجى ، عبدالمنعم : النمو النفسى للطفل ·

وقد كشفت الدراسة عن وجود فروق دالة بين المجموعتين ليس فقط فى القدرات العقلية بل أيضا ظهرت لديهم (المجموعة الثانية) أعراض الحرمان العاطفى(١) ٠

٢ ـ أشارت مرجريت ريبل Ripple فى مقالها عن خبرات الطفولة وعلاقتها بنمو الشخصية الى أهمية الدور الذى تقوم به رعاية الام ٠ فأوضحت أن صغار الأطفال الذين لا يجدون رعاية مناسبة أو الذين يفتقدونها فجأة تظهر لديهم أعراض المرض النفسى ، فقد يصبح الفرد منهم سلبيا أو تظهر عليه بعض أعراض (السلوك الاكتئابى) ٠

أما السلبية فتتركز حول الفم فى صورة رفض الرضاعة والطعام ، أو قد ترتبط بفقد الشهية أو العجز عن تمثيل الطعام ٠ كما قد تظهر فى كثير من الوان السلوك والنشاط على نحو ما يتضح فى رفض الطفل مشاركة الآخرين العابهم ونشاطهم(٢) ٠

٣ ـ فى دراسة قام بها ستوت "Stott" حول العلاقة بين توافق الشخصية والموقف الأسرى لأطفال بيئات مختلفة وجد ميلا ملحوظا الى أن الأطفال الذين هم فى بيوت يرحب فيها الآباء بأصدقائهم ويقضون معهم أوقاتا طيبة يشاركونهم أفراحهم يكونون أكثر توافقا من الناحية الشخصية وأكثر نجاحا من الناحية الاجتماعية(٣) ٠

*** العينة والأدوات :**

أولا ـ العينة Sample

تتكون من مجموعتين :

(أ) عينة تجريبية Experimental

(ب) عينة ضابطة Controlled

خصائص عامة :

روعى فى اختيار العينة التماثل من حيث المرحلة العمرية والدراسية (المدرسة والفصل) والنوع والعدد ٠

---

(١) غنيم ، محمد سيد : سيكولوجية الشخصية ٠

(٢) نفس المرجع ٠

(٣) انستازى ، أنا : سيكولوجية الفروق الفردية ٠

والفرق الوحيد هو طبيعة الوسط ، بيئة طبيعية (أطفال يعيشون بين الأم والأب الطبيعيين) وبيئة غير طبيعية (أطفال ملاجىء لقطاء) ·

(أ) خصائص العينة التجريبية :

١ ـ السن (٩ سنوات)

٢ ـ السنة الدراسية (الفصل الرابع الابتدائى ـ مدرسة صلاح الدين الابتدائية المشتركة) ·

٣ ـ النوع (ذكور) ·

٤ ـ العدد (١٠ أفراد) ·

٥ ـ من أطفال الملاجىء (S.O.S.) [١] ·

(ب) خصائص العينة الضابطة :

١ ـ السن (٩ سنوات) ·

٢ ـ السنة الدراسية (الفصل الرابع الابتدائى ـ مدرسة صلاح الدين الابتدائية المشتركة) ·

٣ ـ النوع (ذكور) ·

٤ ـ العدد (١٠ أفراد) ·

---

(١) اختيرت العينة من اطفال الـ S.O.S. وهى قرية للاطفال أنشئت حديثا تحت رعاية ادارة ألمانية لايواء الأطفال غير الشرعيين والأيتام واللقطاء وتحاول ادارة القرية تقديم الرعاية الكافية للاطفال · اذ أنهم يقيمون فى (شقق) كل (شقة) تضم اما ترعى (٩ اطفال من أعمار مختلفة) · وتقوم باعمال الأم الطبيعية فى المنزل ويشترط عند اختيار الأم أن تكون غير متزوجة (آنسة ـ مطلقة ـ أرملة) · والجدير بالذكر أن هؤلاء الأطفال يعيشون حياة طبيعية ويتلقون تعليمهم فى المدارس الحكومية العادية · وقد كانت عينة البحث من مدرسة صلاح الدين الابتدائية المشتركة لان اطفال القرية كانوا يدرسون فى نفس المدرسة لذلك اخترنا العينة الضابطة منهم · وقد ركزنا على اختيار الأطفال اللقطاء وتم الحصول على اسمائهم من ادارة القرية دون علم الأطفال نظرا لحساسية الموقف لديهم ·

وذلك لأنه لا يوجـــد فى الفصل الدراسى سـوى ١٠ أطفـــال فقط من الـ S.O.S.

ثانيا – الأدوات

تم استخدام اختبار الشخصية للأطفـــال اعـــداد « د٠ عطية محمود هنا » وهو يناسب الأطفال من سن ٩ سنوات الى ١٢ سنة ومن الممكن تطبيقه فرديا وجمعيا ٠ وفى بحثنا هذا تم تطبيقه فرديا نظرا لأن الأطفــــال كانوا يحتاجون تفســـير وشرح بعض الفقرات ولا يستطيعون الاجابة بمفردهم على محتويات الاختبار ٠

يهدف الى تحديد أهم نواحي شخصية الطفل فيما عـــدا الاستعدادات العقـلية والتحصيل الدراسى والمهـارات التعليمية والمهنية التى يكتسبونها سواء فى الأسرة أو المدرسة ٠

وهـــذا الاختبار أعـــد ليناسب البيئة المصرية قد أخـذ عن اختبـار « كاليفورنيا للأطفال » وهو الاختبـار الذى وضعه « ثورب » L. Thorpe و « كلارك » W. Clark و « تيجز » E. Tiegz.

وقد ظهرت النسخة الأولى من هذا الاختبار سنة ١٩٣٩ ثم أعيد نشره بعد ذلك عدة مرات مع تعديلات وجد من الضرورى ادخالها عليه ٠

ويتميز هـــذا الاختبار بأنه يكشف عن عدة نواح من شخصية الطفل يمكن أن يطلق عليهـا (التكيف العـــام) كما يمكن أن نجملها فى قسمين رئيسيين (التكيف الشخصى) و (التكيف الاجتماعى)

* التحليل الاحصائى

تم استخدام اختبار « ت » T. Test للكشف عما اذا كان هناك فروق بين المجموعتين فى

١– الفرق بين المجموعتين فى التكيف الشخصى ٠

٢ – الفرق بين المجموعتين فى التكيف الاجتماعى

٣ – الفرق بين المجموعتين فى التكيف العام ٠

* النتائج وتفسيرها :

اولا - التفسير الكمى للنتائج :

١ - بالنسبة (للتكيف الشخصى)

وضحت النتائج الاحصائية أن الفرق بين المجموعتين دال احصائيا عند مستوى ٠٥ر (٢٦ر٢) وغير دال عند مستوى ٠١ر (٢٥ر٣) وذلك لأن « ت » تساوى (٥٩ر٢) • (ان الفـرق ليس جوهريا بين المجموعتين فى التكيف الشخصى) •

٢ - بالنسبة (للتكيف الاجتماعى)

وجد أن الفرق بين المجموعتين دال احصائيا عند مستوى ٠٥ر ومستوى ٠٢ر لأن « ت » تساوى (١٢ر٤) • (ان الفرق جوهرى بين المجموعتين فى التكيف الاجتماعى)

٣ - بالنسبة (للتكيف العام)

وجد أيضا أن الفرق بين المجموعتين دال احصائيا عنـد مستوى ٠٥ر ومستوى ٠١ر لأن « ت » تساوى (٧٠ر٣) (ان الفرق جوهرى بين المجموعتين فى التكيف العام) •

ثانيا - التفسير الكيفى للنتائج :

بالنسبة لتحليل النتـائج من الناحية الكيفية وجد أن الفـروق بين المجموعتين سـواء فى التكيف الشخصى أو الاجتمـاعى أو العـام واضحة نوعا ما • وان كان هناك ملاحظة بأن « أطفال القرية » يحاولون دائما اخفاء مشاعرهم الحقيقية عند محاولة التقرب منهم • فاذا ما حاولنا تحليل النتائج على مستوى « التكيف الشخصى (بين المجموعتين لوجدنا أن بعض (أطفال القرية) يحاولون دائما الظهور بمظهر الاعتماد على النفس وبأنهم يستطيعون توجيه سلوكهم دون الاستعانة بغيرهم ، وعنـدهم قدر من تحمل المسئولية (نظرا لأنهم يعلمون تماما حقيقة نشأتهم اذ أن ادارة القرية تنبههم الى ذلك منذ البداية) وبالطبع فان هذا التصريح يكون رد فعله ذا وجهين فانهم اما أن يحاولوا الاعتماد على النفس واما أن يترددوا ويبتعـدوا عن المجتمع مكونين جمـاعة من الأقلية • وبالنسبة للأطفـال الذين يعيشون بين ذويهم فانهم

يستطيعون أيضا الاعتماد على النفس وتوجيه سلوكهم ولكنهم يتميزون عن أطفال القرية بأن لديهم قدرا من الثبات الانفعالى ٠

كذلك الشعور بتقدير الآخرين نجده واضحا (في المجموعتين) وبأنهم قادرون على النجاح ٠ وذلك لأن المحيطين بهم يظهرون لهم ذلك دائما فى كل وقت ٠ ولكن نجد أن (أطفال القرية) لديهم الشعور أو الاحساس الداخلى بعدم الأمان وبأنهم مقبولون من الآخرين بالقوة وهذا الاحساس غير موجود لدى الأطفال العاديين ٠

ويشعر الطفل العادى بقدر من الحرية فى أن يخرج ويلعب مع جيرانه أو أصدقائه ، بينما يشعر « طفل القرية » بأنه لابد أن يلعب مع أقرانه من نفس القرية سواء في القرية نفسها أو اذا خرجوا في الرحلات وحتى فى المدرسة أيضا قليلا ما نجدهم يلعبون مع الأطفـــال الآخرين ٠ اذ أن لدى بعض هؤلاء الأطفال قدر من العـدوانية الزائدة (سواء فى المدرسة أو فى القرية) أو الانطواء ٠ ومن ناحية أخرى يشعر أطفال القـرية بأن هنـــاك خصائص مشتركة تجمعهم ولكن ينقصهم الشعور « بالانتماء » الذى يوجد بصورة ملحوظة فى الأطفال العاديين ٠ وبالطبع من الممكن أن نلاحظ قدرا من العدوانية في الأطفال العاديين ولكن ليس بهذه الصــورة الملحوظة لدى الآخرين ٠

وبالنسبة لبعض الأمراض العصابية كعدم القـــدرة على النوم بسبب الأحلام المزعجة أو الخوف أو الشعور المستمر بالتعب أو البكاء الكثير وغير ذلك ٠٠ تظهر بصورة واضحة لدى أطفال القرية أكثر من الأطفال العاديين اذ أن منهم أيضا من يعانى من مثل هذه الأعراض ٠

وفيما يتعـلق (بالتكيف الاجتماعي) توجـــد فروق بين المجموعتين اذ أن (أطفال القرية) كما قلنا ســابقا أكثر ميلا للعدوان من الأطفـــال العاديين ويظهر ذلك فى صـــورة كثرة المشاحنات والمنـازعات مع الآخرين والتخريب نتيجة لأنهم يجدون صعوبة فى الاعتراف بالمستويات الاجتماعية والمواقف حيال الآخرين٠ كذلك يدرك (طفل القـــرية) صعوبة اخضاع بعض رغباته لحاجات الجماعة وأنه يضطر لقبول أحكام الجمـاعة التى يعيش فيها رغما عنه ٠ وهذا لا يعنى أنه لا يوجد عدوان لدى الطفل العادى ولكن بصـــورة أقل اذ أنه يدرك حقوقه وحقوق الآخرين بسهولة كذلك يعـــرف ما هو الصــواب والخطـأ ويظهر مودته بسهولة نحو الآخرين وباللبــاقة فى معاملاته مع أقربائه والغرباء بينما مع (أطفال القرية) توجد بعض الصعوبة

فى التعامل مع الغرباء ، كذلك يظهرون المودة بشىء من الخوف والتردد ولديهم مزيج من الانعزال الانفعالى ·

وبالطبع فان نواحى البيئة التى يعيش فيها الفرد تلقى ضوءا كبيرا على سلوكه العام المقبل · اذ أن البيئة غير الطبيعية التى يحيا فيهـا الطفل فى (قرية الأطفال) تجعله يميل الى الانطواء والانعزال ، ومثل هذا الطفل قد يستبدل النجاح الواقعى بالنجـاح التخيلى أو التوهم وما يستتبعه من تمتع جزئى غير دائم · ويؤدى هذا الخوف من المجهـول الى بعض الأعراض أو المظاهر التى تشير الى الانحراف النفسى كالأحلام المزعجة وعدم القدرة على النوم وما شابه ·

خاتمـــة :

بعد اجراء الدراسة الاستطلاعية نستطيع الخروج بالنـــتائج الآتية : وهى أن أطفال « قرية الأطفال » الـ S.O.S. أقل تكيفا من الأطفال الذين يعيشون بين أم وأب طبيعيين بالنسبة للتكيف الشخصى والاجتماعى والعام· وأن محاولة غرس بعض القيم فى نفوس هؤلاء الأطفال تلقى مقاومة نظـــرا لأنهم يشعرون بشدة بعـــدم الأمن والخوف لأن أهلهم تركوهم بلا أى ذنب ارتكبوه وبأنهم معاقبون من المجتمع نفسه الذى يحاول آن يفرض عليهم قيما معينة · لذلك فان الواجب علينا تقديم كل العون لهم وبالأخص من الناحية النفسية والاجتماعية وليست الناحية المادية فقط · فاذا ما استطعنا الكشف عن مدى تكيف الطفل وتوافقه مع المشكلات والظروف التى تواجهه والى أى مدى ينمو الطفل نموا سويا من الناحية الشخصية والاجتماعية يمكننا اذن تحـــديد الأنمـــاط المختلفـــة لتكيف الأطفـــال فى المرحـــلة الأولى من التعليم سواء مع أنفسهم أو مـــع غـــيرهم (المحيطين بهم) ، وبذلك يمكن للمدرس أو المشرف أو المرشـــد النفسى أن يحدد النقـــاط الرئيسية التى تحتاج الى نوع من الاهتمام والرعاية ، وهنا نستطيع أن نغرس فى نفوسهم القيم والعادات السليمة بحيث يشبون صـــالحين نافعين لأنفسهم ولمجتمعهم فى نفس الوقت ·

صدر حديثا تقرير بحث

« تقويم وسائل الأعلام فى الريف »

البرامج الريفية بالاذاعة

الذى اجرته وحدة بحوث الرأى العـــام والأعـــلام ٠ وتتكون هيئة البحث من :

الأستاذ الدكتور السيد خيرى مشرفا
الدكتورة ناهد صالح
الدكتور عبد الباسط عبد المعطى
الأستاذ عبد المعز عبد الرحمن
الدكتور محمد فرغلى
الدكتور صفوت فرج
الدكتورة نادية سالم
الأستاذة انعام عبد الجواد

وكتب التقرير الدكتورة ناهد صالح ٠

دور المثقفات المصريات فى التغير الاجتماعى

(بحث اجتماعى - تاريخى)

الدكتورة : سامية حسن الساعاتى*

تمهيـــد :

قبل البدء فى تناول دور المثقفات المصريات فى التغير الاجتماعى يجدر بنا تحديد المفهومات الأساسية فى هذا البحث .

فالدور يمكن تعريفه على أنه السلوك المتوقع من شخص يشغل مركزا معينا ولكل دور متطلباته وخصائصه . فمن ناحية نجد أن هناك توقعات من الأفراد لسلوك شخص يشغل مركزا ما (وهذه التوقعات تكون مشروطة ومتأثرة بالمعتقدات الشائعة)، ومن ناحية أخرى نجد أن هناك قواعد سلوكية تنمط سلوك الشخص الذى يحتل مركزا معينا(١) .

والدور فى نظرنا هو مجموعة مواصفات تحـــدد ما ينبغى أن يفعله الشخص كشاغل مركز معين على مســـتوى المجموعة الصغيرة ، أو المجتمع الـكبير . وهـــذه المواصفات قد يضعها للشخص المجمـــوعة الصـغيرة ، أو قد يحددها له المجتمع الـكبير فى شكل معـــايير وقيم ، أو قد يرسمها الشخص نفسه لنفسه ، متخذا فى هذه الحالة صورة توقعاته هو نفسه عن متطلبات هذا الدور المتصل بمركز معين .

ويشتمل تحليلنا الاجرائى المتكامل للدور على ثلاثة تعريفات فرعية :
الدور المعيارى Normative role ، ونقصد به مجموعة المواصفات أو المتطلبات النابعة من المجتمع أو من الثقافة بعامة ، والتى ترسم للأشخاص

---

* أستاذ علم الاجتماع المساعدة - لكلية الآداب - جامعة عين شمس .

(١) International Encyclopedia of the Social Sciences, 1971, Vol. 13.

أدوارهم فى حدود مراكزهم المتباينة · والقيم هنا جزء لا يتجزأ من هـذه المواصفات ·

الدور المتوقع Expected role ، وهو مجمـوعة من المواصفات التى يتطلبها الأنا من الآخر (والعكس صحيح أيضا) فى موقف تفاعل يتـأثر بالثقافة الفرعية لكل منهما ·

الدور الوظيفى Functional role ، وهو الدور الفعلى ، أى سلوك الدور فعلا أو أداؤه · وهو يؤدى وظيفة التوافق مع الثقافة العامة أو الفرعية المجموعية أو الجماعية Group or Communal قد يتمشى الدور الوظيفى مع الدور المعيـارى ، والدور المتوقع ، وقد لا يتمشى مع أحدهما أو كليهما ، كمـا أنه قد يسايرهما بدرجات متفاوتة(١) · وسـوف ينعكس تحليلنا الاجرائى السالف الذكر على رؤيتنـا لدور المثقفات المصريات فى التغـير الاجتماعى كما سنرى فى الصفحات القادمة ·

أما المثقفات المصريات فأقصد بهن **تلك الصفوة من المتعلمات فى مصر** ، وبخاصة أولئك اللائى تبنين موقفا ثوريا تجديديا ، من الأفكار والتقـاليد السائدة فى مختلف مجالات العـلم ، والأدب والفن والسياسة ، وغيرها ، وهؤلاء فى الغالب جزء من الطبقة الوسطى(٢،٣) ·

ويقصد بالتغير الاجتماعى أنواع التطور التى تحدث تأثيرا فى النظام الاجتماعى أى التى تؤثر فى بناء المجتمع ووظائفه · وما دام الانسان كائنـا اجتماعيا ، فان التغير الاجتماعى معناه التغير الانسانى ، وكل تغير فى المجتمع

---

(١) أنظر سـامية حسن السـاعاتى ، الدور الوظيفى للخريجين فى الأسرة المصرية ـ رسالة دكتوراه غير منشورة ـ جامعة القاهرة ، ١٩٧٢ ، ص ٩٠ ـ ٩٥ ·

(٢) استخدم تعبير المثقفون Intelligentsia فى روسيا فى منتصف القـرن الماضى ، وكان يطلق على الصفوة المتعلمة التى تلقت تعليمها فى الجامعات الاوروبية الغربية على الخصوص أو فى الجامعات الروسية الحديثة · وكانت الكلمة تطلق على من صموهم « زبدة الصفوة » وهم الكتاب والنقاد الأدبيون وأساتذة الجامعات والعلماء ، ثم أصبحت تطلق على رجال القانون والمعلمين ، ثم على وجه الخصوص الأطباء · ولما كانت الدكتاتورية سائدة فى روسيا آنذاك ، واستمرت سائدة حتى سنة ١٩٠٥ ، وكانت حرية الرأى مقيدة طيلة هذه الفترة ، فقد امتـد معنى الكلمة ليشمل كل من يعارضون سياسة روسيا السياسية والاجتماعية من المتعلمين ·

وانتشرت الكلمة من روسيا الى كل جهات أوربا الغـربية وكذلك بعض الدول الشرقية كالهند الصينية والهند ومصر · فمثلا فى مصر ، كان الكتاب الاجانب يشيرون منذ سنة ١٩٠٠ على الخصوص الى دور « المثقفين » المصريين فى السياسة ، نقاسم امين وسعد زغلول وعمـر

ينعكس أثره على الانسان بالضرورة(١) . وقد شغل الاجتماعيون المحدثون بمسألة ضبط عملية التغير الاجتماعي والتحكم فيها وتوجيهها فى اتجـاه يحقـق أماني المجتمع وآماله وظهـر اصطلاح التنميـة Development ليعني ذلك الكل المعقد من الاجراءات والعمليات المتتالية المستمرة التى يقوم بها الانسـان للتحكم بقـدر ما ، فى متضمنات واتجاهات التغير الثقـافى والحضـارى فى مجتمع من المجتمعـات وكذا فى سرعته بهدف اشـباع حاجاته(٢) .

خلاصة القول أن هذا البحث ينصب على الدور الفعلى الذى قامت به المثقفات المصريات وأثر هذا الدور فى التغير الاجتماعي وبخاصة فى عملية التنمية التى تهدف الى نقل المجتمع المصرى من مجتمع تقـليدى الى مجتمع متقدم فى أساليب الانتاج وفى العـلاقات الاجتماعية . وجدير بالذكر أن الدور الفعلى للمثقفات المصريات كان كثـيرا ما يتعارض مع الدور المعيـارى الذى حددته لهن الثقافة المصرية الـ Total Egyptian Culture ومع الدور المتوقع أى فكرة الرجل عنها ، وتوقعاته منها .

لطفى ، ومصطفى كامل .. وغيرهم من أبناء ذلك الجيل كانوا يعـدون من الصفوة المثقفة . وفى الدول العربية انتشرت الكلمة لتعنى « صفوة صـغيرة » من الكتاب والشخصيات المثقفة الكبرى .

ولقـد أصبحت تلك « الصفوات » فى كل بلد أوربى ، وكانها تـكون جسما أو هيئة واحدة ، ولها تاثيرها الضخم فى الشـئون السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى بلدها ، وكان لهذه الصفوات أماكن تشهد ندواتها مثل الحى اللاتينى فى فرنسا ، أو بار اللواء وغيره من الأماكن التى كانت منتديات للصفوة المصرية ابان هذا القرن .

وتجب الاشارة الى أن صفوة المثقفين هذه لا تكون طبقة مقفلة عليها بل هى عادة جـزء من الطبقة المتوسـطة ، وليس ثمـة فعواصل قاطعة ، أو محددة بينها وبين الطبقـة المتوسـطة عموما ، كما انه ليس ثمة فواصل بينها وبين طبقة أصحاب المهن الحرة ، اذ لوحظ أن الصفوة تنشأ دائما مع طبقتها ، وتظل تشـعر دائما بشعورها ، ولا تفصل تفكيرها عن تفكير تلك الطبقة .

(٣) معجم العلوم الاجتماعية ، تصدير ومراجعة دكتور بيومى مدكور ، اعـداد نخبة من الأسـاتذة المصريين والعـرب المتخصصين ، الهيئـة المصرية العـامة للكتاب ، ١٩٧٥ ، ص ٥١٤ — ٥١٥ .

(١) المصدر نفسه ، ص ١٦٥ .

(٢) أنظر عبدالمنعم شوقى ، مفهـوم التنمية : صياغة محـددة للمشكلة (بحث غير منشور) مؤتمر علم الاجتماع والتنمية فى مصر ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة (٥ — ٨ مايو ١٩٧٣) .

ولابد لأى بحث من اطار زمنى تدور فى فلكه أهم أحداثه وحقائقه وسوف نقصر بحثنا على دور المثقفـــات المصريات فى التغير الاجتماعى فى مصر فى العصر الحديث ، ونقصد **بالعصر الحديث** السنوات التى مرت منـــذ أواخر القرن التاسع عشر حتى الآن ٠

دور المثقفات المصريات وحركة تحرير

المرأة فى المجتمع المصـــرى الحديث :

رؤية تحليلية :-

ان اسهـام المثقفـات المصريات الحقيقى فى عمـلية التغـير الاجتماعى وبالذات فى عملية التنمية لا يمكن تتبع مساره الا من خلال خروج المصريات الى العمل خارج بيوتهن وتكسبهن ، وذلك بعد تعلمهن فى مختلف مراحل التعليم ، وتحررهن فكريا بالتدريج ٠

ان دور المثقفات المصريات هو الوجه الآخر للعملة لقضية تحرير المرأة المصرية ، ولما كانت قضية المرأة ترتبط الى درجة كبيرة بالتغير الجذرى فى النظام الاقتصادى من حيث تشغيل النساء فى شتى المجالات وفى نطـــاق واسع ، فانه لابد من القول بادىء ذى بدء أن نمو الصناعة فى مصر لم يأخذ شكل ثورة صناعية أو انقلاب صناعى كذلك الذى حدث فى انجلترا مثلا ، فى القرنين الثامن عشر والتـاسع عشر ، وانما بالتـدريج البطىء أحيـــانا والسريع نسبيا أحيانا أخـــرى كما حـدث فى الخمسينات والستينات من سنوات ثورة ٢٣ يوليو ٠٠ وعلى الـرغم من ذلك فان النمو الصناعى فى مصر وبخاصة فى اطار سياسة التصنيع التى أخذت بها الدولة بعد سنوات قليلة من بدء الثورة (١٩٥٢) ، كان له كثير من الآثار المماثلة لتـلك التى ظهرت فى كثير من الدول الأوربية التى حدث فيها الانقلاب الصناعى ، ذلك الانقلاب الذى نجم عنه أهم ظاهرة اجتماعية فى العصر الحديث ، وهى ظاهرة خروج المـــرأة الى العمل ، لأن عملهـــا خارج بيتها لم يعفها من أداء دورها الرئيسى فى الأسرة ، بل انه أضاف الى هـــذا الدور دورا هاما ، هو دور التكسب من العمل ، الـــذى كان من قبل وقفــا على الذكور وحدهم دون الاناث ٠ وقد واكب هذه الظاهرة ظاهرة أخرى أشـــد أثرا - فى رأينا - فى قضية تحـــرير المرأة ، تلك هى تعليمهـــا فى مختلف مراحل التعـليم وتحررها الفكرى بالتدريج ٠

لقد كانت هذه الظواهر الثلاث وهى تعلم المرأة ، وتحررها واشتغالها

هى المسئولة عما صار يعرف « بالانقلاب النسوى » الذى امتاز به القرن العشرون ، والذى ظهرت آثاره واضحة للعيان فى كل مكان ٠

ومما لا شك فيه أن تعليم المرأة فى جميع مراحل التعليم بما فى ذلك مرحلة التعليم العالى فى المعاهد والجامعات ، هو الذى دفع عجلة التغيير النسوى فى مصر دفعة قوية ، ذلك لأنه أوجد عند المرأة وعيا واضحا بذاتها ومركزها ومكانتها ، ودورها فى المجتمع بعامة ، وفى الأسرة بخاصة ٠

وقد ترتب على تحرير المرأة ، تخلصها تدريجيا وبدرجات متفاوتة من سيطرة الرجل وسلطان التقاليد ، والحرمان السياسى الذى كان مفروضا عليها ، كما ترتب عليه أيضا تشغيلها فى مختلف المهن المتخصصة سواء ما كان منها صناعيا ، أو زراعيا ، أو تربويا ، أو طبيا ، أو تشريعيا ، أو تنفيذيا أو غير ذلك من المهن التى كان يعتقد أنها وقف على الرجل وحده ٠

وقد كان ذلك فى الوقت نفسه مصاحبا لظاهرة الحد من الفروق الطبقية ، لأن التعليم وبخاصة التعليم العالى أتيح أول ما أتيح لبنات الطبقات المتوسطة ثم الراقية ٠ وما أن انتشر تعليم الفتيات بين هاتين الطبقتين حتى انتشرت من بعد ذلك ظاهرة اشتغالهن بشتى المهن خارج بيوتهن ٠

ونجم عن ذلك أن الفجوة التى كانت تفصلهن عن فتيات الطبقة الدنيا العاملات أخذت تضيق شيئا فشيئا على مر السنين ، وذلك للتفاعل الاجتماعى الحادث فى المجتمع الجديد ، الذى دفع بكل من الطبقة الدنيا من جهة والطبقتين العليا والوسطى من جهة أخرى ، الى التقارب الى درجة كبيرة فى مستوى وسيط هو مستوى الطبقة العاملة أى الطبقة الدنيا المتطلعة الواعية ، ذلك لأنه لا يمكن انكار أن التقدم الاجتماعى الاقتصادى الحديث فى كل المجتمعات المتقدمة ، قد أدخل على الطبقة الوسطى والطبقة العليا ، مظاهر معينة كانت لحقب كثيرة تعد من خصائص الطبقة العاملة أى الطبقة الدنيا وحدها(١) ٠ ومن بين هذه الخصائص اشتغال نساء الطبقة الوسطى

---

(١) كان هناك تردد كبير فى نشر تعليم الفتاة فى مصر ، وفى اتاحة الفرصة لخروجها للعمل ، وبخاصة فى سنوات ما قبل الحرب العالمية الأولى) ذلك لأن العلم فى أول الأمر ، كان ينظر اليه الكثيرون على أنه ليس بذى قيمة أو أى نفع للمرأة ، بل انه كان يخشى منه فى أن يصرفها عن قيامها بدورها فى بيتها ، الذى لم يكن يتصور عندئذ أنه كان يستغنى عنها؛

بالوظائف الكاسبة ، أى التى تدر دخلا منتظما ذا قيمة يعتمد عليه ، وذلك نتيجة ضعف ثم تلاشى ظاهرة توريث المرأة دخلا ثابتـــا من أرض زراعية أو عقار ، أو استثمار مال معين • وهى ظاهرة كانت شائعة ان لم تكن عامة ، بين أسر الطبقتين العليا والوسطى • وهكذا حل محل ظاهرة تأمين مستقبل المرأة على هـــذا النحو ، تعليمها فى مختلف مراحل التعـــليم وتوظيفها ، وقد أصبح هذا النظام الجديد من الأنظمة الشـــائعة فى النسق الاجتماعى الشامل فى المجتمع المصرى الحديث •

أما تحرير المـــرأة الـــذى تمثل فى مساواتها بالرجل فيمـــا يتعلق بممارسة حق الانتخاب فقد كان ثمرة تعليمها ، وخروجها للعمل واشتغالها بشتى الوظائف •

وجدير بالذكر أن ما حدث من تغير نتيجة لخروج المرأة المصرية المتعلمة المتخصصة الواعية من بيتها للعمل فى مختلف ميادين الانتـــاج والخدمات يشبه ما حدث للمرأة فى المجتمع الغربى الحديث ، ولكن مع تفاوت فى الدرجة والشدة •

خلاصة القول أننا نود أن نوضح أن تعليم المرأة فى مصر فى العصر الحديث وبخاصة التعليم العالى المتخصص كان هو مفتاح تحررها وانهضتها ووعيها ، والدليل على ذلك أن رائدات التحرر فى مصر كن — كما سنرى — من المثقفات المتعلمات الواعيات •

فى تدبر أى شـــان من شئونه • هـــذا فضلا عن أن خروج المـــرأة للعمل كان اهانة لرب الأسرة ، لأنه دليل على عجزه عن اعالة أسرته • ولهذا لم تكن تخرج للعمل الا المرأة الفقيرة أو التى فقدت عائلها • وكانت فى هذه الحالة تعمـــل وهى مجبرة ، ومتأثرة فى قرارة نفسها بالقيم المسيطرة على المجتمع حينئذ ، وهى ان الفقر مذلة والعمل مهـــانة ، فتعمل وهى غير راغبة فى عملها ، وتتمنى طول الوقت حظها وظروفها • ولذلك تختـــار من العمل ما تستطيع اداءه وهى محجوبة بقـــدر الامكان عن الناس مثـــل الخدمات الشخصية التى تزاولها داخل المنازل ، وفى نطاق ضيق محدود وبطريقة غير منتظمة ، تحت اشراف ربات البيوت • كذلك كان لظهور بعض الصناعات ، كصناعة الغزل والنسيج والأطعمة ، ودبغ الجلود ، أثر ملحوظ فى اتاحة الفرصة لبعض النساء للخروج الى العمل فى المصانع ، لا من قبيل التحرر فى الفكر ولكن انتهازا لفقرهن وحاجتهن للعمل ، واستغلالا لطاقتهن الانتاجية بأجور زهيـــدة ، لتحقيق الكسب الكبير لأصحاب الأعمال من الرأسماليين •

(الباحثة)

دور المثقفات المصريات فى التغير الاجتماعى فى مصر فى العصر الحديث :

تحليل تاريخى :

أعقب انفتاح مصر الحضارى على أوربا أثناء الحملة الفرنسية وما بعدها فى عهد محمد على ، والذى أحدث تغيرات جذرية هامه فى البناء الاقتصادى المصرى (الغاء الالتزام وظهور الملكية الخاصة فى الأراضى الزراعية ، ونشأة احتكار الدولة) أن بدأ الصراع بين الاتجاهات التقليدية القديمة ، والاتجاهات العصرية التجديدية ٠

ولا يمكن لنا أن نعرض لدور المثقفات المصريات فى التغير الاجتماعى فى مصر ، فى العصر الحديث ، بمعزل عن هذا الصراع الفكرى بين اتجاهين جد متعارضين :

أولهما : اتجاه تقليدى قديم راسخ ذو جذور ضاربة فى أعماق المجتمع ويستمد قوته من الأشكال التقليدية لعلاقات الانتاج التى سادت مصر زمنا طويلا ٠

ثانيهما : اتجاه عصرى تجديدى عبر عنه عدد من المثقفين والمستنيرين ابتداء من رفاعة الطهطاوى الى على مبارك وجمال‌الدين الأفغانى ، ومحمد عبده ، وقاسم أمين ، ومنصور فهمى ، ولطفى السيد وطه حسين وغيرهم ٠

وقد كانت صورة المرأة المصرية التقليدية السائدة حتى حوالى أوائل القرن العشرين ، هى صورة الأم التى تهتم بشئون البيت ، ورعاية الزوج والأطفال ، كما كانت سيدة المنزل المحجبة التى يعولها زوجها ، ويتكفل بمطالبها ، ويجنبها الخروج ولو لشراء لوازمها الشخصية ، أمل كل فتاة ومثلها الأعلى ، ويكفى أنه كان من أرفع آيات التكريم للمرأة أن يشار اليها حينئذ بأنها « السيدة المصونة والجوهرة المكنونة » وفى اطار هذه التقاليد والقيم ، كان الجهل ، والأمية ، والحجاب ، فى التوارى عن أنشطة المجتمع ، حال الأغلبية العظمى من النساء والفتيات ٠

أما من أتيحت لهن فرص الذهاب الى المدارس ، فكن أقلية ، وكانت أغلبيتهن من بنات الطبقة المحدودة الدخل ، اللاتى أقبلن على التعليم الحكومى الموجود حينئذ والذى‌انحصر فى عدد محدود من المدارس الأولية والابتدائية ،

ومدارس اعداد المعلمات ، والممرضات بغية تعلم مهنة شريفة تساعدهن على كسب العيش ، ولذلك كانت أولى الوظائف التى عملت فيها المرأة المصرية هى مهنة التوليد والتمريض ثم مهنة التدريس[١] ٠

وكان أول عهد الفتاة بالتعليم فى مصر عندما أنشأ محمد على مدرسة الولادة عام ١٨٣٢ كاحدى الأجهزة التى أنشئت فى ذلك العهد لخدمة الجيش والعاملين فيه وعائلاتهم ٠ أما التعليم الرسمى للبنات فلم يبدأ الا عام ١٨٧٣ ، متأخرا عن تعليم الفتى بنحو أربعين عاما عندما افتتحت المدرسة السيوفية للبنات ٠ الا أن هذا التعليم سبقه وواكبه أنواع أخرى من التعليم للفتاة تمثلت فى التعليم الذى أنشأته الجاليات الأجنبية ، والارساليات الدينية ، والطوائف غير الاسلامية (المسيحية واليهودية)، الا أن هذه اقتصرت على تعليم فئات قليلة وطبقات معينة من المجتمع هى الطبقات العليا والدنيا ، أما غالبية فتيات الأسر من الطبقات المتوسطة فلم يكن لها مكان فى التعليم القائم حينئذ الا فى الكتاتيب ٠

غير أن هذه الأوضاع ، وتلك القيم المحافظة التى كانت تستحسن الحجاب ، وتستهجن الخروج للعلم والعمل ، لم تظل طويلا على ثبوتها بل أخذت تتزعزع من جذورها ، بفضل ما كان يتردد فى جو المجتمع من صدى للصيحات المتكررة التى كان أطلقها رواد الفكر المتحرر ، ودعاة التجديد والاصلاح وفى مقدمتهم رفاعه رافع الطهطاوى[١] ٠ الذى عبر عن آرائه التحررية فى كتابيه (تخليص الابريز فى تلخيص باريز) و (المرشد الأمين فى تعليم البنات والبنين) ونادى فى كتابه الأول برفع سن الزواج الى خمس وعشرين سنة حتى يمكن للمرأة أن تتعلم ، ونادى فى كتابه الثانى بوجوب تعليم الفتاة وبين عدم تعارض هذا التعليم مع التشريعات الاسلامية ٠

ثم جاء بعده الشيخ محمد عبده[٢] الذى وصل الى منصب مفتى الديار المصرية ، والذى دعا الى ضرورة تعليم المرأة ، وتحسين ظروفها الاجتماعية ، واعتبر ذلك أمرا جوهريا فى برنامج النهوض بالمجتمع ، وأيد آراءه ببيان مركز المرأة الممتاز فى الاسلام ٠

---

(١) انظر سامية حسن الساعاتى ، دور المرأة فى المجتمع المصرى الحديث - المجلة الاجتماعية القومية ، عدد خاص عن المرأة ، سبتمبر ١٩٧٥ ، المجلد ١٢ ، ص ٩٩ ٠

ولم تتوقف صيحات التجديد والاصلاح ، بنهاية القرن التاسع عشر بل امتدت الى القرن العشرين بمجيء قاسم أمين(٣) الذى جدد دعوة كل من رفاعه الطهطاوى ، والشيخ محمد عبده ، ووسع نطاقهـا ، ونشر كتابيه « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » ودافع فيهما عن تعليم البنات وتحريرهن من رق الجهل ، وشقاء الحجاب مبينا أن النساء والرجال فى المجتمع شقان لا يتعارضان ونصفان متكاملان ، وان بقاء النساء فى الجهل معناه تعطيل لانتاج نصف المجتمع بل للمجتمع كله ٠ كما دعا بشدة الى الأخـذ بأيدى النساء واعدادهن ليشتغلن مثل الغربيات بالعلوم ، والفنون الجميلة ، والآداب ، والتجارة ، والصناعة ، ليستطعن كسب معاشهن بدلا من بقائهن عالة على الرجال(١) ٠

وتعد الكاتبة الاجتماعية والشاعرة ملك حفنى ناصف التى اشتهرت باسم « باحثة البادية » واضعة الحجر الأساسى لدور المثقفات المصريات فى التغير الاجتماعى ، فقد استفادت هذه السيدة بالجهود التى بذلها المثقفون الرجال ، رواد تحرير المرأة الذين أشرنا اليهم ، وفى مقدمتهم جهود قاسم أمين ٠ وقد كانت ملك حفنى ناصف تمتاز بثقافتها العربية العريضة واجادتها فى الوقت ذاته اللغتين الانجليزية والفرنسية ، وسـعة اطلاعها على كثير مما كتب فى الموضوعات الاجتماعية وقد نبغت ملك حفنى ناصف فى التأليف الى حد أن لطفى السيد قال ان كتابتها صورة الكاتبات العربيات اللائى تفوقن على كثير من الكتاب الرجال(٢) ٠ ولم تكن باحثة البادية أول كاتبة فحسب ، بل كانت أيضا أول خطيبة جمعت النساء ، وخطبت فيهن لتوعيتهن ، وحثهن على المطالبة بحقوقهن ، وكانت تنادى بالتعليم الالزامى فى المرحلة الأولى ، وفتح آفاق العلم أمام الفتاة ، ومساواتها بالفتى ، كما كانت تناشد الرجال أن يعزفوا عن الأساليب الرجعية ، والتزمت فى معاملـة نسـائهم ، حتى يستطعن تنشئة الأجيال الجديدة على الحرية ٠ وقد توفيت سنة ١٩١٨ ٠

ثم دخلت الحياة العامة للمرأة ، خلفا لباحثة البادية فى حمل الشعلة

---

(١) ولد سنة ١٨٠١م وتوفى سنة ١٨٧٧م ٠

(٢) ولد سنة ١٨٤٩م وتوفى سنة ١٩٠٥م ٠

(٣) ولد سنة ١٨٦٥م وتوفى سنة ١٩٠٨م ٠

(١) أنظر قاسم أمين ، تحرير المرأة ، ص ١٩ ـ ٢٠ ، ٥٦ الى ٩٢ ٠

وأنظر أيضا قاسم أمين ، المرأة الجديدة ، ص ٣٢ الى ٤٢ ٠

(٢) درية شفيق وابراهيم عبده ، تطور النهضة النسائية ، القاهرة ، مكتبة الآداب ، ١٩٤٥ ، ص ١٢ ٠

التدفية رائدة منقفة أخرى هى السيدة هدى شعراوى(١) التى كانت تنادى بتعليم المرأة ومساواتها بالرجل ، وبخاصة فى الحقوق السياسية · واتاحة الفرصة لها كى تعمل وتؤدى واجبها نحو الوطن ، كما كانت ترى « ان الاستقلال السياسى لا يقوم ولا يؤمن عليه الا بالاستقلال الاقتصادى(٢) ولقد عززت قولها بالعمل ، فأنشأت أول مصنع للفخار والزجاج الراقيين فى روض الفرج بالقاهرة ، ونادت بترويج الصناعات الوطنيه النافعة وشجعت الجمعيات النسائية الموجودة حينئذ على تعليم الفتاة نسج السجاد وأشغال الحياكة والتطريز ، وهكذا يتقن مهنة تدر عليهن الكسب فضلا عن شغل أوقات فراغهن بطريقة نافعة ·

وقد تميزت هدى شعراوى بالشجاعة فى الدفاع عن آرائها والعمل من أجل المبادىء التى تقتنع بها ، وركزت جهودها فى الاتحاد النسائى · وقد أجرت اتصالات بسيدات أجنبيات ودعتهن الى القاهرة لالقاء محاضرات عن المرأة وحقوقها ، ومشاكلها · وكانت أول من رفع الحجاب ، وأول من نظم مؤتمرا نسائيا عربيا عام ١٩٣٨ للدفاع عن قضية فلسطين(٣) ·

وكانت مصر تجتاز بعد الحرب العالمية الأولى ، محنتها الأولى وتصارع من أجل الحصول على الاستقلال وكانت هذه المحنة هى الفرصة الأولى ، التى استطاعت فيها المرأة المصرية بعامة والمثقفة المصرية بخاصة، أن تظهرقدرتها على الاسهام فى حل مشكلات وطنها جنبا الى جنب مع الرجل وبدرجة لا تقل عنه وكسبت المرأة المصرية وقضيتها تأييدا كبيرا من رجال الفكر والسياسة نخص بالذكر منهم سعد زغلول الذى كان يرى أن التربية السياسية للنساء يجب أن تعدها الشعوب كأول دور من أدوار الحضارة(١) ·

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن نذكر ثالثة الرائدات المثقفات من المصريات اللائى كان لهن دور فعال فى التغير الاجتماعى فى مصر ، وهى المجاهدة صفية زغلول(٢) زوجة الزعيم سعد زغلول ، التى شاركت سعدا فى كفاحه الوطنى ، وكانت له نعم الزوجة المخلصة ، ونعم الصاحب المعين ، وقد خلفت سعدا فى اذكاء روح الأمة وشحذ عزائمها بعد نفيه مما أرغم المستعمرين على

---

(١) ولدت هدى شعراوى سنة ١٨٩٧ وتوفيت ١٩٤٧ ·
(٢) مجدالدين حفنى ناصف ، تحرير المرأة فى الاسلام ، ص ٣٦ ·
(٣) المرأة فى مصر ، وزارة التعليم العالى ، ١٩٧٥ ، ص ٣٤ ·
(١) مجدالدين حفنى ناصف ، المصدر السابق ، ص ٣٧ — ٣٨ ·
(٢) ولدت فى ١٦ يوليو ١٨٧٦ ، وتوفيت فى يناير ١٩٤٦ ·

السماح لها أن تذهب حيث تشاء بعد أن كانوا يأبون عليها الذهاب الى سعد فى منفاه ٠

وقد قامت صفية زغلول بدور كبير فى نشر الوعى بين أبناء الشعب وبين النساء خاصة ، وكان بيتها « بيت الأمة » معقلا من معاقل الوطنية وسميت « أم المصريين » لمواقفها الوطنية الرائعة بجانب زوجها العظيم ، ولقيادتها الثورة فى غياب زوجها(٣) ٠

وهكذا ، وبفضل ما أتاحته ظروف البلاد السياسية ، ونشاط الحركة القومية فيها من فرص العمل الوطنى الجرىء ، استطاعت المرأة المصرية وبخاصة المثقفة ، اطلاق امكاناتها ، واثبات كفاءتها ونجاحها ، وكان من آثار ذلك أن المجتمع بدأ يغير نظرته الرجعية نحوها ، ويعترف بأهمية جهودها وقدرتها فى تقدم البلاد ، مما شجع الدولة بعد أن نالت أولى مراحل استقلالها سنة ١٩٢٣ ، على أن توليها عنايتها ، وتحسين اعدادها للعمل ، وتتيح لها مزيدا من فرص التعليم المختلفة ٠ وأخذ المعنيون بشئون التعليم يتوسعون نسبيا فى نشر المدارس المخصصة لها فى المراحل الأولية ، والابتدائية ، والثانوية ٠

فقد ظلت الفتيات الحاصلات على الشهادة الابتدائية منذ مطلع القرن لا يجدن السبيل الى الالتحاق بمراحل تعليمية متقدمة اللهم الا مدرسة معلمات السنية التى أنشئت سنة ١٩٠٠ من أجل اعداد مدرسات لمواجهة التوسع فى تعليم الفتاة فى المرحلة الابتدائية والأولية ٠ وفى سنة ١٩٠٩ قررت الجامعة الأهلية أن يتضمن جدول الدراسة القاء محاضرات بالفرنسية خاصة بالسيدات ٠ كما يشير تقرير الجامعة عن العام الدراسى ١٩٠٩/١٩١٠ أن عدد طلبة الجامعة حتى ١٥ فبراير ١٩١٠ كان ٤٣٠ طالبا من بينهم ٨٦ من السيدات ، بينهن ٣٥ مصرية ، والباقيات عثمانيات وأجنبيات ٠ الا أنهن لم يقيدن كطالبات منتظمات بل حضرن كمستمعات فقط ٠

وفى عام ١٩٢٠ فى أثر نضال المرأة ومشاركتها فى الحركة الوطنية عام ١٩١٩ ، أنشئت أول مدرسة ثانوية للبنات هى مدرسة الحلمية الثانوية الا أن مناهجها لم تكن مماثلة لمناهج مدارس البنين ، ولم تكن تؤهل الى الحصول على الشهادة الثانوية ، ومن ثم وجدت المرأة المصرية نفسها حبيسة

---

(٣) كانت صفية زغلول رئيسة شرف لجنة السيدات الوفديات التى تألفت سنة ١٩٢٩ للعمل الوطنى السياسى ٠

هذه المرحلة من التعليم . حتى كان عام ١٩٢٥ بعد صدور دستور ١٩٢٣ — الذى قرر مبدأ المساواة بين المصريين فى الحقوق المدنية والسياسية وفيما عليهم من واجبات ٠

وكنتاج للمطالب التى تقدم بها الاتحاد النسائى المصرى (الذى أسسته السيدة هدى شعراوى فى مارس ١٩٢٧ ، والذى نجحت فى جعله منذ نشأته فرعا من الاتحاد النسائى الدولى) ، من أجل اتاحة التعليم الثانوى والعالى للفتاة . أنشئت المدرسه الثانويه التى تماثل مناهجها مناهج البنين وتسمح للفتاة بالتقدم لامتحان الشهادة الثانوية فى عام ١٩٢٩ التى تؤهل فللالتحاق بالجامعة ٠

وبذلك استلزم الأمر عشرين عاما كاملة من الجهد والعرق والكفاح من جانب المرأة المصرية ، والمرأة المثقفة على وجه الخصوص ، لأنها هى التى قادت المسيرة دائما . لكى يصبح للمصرية الحق فى الحصول على درجة علمية وتؤهلها الى الخروج الى ميدان العمل ٠ وكان أول عدد من الطالبات يلتحق بالجامعه لاول مرة عام ١٩٢٩ هو ١٧ طالبة التحقن منهن ٤ بكلية الآداب ، وطالبة واحدة بكليه الحقوق ، وثمانى طالبات بكلية العلوم ، وأربع طالبات بكلية الطب ٠ وكانت هذه هى الكليات التى تضمها الجامعة فى ذلك الوقت ، ولم يكن قد مضى على افتتاح الجامعة الحكومية سوى أربع سنوات فقط ٠

وقد كان قبول الفتيات لطلب العلم فى أول جامعة حكومية رسمية (جامعة القاهرة حاليا) نقطة تحول بارزة المعالم فى دور المثقفات المصريات فى التغير الاجتماعى فى مصر وتغيير نظرة المجتمع الى المرأة تغييرا جذريا ٠

وكان التحاق الطالبات بالكليات المذكورة آنفا يبدو وكأنه أمر طبيعى اذ أن المجتمع كان يرى أن هذه التخصصات تتفق وطبيعة المرأة ، ومع ذلك فقد أثار التحاق الفتاة بالجامعة الكثير من النقاش والجدل ، داخل الجامعة وخارجها ، ما أدى الى تأخر دخولها الكليات الأخرى بعض الوقت ٠

فلم تتح للفتاة الالتحاق بكلية طب الاسنان الا عام ١٩٣٢ ، والتجارة والصيدلة عام ١٩٣٥ ، والهندسة والزراعة عام ١٩٤٥ ، وكلية الطب البيطرى عام ١٩٤٧ ، وكلية دار العلوم عام ١٩٥٣ ٠ هذا وقد حظيت المرأة المصرية بنصيب أكبر من التعليم عندما فتحت جامعة الاسكندرية فى سنة ١٩٤٢ ٠

ولم يقتصر التعليم العالى للفتاة على الجامعة ولكن بدأت الدوله فى انشاء معاهد عالية خاصة بالطالبات ابتداء من عام ١٩٣٣ ، فقد كانت هذه المعاهد تحقق حلم المرأة فى الحصول على تعليم عال بالمجان ترضى عنه العائلات المحافظة لأنه غير مختلط ولا يثير جدلا كما حدث عند التحاق الفتاة المصرية بالجامعة • وخلال الفترة من عام ١٩٣٣ الى ١٩٥٢ أنشئت المعاهد الآتية :

المعهد العالى للمعلمات لتخريج نوعية أفضل من مدرسات المرحلة الابتدائية والثانوية ، وأربعة معاهد فنية هى معاهد التدبير المنزلى – التربية الفنية – الموسيقى – التربية الرياضية(١) •

وفى الفترة من حوالى عام ١٩٤٦ الى عام ١٩٥٢ التى بدأت بعد انتهاء الحرب العالميه ، وامتدت الى أوائل الخمسينات ، زاد التوسع فى الاتجاه التعليمى لصالح المراة ، وأرسلت دفعات قليله فى بعثات دراسية الى الخارج، وعدن يحملن أرقى الشهادات فى تخصصات شتى فى نفس الوقت الذى أتيح فيه للدفعات الأولى من الفتيات المصريات الالتحاق بالجامعة •

وأصبحت هؤلاء وهؤلاء يمثلن « زبدة المثقفات » من قادة الرأى فى أماكن عملهن ، كما أصبحن طلائع طيبة للمرأة المصرية المثقفة المتطورة وقد كان لنجاح الرعيل الأول من الجامعيات اللائى تخرجن فى مصر ، والمبعوثات اللاتى أتممن دراساتهن في الخارج ، أكبر الأثر فى تشجيع الفتيات على الأقبال على التعليم العالى ، اقتداء بهن ، كما حفز هذا النجاح فى الوقت نفسه اهتمام المسئولين ، وشجعهم على السير بخطى أكثر سرعة ، الى مزيد من التوسع فى تعليم الفتاة فى جميع المراحل ، واتاحة الفرصة لها لتخوض غمار الحياة الاجتماعية والعمل في مختلف المجالات ، لا فى ميادين الأدب والفنون فحسب ، بل فى ميادين العلوم البحتة ، والعلوم التطبيقية على وجه الخصوص • وأصبحت الفتاة أوفر حظا من التعليم الجامعى بانشاء جامعة عين شمس ١٩٥٠ •

ثم كانت ثورة ١٩٥٢ بداية جديدة لمرحلة أزدهرت فيها المثقفات المصريات وزاد عددهن وتأثيرهن فى المجتمع ، وكان ذلك هو الافراز الطبيعى والنتيجة الحتميه للتغيرات التحويلية التى واكبت هذه الفترة من سنة ١٩٥٢ الى يومنا هذا •

---

(١) المرأة فى مصر • المصدر السابق • ص ٨١ – ٨٢ •

وتحقيقا لمبدأ اقامة عدالة اجتماعية بين الجنسين ، وهو أحد المبادىء الستة فى دليل عمل الثورة المصرية ١٩٥٢ ، نص فى الدستور الجديد الذى أعلن فى مصر فى ٢٣ يوليو ١٩٥٦(١) · على منح المرأة حقوقا سياسية اسوة بالرجل ، وبذلك استطاعت المرأة أن تدلى بصوتها فى الاستفتاءات على رئاسة الجمهورية ، وعلى الدستور ، وفى الانتخابات العامة لمجلس الأمة ، وكذلك انتخابات الاتحاد الاشتراكى ، بل صار لها الحق فى ترشيح نفسها لمجلس الأمة (مجلس الشعب الآن) ، وفى مجالس ولجان أخرى شعبية ·

هذا وقد فازت فى انتخابات مجلس الأمة لأول مرة سيدتان من المثقفات المصريات هما راوية عطية ، وأمينه شكرى ، ثم بعد ذلك زاد عدد النساء الأعضاء فى مجلس الأمة ، فى الانتخابات التالية سنة ١٩٦٤ ، وفازت فيها ثمان من المثقفات المصريات هن مفيدة عبد الرحمن وألفت كامل ، وكريمة العروسى ، ونوال عامر ، وبثينة الطويل وزهرة رجب وفاطمة بهى الدين ، وعائشة حسانين ، وهؤلاء أسهمن فى ابراز قضية المرأة المصرية ورعايتها ، وتوجيهها الوجهة الصحيحة · وبخاصة فيما يتعلق بتعديل قانون الأحوال الشخصية ·

وقد أولت الثورة ، تعليم الفتاة واعدادها للعمل ، عنـــاية فاقت كل ما كان قد بذل فى السنوات العديدة السابقة على قيامها ، تحقيقا للمبدأ نفسه وهو اقامة عدالة اجتماعية · ومما يجدر ذكره بهذه المناسبة أن مبادرة الثورة بتعميم مجانية التعليم فى المرحلتين الاعدادية والثانوية ، قد أتاحت فرصة التعليم لآلاف الفتيات اللاتى كانت ظروف أسرهن الاقتصادية لاتسمح لهن بمواصلة التعليم ·

وقد نجم عن ذلك اقبال شديد على مواصلة تعليم الفتيات ، بعد اتمام المرحلة الابتدائية ، وهى مرحلة التعليم الالزامى ، وقد ظهرت نتائج هذا الاجراء فى احصاء المتعلمات فى التعداد العام للسكان عام ١٩٦٠ · وتبين منه أن عدد المتعلمات فى ازدياد مطرد بشكل مطرد ، وبخـــاصة أولئك الحاصلات على شهادات ، واللاتى تراوحت الزيادة العشر سنوية فى مجموعهن ما بين ١٥٠٪ ، ٣٦٢٪ فيما بين سنوات ١٩٢٧ ، ١٩٦٠ ·

وقد حقق تعليم الفتاة على كل المستويات توسعا كبيرا ، فقد بلغت

---

(٢) أنظر « دستور الجمهورية المصرية » الصادر فى ٢٣ يوليو ١٩٥٦ « الموسوعة العربية للدساتير العالمية » مجلس الأمة ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، المادتان ٣١ ، ٦١ ·

نسبة التلميذات الى جملة التلاميذ عام ١٩٧٥/٧٤ فى المرحلة الابتدائية ٣٨٪ ، وفى المرحلة الاعدادية ٣٤ر٣٤٪ ، وفى المرحلة الثانوية ٣٣ر٣٣٪ ، وفى الجامعـــات ٣١ر٣١٪ عـــام ١٩٧٤/٧٣ والمعـــاهد العليا والكليات ٣٠ر٣٠٪ (٧٣/٧٢) وفى معاهد اعداد الفنيين ٢٨ر٧٪ (٧٣/٧٢)[١] ٠

أما التوسع فى التعليم العالى فأهم أسبابه مجانيته التى أعلنتها الدولة فى خريف عام ١٩٦٢ ، وكان لهذا الاجراء أثر فعال فى اشتداد اقبال الشباب من الجنسين على التعليم الجامعى ، كما نتج عنه تزايد كبير فى نسبة عـــدد الجامعيين والجامعيات بالمقارنة بالسنوات السابقة على هـــذا الاجراء ٠ ومن الأسباب التى شجعت عددا كبيرا من الشباب وبخاصة الفتيات على الالتحاق بالتعليم العالى ، تلك التيسيرات المالية على الطلبة والطالبات التى بدأت بانشاء المؤسسة المالية لمساعدة الطلاب عام ١٩٦١ ، ثم انشاء صندوق الطلبة لتقديم القروض لطلبة وطالبات الجامعات ، والمعاهد العليا ومعاهد اعداد الفنيين ، وكذلك تخصيص المنح المالية السنوية للمتفوقين والمتفوقات٠ ومن الأسباب الأساسية أيضا التى يسرت التحاق الفتاة المصرية بمؤسسات التعليم العالى انشاء عدد من الكليات الخاصة بالفتيات[٢] ، واقامة الجامعات الاقليمية التى التحقت بها فتيات الأسر الريفية فى المحافظات المختلفة ٠

وقد تعدى نشاط الفتاة فى الدراسة مرحلة البكالوريوس والليسانس الى الدراسات العليا ، فأقبلت عليها بأنواعها المختلفة (الدبلوم ــ الماجستير ــ الدكتوراه) وقد بلغ عدد الملتحقات بهذه الدراسات بالجامعات المختلفـة ٥٧٠٢ طالبة فى العام الجامعى ١٩٧٤/٧٣ يمثلن ١٨ر٤٪ من اجمالى المقيدين٠

واكب اعداد الفتاة المصرية علميا فى الداخل ، اعدادها فى الخارج ، فأرسلت للدراسة بالجامعات والمعاهد فى الخارج فى جميع التخصصات ٠ وقد بلغ عدد المبعوثات فى السنتين الأوليتين من الخطة الرباعية ١٣٢ مبعوثة يمثلن ١٧ر٧٦٪ من اجمالى الذين تم ايفادهم للحصول على الدراسات العليا ٠

وقد سافرت الفتيات أيضا فى أجازات دراسية للدراسات العليا أو فى مهمات علمية بهدف الاستزادة من العلم ٠ وقد بلغ عدد هؤلاء عام ١٩٧٥ ــ ٤٣٣ يمثلن ١٣ر٦٤٪ من اجمالى الموفدين فى اجازات دراسية[٣] ٠

---

(١) أنظر المرأة فى مصر ، المصدر السابق ، ص ٨٣ ٠

(٢) كلية البنات بجامعة عين شمس ، وكلية البنات الاسلامية بجامعة الأزهر ٠

(٣) المرأة فى مصر ، ص ٨٤ ــ ٨٥ ٠

أما التوسع فى توظيف المرأة ، والذى ترتب عليه خروجها للعمل بشكل لافت عما كان عليه من قبل ، فقد بدأ مع حركة التمصير فى الميدان الاقتصادى بخاصة والميادين الأخرى بعامة ، وذلك فى سنة ١٩٥٧ . كما عمل على توسيع مجال توظيف المرأة أيضا البدء فى تنفيذ خطة السنوات الخمس الأولى التى وضعتها وزارة الصناعة سنة ١٩٥٧ . أما التوسع الكبير الملحوظ فى توظيفها ، فقد جاء على أثر اعلان قرارات يوليو الاشتراكية سنة ١٩٦١ . ولقد شجع الرواج الاقتصادى والتنمية السريعة اللذان حدثا بعد ذلك أولى الامر على الالتزام سنويا ابتداء من صيف ١٩٦٤ ، بتعيين كل المتخرجين من الجامعات والمعاهد العليا ، فى الوظائف الكثيرة الجديدة التى أوجدها تنفيذ الخطة الخمسية الشاملة الأولى سنة ١٩٦٠ . وفى الستينات من هذا القرن بدأ نجم المثقفات المصريات فى التألق ، وظهرت قيادات من المثقفات فى كثير من الميادين المتخصصة .

ففى الأدب نذكر على سبيل المثال ، د. سهير القلماوى ، د. بنت الشاطىء ، د. لطيفة الزيات ، د. نعمات فؤاد .

وفى التعليم ظهرت كريمة السعيد ، واحسان بدران ، اللتان وصلتا الى منصب وكيلة وزارة التربية التعليم . كما وصلت المرأة الى منصب العمادة فى الكليات الجامعية الخاصة بالطالبات (كلية البنات جامعة عين شمس ، وكلية البنات الاسلامية بجامعة الازهر) وتولت عمادة الأولى من المثقفات المصريات السيدة أسماء فهمى ، والسيدة فتحية سليمان ، ثم الدكاترة رمزية الغريب ، وسميحة عبد الوهاب . وتولت عمادة كلية البنات الاسلامية عند انشائها د. زينب راشد .

وفى مجال العمل الاجتماعى ظهرت زاهية مرزوق أول وكيلة وزارة للشئون الاجتماعية فى مصر ، واستقلال راضى ، وليلى دوس وبهيجة رشيد وكريمة السعيد ، وزينب السبكى .

وفى الصحافة نجد السيدة أمينة السعيد ، وايفيلين رياض ، وسكينة فؤاد وحسن شاه ، وانجى رشدى ، وسناء البيسى . ولا شك أن مجال الصحافة فى مصر يدين لفاطمة اليوسف ، ود. درية شفيق بالكثير ، وقد كانتا من المثقفات المصريات الرائدات فى هذا المجال .

وفى مجال العمل الدبلوماسى والدولى ظهرت عزيزة حسين ، وأبية النعراوى ، وهدى المراسى . والأولى هى أول من مثلت المرأة المصرية والعربية

فى لجنة المرأة بالأمم المتحدة ، والثانية كانت أول ملحقة صحفية للسفارة المصرية بلندن ، أما الثالثة فكانت أول دبلوماسية تعمل فى السفارة المصرية بباريس •

وفى الفنون الجميلة ظهرت فنانات مشهورات شاركن فى كثير من المعارض الدولية مثل : تحية حليم ، وانجى افلاطون ، وجاذبية سرى • وفى الموسيقى نجد رتيبة الحفنى ، وسحة الحولى •

وفى مجال الغناء ، سطع شمس السيدة أم كلثوم سفيرة للفن العربى فقامت بدور قيادى فى الفن والسياسة معا •

وفى المسرح ظهرت نجمات مثقفات رائدات مثل أمينة رزق ، وسميحة أيوب ، وسناء جميل • أما فى السينما فقد ظهرت أسماء لامعة مثل فاتن حمامة ، وشادية ، وماجدة ، وسعاد حسنى • كما تفوقت المرأة فى مجالات العمل السينمائى فرأينا على سبيل المثال رشيدة عبد السلام فى المونتاج ، وعطيات الابنودى فى الاخراج •

وفى مجال فنون الرقص ، أنشئت فرقة باليه القاهرة عام ١٩٦٥ ، وتشرف عليها السيدة عنايات عزمى • وفى مجال الرقص الشعبى تكونت فرقة رضا ، وكانت راقصتها الأولى فريدة فهمى وقد احتضنت وزارة الثقافة هذه الفرقة مما أدى الى ظهور فرق شعبية قومية تابعة لكثير من المحافظات وفى الاذاعة برزت صفية المهندس ، وآمال فهمى ، وسامية صادق ، ومديحة نجيب . وفى التلفزيون تماضر توفيق وهمت مصطفى ، وسعاد خشيلة • وقد قامت المثقفة المصرية بجهود رائعة فى هذه الوسائل الاعلامية الهامة ، وبذلت كل طاقاتها للعمل على تطوير البرامج ، ورفع مستوى الخدمات الثقافية والفنية والاعلامية •

وفى النقابات المهنية برزت أسماء فاطمة عنان ، وفردوس سعد وكريمة السعيد ومفيدة عبد الرحمن ، ونفيسة الغمراوى •

وكان اختيار سيدة مثقفة لمنصب وزيرة لأول مرة فى سبتمبر سنة ١٩٦٢ حدثا بارزا فى تاريخ المثقفات المصريات ، بل فى تاريخ النهضة النسائية فى مصر بعامة ، ودليلا أكيدا من الثورة على الاعتراف بكفاءة المرأة المصرية المثقفة ، ودعما كاملا لدورها ، ومكانتها فى المجتمع ، وكان لاختيارها من صفوف هيئة التدريس بالجامعة ـ الهيئة العلمية العليا فى مصر ـ مغزى

كبير - وكان أهم ما قامت به الدكتورة حكمت أبو زيد ، أول سيدة فى تاريخ مصر تتقلد أمور وزارة الشئون الاجتماعية تنظيم مؤتمرين هامين أولهما خاص بشئون المرأة العاملة ، وعقد فى نوفمبر سنة ١٩٦٣ ، وثانيهما مؤتمر الاسرة الذى عقد فى ديسمبر ١٩٦٤ ، وقد جعلت السيدة الوزيرة ، التى كانت تخرج للعمل الاكاديمى ، شئون المرأة العاملة ومشكلاتها ، وبخاصة حاجتها الى دور حضانة ترعى أطفالها على رأس قائمة مشروعاتها للاسهام فى التنمية الاجتماعية السريعة ٠

ويلاحظ أن الفترة من حوالى سنة ١٩٦٦ الى سنة ١٩٧٠ قد تميزت بأنها كانت فترة تقشف اقتصادى ، أعقبتها النكسة العسكرية سنة ١٩٦٧ التى تلتها فترة من الاكتئاب الاجتماعى والسياسى ، وقد انعكس ذلك على نشاط المرأة المصرية المثقفة ، فبدا راكدا فاترا ٠

ولعل أبرز دليل على ذلك هو تقلص عدد السيدات المثقفات المنتخبات فى الدورة الرابعة لمجلس الأمة الى ثلاث سيدات بعد أن كن ثمانى سيدات فى الدورة الثالثة للمجلس ٠

وبعد ثورة التصحيح عام ١٩٧١ ، تحول اسم مجلس الأمة الى مجلس الشعب ، وانتخب أعضاء الدورة الخامسة التى تستمر حتى عام ١٩٧٦ ، ودخل المجلس ثمانى سيدات من المثقفات(١) ٠ وقد واكب فترة الصحوة هذه وعى دافق بقيمة المرأة وكيانها كما بدأ فى تلك الانتخابات التى ظهرت فيها المرأة بشكل واضح ٠ كما ظهر فى هذه الفترة احترام الشعب للمرأة المثقفة الفنانة فى شخص السيدة فايدة كامل ، واختياره لها نائبة عنه فى مجلس الشعب ، هو دليل مجسم على بداية الاحترام الشعبى للمرأة فى ذاتها ، ولذاتها ٠

وقد ظهرت فى هذه الفترة أيضا القيادة النســائية الرسمية للمرة الثانية ممثلة فى اختيار الدكتورة عائشة راتب وزيرة للشئون الاجتماعية وهى أيضا من القيادات الجامعية المثقفة من سلك هيئة التدريس بالجامعة تصحيحا لمسار النهضة الحديثة للمرأة المصرية المثقفة واعادة الثقة فيهـا واختيارها لمنصب الوزيرة فى ١٧ يناير ١٩٧٢ ٠

---

(١) هؤلاء هن : مفيدة عبدالرحمن ، والفت كامل ، وفايدة كامل ، وكريمة العروسى وزهرة رجب ، وفاطمة عنان ، ونوال عامر ، والدكتورة ليلى تكلا ٠

وقد اهتمت الدكتورة عائشة راتب ، بتعديل قانون الأحوال الشخصية وذلك باعداد مشروع قانون قامت بعرضه على مجلس الشعب ، كما نفذت مشروعا آخر للاستفادة من جهود الشباب من الجنسين فى الخدمة العامة ، كان محوره الأصلى تكليف الشابـات من خريجـات الجامعات ، والمعاهد العليا بهذه الخدمة ٠

ومع قيام ثورة التصحيح فى ١٥ مايو ١٩٧١ ، أنشئت أمانة المرأة ، وتولت أمانتها فى تلك الفترة السيدة كريمة السعيد وأمينتها المساعـدة السيدة فاطمة عنان ، ثم تلت السيدة كريمة السعيد فى منصب أمانة المرأة الدكتورة زينب السبكى ، ثم الدكتورة سعاد أبو الســعود التى ما تزال تشغل منصب أمينة المرأة حتى الآن ٠

وفى سنة ١٩٧٥ اختيرت الدكتــورة آمـال عثمان وزيـرة للشئون الاجتماعية وهى تمثل قيادة جامعيه مثقفة ، وكانت قبل اختيارها للوزارة تشغل الى جانب عملها فى الجامعة منصب الأمينة المساعدة للمرأة ٠ وفى عهدها ظهر الى النور قانون الأحوال الشخصية وذلك فى سنة ١٩٧٩ ، الذى اكتسبت به المرأة المصرية مزيدا من الحقوق ٠

ولأول مرة تظهر سيدة مصر الاولى ، وهى السيدة جيهان السادات حرم السيد رئيس الجمهورية ، كقيادة شعبية مثقفة ، لتعبر عن المرأة فى شتى أدوارها كأم ، وأخت وزوجة ، وزميلة ، ولتعمل فى جهات متعددة ، ويتأكد ظهورها فى سنة العبور ١٩٧٣ فنراها تشجع الضباط والجنود فى القوات المسلحة ، وتشد من أزرهم ، كما نراها فى ميادين الخدمات أيضـا وبخاصة فى المستشفيات تواسى جرحى الحرب وتشجعهم ، وتتصل بأسرهم تمدهم بشتى ألوان العون المادى والمعنوى ، ثم يمتد نشاطها بعد سنة العبور الى الاهتمام بالنشء والشباب ، والمرأة ، وميادين الخدمة الاجتماعية المختلفة، كما دعت الى عقد كثير من المؤتمرات التى تبحث فى قضايا المرأة والطفل ٠

كما اشتركت السيدة جيهان السادات فى عديد من المؤتمرات الدولية ممثلة لمصر ، بعضها دعت له ، وبعضها اشتركت فيه ممثلة لبلدها ، ومن أهم المؤتمرات التى دعت الى عقدها ، المؤتمر البرلمانى النسائى الأول لدول أفريقية والبلاد العربية الذى عقد فى القاهرة فى مايو ١٩٧٤ ، واشترك فى هذا المؤتمر ٣٥ دولة عربية وأفريقية ٠ ومن أبرز المؤتمرات التى اشتركت فيها ممثلة لمصر مؤتمر المكسيك فى يونيو ١٩٧٥ وقد كانت على رأس أكبر وفد نسائى مثل مصر من قبل فى أى مؤتمر سابق وكان يضم ١٨ عضوا من

بينهن د٠ عائشه راتب وزيرة الشئون الاجتماعية حينئذ ، والسيدة عزيزة حسين ، ود٠ آمال عثمان ، ود٠ معتزة خاطر والسيدة أمينة السعيد والسيدة بهية كرم ، والسيدة زينب النجار وغيرهن من صفوة المثقفات المصريات ٠

وقد دخلت سيدة مصر الأولى الحياة السياسية لأول مرة سنة ١٩٧٥ ، حين انتخبت رئيسة للمجلس المحلى لمحافظة المنوفية ، وأعيد انتخابها فى سنة ١٩٧٩ للمنصب ذاته ٠

ومن أهم الانجازات الاجتماعية التى تذكر لسيدة مصر الأولى ، انشاؤها لجمعية الوفاء والأمل عام ١٩٧٢ من أجل رعاية وتأهيل مقاتلى معارك ١٩٤٨، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، كوفاء لهم وأملا فى أن يجدوا أمامهم المستقبل مليئا بسنوات من الأمل والعمل ٠ وكانت حرب ٦ أكتوبر المجيدة نقطة تحول فى المشروع الكبير الذى أصبح مدينة « الوفاء والأمل » لرعاية الابطال المعوقين ٠

وفى سنة ١٩٧٩ حصلت المثقفة المصرية بخاصة ، والمرأة المصرية على وجه العموم على مكاسب شتى ، فقد حصلت المرأة المصرية على ٣٠ مقعدا فى مجلس الشعب فى مايو من هذا العام ، كما تم تعيين أول سفيرة مصرية وهى د٠ عائشة راتب أستاذة القانون الدولى ووزيرة الشئون الاجتماعية سابقا ٠ وظهر قانون الأحوال الشخصية المعدل ، الذى طال انتظار النساء فى مصر له وبخاصة المثقفات منهن ٠

معوقات فى طريق المثقفات المصريات :

تجابه المثقفات المصريات بعض المعوقات والمشكلات التى يمكن اجمالها فيما يلى :

(١) **الشعور بالاغتراب :** والاغتراب ببساطة هو أن يفقد الانسان ذاته، أى أن يصبح غريبا عنها[١] ٠ وتعانى المثقفة المصرية بوجه عام اغترابا شديدا لأنها تنتقل اليوم من عهد التبعية الضعيفة المسحوقة المقهورة ، الى عهد التبعية المبدعة القوية ٠

والمثقفة المصرية تقع فى حيرة شديدة واغتراب أشد لأنها تجد نفسها مطالبة بالشىء وعكسه ٠ فمطلوب منها أن تتعلم ، وتتكسب وتستقل ، ولكنها اذا أبدت ممارسة حقيقية لهذا الاستقلال فانها تعوق بكل الطرق ٠

---

(١) انتهى ماركس الى هذا المعنى للاغتراب فى كتابة مخطوطات اقتصادية وفلسفيه عام ١٨٤٤ ، من كل صدد الفحص النقدى لوضع العامل فى المجتمع الرأسمالى ٠

انها تتعلم ، وتقضى سنوات وسنوات فى تحصيل العلم ، لأنها مطالبة بذلك ولكنها تقيم فى الوقت نفسه ـ عند الزواج ـ بالمقاييس التقليدية القديمة ، من حيث تفضيل كونها صغيرة السن مثلا ، وغيرها من المقاييس التقليدية لذلك نجد أنه على الرغم من علمها وتفوقها ، وعملها ، الا أنها أحيانا ما تتزوج بلا ارادة ولا اختيار ، قبل أن يفوتها القطار ، لأنها تقلق على نفسها قلق المرأة التقليدية التى لم تتعلم .

ان المثقفة المصرية تتعلم وتعمل مثل الرجل تماما ، ولكنها ما زالت تقيم من حيث هى جسد ناقص ، أو عاجز ، أو فاتن(١) .

(٢) صراع الأدوار : أطلق هذا الاصطلاح ليعنى تلك الصراعات التى يدركها الأفراد المتعرضون لها ، كما أنه يعنى ذلك الموقف الذى يدرك فيه شاغل مركز معين ، أنه مواجه بتوقعات متباينة . ويرى « سبيجل » Spiegel أن هذا الاصطلاح يشير الى ذلك الموقف الذى تقع فيه الأنا فى اختيار صعب أو مستحيل بين دورين مختلفين .

وتنطبق كل هذه التعريفات لصراع الادوار على المثقفة المصرية فى المجتمع الحديث ، فهى تدرك أنها فى صراع ، كما أنها مواجهة بتوقعات متباينة من زوجها ، ومن رؤسائها فى العمل ، كما أنها تقع فى اختيار أصعب بين دورها كأمرأة وزوجة ، وعاملة .

والأدوار ما هى الا نتاج لتفاعل اجتماعى سابق ، لكنها توجه التفاعل الحالى . وفى المجتمع التقليدى ، حيث التغير الاجتماعى فى أدنى حدوده ، كان الجيل الأصغر يتقبل توقعات الجيل الأكبر دون مناقشة . أما فى المجتمع الحديث ، فان كثيرا من الناس غير قادرين على العيش وفق متطلبات أدوارهم ، فقد تغيرت مواقف الحياة بشكل يجعل كثيرا من أنماط الدور غير ملائمة .

ولقد كانت واجبات وحقوق المرأة فى المجتمع التقليدى محددة واضحة

---

(١) أنظر فرج أحمد فرج ، المرأة والرجل والمجتمع ، الطليعة ، السنة الحادية عشرة عدد ٢٤ ، ١٩٧٥ ، ص ١٨٤ .

(٢) أنظر : Spiegel, John P., "The Resolution of Role Conflict within the Family", in Bell and Vogel (ed.). A Modern Introduction to the Family, the Free Press, New York, 1968.

المعالم ، فى الماضى ، أما الآن فقد اعتراها كثير من الخلط ، مما جعل الكثير من النساء المثقفات فى مصر اليوم غير متأكدات من أدوارهن الفعلية ٠

ان المثقفة المصرية الحديثة هى التى تواجه ذلك القدر الكبير من الخلط والفوضى فيما يتعلق بدورها ، وذلك يعود ببساطة الى أن دورها كامرأة مثقفة هو الذى تغير جذريا ، اذا ما قورن بدور الرجل ، فلم يعد للمرأة المثقفة الحديثة ذلك الاستمرار المحدد فى الدور ٠ فبالاضافة الى أدوارها التقليدية ، فانها مطالبة بدور الكاسبة الواعية فى عملها ، والشريكة والصديقة لزوجها ، والطاهية ومربية الأطفال ومديرة المنزل فى بيتها ، وكل ذلك يزيد مشكلة التكيف لديها ٠

(٣) الخلط فى تعريف أدوار الرجل والمرأة :

ذلك أن التعريفات الجديدة لدور المرأة المثقفة ، وبخاصة كزوجة وأم ، تتطلب تكيفا مصاحبا من الرجل ، وبخاصة الزوج والأب ٠ وقد تشكل هذه التعريفات تهديدا لأنا الرجل ، وخصوصا أن أنماط الدور التى بقيت قرونا طويلة ، كانت مبنية على قوة الذكر الاقتصادية والاجتماعية ، والقانونية ٠

ولما أصبحت المرأة المثقفة تمارس قوة أكبر من تلك التى كانت لها من قبل أضحى الكثير من الرجال ، والبعض من النساء يجدون مشقة فى تقبل الأدوار الجديدة(١) ٠

(٤) نسبة الأمية العالية بين النساء فى مصر :

وهى معوق أساسى فى طريق المثقفات المصريات ، لانهن لن يجدن صدى لنشر دعوتهن ، وتأثيرهن الثقافى بين نساء جاهلات غير واعيات ، بالاضافة الى أن المرأة الأمية لا تستطيع أن تشارك فى التغير الاجتماعى ،

---

(١) ظهر من تقرير للأمم المتحدة عن التكامل النسائى ودوره فى التنمية فى البلاد النامية ، ان من أهم معوقات اشراك النساء فى عملية التنمية فى هذه الدول عاملين هاميين هما :

(أ) الاتجاهات التقليدية نحو دور المرأة فى المجتمع ٠

(ب) الاعتقاد بأن عمل المرأة شىء ثانوى ٠

انظر : United Nations : Headquarters Report of the Inter-regional Meeting of Experts of the Integration of Women in Development. Sales No. E.73.LV, 12 June 1971.

وفى التنمية بالقدر الذى تستطيعه لو تعلمت · وجدير بالذكر أن نسبة الأمية بين الاناث فى مصر قد بلغت فى عام ١٩٦٠ ، ٨٤٪ ، ثم انخفضت فى عام ١٩٧٦ الى ٧١٪(١) ·

خاتمة وتعليق :

حاولت فى الصفحات السابقة أن أحدد معالم واضحة وموجزة لخطى المثقفات المصريات على طريق التغير الاجتماعى · ولعلى قد استطعت من خلال تصور شامل يأخذ بالوحدة ، ويستلهم المنظور التاريخى الذى يرى الأشياء جميعها فى حركة دائمة ، وصيرورة لا تتوقف — أن أضع قضية المثقفات المصريات داخل اطارها الصحيح ·

وأستطيع أن أوجز خلاصة ما أردت تقديمه فى الصفحات السابقة فى الأفكار الآتية :

(١) **ان هناك فرقا بين مثقفة ومثقفة** ، فهناك **مثقفات رائدات** يتقدمن المسيرة ويسهمن اسهامات رائدة كبرى فى التغير الاجتماعى فى مصر ، وهناك **مثقفات تاليات** ، جئن بعدهن · تاريخيا — وأسهمن اسهامات لا يمكن التقليل من شأنها ، وهناك **مثقفات سلبيات** قد لا يسهمن فى التغير الاجتماعى بنصيب يذكر ، **ومثقفات معوقات** ، وهؤلاء يعقن مسيرة التغير الاجتماعى الى التقدم بما لهن من أفكار وآراء ومعتقدات رجعية · وهناك مثقفات يعقن التغير الى التقدم بشكل آخر ، وذلك بسبب جهلهن بطبيعة المجتمع المصرى ، واصرارهن على استعارة صيغ غريبة ، أوربية أو أمريكية ، لا تتلاءم مع واقعنا الاجتماعى والاقتصادى ·

(٢) ان المثقفات المصريات يدخلن فى **علاقة جدلية مع المجتمع المصرى** ، فهن افراز المجتمع المصرى ، ونتاج له من جهة ، وهن من جهة أخرى مؤثرات فيه ومغيرات له ·

(٣) ان تعلم المرأة المصرية وخروجها الى العمل ، وتحررها اقتصاديا يحولها (بعبارة مستمدة من فلسفة — سارتر) من شخص يوجد فى ذاته En-Soi الى شخص يوجد لذاته Pour Soi أى أن المثقفة المصرية

---

(١) أنظر : نوال السعداوى ، الوجه العارى للمرأة العربية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٧ ، ص ١٢١ ·

ستوجد لذاتها بعد أن ظلت توجد للآخرين وستستمد وجودها من ظروف حياتها الجديدة التى تعيشها هى بحريتها من خلال الانتاج • وهنا تنشأ علاقة جديدة بين المثقفة وكينونتها ، علاقة أساسها المعايشة الخلاقة الحرة لامكاناتها الانسانية الحقيقية •

(٤) ان قضايا التصنيع ، وتطوير الزراعة ، وتوزيع الثروات الى غير ذلك لا بد أن تنال اهتماما أكبر من المثقفات المصريات ، لما فى هذه القضايا من تأثير جوهرى ومباشر على ما هو ذاتيا مشكلة المرأة بوجه عام وما هو موضوعيا مشكلة المجتمع بأكمله(١) •

(٥) ان المثقفة المصرية التى تعلمت ، ودخلت ميدان العمل الانتاجى واستقلت اقتصاديا ، لا بد أن تخلق لها فرص عمل حقيقية ، وفى شتى المجالات ، الأمر الذى لا يمكن تحقيقه **الا من اعادة تشكيل البناء الاقتصادى افقيا ، ورأسيا ، وادخال تغيير جذرى على علاقات الانتاج • وفى عملية اعادة التشكيل هذه لا بد أن يشترك المرأة والرجل معا •**

(٦) ان تركيز نشاط المثقفات المصريات على المدينة - فى الأغلب الأعم **وانفصال حركة المثقفات فى المدينة عن قضايا المجتمع الأساسية** تعنى فى التطبيق . بقاء المرأة الريفية على وضعها المتخلف والمتوارث منذ مئات السنين، مما لا يمكن معه تحقيق الهدف الاجتماعى الأسمى لتحرير المرأة ، وهو احياء نصف المجتمع المعطل ، ودفعه الى المساهمة المنتجة بالتعاون مع النصف الآخر لبناء مجتمع تقدمى قادر على مواجهة تحديات العصر بكامل طاقاته •

وينطبق قولنا السالف الذكر ، على **المثقفات المصريات الريفيات النشأة، اللائى سرعان ما ينسين القرية بعد تخرجهن من الجامعات** والمعـــاهد ، أو ارسالهن الى بعثات ، ثم اشتغالهن فى التخصصات المختلفة •

(٧) ان تركيز نشاط بعض المثقفات المصريات سواء أكان ممارسة أو فكرا على رفع الوعى النسائى ، والكفاءات النسائية ، فى دائرة نسائيـــة منفصلة عن المشاكل الأساسية للمجتمع لا يساعد كثيرا على تحسين الموقف ، وربما يؤدى على المدى البعيد ، وبعد تطور المجتمع الى نوع من حركة الرفض

---

(١) انظر : سلوى الخماش ، المرأة العربية والمجتمع التقليدى المتخلف ، دار الحقيقة ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٢٠ •

النسائية ضد الرجل تحمل ملامح انعزالية على غرار ما نشاهده فى بعض حركات التحرر النسائية فى غرب أوربا وفى أمريكا ٠

ان نضال المثقفة المصرية ، لا بد أن يسير جنبا الى جنب مع نضالها مع الرجل من أجل تغيير الواقع المتخلف الذى يعانى منه كلاهما ٠

٠ (٨) يفوت على بعض المثقفات المصريات ، أن دورهن فى التغيير الاجتماعى والتنمية ، لابد أن يكون نابعا من ظروف مجتمعهن ومشـــاكله ٠ **فالتنمية لا تستعار ، وانما هى فى الأصل عملية ابداع** ٠ فأوربا قد درست علوم العرب وفلسفتهم ، وأحيت تراث الاغريق والرومان ، مركزة الأضواء على جوانبه التى تساند تطلعات التطور ، ثم تجاوزت هذا كله بابداع مستمر فى كل مجالات الفكر والسياسة ٠ وقبلها فعل أسلافنا العرب ٠ فقد أخذوا عن اليونان ، والرومان والهند ، ومصر ، والشام ، والعراق ، وفارس ٠ ولكنهم تجاوزوا ما أخذوا الى ابداع حضارة جديدة زاهية بقدر ما هى أصيلة ٠

لا بد اذن للمثقفات المصريات من نظرة بديلة للتغير والتنمية والتقدم ، تقوم على أساس نماذج جديدة ، تنبثق من واقعهن ، ومنهن أنفسهن كعناصر ثقافية دينامية متجددة ٠ وبذلك يصبح التغير ، وتصبح التنمية معتمدين على الذات الحضارية المصرية الأصيلة ، ويصبح التعامل مع الحضارات الأخرى ، سواء بالتبادل ، أو الاقتباس ، يتم دون انبهار أو عقد ٠

المراجـــع

أولا : مراجع باللغة العربية :

ا ـ مراجـــع عامـــة :

(١) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، جزء ١ .

(٢) المصباح المنير ، القاهرة ، ١٩٢٥ ، جزء ١ ، ٢ .

(٣) المرأة فى مصر ، وزارة التعليم العالى ، الادارة العامة للنشاط الثقافى والعلمى ، القاهرة ، ٩٧ .

(٤) دستور الجمهورية المصرية الصادر فى ٢٣ يونيو ١٩٥٦ ، الموسوعة العربية للدساتير العالمية ، مجلس الأمة ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

(٥) معجم العلوم الاجتماعية ، تصدير ومراجعة د. ابراهيم بيومى مدكور ، اعداد نخبة من الاساتذة المصريين والعرب المتخصصين الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ .

ب ـ كتب ومقالات :

(٦) انجى افلاطون ، نحن النساء المصريات ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٥٠ .

(٧) درية شفيق وابراهيم عبده ، تطور النهضة النسائية فى مصر ، مكتبة الأداب ، القاهرة ، ١٩٤٥ .

(٨) رفاعه رافع الطهطاوى ، تخليص الابريز فى تلخيص باريز طبعة وزارة الارشاد ، ١٩٥٨ .

(٩) سامية حسن الساعاتي ، الدور الوظيفى للزوجـين فى الاسرة المصرية رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة القاهرة ١٩٧٢ .

(١٠) سامية حسن الساعاتى ، دور المرأة فى المجتمع المصرى الحديث ، المجلة الاجتماعية القومية ، عدد خاص عن المرأة سبتمبر ١٩٧٥ .

(١١) سلوى الخماش ، المرأة العربية والمجتمع التقليدى المتخلف دار الحقيقة ، بيروت ١٩٧٣ .

(١٢) عبد المنعم شوقى ، مفهوم التنمية : صياغة محددة للمشكلة ، (بحث غير منشور) ، مؤتمر علم الاجتماع والتنمية فى مصر ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة ، (٥ - ٨ مايو ١٩٧٣) .

(١٣) فرج أحمد فرج ، المرأة والرجل والمجتمع ، الطليعة ، السنة الحادية عشرة ، عدد ٢٤ ، ١٩٧٥ .

(١٤) قاسم أمين ، تحرير المرأة ، مكتبة الرقى القاهرة ، ١٨٩٩ .

(١٥) قاسم أمين ، المرأة الجديدة ، مطبعة الشعب ، القاهرة ١٩١١ .

(١٦) مجد الدين حفنى ناصف ، تحرير المرأة فى الاسلام ، مطبعة أبى الهول ، القاهرة ، ١٩٤٢ .

(١٧) نوال السعداوى ، الوجه العارى للمرأة العربية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٧ .

ثانيا : مراجع باللغة الانجليزية :

1) Sills, David L., (ed.) International Encyclopedia of the Social Sciences, The Macmillan Company and the Free Press, 1971. Vol. 13.

2) Spiegel, John P., "The Resolution of Role Conflict within the Family", in Bell and Vogel (eds.) A Modern Introduction to the Family, the Free Press, New York, 1968.

3) United Nations : Headquarters Report of the Inter-regional meeting of Experts of the Integration of Women in Development. Salles No. E.73.LV. 12, June 1971.

بحوث جديدة : صدر حديثا

« بحث تكامل المهاجرين مع النمط الحضرى للقاهرة الكبرى »

هيئة البحث :

الدكتورة نادية حليم	مشرفا
الدكتورة وداد مرقس	عضوا
الأستاذ حسين البرادعى	عضوا
الأستاذ محمد زهرة	عضوا
الأستاذ محمد نجيب	عضوا
الأستاذة وفاء فهيم	عضوا

كتب التقرير د· نادية حليم و د· وداد مرقس ·

تنشيط التفكير الابداعى والقصف الذهنى
مع التطبيق على حل مشكلة الأمية فى مصر

دكتور : مصرى عبد الحميد حنورة(*)

مقدمـــة :

تؤكد الدراسات المتعددة التى أجريت فى السنوات الأخيرة فى مجال التفكير الابداعى على حقيقة هامة مؤداها أن العقل البشرى ما زال حتى الآن لم يستثمر بأفضل ما فيه . وقد تنبهت المجتمعات المتقدمة الى تلك الحقيقة ، وبدأت تعمل من أجل استثمار طاقة التفكير الانسانى فرديا كان أم جماعيا بعد تلك الكشوف المتزايدة فى طبيعة هذا العقل ، وفيما يمكن ان يحققه باستخدام الأساليب التى تزداد كفاءة بقدر تزايد مكتشفات خصائص العقل الانسانى .

وفى السنوات الأخيرة تم الكشف عن أسلوب مبتكر فى التفكير ، هو أسلوب القصف الذهنى . صحيح أنه كان مستخدما منذ زمن بعيد فى مجال التربية الدينية فيما يذكر لموريس شتين وكان معروفا باسم براى برشانا Brai-Barshana : وتعنى Brai خارج ذاتك ، وتعنى Barshana السؤال . وكان استخدام هذا الأسلوب مقصورا على المجال الدينى ، ولم يتعد استخدامه جدران قاعات التربية الدينية ، الى أن بدأ اليكس أوزبورن Alex Osborne فى الكشف عن خصائصه .

نبذة تاريخية :

ابتدع أوزبورن أسلوب القصف الذهنى كما سبقت الاشارة بشكله المعروف لنا الآن سنة ١٩٣٨ ، كاستجابة لعدم رضاه عن أسلوب المؤتمر التقليدى ، الذى يعقده عدد من الخبراء ، يدلى كل منهم بدلوه فى تعاقب أو تناوب ، مع اتاحة الفرصة للمناقشة فى نهاية الجلسة وذلك لما كشف عنه هذا الأسلوب من قصور .

---

* قسم الفلسفة وعلم النفس - كلية الآداب - جامعة المنيا

وقد واصل أوزبورن دراسته هذا الأسلوب واستخدامه فى بحوثه وفى التدريبات التى كان يقوم بها لمن يرغب فى التزود بأصوله أو فى تدريب وتنمية قدراته الابداعية ، الى أن تمكن سنة ١٩٥٣ من وضع القواعد والمبادىء المنظمة لكيفية اجراء جلسات القصف الذهنى فى كتابه « الخيال التطبيقى » "Applied Imagination".

فى سنة ١٩٥٤ أسس أوزبورن مؤسسة التعليم الابداعى ، حيث بدأ يستخدم هذا الأسلوب بشكل منظم فى تدريب الأفراد والمجموعات على التفكير الابداعى ، وفى سنة ١٩٥٥ انشىء أول معهد لحل المشكلات الابداعية Creative problemsolving فى مدينة بافلو Buffalo حيث استقرت أيضا مؤسسة التعليم الابداعى •

وقد تولى رئاسة مؤسسة التعليم الابداعى بعد ذلك سيدنى بارنيس الذى واصل هو وزملاؤه تطوير أسلوب القصف الذهنى استنادا الى المبادىء التى أرساها الكس أوزبورن (Stein, 1973, P. 26) .

ما هو القصف الذهنى :

يستخدم القصف الذهنى كأسلوب للتفكير الجماعى فى أغراض متعددة منها حل المشكلات والتدريب بقصد زيادة كفاءة القدرات والعمليات الذهنية وهو يتم وفقا لقواعد ومبادىء تنظم خصائص الجماعة المشتركة فيه والخطوات التى يمضى وفقا لها وصياغة النتائج التى تسفر عنها العملية مما سوف نعرض له فيما بعد عند عرضنا لخطوات دراستنا الحالية •

ويشير اليكس أوزبورن الى أن استخدام هذا الأسلوب يتم عندما نصل الى المرحلة الثانية من مراحل العملية الابداعية فى حل المشكلات والتى تتكون من ثلاث مراحل هى :

١ ـ تحديد موضوع الدراسة •

٢ ـ ايجاد الأفكار

٣ ـ ايجاد الحل (Osborn, 1963, P. 86).

وتحديد المشكلة أو الموضوع مرحلة سابقة على ايجاد الأفكار ، حيث يكون من الضرورى والجوهرى التحديد الدقيق للموضوع المطروح • وبقدر

ما يكون السؤال محددا ، تكون الخطوات التالية مختصرة ودقيقة • وفى تلك المرحلة يتم الاستعداد وذلك بجمع المادة المتاحة عن الموضوع المطروح والثغرات التى تثور فى طريق حله ••• الخ ، حتى اذا وصلنا الى المرحلة الثانية ، وهى مرحلة تكون الأفكار ، التى يمكن أن تقود الى حل المشكلة ، كانت الأفكار بالفعل مما يتعلق بجوهر المشكلة وليس بسواها ، أو بجوانب فرعية لا قيمة لها ، ولا أهمية تعول عليها •

ويعلق موريس اشتين (Stein, 1975, P. 27) على ما يوصى به أوزبورن من استخدام القصف الذهنى فى المرحلة الثانية من مراحل عملية الابداع بأن القصف الذهنى يستخدم من أجل استحضار الأفكار بدون اعتبار لقيمتها ، وهذا لا يعنى أن التقييم مستبعد تماما ، ولكنه يأتى فى مرحلة تالية •

ولقد فضل اسبورن تأجيل التقييم الى وقت لاحق ، خوفا من أنه يمكن أن يؤدى الى كف الأفكار لدى المشتركين فى عملية التوليد الذهنى ، الأمر الذى يؤدى الى قلة ما يطرح من أفكار ، وبالتالى قد تحجب أفكار قد تبدو لصاحبها انها بلا قيمة ولكنها فى الواقع قد تكون جيدة ، خاصة اذا استخدمها شخص آخر كمفتاح لفكرة أخرى أكثر عمقا وخصوبة •

ويرى أوزبورن أن القصف الذهنى عبارة عن مؤتمر ابداعى ذى طبيعة خاصة من أجل انتاج قائمة من الأفكار ، يمكن أن تستخدم كمفاتيح تقود الى بلورة المشكلة وتؤدى بالتالى الى تكوين حل لتلك المشكلة ، حل يعتمد على أفكار جماعية متحررة من القيود ، متفتحة على الواقع لا يكفها الحرج ولا يكبلها التصلب • (Stein, 1975, P. 28)

ابعاد القصف الذهنى :

يشير أوزبورن الى أن الوصول الى الأفكار الابداعية بواسطة القصف الذهنى يتم من خلال مبدأين كبيرين ، ومن خلال أربع قواعد رئيسية •

أما المبدأن الكبيران فهما :

١ ـ تأجيل الحكم على قيمة الأفكار •

٢ ـ الكم يولد الكيف •

والمبدآن يشيران الى ضرورة التوقف عن الحكم على قيمة الفكرة الى أن تتضح خصائصها وامكانياتها من خلال الحوار الحر غير الناقد الذى يبنى على الفكرة أو على جزء منها ، أو الذى قد يهملها ان لم تكن لها قيمة بارزة ، وهذا بدوره يؤدى الى أن الأفكار التى ستطرح خلال جلسة القصف الذهنى ستكون كثيرة ومتنوعة ، وهو الأمر الذى يتيح للمشاركين فى الجلسة أفقا أوسع ومدى أبعد للاختيار والتأصيل ، وبما يؤدى فى النهاية الى انتاج أفكار ذات نوعية أكفأ وأدق ، الأمر الذى لم يكن يمكن الوصول اليه من خلال أفكار محدودة ٠

هذا عن المبدأين الكبيرين اللذين يحكمان عملية القصف الذهنى ٠ أما القواعد الرئيسية الأربع فهى :

١ ـ النقد مستبعد

٢ ـ دورة العجلة للتفكير بحرية أمر مرغوب فيه

٣ ـ الكم مطلوب

٤ ـ المزج والتحسين مستحبان

والهدف من هذه القواعد الرئيسية هو ازالة الخشية والخجل من نفوس المشاركين فى الندوة ، والقضاء على الحساسية من التقييم ، كما أن الشخص حين يستخدم أفكار غيره وهو أمر سيتم بمشروعية فانه سوف يتحرر من خشية اتهامه بالسطو على افكار الآخرين او التلفيق بين المتناقضات ٠٠ الخ والقصف الذهنى يتم غالبا فى جلستين ، جلسة لطرح أكبر قدر من الأفكار من المجموعة المشاركة ، وجلسة لتقييم الأفكار المطروحة ويمكن أن تعقد جلسة ثالثة لصياغة الأفكار المقبولة وذلك بمشاركة جميع أفراد المجموعة ٠

والهدف النهائى من عملية القصف الذهنى هو حل مشكلة ولايهم بعد ذلك من قام بحلها أو من قدم الفكرة الصائبة ، حيث أن الحصيلة النهائية ستكون منسوبة بحذافيرها الى كل أفراد الجماعة ٠ هذا من جانب ، ومن جانب آخر فان التيسير الاجتماعى يمكن من خلال هذا الأسلوب أن يؤدى الى نتائج مشجعة ، فلقد أتضح ، فى عدد كبير من دراسات ديناميات الجماعة ، Group Dynamics والجماعات الصغيرة Small groups أن العمل وسط فريق يؤدى الى نتائج أكثر خصوبة من العمل المنفرد ، كما أن روح

التنافس بين أفراد الجماعة يمكن أن تنشط الطاقة الفردية ، بما يضمن درجة أعلى من الانجاز (سويف ١٩٦٥ ص ٢٧٩) .

بعض الدراسات السابقة :

استمر الحديث عن القصف الذهنى لفترة طويلة دون أن يتم تقييمه بشكل تجريبى الى أن قام دونالد تيلور وعدد من زملائه باجراء دراسة تجريبية لفحص قيمة هذا الأسلوب (Taylor et al., 1958) حيث تم تصميم تجربة تعتمد على عينة مكونة من ٤٠ فردا ، ثم تقسيمهم الى مجموعتين متكافئتين كل مجموعة مكونة من ٢٠ شخصا ، وتم تقسيم احدى هاتين المجموعتين الى خمس مجموعات فرعية ، كل مجموعة مكونة من ٤ أفراد ، وطلب اليهم حل ثلاث مشكلات وفقا لمبادىء وقواعد القصف الذهنى ، أما المجموعة الأخرى والمكونة من ٢٠ شخصا فقد طلب منهم وفقا لقواعد ومبادىء القصف الذهنى حل نفس المشكلات الثلاث ، كل على أنفراد ، ثم تم تقييم اجابات أفراد هذه المجموعة الى ٥ مجموعات فرعية وقورنت اجابات هذه المجموعات التى تمت بشكل فردى باجابات المجموعات الخمس الأولى التى تمت بطريقة القصف الذهنى الجماعى ـ على أساس الكيف والكم .

وقد توصل الباحثون الى أن أسلوب القصف الذهنى بالشكل الجماعى لا يفضل الأسلوب الفردى فى حل المشكلات ، لا من حيث كم الاجابات ولا من حيث كيفها ، حيث انه قد اتضح أن الاجابات الفردية عند تقسيمها فى مجموعات اسمية Nominal groups (كل مجموعة مكونة من ٤ أفراد) كانت أكثر أصالة وأكثر عددا من اجابات المجموعات الحقيقية ، التى استخدمت القصف الذهنى الجماعى .

وفى سنة ١٩٥٩ قام أرنولد ميدو وهنرى بارنيس وريس باجراء دراسة للكشف عما اذا كان التفكير الخلاق يتاثر بعملية التقييم الذاتى للافكار قبل طرحها بما يمكن أن يؤدى بتلك العملية التقييمية ، التى يقوم فيها الفرد بتحسين أفكاره من أجل تقديم ما هو أجود فقط ، الى أن تعوق أو تحد من التفكير فى حالة مقارنة ذلك بترك العنان والحرية للفرد ولتقديم أى أفكار يراها (من خلال أسلوب القصف الذهنى فرديا أو جماعيا) دون أن يضع قيدا على تفكيره .

وقد أثبتت الدراسة ما يلى

١ ـ ان حلولا جيدة قد تمت تحت شرط القصف الذهنى بافضل مما تم تحت شروط أخرى .

ب ــ ان حلولا اكثر كفاءة قدمت تحت شروط القصف الذهنى حين تم تقديم تعليمات الاختبار من البداية وليس بعد تقديم تعليمات أداء اختبار آخر غير القصف الذهنى (Meadow, Barnes & Reese, 1959)

من ناحية أخرى اجرى ليتريجرين وزملاؤه عددا من الدراسات للكشف عن المزيد من خصائص هذا الأسلوب وحسم ما يثار حوله من أفكار متناقضة كشفت عنها نتائج دراسة تيلور وزملائه ٠

ومن بين هذه الدراسات دراسة اجراها هنرى لنديجرين وفريد ريكا ليندیجرین عن الابداع والقصف الذهنى فرديا وجماعيا ٠ وقد ناقش الباحثان فى تلك الدراسة مسألة امكان ان يكون التفكير الابداعى المركز والمستقل (الانفرادى) أكثر كفاءة من التفكير من خلال جماعة (بواسطة القصف الذهنى) ٠

ويشير الباحثان الى نأ بعض الدراسات قد أثبتت ذلك بينما فشلت دراسات أخرى حيث كشفت عن تفوق القصف الذهنى فى حل المشكلات ٠

والتجربة التى نحن بصدد الحديث عنها أجريت على ثلاث مراحل :

١ ــ فى الأولى طلب من مجموعة من الأفراد كتابة عناوين لصور كرتون٠

٢ ــ وتم طلب منهم التقدم بنفس العمل من خلال جلسة قصف ذهنى بين جماعة ٠

٣ ــ وفى المرحلة الثالثة طلب منهم القيام بحل المشكلة منفردين مرة أخرى ٠

وقد وضح أن المرحلة الثالثة كانت أفضل المراحل حيث كانت العناوين التى وضعها الأفراد متفردين بعد المرحلتين الأولى (العمل الانفرادى) والثانية (القصف الذهنى) أفضل من حيث الكيف (الاصالة) ومن حيث الكم (الطلاقة) (Lindgren & Lindgren, 1965)

وفى وقت لاحق أجرى هنرى لندريجرين (Lindgren, 1967) دراسة أخرى لكى يتحقق من صدق نتائجه التى كشفت عنها دراسة كتابة عناوين الكارتون (وما اذا كان يمكن لستعادتها من خلال استخدام أسلوب القصف الذهنى لانتاج رسم أفضل قام فيها بما يلى :

١ ـ عقد جلسة أولى اعطى لهم أوراقا وطلب منهم رسما جميلا اصيلا وشيقا ٠

٢ ـ فى جلسة ثانية طلب منهم فى ١٠ دقائق التحدث فى انتاج رسم جميل وشيق ٠

٣ ـ فى الجلسة الثالثة طلب منهم الرسم مرة أخرى ٠

وقد أثبتت النتائج ان الرسم فى الجلسة التالية للقصف الذهنى كان أفضل من رسوم مجموعة أخرى ضابطة لم تقم بعملية القصف الذهنى بين الاختبارين ولكنها بدلا من التحدث فى رسم الصورة قامت بأداء اختبار للشخصية (Lindgren, 1967)

ومن بين الدراسات التى أجراها ليندجرين مع عدد من زملائه ، وتوصلت كلها لنتائج متسقة الدراسة التى قام بها بالاشتراك مع بوشانان واستخدما فيها مجموعات كثيرة ٠ وقد اتضح منها أيضا ان استخدام أسلوب القصف الذهنى الجماعى أفضل من الأسلوب الانفرادى فى حل المشكلات (L. Bouchanan & Lindgren, 1973)

وفى دراسة أجراها توماس بوشارد وميلاناهير ، حاولا من خلالها الكشف عن العلاقة بين حجم المجموعات وكفاءة عملية القصف الذهنى ٠ وقد توصل الباحثان من خلال النتائج التى كشفت عنها هذه الدراسة الى أن كيف أو نوعية الأفكار لدى الجماعات الأصغر حجما كان افضل ، أما لدى الجماعات الأكبر حجما فقد كان كم الأفكار متفوقا عما وجد لدى الجماعات الأصغر ٠

ونلاحظ أن معظم الدراسات تشير الى أن أسلوب القصف الذهنى يمكن أن يكون مثمرا ومتفوقا على الأسلوب الفردى فى حل المشكلات ، فيما عدا بعض النتائج التى توصل اليها تيلور وزملائه ٠ وربما كانت هناك أبعاد أخرى يمكن أن تؤثر فى عائد عملية القصف الذهنى لم توضع فى الاعتبار من ذلك مثلا ما يشير اليه براون من اننا عندما نتقدم لدراسة أثر الجماعة على سلوك الفرد فانه من اللازم أن تضع فى الاعتبار سمات وخصائص الموقف الذى يتم من خلاله السلوك (Brown,-1936; P: 99-100) فلكل موقف سماته ومتغيراته ، وهو الأمر الذى قد يؤدى بالأفراد ، نفس الأفراد ، الى أن يصدروا انماطا مختلفة من السلوك تحت ظل ظروف ومواقف مختلفة فى جانب أو آخر من خصائصها ؟

ونتائج دراسة تيلور يمكن أن تلتقى مع نتائج دراسة بوشاروهير من حيث أنه قد ثبت ان الجماعة الكبيرة قد تنتج أفكارا أقل من حيث الاصالة ، وان كانت دراسة بوشاروهير تختلف عن دراسة تيلور وزملائه من حيث انها قررت أن الكم يتفوق لدى الجماعات الكبيرة على عكس ما ذكرت دراسة تيلور ٠

أما دراسات لنديجرين فهى لا تختلف عما يشير اليه أوزبورن ومـــع ما توصل اليه بيرنيس وميدو وريس وغيرهم ٠

ولقد رأينا أن نجرى دراسة فى مصر نحاول فيها ان نتقدم نحو مزيد من التأصيل لهذا الأسلوب فى حل المشكلات ، وكذلك لاستثماره فى اقتحام بعض مشكلات المجتمع المصرى بايجاد الحلول الابداعية لها ٠

وفيما يلى تفاصيل الدراسة التى قمنا باجرائها :

الدراسة الحالية :

اتبع فى اجراء الدراسة الحالية أسلوب مشابه للأسلوب الذى وضع أسسه اليكس أوزبورن والذى أشار اليه وأوصى باستخدامه أونولد ميــــدو وبيرنيس وموريس شتاين وبوشارد وهنرى لنديجرين وغيرهم ٠

وقد استخدمت فى هذه الدراسة مجموعتان ، مجموعة ضابطة ومجموعة تجريبية كل منهما مكونة من ٢٠ فردا من ذوى المؤهلات العالية ، وقد تمت المماثلة الفردية بينهم من حيث المتغيرات التى يمكن أن تؤثر على سلوكهم فى التجربة ، مثل السن والمؤهل والحالة الاجتماعية والوظيفة والدين ، وكان متوسط العمر فى المجمـــوعة التجريبية ٣٥ر٧ سنة وع = ± ٤ر٢ وفى المجموعة الضابطة ٣٦ر٢ وع = ± ٧ر١ بدون فرق دال بين المجموعتين ٠ وكانوا جميعا من الدارسين بدبلوم التنمية بكلية الآداب بالمنيا ٠

العمل مع المجموعة الضابطة :

وقد تمت مقابلة المجموعة الضابطة أولا (أول مارس ١٩٧٨) وتمت محادثتهم فى موضوع الامية فى مصر وتاريخه ومشكلاته ٠٠٠ الخ ثم طلب منهم التفكير فى الموضوع لمدة أسبوع ، وبعد اسبوع تم القاء السؤال التالى عليهم ، وطلب منهم الاجابة على السؤال كتابة فى حضور الباحث : ما هى

مقترحاتك لحل مشكلة الأمية فى مصر ؟ وتم حصر الاجابات مع حذف المكرر منها .

بعد اسبوع آخر ألقى نفس السؤال على نفس المجموعة وتم حصر الاجابات وحذف المكرر والذى بلا مغزى ، أو غير المتعلق بالموضوع ، وتم الاعتماد على اجابات الجلسة الأخيرة على اعتبار انها أفضل من الاجابات الأولى ، كما انها كانت من خلال استقرائها تتضمن أفكار الجلسة الأولى وتزيد عليها(*) .

وفى كلتا المرتين كان يترك للشخص الوقت مفتوحا ، وقد كان متوسطه فى المرة الأولى ١٢ دقيقة وع = ٢ر٣ وفى المرة الثانية كان متوسطه ١٠ دقائق وع = ٦ر٢ .

وبعد حصر أفكار الاجابات التىجاءت فى التطبيق الثانى وجدت على النحو التالى :

١ ـ اصدار قانون يلزم كل الناس بالتعليم .

٢ ـ سجن أو اعدام أو نفى من لا يقدم على التعليم .

٣ ـ عدم زواج الأمى الا بعد أن يتعلم القراءة والكتابة

٤ ـ عدم التعيين فى الوظائف للأمى .

٥ ـ اغلاق الجامعات لمدة سنة واشراك الطلاب فى التعليم

٦ ـ عدم تعليم الاناث وتوجيه الجهد لتعليم الرجال

٧ ـ عدم تعليم كبار السن .

العمل مع المجموعة التجريبية :

بعد أسبوع بدأت الدراسة مع المجموعة التجريبية والتى كانت تتلقى دراسة فى التنمية الاجتماعية ـ بشرح مفصل لأسلوب القصف الذهنى

(*) كانت نسبة الاتفاق بين الاجابات فى المرتين ٨٧٪ ، وباستخدام كا٢ وجد أنها دالة بعد مستوى ١ . وبما يفيد ارتفاع ثبات السؤال المطروح .

ومناقشة خصائصه وامكانياته على مدى ٣ أسابيع بواقع ساعة أسبوعيا بعد ذلك رؤى أنه من الممكن امتحان كفاءة هذا الأسلوب وذلك باستخدامه فى تقديم حل لمشكلة الأمية من خلال تفكير من يمكن اعتبارهم من المتخصصين والمشتغلين بموضوع التنمية الاجتماعية فى الريف والحضر ، ولهم فى نفس الوقت علاقة مباشرة بالمشكلات الاجتماعية ومن بينها مشكلة الامية ٠

طلب الباحث من المشتركين فى الدراسة التفكير فى موضوع الأمية فى مصر لمناقشته خلال جلسات سوف يتم عقدها خصيصا باستخدام أسلوب العصف الذهنى بعد اسبوع ٠

وبعد أسبوع تم عقد أول جلسة وقد تم جلوس الأفراد في شكل دائرى بحيث كانوا يواجهـون بعضهم البعض(*) ٠ كما تم تخصيص شخصين لتسجيل ما يدور فى الجلسة على مرأى من جميع المشاركين ٠٠ وبدأ رئيس الجلسة (فى تنشيط الأفكار بأن طرح موضوع الأمية وتاريخه والمحاولات السابقة وأوجه القصور وما تم انجازه على طريق حل المشكلة سواء فى مصر أو خارج مصر ٠ وطلب من المشاركين التقدم بالافكار التى يمكن أن تثمر فى علاج تلك المشكلة فى مصر مع ضرورة الالتزام بمبادىء وقواعد أسلوب العصف الذهنى كما سبقت دراسته ٠

وبدأت الأفكار من المشاركين بدءا من أول شـخص يجلس الى يمين الباحث وبترتيب أماكن الجلوس ٠

واستغرقت الجلسة ٨٠ دقيقة ٠٠ تم فيها تسجيل كل ما دار فى الجلسة من أفكار ولم يتدخل رئيس الجلسة الا حينما يدرك ان هناك تكرارا أو نقدا أو وصفا أو تعليلا ٠

الجلسة الثانية :

تم عقد الجلسة الثانية بعد الجلسة الأولى بأسبوع ، وفى بداية تلك الجلسة تمت قراءة ما سبق تقديمه من أفكار فى الجلسة الأولى وطلب من الأفراد

(*) على الرغم مما يوصى به بعض الباحثين من أمثال أوزبورن ، وشتاين (Stein, 1945) من ان يكون عدد المشاركين فى الجلسة ما بين ٥ ، ١٢ شخصا الا أننا رأينا أنه ما دام الكم يؤدى الى الكيف ، عند النظر فى الأفكار التى قدمتها الجماعة . فانه يكون من المنطقى رفع حجم المجموعة الى ٢٠ فردا ، وهو عدد معقول . ويدخل الجمـــاعة ، من وجهة نظر الباحثين ، فى عداد الجماعات الصغيرة ٠

تقييم هذه الأفكار ونقدها دون حرج أو خجل .. واستمرت هذه الجلسة ١٥ دقيقة .

الجلسة الثالثة :

تمت هذه الجلسة بعد الجلسة الثانية بأسبوع وتم فيها استعراض القضايا المحورية التى استقر الرأى عليها بعد جلسة التقييم السابقة وصيغت فى الأفكار التالية التى بلغت سبع عشرة فكرة متكاملة معقولة (فى مقابل ٧ أفكار فقط للمجموعة الضابطة) :

١ ـ عمل حصر شامل ودقيق للكشف عن عـــدد الأميين وظروفهم بالتفصيل مع وضع المتغيرات التالية فى الاعتبار :

أ ـ العمر

ب ـ الجنس

جـ ـ المهنة

د ـ مكان العمر

هـ ـ مكان الاقامة

و ـ الحالة الصحية

ز ـ القابلية للتعليم والتحصيل

ح ـ الدافع الى المشاركة

ط ـ الصعوبات التى تواجه العملية فى كل موقع على حدة ولدى كل مجموعة ونفس الأمر يتم بالنسبة للمتعلمين الذين يمكن أن يشاركوا فى عملية التعليم

٢ ـ اتباع عدد من الأساليب وليس أسلوبا واحدا ، فى معالجة مشكلة الأمية ، وذلك تبعا لظروف كل جماعة .

٣ ـ تقرير حوافز وعقوبات ، حوافز للمعلمين والمعلمات تتناسب مع ظروف كل جماعة وعقوبات سلبية وايجابية لمن لا يقوم على المشاركة فى هذا العمل .

٤ ـ استخدام الامكانيات المتاحة فى البيئة المحلية سواء فيما يتعلق بالامكانيات البشرية (المعلمين) أو أماكن الدراسة ودور العبادة أو مدارس ابتدائية أو اجران أو مصانع ٠

٥ ـ إستخدام القوات المسلحة فى :

أ ـ تعليم المجندين الأميين . والنظام العسكرى يكفل من خـلال أساليبه الضابطة انجاز مثل هذا العمل ٠

ب ـ نزول فرق عمل من القوات المسلحة الى المواقع القريبة من ثكناتها للمشاركة فى تعليم الأميين ٠

٦ ـ استغلال طلاب الجامعة والمدارس الثانوية فى تعليم الأميين فى المجتمعات التى ينتمون اليها :

أ ـ سواء خلال أجازاتهم الدراسية ٠

ب ـ أو بعد انتهائهم من الدراسة وانتظارهم للعمل ٠

جـ ـ أو باستثمار طاقة الخريجين ممن يقضون فترة للخدمة العامة فى المشاركة فى محو الأمية ٠

٧ ـ البدء بمحو أمية صغار السن ثم نتقدم بتعليم الأكبر فالأكبر حتى نصل الى كبار السن ٠ والسبب هو أن المتبقى من عمر الأصغر يمكن أن يستثمر بشكل أخصب ، هذا فضلا عن التصلب الذى يبدو من الكبار فى عملية التعليم والمقاومة التى يكشفون عنها أزاء من يقومون بتعليمهم لأسباب مختلفة ٠

٨ ـ اصدار قانون يلزم جميع الهيئات والمؤسسات والأفراد بالمشاركة فى هذا المشروع كل فيما يخصه وفى وقت معين وتحت ظـــل ظروف معينة وبخطوات محسوبة ومحددة وتقرر فيه الحوافز والعقوبات بشكل واضح ٠
٩ ـ تخصيص عام يطلق عليه عام محو الأمية تجند فيه جميع الامكانيات وفائض الميزانيات وأوقات الفراغ لانجاز هذا المشروع ٠

١٠ ـ الاستفادة من خبرة بلاد مثل كوبا وايران فى مواجهة الأمـر

بجدية وحزم وذلك بتجنيد جميع القادرين من المتعلمين للمشاركة فى محو الأمية فى فترة محددة ووفقا لخطة مفصلة .

١١ - أشير أيضا الى امكانية اختصار العام الدراسى فى المدارس وفى الجامعة الى ٦ شهور (فى عام محو الأمية) واختصار العام الدراسى الذى يليه أيضا الى ٦ شهور واستثمار باقى العامين الدراسيين مع ما بينهما من أجازة صيفية) فى محو الأمية باستخدام جميع المدرسين والتلاميذ القادرين وابنية المدارس والجامعات لتحقيق هذا الهدف .

١٢ - عمل دورات دراسية تنشيطية لمن محيت أميتهم وللحاصلين على شهادة الدراسة الابتدائية لمدة شهر كل عام لمدة ثلاثة أعوام حتى يتم التأكد من استقرار مستواهم العلمى .

١٣ - فرض ضريبة ضئيلة على جميع المعاملات المالية مع الدولة (مرتبات وأجور وبيع وشراء وجمارك وطلبات وعقود .. الخ) بواقع ١٪ من قيمة كل عملية وتوجه الحصيلة للانفاق على هذا المشروع .

١٤ - البدء فى الرجال أولا فى الموقع الواحد ثم التقدم الى النساء لعدد من الاعتبارات أهمها مقاومة الرجل لتعليم المرأة ان لم يكن هو متعلما .

١٥ - البدء باقناع كبار السن حيثما كانوا يمثلون قوة وتسلطا أو تعويقا للعملية بالايحاء للصغار بعدم جدوى الموضوع .

١٦ - تخصيص وزارة لمحو الأمية توضع لها خطة ذات مراحل وميزانية وتسأل عن انجازاتها امام البرلمان وتحرر من اللوائح المعقدة أو الاجراءات المعوقة .

١٧ - وضع خطة تنمية اجتماعية اقتصادية شاملة حيث أن الأمية ليست موضة ولكنها عرض لظروف أخرى صعبة يعيشها أفراد المجتمع ، وبتحسين هذه الظروف يمكن أن يساعد فى تضاؤل حجم ظاهرة الأمية فى مصر .

تعليق ومناقشة

الأفكار السابقة التى تم الاستقرار عليها هى خلاصة محصلة ٢٠٠ فكرة ثم تقيمها فى الجلسة الأولى ، وقد لوحظ على الأفكار المقدمة انها كانت تضع فى الاعتبار العيوب التى سادت التجارب السابقة والتى ما زال بعضها قائما كاستخدام الاذاعة والتليفزيون فى عملية التعليم ومحو الأمية ومنح أجر للمعلم على كل من يقوم بتعليمه ، وما أدى اليه ذلك من خداع فى كثير من الأحيان .

كذلك وضحت خبرة هؤلاء المتخصصين وقدرتهم على استثمار معارفهم ودراساتهم فى مجال السلوك الانسانى والمتغيرات والعلاقات الاجتماعية من خلال ممارسات امتدت لدى البعض منهم حوالى ٢٠ عاما .

وقد كشفت مقارنة الأفكار التى قدمتها مجموعة القصف الذهنى بالأفكار التى قدمتها مجموعة الحل الانفرادى للمشكلة عن عدد الأفكار الأساسية المعقولة التى قدمت كانت ١٧ فكرة بواقع ٨ر٠ من الفكرة لكل شخص ، فى متوسط وقت قدره ٧٥ر٦ دقيقة على حين أن متوسط الأفكار التى قدمت من أفراد مجموعة الحل الانفرادى كان ٣١ر٠ من الفكرة لكل فرد فى متوسط وقت قدره ١٠ دقائق لكل فرد .

وعند حساب قيمة كا٢ بين عدد الأفكار التى تقدمت من كلتا المجموعتين وجدت ١٦ر٤ وهى نسبة كبيرة ودلالتها الجوهرية عند ٠٥ر بما يعنى ان الأسلوب الثانى (القصف الذهنى) أفضل من الأسلوب الانفرادى فى حل المشكلات هو ما يوضحه الجدول التالى :

مصر .

المجموعة	التجريبية	الضابطة	كا٢
عدد الافكار	١٧	٧	١٦ر٤

من ذلك يتضح لنا ما يلي :

١ - ان الأفكار التى قدمتها المجموعة التجريبية كانت أكبر من حيث الكم

٢ - اتضح أيضا أن كيف ونوعية الأفكار كانت أفضل من حيث درجة البلورة أو التركيز والمعقولية والملاءمة للاستخدام .

٣ - كشفت الدراسة أيضا عن أن الأفراد فى الجلسة الثانية والثالثة كانوا أكثر استبصارا بالمشكلة من الجلسة الأولى وأكثر قدرة على التناول وربما كان هذا من أثر عملية التعلم التى تعرضوا لها سواء قبل جلسات القصف الذهنى فى فترة التعرض للدراسة أو فى نفس جلسات القصف الذهنى التى شاركوا فيها .

٤ - كشفت الدراسة أيضا عن أن الأفكار التى قدمت بالاسلوب الفردى كانت جزئية وغير متكاملة أو غير اجرائية الأمر الذى تجاوزته أفكار أسلوب القصف الذهنى خاصة فى الجلستين الأخيرتين .

ملخص

تعرضت الدراسة الحالية لأسلوب القصف الذهنى الذى ابتدعه اليكسى أوزبورن واستخدمه بعده عدد من الباحثين فى حل المشكلات وقد أجريت دراسات متعددة للمقارنة بينه وبين أساليب أخرى فى حل المشكلات أشار بعضها الى أن الأسلوب الفردى اكفأ من الأسلوب الجماعى (القصف الذهنى) فى حل المشكلات . بينما أشارت معظم الدراسات لدى الباحثين المختلفين الى أن هذا الأسلوب له مزاياه التى يتفوق بها على الأساليب الأخرى فى حل المشكلات اذا كان مما يناسب الموضوع المطروح للمعالجة.

والدراسة الحالية أجريت للكشف عن قدرة هذا الأسلوب فى تقديم حل لمشكلة الأمية .

ومن خلال المقارنة بينه وبين أسلوب آخر (الحل الفردى) أمكن الكشف عن أن القصف الذهنى قد تفوق فيما أسفر عنه من حلول تقدم لحل المشكلة المطروحة .

المراجع :

١ - سويف مصطفى ، (٦٥) مقدمة لعلم النفس الاجتماعى ، القاهرة مكتبة الانجلو المصرية .

2) Bouchanon, L. & Lindgren, H.C. (1973). Brainstorming in large groups as facilitator of children's Creative Response, **Jour. Psych.**, 83, 117-112.

3) Bouchard, T. & Hare, M. (1970). Size, Performance, and potential in Brainstorming groups, **Jour. Appl. Psych.** 54, 1, 51-55.

4) Brown, J.F. (1936). **Psychology and the Social Order**, New York: McGraw Hill.

5) Lindgren, H.C. (1967). Brainstorming and the facilitation of creativity expressed in drawing, **Percept. & Mot. Skil**, 24, 350.

6) Lindgren, H.C. & Lindgren, F. (1965 a). Brainstorming and Orneriness as facilitators of creativity, **Psych. Rep.** 16, 577-583.

7) Lindgren, H. & Lindgren, F. (1965 b). Creativity, Brainstorming and orneriness : A Cross-Cultural study, **Jour. Soc. Psycho.** 67, 23-30.

8) Meadow, A.; Parnes, S. & Reese, H. (1959). Influence of Brain storming Instructions and problem sequence on a creative problem solving test, **J. of Appl. Psychol.**, 43, 413-416.

9) Osborn, A. (1953). **Applied Imagination**, New York: Soribner.

10) Parnes, S. & Meadow, A. (1960). Evaluation of persistence of effects produced by a creative problem solving course, **Psych. Rep.**, 7, 357-361.

11) Stein, M. (1975). **Stimulating Creativity**, New York : Academic Press.

12) Taylor, D.; Berry, P. & Block, C. (1958). Does group participation when using brainstorming facilitate or inhibit creative thinking, **Adm. Sci. Qurt.** 3, 23-47.

دراسة لتطور مفهوم الذات لدى الأطفال

الدكتورة حزم على عبد الواحد وافى(*)

تشتمل هذه الدراسة على خمسة أبواب :

وتعرض الباحثة فى المقدمة الهدف من البحث :

- وفى الباب الأول ، وهو خاص بصياغة البحث ويشتمل على ثلاثة فصول : يتناول الفصل الأول موضوع البحث وأهميته ، وتحديده والفصل الثانى يتناول تحديد وتعريف تطور مفهوم الذات عن طريق تعريف هـــذا المفهوم من خلال نظريات علم النفس المختلفة ، ويتناول الفصل الثالث منهج الدراسة الذى سارت عليه الباحثة فى دراستهـا وتعريف وتقنين للمنهج الاسقاطى ..

- وفى الباب الثانى : تناولت الباحثة الدراسات السابقة لمفهوم الذات سواء العربية وبعض الدراسات الأجنبية التى بحثت هذا الموضوع لدى الأطفال ..

ثم تعرض الباحثة فى نهاية هذه الدراسات لتعليق ونقد وتقييم لهذه الدراسات مع المقارنة بالدراسة الحالية

- والباب الثالث : خـــاص بتصميم البحث وأدواته ويشتمل على فصلين : الفصل الأول : خطة البحث ويشتمل العينة ووصفها وشرح مفصل لأدوات البحث والاختبارات التى استخدمتها الباحثة . ويشتمل الفصل الثانى على عرض لبعض الاختبارات الاسقاطية للأطفال ومقارنة بينها وبين اختبار البحث الاسقاطى

(*) ملخص رسالة الدكتوراه المقدمة الى قسم علم النفس - كلية الآداب - جامعة عين شمس ، ١٩٧٩ .

ـ والباب الرابع : خاص بعرض النتائج التى توصلت اليها الباحثة من استجابات الأطفال الى اختبارات الدراسة وعرض للجداول الاحصائية وعرض للقصص التى استجاب بها الأطفال على الاختبار الاسقاطى

ـ ويشمل الباب الخامس تفسير النتائج مع توضيح الاطار النظرى الذى سارت عليه الباحثة فى تفسيرها للنتائج فى ضوء نظرية التحليل النفسى وآراء ميلانى كلاين فى التحليل النفسى ٠

اولا ـ الهدف من البحث :

تعتبر دراسة مفهوم الذات لدى الأطفال من الدراسات التى تساعدنا على فهم وملاحظة الأطفال فى حياتنا اليومية والوقوف على التغيرات الكثيرة التى تعتريهم من فترة لأخرى ٠

ويهدف البحث من دراسة تطور مفهوم الذات لدى الأطفال الوصول الى فهم هذا النمو والتطور فهما واضحا ، والى اكتشاف مراحل نمو محـددة لدى الأطفال ، تتميز كل مرحلة بانماط معينة من السلوك ، وتختص بتنظيم معين يكسبها طابعا مختلفا عن باقى المراحل ٠

وحاولت الباحثة ان تتعرف على مفهوم ـ الذات لـدى الأطفال ، عن طريق كيفية ادراك الطفل لنفسه ، وكيفية تقييمها ، وما يعتقده أنه نفسه ، وكيف يحاول من خلال مختلف الأفعال تعزيز نفسه أو الدفاع عنها ٠

كذلك كان هـدف البحث هو الوصـول الى الادراكـات والمفهومات والاستجابات الدفاعية ، لان الطفل يكون شعوريا مفهوما عن نفسه على حين قد يكون له راى مناقض لا شعوريا ، وربما لا يعى حقيقته لأنه يقف موقفا دفاعيا ، فليس كل ما يقوله الطفل عن نفسه هو تعبير مضبوط عن حقيقة مشاعره ، لذلك حرصت الباحثة على اتباع منهج التفسير التحليلى لاستجابات الأطفال ، حتى تصل الى تقييم شعورى وآخر لاشـعورى لمفهوم الذات فى مراحل الطفولة المختلفة ٠

وتنحصر اهم اهداف هذا البحث ، فى محـاولة الاجابة على سؤالين اساسيين :

١ - هل يتطور مفهوم - الذات عند الأطفال خلال مراحل النمو المختلفة ابتداء من سن الرابعـــة حتى سن الثانية عشرة ؟ واذا كان مفهوم الذات يتطور ، فما هي الأبعاد التي يأخذها هذا التطور وما هي الأشكال الدينامية العميقة له ؟

٢ - هل توجد فروق مميزة في مفهوم الذات خلال مراحل الطفولـة المختلفة بين كل من الذكور والاناث ؟

ثانيا - « منهج الدراسة والعينة والأدوات »

(أ) المنهج :

حاولت الباحثة أن تأخذ موقفا توفيقيا بين منهج « التحليل النفسي » المنهج السيكومترى »

١ - فلقد اتبعت « المنهج السيكومترى » فيما يختص باجراء وتفسير الاختبار الخاص بمفهوم الذات عند الأطفال ، حيث تناولت المعالجة الاحصائية المختلفة لكافة النتائج على أبعاد الاختبار الستة .

ولقد اتبعت الباحثة « الطريقة المستعرضة "Grass seotional" نظرا للصعوبات والعقبات العملية التي تحول من اتباع المنهج الطولي أو الدراسة الطولية "Gongitadinal or fallow up" والتي كان سببها هو كبر حجم العينة حيث كانت ١٠٠ طفل وطفلة ، وبسبب الفترة العمريـة الطويلة والتي تتراوح بين ٤ : ١٢ سنة . ولذلك كان من الضروري اللجوء الى الطريقة المستعرضة ، باختيار مجموعات عمرية مختلفة مع افتراض انها مجموعات متكافئة ، وان العامل الوحيد الذي يتغير هو العمر الزمني ، ثم دراسة تطور مفهوم الذات عبر هذه الأعمار المختلفة .

٢ - واتبعت الباحثة « منهج التحليل النفسي » فيما يختص بتفسير استجابات الأطفال على « الاختبار الاسقاطي » حيث تتكون من مجموعة من القصص بلغ عددها ١٢٠٠ قصة هي مجموع استجابات الأطفال على ١٢٠ بطاقة هي عدد بطاقات الاختبار والتي طبقت على عشرة أطفال خمسة ذكور وخمس اناث مختلفين لمختلف الأعمار من سن ٤ : ١٢ سنة .

ومهج « التحليل النفسى » يتجاوز السطح الى أعماق النفس البشرية ويضيف الى فهمنا للظاهرة الكثير من العوامل اللا شعورية الفعالة ويكشف عن الطبيعة الدفاعية للاستجابات ، ويزودنا بالفهم العميق للأبعاد الخفية للظاهرة ٠

(ب) العينة :

يتناول البحث مجموعة من الأطفال يتراوح أعمارهم بين ٤ ــ ٦ ــ ٨ ــ ١٠ و ١٢ سنة ويبلغ عددهم مائة طفل خمسون اناثا وخمسون ذكورا ولقد وحدت الباحثة الطبقة الاقتصادية والاجتماعية لعينة البحث حيث تم اختيارها من مدرسة من مدارس اللغات هى « كلية السلام » المشتركة ، وتضم أطفالا ينتمون فى الغالب الى الطبقة المتوسطة العليا بالنسبة لمستوى الدخل ومهنتى الأب والأم ، وكانت أسر جميع أفراد العينة من البيوت المستقرة غير المتصدعة اجتماعيا ، وقد تم جمع جميع البيانات من السجلات الخاصة بالأطفال لدى المشرفة الاجتماعية ، بكل من مدرسة الحضانة والمدرسة الابتدائية والاعدادية بنين وبنات ٠

(جـ) الأدوات :

استخدمت الباحثة اختبارين لمعرفة « تطور مفهوم الذات » لدى الأطفال لم يسبق ان طبقا فى مصر ٠

"Children's self — conception test — Creelman, M.B.

— **الاختبار الأول** : فهو « مفهوم الذات للأطفال » من اعداد « مارجورى كريلمان »

ويشتمل على الأبعاد الأربعة الآتية :

١ ــ تقبل الذات ٠

٢ ــ ورفض الذات

٣ ــ تقبل القيم الاجتماعية

٤ ــ ورفض القيم الاجتماعية

ولقد اضافت الباحثة بعدى « التناقض الوجدانى للذات » والتناقض الوجدانى للقيم الاجتماعية

٢ - **والاختبار الثانى :** هو اختبار « الصـور الاسقاطية من اعداد بيكفور « Pick Ford Projective Pictures — R.W. Pick Ford"
ويتكون من ١٢٠ بطاقة مصورة يطلب من الطفل حكاية قصة حول كل بطاقة.

(د) المنهج الاحصائى :

استخدمت الباحثة عدة عمليات احصائية لمعالجة نتائج الاختبار الأول وهى : (اختبارات) (T. Test) لمعرفة الفروق بين متوسطات المجموعات العمرية المختلفة على أبعاد الاختبار الستة وبين الاناث والذكور . ومعادلة (كا٢) لمعالجة استجابات الأطفال فى (تحليل المحتوى) لهذه الاستجابات على بطاقات الاختبار المختلفة . ومقارنة بين الصفوفات الارتباطية لمعامل الارتباط .

- وأما الاختبار الثانى فقد استخـدمت منهج التفسـير التحليلى فى تفسيرها لاستجابات الأطفال على القصص المختلفـة مبعثه الاطـار النظرى (التحليل النفسى) ومن وجهة نظر (ميلانى كلاين) .

ثالثا - نتائج الدراسة :

أسفرت نتائج هذه الدراسة على اختبار (مفهوم الذات للاطفال) عن وجود فروق ذات دلالة احصائية على أبعاد الاختبار الستة ، وبين المراحـل العمرية المختلفة كما يلى :

١ - فى المقارنة بين المراحل العمرية للذكور على بعد (تقبل الذات) وجد :

- فروق بين ٤ - ٨ لصالح ٨ سنوات عند مستوى ٠٥ر٠
- فروق بين ٤ - ١٠ لصالح ١٠ سنوات مستوى ٠٥ر٠
- فروق بين ٤ - ١٢ لصالح ١٢ سنة مستوى ١٠ر٠
- فروق بين ٦ - ١٢ لصالح ١٢ سنة مستوى ٠٥ر١٠
- ولم تظهر فروق ذات دلالة على بعد رفض الذات بين الذكور

- وعلى بعد (تقبل القيم الاجتماعية) بين ٤ - ٨ ذكور لصالح ٤ سنوات عند مستوى ٠٥ر٠

ـ بين ٦ ـ ٨ لصالح ٦ سنوات عند مستوى ٠١ر ـ بين ٨ ـ ١٢ لصالح ١٢ سنة عند ٠٥ر٠

ـ وعلى بعد (رفض القيم الاجتماعية) بين ٦ ـ ١٠ لصالح ١٠ سنوات عند مستوى ٠١ر٠

ـ وبين ٨ ـ ١٠ لصالح ١٠ سنوات عند مستوى ٠٥ر٠

ـ وعلى بعد (التناقض الوجدانى للذات) ظهرت فروق عند مستوى ٠٥ر٠ بين ٤ ـ ٨ لصالح ٤ سنوات ٠

ـ وعلى بعد (التناقض الوجدانى للقيم الاجتماعية) ظهرت فروق عند مستوى ٠٥ر٠ بين ٦ ـ ٨ لصالح ٨ سنوات وعند مستوى ٠١ر٠ بين ٦ ـ ١٠ لصالح ١٠ سنوات ٠

٢ ـ فى المقارنة بين المراحل العمرية للاناث على بعد (تقبل الذات) ظهرت فروق بين :

ـ ٤ ـ ٨ لصالح ٨ سنوات تحت ٠١ر٠ ، بين ٤ ـ ١٢ لصالح ١٢ سنة تحت ٠١ر٠

ـ بين ٦ ـ ١٢ لصالح ١٢ سنة تحت مستوى ٠٥ر٠

ـ وعلى بعد (رفض الذات) ظهرت فروق دالة لصالح ٤ سنوات اناث ٠

ـ بين ٤ ـ ٦ عند ٠١ر٠ ، بين ٤ ـ ٨ عند ٠١ر٠ ، ٤ ـ ١٠ عند ٠٥ر٠ ، بين ٤ ـ ١٢ عند ٠١ر٠

ـ وبين ٦ ـ ٨ لصالح ٦ سنوات عند مستوى دلالة ٠٥ر٠

ـ وعلى بعد (تقبل القيم الاجتماعية) بين ٤ ـ ٨ لصالح ٤ سنوات عند٠٥ر٠ ، بين ٦ ـ ٨ لصالح ٦ سنوات عند ٠٥ر٠

ـ وعلى بعد (رفض القيم الاجتماعية) بين ٨ ـ ١٠ لصالح ١٠ سنوات عند مستوى ٠٦ر٠

ـ وعلى بعد (التناقض الوجدانى للذات) ظهرت فروق دالة لصالح ٤ سنوات اناث بين :

٤ ـ ٦ عند ١٠ر٠ ، بين ٤ ـ ٨ عند ١٠ر٠ ، بين ٤ ـ ١٠ عند ١٠ر٠ ، بين ٤ ـ ١٢ عند ١٠ر٠، بين ٦ ـ ٨ لصالح ٦ سنوات عند مستوى ٠٥ر٠ ٠
ـ ولم تظهر فروق ذات دلالة بين الاناث على بعد (التناقض الوجدانى للقيم الاجتماعية) ٠

٣ ـ فى المقارنة بين المراحل العمرية المختلفة لكل من الاناث والذكور ظهرت فروق على بعد (رفض الذات) بين ٤ ـ ٤ لصالح الاناث ـ وعلى بعد (التناقض الوجدانى للذات) بين ٤ ـ ٤ لصالح الاناث أيضا

ـ وباستخدام (تحليل المحتوى) أسفرت النتائج عن وجود فروق ذات دلالة احصائية على بطاقات الاختبار المختلفة بين كل من الذكور والاناث حيث ظهرت دلالة تحت مستوى ٠٠١ر٠ ، ٠١ر٠ ، ٠٥ر٠ على محتوى المواقف المختلفة لبطاقات الاختبار والتى اشتملت على المواقف الموجبة الآتية :

ـ الارتباط بالأسرة ـ احترام المدرسة والمعلم ـ اللعب وعدم الاعتداء والمسالمة مع الزملاء ـ مساعدة الاسرة فى المنزل وفى رعاية الصغير ـ النظافة والوجه المبتسم ـ الاستقلال والاعتماد على النفس ـ العطف على الأطفال ووجدت فروق ذات دلالة احصائية على المواقف السالبة الآتية :

ـ البعد عن الوالدين والأسرة ـ الوحدة والبعد عن الأصدقاء ـ الاعتداء على الغير واللعب بعنف ـ القذارة فى الوجه والملابس ـ تخريب اللعب والممتلكات ـ الامتناع عن المساعدة فى عمل المنزل ـ الاعتداء على المدرسة والشرطى والأطفال ٠٠

وأسفرت نتائج الاختبار الثانى الاسقاطى والذى ، أتبعت الباحثة فى تفسيره منهج « التحليل النفسى » عن وجود فروق فى تطور مفهوم الذات لدى الأطفال فى المراحل العمرية المختلفة من ناحية تطور العلاقة بالموضوع وبالآخرين كالوالدين والأخوة والأقران ، ومن ناحية البناء الغريزى Lipido والعدوان ، وكشف التفسير التحليلى على العمليات الدفساعية والرموز والتعبيرات المقنعة والغموض بصوره وأيضا مراحل نمو الأنا الأعلى ٠

واختلفت الاستجابات على بطاقات الاختبار المختلفة بالنسبة لكل فئة عمرية ، وبالنسبة للذكور والاناث من ناحية تطور الهوية أو الشعور بالأنا فى مقابل العالم والآخرين ٠

خاتمـــة

وتدل هذه النتائج على تطور مفهوم الذات لدى الأطفال خلال المراحل العمرية المختلفة ..

وبهذه النتائج أمكن للباحثة الاجابة على سؤال البحث ، حيث أثبتت الدراسة اختلاف هذا المفهوم ابتداء من سن الرابعة وتطوره حتى سن الثانية عشرة ، وذلك على كل من أبعاد الاختبار المختلفة

وعلى وجود بعض الاختلافات بين الاناث والذكـور فى مفهوم الذات خلال مراحل نموهم وتطورهم ..

آثر التصنيع والتحضر على البناء الاجتماعى في المجتمعات الصغيرة

دراسة انثروبولوجية لجزيرة الذهب فى محافظة الجيزة (*)

الدكتور ثروت اسحق(**)

اقترنت الثورة الصناعية فى منتصف القرن الثامن عشر بثورة حضرية، حيث ازداد جذب المدن لسكان الريف ، وأصبحت دراسة التصنيع والتحضر تدخل فى أطار دراسة التغير الاجتماعى فهما من أبرز عوامل هذا التغير . وقد استأثر التصنيع والتحضر باهتمام علماء الاجتماع وبخاصة اميل دور كايم وماكس فيبر ، كما ازداد الاهتمام بالمؤسسة الصناعية منذ دراسة وسترن الكتريك التى قادها التون مايو . بينما ازداد اهتمام علماء الانثروبولوجيا بدراسة المجتمع الصناعى فى محاولة لاستخدام الاجراءات المنهجية فى بحث ودراسة المجتمع الصناعى ، غير أنهم ظلوا أشد ميلا لاختبار فروضهم فى مجتمعات محلية صغيرة الحجم نسبيا حيث يزداد الاهتمام بالبعد المجتمعى الضيق والمتسع مع الانتفاع بالنظرة الكلية الشاملة والمعايشة الفعلية التى تزداد قيمتها نتيجة للاهتمام بتطبيق العديد من أدوات جمع البيانات عن هذه الظواهر فى المجتمع ، وقد تناولت الدراسة الراهنة أثر التصنيع والتحضر على الانساق الاجتماعية فى بعض المجتمعات المحلية الصغيرة التابعة للعاصمة. واختار الدارس لتحقيق هذا الهدف دراسة مجتمعين محليين متجاورين يقعان فى زمام القاهرة الكبرى ولا يفصلهما عن وسط المدينة أكثر من خمسة كيلومترات ، وبينما تستقر المؤسسات الصناعية فى المجتمع الأول ــ مجتمع الأطراف الذى يتصل بالمدينة اتصالا (عضويا) يستقر المجتمع المحلى الثانى (الظهير الزراعى) فى وسط النيل بينما تحيط به المؤسسات الصناعية من شتى جوانبه ، ويمكن ايجاز الهدف من دراستنا فيما يلى :

---

* ملخص رسالة قدمت لنيل درجة الدكتوراة فى علم الاجتماع من كلية الآداب ـ جامعة عين شمس سنة ١٩٨٠ .

** مدرس علم الاجتماع بكلية الآداب جامعة عين شمس

١ - محاولة استجلاء العلاقة التفاعلية بين المدينة الصناعية والمحليات التابعة لها كالأطراف والظهر الزراعية ٠

٢ - محاولة دراسة أوجه العلاقة بين التصنيع والتحضر وبعض الأنساق الاجتماعية فى هذه المجتمعات المحلية ٠

٣ - الدراسة المقارنة لمجتمعين محليين يختلف أخـذهما بمقتضيات التصنيع والتحضر وتفاعلهما مع هذه المتغيرات بغية الخروج بنتائج واضحة ومحددة ٠

كما صيغت التساؤلات التى حاولت الدراسة أن تجيب عنها فيما يلى :

١ - ما هو نمط التفاعل بين المدينة الصـــناعية والمجتمعات المحلية الصغيرة التابعة لها ؟

٢ - ما هى أبرز التغيرا تالبنائية التى يعكسها التصنيع والتحضر على الأنساق الاجتماعية فى هذه المجتمعات المحلية ٠

٣ - هل يمكن لآثار التصنيع أن تسبق آثار التحضر أو العكس ٠

وترجع أهمية هذه الدراسة فى انها حاولت أن تستخدم المدخـــل الأنثروبولوجى لدراسة التصنيع والتحضر فى واحدة من المدن الصناعية العملاقة فى العالم الثالث لتستشف الملامح البنائية الخاصة ببعض مجتمعاتها المحلية الصغيرة والتى يمكن أن نرجعها لتأثير التصنيع والتحضر فى العاصمة أو فى المجتمع المحلى نفسه ٠

وقد استخـــدم الباحث بعض الأدوات السوسيو - انثروبولوجية المتضمنة لاستمارة الاستبيان ، ودليل دراسة الحالة ، والملاحظة ، والمقابلات الجماعية ، الى جانب الاخباريين ٠

أما عن النماذج التى اختيرت للدراسة الحقلية فتتمثل فى أطراف المدينة وظهرها الزراعية عوضا عن التركيز التقليدى على دراسة وسط المدينة ٠ غير أن التساؤل الذى يثار هنا فحواه : لماذا اختار الباحث الأطراف والظهر الزراعية ليستجلى فيها آثار التصنيع والتحضر ؟

أما أولا - فلان المدينة تبسط سيطرتها على هذه المناطق بصفة مستمرة وتعكس الكثير من ملامحها المتروبوليتانية عليها وهى بهـذا المعنى لا تفهم الا فى ضوء علاقتها بالمدينة الصناعية التى يزداد تفاعلها معها بمرور الوقت ·

وثانيا - أن سكان هذه المناطق يزداد اعتمادهم على المدينة ومن المتوقع ان يزداد أقبال القوة العاملة على الحرف الصناعية التى تزداد معدلاتها فى المدينة الصناعية ·

وثالثا - فان معظم سكان هذه المناطق من الفئات التى هاجـرت الى المدينة مما يتيح الفرصة لدراسة ظاهرة الهجرة الى المدينة والعلاقة بين الفئات الأصلية والجماعات الوافدة ·

ورابعا - ان دراسة التغير فى مثل هذه المجتمعات المحلية الصغيرة لن يكون باهرا ولن يكون عنيفا ولكنه سيكون على آية خال اسهاما حقيقيا فى فهم ديناميات التغير التى يلعب التصنيع والتحضر فيها دورا أساسيا ، بل ان هذه المناطق تعد من جهة أخرى عقبة فى وجه النمو الصناعى فهى تعتبر عادة مناطق متخلفة تستوجب الاهتمام بدراستها لاستجلاء العوامل التى تقف فى وجه التصنيع والتحضر فى المدن الصناعية ·

وغير خاف أن الباحث قد اقتنع للوهلة الأولى أن من مسلمات الدراسة بأن التصنيع والتحضر الذى يميز العاصمة المصرية ومجتمعاتها المحلية التابعة لها يختلف اختلافا أساسيا عن نظيره فى المجتمعات الغربية والشرقية عـلى السواء ، وهكذا أصبح هناك العديد من المحاذير فى آن نستقى معرفتنـا بالظاهرة من التراث الغربى دون نقد أو تمحيص ·

وقد انقسمت الدراسة الى ثمانية فصول حيث ناقش الأول دور المدخل الانثروبولوجى فى دراسة التصنيع والتحضر والمجتمع المحلى ·· أما الثانى فتناول التصنيع والتحضر فى العالم الثالث بصفة عامة بينما ناقش الثالث التصنيع والتحضر فى مصر واهتم الباحث فى الرابـع بالتعرف على ابرز الدراسات السابقة فى هذا المجال اما الخـامس فعرض فيه لاستراتيجية الدراسة الحقلية بينما استأثر السادس بالعـلاقة التفاعلية بين التصنيع والتحضر والمجتمع المحلى فى المجتمع الأول · وتناول الفصل السابع العلاقة التفاعلية بين التصنيع والتحضر والبناء الاجتماعى فى المجتمع المحلى الثانى وناقش الفصل الأخير نتائج الدراسة ·

نتائج الدراسة :

افصحت نتائج الدراسة الفعلية ان ميكانزمات التصنيع والتحضر قد لعبا دورا أكثر فاعلية فى مجتمع الأطراف (المنطقة الممتدة من ساقية مكى الى المنيب) فالمجتمع يعد عنق الزجاجة الذى يؤدى الى مصر العليا كما أن متاخمته للمدينة قد دفع بموجات متتابعة للهجرة الداخلية الى المنطقة بفعل عوامل الطرد المختلفة مما أدى الى ازدحام المجتمع المحلى بالسكان وانكماش المساحة المتزرعة بينما شجع التصنيع والتحضر على قيام الأسرة الزواجية النووية الأكثر شبابا الأصغر حجما ، الأقل فى عدد أولادها ، الأقل فى متوسط عدد الغرف التى تشغلها ، الأكبر فى معدل تزاحمها ، فى غرف المسكن ، الأكثر اهتماما بوسائل تنظيم الاسرة عن نظيرتها فى الظهير المقابل لها كما أن من أبرز ملامح النسق الاقتصادى فى مجتمع الأطراف التحول من الزراعة كحرفة أساسية الى تنوع النشاط الاقتصادى ، وقد استحوذت المهن الصناعية على نسبة أكبر من معدلها فى الظهير الزراعى الذى ظل محافظا على هويته الزراعية كحرفة أساسية مع الاستعانة بأدوات الانتاج (المتخلفة) بينما أحجمت قوته العاملة عن الاشتغال فى المؤسسات الصناعية (التى تقع قريبا منه) برغم وقوعه فى كبرى المدن المصرية الصناعية . وقد تشكل بناء القوة فى مجتمع الأطراف من الفئة المتعلمة (التى تحولت من المساهمة المحلية المحدودة الى المساهمة العاصمية) أما بناء القوة فى الظهير فقد ظلت تحتل اركانه الرئيسية فئة كبار السن من رؤساء البدنات التى هاجرت للظهير الزراعى ، غير أن تأثير التصنيع والتحضر على مظاهر الضبط الاجتماعى والقيم والاتجاهات ظلت فى المحل الأول تقليدية فى المجتمع المحلى الأول والثانى على حد سواء .

وقد أفصحت الدراسة الحقلية أن التحضر فى المجتمعات المحلية المدروسة لعب دورا أكثر فاعلية من دور التصنيع ، ففى مجتمع الأطراف أدى امتداد وسائل النقل والمواصلات للمنطقة وانضمامها الى «كردون» المدينة لابراز الأثر فى التأثير على البناء الاجتماعى التقليدى ، بينما أضحى النسق الاقتصادى فى الظهير الزراعى أشد الأنساق مرونة واتصالا بالسوق العاصمى وبالتالى أكثر الأنساق تقدمية فى المجتمع المحلى اذا جاز هذا التعبير حيث انتهى الباحث الى أن المجتمعات المحلية المكونة للقاهرة الكبرى لا تتأثر بصورة متماثلة بوجودها فى محيط المدينة الحضرية الصناعية ، وهى لا تتمشى مع النموذج الذى قدمه ردفيلد وبريث عن التحضر قدر تمشيها مع النموذج الأكثر مرونة الذى قدمه اسكار لويس ، واستنتج الباحث أن انتشار الأمية لدى القوة العاملة فى هذه المجتمعات المحلية الصغيرة ونقص تدريبها المهنى

جعلا القوة العاملة أقل استجابة لمتطلبات العمل الصناعى ، كما أن اتجاه السكان للعمل فى القطاع الثالث كـان سببا من أسباب تخلف القطـاع الاقتصادى بها بل ان هذه المجتمعات المحلية تعانى من هامشية التصنيع فيها • اذ أن هذه المجتمعات المحلية التى تقع فى زمام كبرى مدننا الصناعية ما زالت تشهد ازدواجية ملحوظة فى القطاع الصناعى بين التكنولوجيـا المتقدمة وتلك التى توصف بالتخلف وازدواجية ملحوظة فى انساق القيم بين فئات أصلية وأخرى وافدة (وهى ظاهرة كانت أكثر وضوحا فى مجتمع الأطراف الذى تناولته الدراسة) أضف الى ذلك الاختلال الواضح فى توزيع الثروة الناتج عن مظاهر الكسب غير المشروع وزحف المشروعات الاستثمارية اليها ، هذا علاوة على التخلف الذى تعانى منه هذه المجتمعات الصغيرة فى نهاية الأمر نتيجة لحرمانها من أبسط الخدمات الحضرية •• الأمر الذى يظهر جليا فى حالة الظهير الزراعى الذى قمنا بدراسته ، فالخدمات الصناعيـــة الحضرية المقدمة لهذه المجتمعات المحلية عقيمة وهى تزيد بدورها من حـــدة الاغتراب بين المدينة وأطرافها وتوابعها وظهرها الزراعية كما تساهم فى تعدد علاقات وأنماط الانتاج فى مجتمعنا •

بحوث جديدة : صدر حديثا

بحث
اتجاهات الرأى العام
حول مكانة المرأة من خلال الأمثال الشعبية

هيئة البحث :

دكتورة ناهد رمزى ، دكتور صفوت فرج

والأساتذة

محمد سلامة آدم	زينب شاهين
عادل عبد الرازق سلطان	شاكر عبد الحميد سليمان
كاميليا حلمى اسماعيل	منى على يوسف
سميحة نصر	عمر بن الخطاب خليل

ديناميات التفاعل الاجتماعى فى المؤسسات العلاجية(*)

الاستاذة ماجده السيد حافظ عبد الرحمن(**)

تعتبر قضية الصحة أحدى القضايا التى تحتل مكانة خاصـــة على المستويين العالمى والقومى ، وأكبر دليل على ذلك تلك الدراسات والبحوث والمقالات التى تنشر فى مختلف أنحاء العالم بهدف فهم مشكلة الصحة والمرض ومواجهتها مواجهة علمية حقيقية .

ويعتبر علم الاجتماع الطبى فرعا أساسيا من فروع علم الاجتماع يهتم بدراسة هذه الأبعاد ومعالجتها معالجة اجتماعية ، لأن قضية مثل قضية الصحة ليست بعيدة عن محور اهتمام علم الاجتماع حيث أن هناك أوجه ارتباط بين علم الطب وعلم الاجتماع .

أى أن المسلمة الأساسية التى ينهض عليها هذا الفرع من علم الاجتماع هى العلاقة المتبادلة بين الصحة والمجتمع ـ حيث ان محددات الصحة والمرض ليست محددات بيولوجية فحسب بل هناك عوامل اجتماعية واقتصادية لها وزنها وأهميتها ، ولا بد من وضعها فى الاعتبار عند دراسة هذه القضية ، وعلى الأخص بالنسبة لبعض الأمراض التى لا تلعب فيها الوراثة (المورثات) دورا يذكر مثل مرض الدرن موضـــوع دراستنا الراهنة ، وطبقا لذلك نستطيع أن نحدد بعض النقاط التى يستفيد الطب من خـــلالها من علم الاجتماع وهى كالآتى :

١ ـ العوامل الاجتماعية للمرض .
٢ ـ العلاقة أو التفاعل بين المريض والطبيب
٣ ـ المظاهر التنظيمية للمؤسسات الصحية
٤ ـ البعد الاجتماعى الاقتصادى وعلاقته بالخدمات الصحية

---

* دراسة اجتماعية ميدانية قدمت لنيل درجة الماجستير فى علم الاجتمـــاع ـ كلية الآداب ـ جامعة عين شمس ، ١٩٨٠

** مدرس علم الاجتماع المساعد بكلية الآداب ـ جامعة عين شمس :

ويحتم علينا الموقف الآن أن نوضح ما هى المبررات الأساسية التى جعلتنا نختار مرض الدرن بالذات ٠

١ - مرض الدرن وخاصة النوع الرئوى ، نجد آلوفا بل ملايين من الناس قد ماتوا ولا يزالون يموتون بسببه ، وفى المجتمع المصرى مع أنه بلد الشمس الساطعة والهواء النقى نجد كثيرا من المصريين يصابون فى المدن وكذلك فى القرى ٠

٢ - مرض الدرن قد يصيب الانســـان فى أى عمـــل ولكنه يصيب بالأكثر الأطفال والشباب ويقل حدوثه فى الكهول والشيوخ ٠

ومن هنا نرى خطورته على الشعوب لأنه يقضى على باكورة أبنائها وزهرة شبابها ٠

٣ - وهى النقطة المهمة ، حيث أن العوامل المهيئة لهذا المرض كلهـا عوامل اجتماعية بيئية نابعة من الظروف الاقتصادية الاجتماعية (التلوث - سوء التغذية - المنطقة المتخلفة) وليست عوامل بيولوجية ٠

٤ - الرغبة فى التعرف على نوعية التفاعل الاجتماعى بين المؤسسـة العلاجية والمرضى المصابين بمرض الدرن ٠

وطبقا لذلك نعتبر المرض الجسمى (الدرن) مشكلة اجتماعية تأكيدا لرأى أستاذنا الدكتور سمير نعيم بأن المشكلة الاجتماعية هى كل موقف أو وضع يعوق انسانية الأنسان ، فكل ما يعوق تطور الانسان وتقدمه نحـو الانسانية يعتبر مشكلة ، ولا بد من وجود حل حاسم وفورى لها ٠

ونرى أن دور العلوم الاجتماعية فى غاية الأهمية فى تحقيق انسانية الانسان والكشف عن القوى الاجتماعية والاقتصادية والاستعماريـة التى تحول دون ذلك ، ويتسنى ذلك من خلال الاهتمام بالقضايا التى يتسـع النطاق للاعتراف بها كمشكلات اجتماعية مثل الفقر - الأمية - الصحة - الاسكان ٠٠٠ الخ ٠

يتضح لنا مما سبق أن تعريف المشكلة الاجتماعية يرتبط أرتباطـا وثيقا بالايديولوجيا ومن ثم عرضت دراستنا الراهنـة الاتجاهات الأساسية فى علم الاجتماع فى تفسير المرض الجسمى كمشكلة اجتماعية ٠

أولا : الاتجاه المحافظ :

عرضت الباحثة نظريتين اجتماعيتين توضح من خلالهما وجهة نظـــر الاتجاه المحافظ فى تفسير المرض الجسمى كمشكلة اجتماعية ٠

(أ) نظرية المرض الاجتماعى ٠

(ب) النظرية الوظيفيـــة ٠

ثانيا : الاتجاه المــادى :

تناولت الباحثة آراء لكل من فرانك وماكس وانجلز فى توضيح الى أى حد يعتبر المرض الجسمى (الدرن) مشكلة اجتماعية ٠

وبعد عرضنا لوجهات النظر السابقة اعتبرنا مرض الدرن مشكلة اجتماعية ناجمة عن فشل البناء الاقتصادى والاجتماعى فى تحقيق الظروف المعيشية الملائمة لبعض فئات المجتمع ، وبالتالى تكون هذه الفئات عرضة دون غيرها للاصابة بهذا المرض ٠

ويتضح مما سبق أن لقضية الصحة وزنها وتزداد أهميتها اذا علمنا أنها من أهم القضايا ارتباطا بقضية التنمية ٠

ومن ثم يمكننا القول ان الخدمات العلاجية والاجتماعية للمواطنين تعد استثمارا بشريا يعود بطريقة غير مباشرة على المجتمع ٠

وبعبارة أخرى ان الصحة ليست ثمرة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية فحسب ، بل هى أيضا وسيلة أساسية الى جانب الوسائل الأخرى لبلوغ الأهداف المرجوة فى تحقيق تنمية شعوب البلاد النامية ٠

وطبقا لذلك أن الخدمات الصحية ، فضلا عن أنها تهدف الى الاحتفاظ بالصحة ورفع مستواها ومنع المرض ، وتوفير امكانيات التشخيص والعلاج ، وهى تعتبر كلها أهدافا فى ذاتها ، وعوامل هامة من عوامل الرفاهية للأفراد والمجتمعات وتتصل أيضا اتصالا وثيقا بالعنصر البشرى فى التنمية ، فكلما تحسنت صحة العاملين وطالت حياتهم أدى ذلك الى زيادة الانتاج ٠ كما أن التحسن فى المسترى الصحى يقلل المصروفات التى تتكبدها فى الانفاق على علاج المرض وفى دفع الاعانات والتعويضـــات لهم مما يوفر مالا اضافيا للاستثمار والتنمية ٠

وفى هذا المجال يمكننا ان نستفيد من خبرات وتجارب بعض الدول فى التنمية الصحية (الصين - الهند - بنجلاديش - تنزانيا - فنزويلا - كوبا المجر - السودان) •

وفى اعتقادنا ونحن بصدد دراسة تجارب ببعض الدول أن نكون على حذر من التيارات والمصالح والايديولوجيات الغربية • ونعتقد أن الاتجاه المادى يستطيع أن يقودنا الى فهم بنائى متعمق للتنمية الصحية

ولكن ذلك لا يجعلنا نتغافل خصوصية الواقع المصرى • أعنى بذلك أننا بحاجة الى نظرية جديدة تعبر عن واقعنا وتقدم لنا تفسيرا حيا وحقيقيا لتحقيق التنمية الصحية فى مجتمعنا •

ومن خلال عرضنا السابق يتضح أن وحدة دراستنا ليست دراسة أشخاص بل دراسة مؤسسات من حيث تأدية دورها الوظيفى على أكمل وجه من أجل تكامل المجتمع ، أعنى بذلك أن تركيزنا ومحور اهتمامنا فى هذه الدراسة ينحصر فى المشكلات العامة التى هى من وجهة نظرنا يجب أن يهتم بها الدارسون والمهتمون بالعلوم الاجتماعية لكى نضع أيدينا على وجه القصور فى قضايانا العامة لتنمية مجتمعنا •

واذا طبقنا هذا على وجه الدراسة الصحية نجدها قضية عامة ، يجب الاهتمام بها وبالمشكلات الاقتصادية والاجتماعية المرتبطة بهذه القضية الهامة •

يتضح لنا اذن أن هذه الدراسة تهدف الكشف عن مدى تأدية المؤسسات العلاجية لدورها وديناميات التفاعل مع المترددين ، ونقصد بديناميات التفاعل الاجتماعى الخدمات العلاجية (التغذية - الأدوية) والاجتماعية ودور الاخصائى الاجتماعى الطبى) •

ولكى يتحقق هذا الهدف اختارت الباحثة موضوعا اجتماعيا محددا هو : هل هناك علاقة بين نوعية التفاعل الاجتماعى بين المرض والمؤسسة العلاجية وبين القدرة المالية للمترددين •

ولقد اختيرت طبقا لامكانيات البحث مشكلتان إجتماعيتان مرتبطتان بنوعية التفاعل الاجتماعى فى المؤسسات الاجتماعية العلاجية •

(أ) بعض التأثيرات الأسرية ٠

(ب) ارتفاع نسبة الوفيات ٠

وبناء على ذلك ، ولكى تحقق الدراسة هدفها فهى تطرح التساؤلات الآتية :

التساؤل الأول :

ما هى العلاقة بين القدرة المالية للمرضى وبين نوعية التفاعل الاجتماعى بينهم وبين المؤسسة العلاجية ٠

يندرج أو يتبع هذا التساؤل مجموعة من التساؤلات الفرعية كالآتى :

١ ــ ما هى العلاقة بين القدرة المالية للمريض وبين نوعية التفاعل الاجتماعى مع الطبيب ؟

٢ ــ ما هى العلاقة بين القدرة المالية للمريض وبين نوعية التفاعل الاجتماعى مع الممرضة ؟

٣ ــ ما هى العلاقة بين القدرة المالية للمريض وبين نوعية التفاعل الاجتماعى مع الأخصائى الاجتماعى ؟

٤ ــ ما هى العلاقة بين القدرة المالية للمريض وبين نوعية الدواء المقدم له ؟

التساؤل الثانى :

ما هى العلاقة بين نوعية التفاعل الاجتماعى بين المرضى والمؤسسات العلاجية وبين بعض التأثيرات الأسرية (وما هى) الطبقات التى تنتشر بينها ببعض التأثيرات الأسرية ٠

ويتبع هذا التساؤل تساؤلات أخرى فرعية كالآتى :

١ ــ ما هى العلاقة بين نوعية التفاعل الاجتماعى وبين بعض المشكلات الاقتصادية للأسرة ٠

٢ – ما هى العلاقة بين نوعية التفاعل الاجتماعى وبين حرمان الأبنـاء من مواصلة تعليمهم ·

٣ – ما هى العلاقة بين نوعية التفاعل الاجتماعى وبين حدوث الطلاق بين المريض وزوجته ·

٤ – ما هى العلاقة بين نوعية التفاعل الاجتماعى وبين انحراف أحد الأبناء ·

٥ – ما هى العلاقة بين نوعية التفاعل الاجتماعى وبين خروج الزوجة في أعمال مهينة من وجهة نظر القيم السائدة فى المجتمع عن نوعية العمل ·

التساؤل الثالث :

ما هى العلاقة بين نوعية التفاعل الاجتماعى بين المريض والمؤسسـة العلاجية وبين مشكلة ارتفاع نسبة الوفيات ؟

وما هى الطبقات التى تنتشر بينها مشكلة ارتفاع نسبة الوفيات ·

ان الجزء الأول من هذا التساؤل العلاقة بين نوعية التفاعل الاجتماعى بين المريض والمؤسسة العلاجية وبين ارتفاع نسبة الوفيات ·

لا يمكن للباحثة ان تتحـقق أو تكشف عنه ميدانيا ولكن بالامكان استخدام التحليل الاحصائى للاجابة عن هذا التساؤل الذى يمكن أن يزودنا بمعلومات رقمية ١٩٥٢ – ١٩٥٧ عن :

١ – عدد السكان ·

٢ – اجمالى عدد الوفيات ·

٣ – المعدل العام للوفيات فى الألف ·

٤ – عدد الوفيات التى وردت لها أسباب الوفيات

٥ – عدد المتوفين بسبب الدرن ونسبتهم فى الألف

النسبة هى نتيجة عدد المتوفين بالدرن الى عدد الوفيات التى وردت لها اسباب وفاة ·

٦ – عدد المرضى المصابين بالدرن ·

٧ – عدد الوحدات العلاجية لمرض الدرن ·

٨ ـ عدد الأسرة المختصة لمرضى الدرن ٠

٩ ـ الاطلاع على حـــالات الوفـــاة فى مرض الدرن من سجـلات المستشفيات ٠

موضوع الدراسة :

أما الجزء الثانى من هذا التساؤل (ما هى الطبقات التى تنتشر بينهـا مشكلة ارتفاع نسبة الوفيات) فتستطيع الباحثة ان تجيب عن هذا التساؤل من خلال تحليل للبيانات الخاصة بالمستوى الاقتصادى الاجتماعى فى استمارة المقابلة ٠

واذا كان الهدف من دراستنا الراهنة هو الكشف عن ديناميات التفاعل الاجتماعى فى المؤسسات العلاجية الخاصة بمرض الدرن فقـــد استعانت دراستنا بمجموعة من الأساليب المنهجية تتمثل فى استخدام الأســلوب الوضعى المقارن والأسلوب المسحى المحدود وأسلوب التحليل الاحصـائى التاريخى ٠

ولقد أعتمدت دراستنا الحالية على بعض الوســائل فى الحصــول على البيانات المتاحة تنحصر فيما يلى :

أولا : التحليل الاحصائى :

لقد أستعانت دراستنا بالتحليل الاحصائى لتوضيح حجم مشكلة الدرن فى المجتمع المصرى وذلك من خلال الاحصاءات الخاصـة بعدد المرضى ، عـدد الوحدات العلاجية ـ عدد الأسرة ـ نسبة الوفيات ٠٠

ولقد أعتمدت الباحثة فى الحصول على البيانات الاحصائية من الجهات الآتية :

١ ـ الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ـ الادارة المركزية للاحصاء ـ ـالادارة العامة لاحصاءات السكان والعمل ٠

٢ ـ احصاءات وزارة الصحة الخاصة بمرض الدرن ٠

٣ ـ الشركة المصرية لتجارة الادوية ، الادارة العامة للمناطق ٠

ثانيا : استمارة المقابلة :

اشتملت استمارة المقابلة على ٦٧ سؤالا تحاول الباحثة من خلالها الاجابة على التساؤلات سالفة الذكر .

ثالثا : الملاحظة :

لقد جمعت دراستنا الحالية بين الملاحظة المباشرة والملاحظة غير المباشرة فبالنسبة للملاحظة المباشرة أستخدمت الباحثة النوع البسيط من الملاحظة أما عن الملاحظة غير المباشرة فقد أستعانت الباحثة بأجراء علمى يضمن دقة الملاحظة ودلالتها بالنسبة لمشكلة موضوع البحث . وهذا الاجراء يتمثل فى اعداد استمارة للملاحظه مستعينة بخبرة طبيب صيدلى وفى ملاحظة المواقف موضع الدراسة وتتضمن استمارة الملاحظة البنود التالية :

(أ) التغـذية

(ب) الأدويـــة

(جـ) أسلوب العلاج

تقليدى (سنتين على الأقل).

حـديث (سنة على الأكثر)

رابعا : دراسة الحالة :

أستخدمت دراسة الحالة فى الحصول على حقـــائق متعلقة بمجموعة الظروف المحيطة بموقف اجتماعى أو فى التوصل الى معرفة العوامل المتشابكة التى يمكن استخدامها فى وصف وتحليل العمليات الاجتماعية .

وطبقا لذلك درست الباحثة (تسع) حالات توضح من خلالها الى أى حد تلعب الظروف الاقتصادية والاجتماعية الدور الأساسى فى حدوث مرض الدرن وقد تم ذلك من خلال زيارة الباحثة للمنازل الخاصة بعائلات المرضى .

عينة البحث :

حددت الباحثة منذ البداية وحدة عينة الدراسة فشملت مرض الدرن بمستشفى صدر العباسية (قسم الدرجات التابع للشركات) ومرض الدرن بمستشفى صدر المراج (القسم المجانى).

ولقد قامت الباحثة بحصر عددى لعدد المرضى فى عينتى الدراسة ٠

ثم رأت الباحثة أن تحدد حجم العينة بنسبة ٣٠٪ وهذا معناه أن حجم عينة الدراسة (١٠٠) مريض بصدر العباسية و (١٠٠) مريض بصدر المـــرج ٠

اختبار تساؤلات الدراسة :

التساؤل الأول : القدرة المالية والتفاعل الاجتماعي فى المستشفى :

تم حساب القدرة المالية للمرضى من واقع :

(أ) دخول الأبناء الذين يعيشون مع الأسرة وغير مستقلين أو متزوجين

(ب) الدخل الشهرى لرب الأسرة ٠

(جـ) وجود دخل آخر من مصادر أخرى ٠

وقد تم حساب كا٢ بين التفاعل الاجتماعى وبين القدرة المالية بالنسبة لجميع أسئلة التفاعل الاجتماعى ، وقد وجد أن جميعها غير دالة بالنسبة لكل مستشفى على حدة ولكن حين جمعت عينتى الدراسة فى عينة واحدة وجد أن هناك علاقة جوهرية بين التفاعل الاجتماعى والقدرة المالية ٠

وقد حدا بنا ذلك الى دراسة العلاقة بين أسئلة التفاعل الاجتماعى الثمانية فى كل من مستشفى صدر المرج وصدر العباسية عن طريق اختبار T-test وكلها كانت دالة عند نسبة ١٠ر = ٠

التساؤل الثانى : التفاعل الاجتماعى وبعض التاثيرات الأسرية :

قامت الباحثة بتصميم مقياس للتفاعل الاجتماعى ، وقد تم حسابه من واقع أسئلة التفاعل الثمانية ومجموع درجاتها (١٦) ٠

وأخذت التأثيرات الأسرية من الأسئلة ٥٤/٥٧/٥٩ ٠ وتم حساب العلاقة بين التفاعل الاجتماعى والتأثيرات الأسرية وجميعها غير دالة ولا ترتبط بالتفاعل الاجتماعى ٠ ويرجع ذلك الى أن عينتى الدراســـة فى مستوى اقتصادى واحد ، فكل أفراد العينة عرضة لنفس المشـــكلات الاقتصادية ٠ ٠

التساؤل الثالث : سوء الخدمات الصحية لمرضى الدرن وارتفاع نسبة الوفيات بينهم :

تم اختبار هذا التساؤل عن طريق :

أولا :

استنتاجات الباحثة من نتائج الدراسة الميدانية على الأخص التغذية - الأدوية - الأخصائى الإجتماعى ، وجدت كلها سلبية فى مستشفيات الدرن وبالتالى تكون عاملا أساسيا فى ارتفاع نسبة الوفيات بين هؤلاء المرضى ٠

ثانيا :

التحليل الأحصائى للوفيات فى مجتمعنا لمرضى الدرن ١٩٥٢/١٩٧٧ وربطه بالتحولات الاقتصادية والاجتماعية التى طرأت على المجتمع المصرى ٠

النتائج

١ - تنحصر المستويات الاقتصادية فى عينتى الدراسة بين المستويات المالية المنخفضة لا يوجد دخل وحتى ١٠ جنيهات والمستويات المالية المتوسطة (٢٠ - ٣٩ جنيها) ٠

٢ - تنحصر الحالة المهنية لأفراد عينة الدراسة بين العمال الحرفيين بالحكومة والقطاع العام وعمال الخدمات بالحكومة والقطاع العام وبين العمال باليومية والبائعين الجائلين ٠

٣ - تعتبر الظروف الإجتماعية (المسكن - سوء التهويـة - سوء الخدمات الخاصة بمياه الشرب - المجارى وسوء التغذية والحشيش) عامـلا أساسيا للاصابة بمرض الدرن بين أفراد عينة الدراسة ٠

٤ - تنحصر فئات السن المصابة بهذا المرض بين (٣٠ - ٣٥ سنة) ٠

٥ - تنتشر الأمية بنسبة ٩٥٪ بين أفراد عينة الدراسة ٠

٦ - هناك علاقة دالة وجوهرية بين القدرة المالية للمريض وبين التفاعل مع هيئة المستشفى (الطبيب - الممرضة - الاخصائى الاجتماعى الطبى) ٠

٧ - هناك علاقة دالة وواضحة بين القدرة المالية للمريض وبين تقديم الغذاء والدواء له من قبل المستشفى ·

٨ - ليست هناك علاقة دالة بين نوعية التفاعل الاجتماعى وبين بعض المشكلات الاقتصادية للأسرة حيث أن عينتى الدراسة فى المرج والعباسية تعانى من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية ويرجع ذلك الى أن القدرة المالية الخاصة بالأسرة فى عينتى الدراسة لا تتلاءم مع مقتضيات الحياة ومصاريف الأسرة ·

٩ - ان عينتى الدراسة ما زالت تؤمن بالقيم الرأسمالية والعين ما تعلاش عن الحاجب مثلا الخ ·· ومن ثم فهى ترى أن الخدمات المتاحة للأقسام المجانى تختلف تماما عن الخدمات المتوفرة للأقسام المخصوص ·

١٠ - ان هناك سوء تخطيط وتنظيم من التطبيق الاشتراكى فى مجتمعنا ، وبالتالى لا بد من اعادة نظر لتحقيق العدالة الاجتماعية بين المواطنين فى الحصول على الخدمات والرعاية الصحية والاجتماعية ·

١١ - ان هناك علاقة دالة بين التفاعل الاجتماعى وبين ارتفاع نسبة الوفيات من مرض الدرن ·

١٢ - انخفضت نسبة الوفيات من مرض الدرن فى الحقبة ١٩٥٢ - ١٩٧٧ نتيجة لبعض التحولات الاقتصادية الاجتماعية التى طرأت على المجتمع المصرى ·

١٣ - ان نتائج هذه الدراسة غير ممثلة لمرضى الدرن فى أنحاء الجمهورية حيث أن هناك أرقاما مظلمة أما من الطبقات الفقيرة التى لا تسمح لها الفرصة للدخول للمستشفى واما بعض الأغنياء الذين يعالجون على حسابهم الخاص بالمنزل ·

١٤ - لا توجد خريطة صحية فى مجتمعنا تسهل على البحث (الباحث) مهمته فى جميع بياناته وعلى الأخص خريطة موزعة للأمراض والمناطق التى يتمركز فيها المستوى الاقتصادى والاجتماعى المعروفة بنوعيات معينة من الأمراض ·

١٥ - مرض الدرن هو مرض الطبقات الفقيرة التى لا تملك الظروف الاقتصادية والاجتماعية الملائمة للوقاية من هذا المرض ·

الشرعية الاسلامية للانظمة العربية الاشتراكية

التحليل المركب للمفاهيم فى الكتب المدرسية المصرية ، والسورية ، والعراقية

أوليفيه كاريــه(*)

عرض وتحليل علا مصطفى أنور(**)

يعرض الكتاب لدراسة أجراها أوليفيه كاريه ، وهو باحث فرنسى يعمل بالقسم المختص بالعالم العربى فى مركز الدراسات والبحوث الدولية بالمؤسسة القومية للعلوم السياسية ، كما أنه مسئول عن تدريس التاريخ العربى المعاصر بجامعة باريس • وقد اختار الباحث باعتباره عالما للاجتماع موضوعا ينتمى الى علم الاجتماع السياسى ، وكمستشرق جعل موضوعه ينصب على العالم العربى الاسلامى ، وتأتى هذه الدراسة فى مكانها الطبيعى ضمن ما أصدره الباحث من قبل منتميا الى نفس الاطار — ونذكر على سبيل المثال : محمود درويش : القصــائد الفلسطينية (١٩٧٠) ، أيديولوجيــة المقاومة الفلسطينية (١٩٧٢) ، التعليم الاسلامى والمثل الأعلى الاشتراكى (١٩٧٤) الشرق الأوسط بين الحرب والسلام (١٩٧٧) •

وتكتسب هذه الدراسة أهمية خاصة لاستخدامها منهجا يتزايد حاليا الاهتمام به وهو منهج تحليل المضمون • وقد أشار الباحث منذ البداية الى أن تحليل المضمون بشكل عام وتحليل المفهوم بشكل خـاص لا يشكلان الطريقة الموضوعية الكاملة للتحليل ، الا أن التجارب التى قامت حتى الآن تدعونا الى الثقة بهذه الطريقة بشرط أن يكون لكل نمط من النصوص — أو حتى لكل نص — اطاره التحليلى الخاص ، ولكل محلل اطاره المحدد حسب التساؤلات التى يطرحها •

---

* Carré, Olivier (1979): La légitimation Islamique des Socialismes Arabes. Analyse conceptuelle combinatoire de manuels scolaires égyptiens, syriens et irakiens. Paris, presses de la Fondation Nationale des Sciences Politiques.

** باحثة بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية

العرض التحليلى للكتاب :

يقع الكتاب فى ٤١٧ صفحة من القطع الكبير ، ويتكون من أحد عشر فصلا وأربعة ملاحق ويشكل الفصل الثالث أهم فصول الكتاب حيث يوضح الباحث بالتفصيل المنهج المستخدم وخطوات البحث ، وهو ما سوف نركز عليه بشكل خاص .

يحدد الباحث فى الفصل الأول هدف البحث وهو محاولة استخلاص اسلام سياسى تقدمى من خلال كتب تدريس مادة التربية الدينية فى كل من مصر وسوريا والعراق . وقد اختار الباحث هذه الكتب بالذات لأن النصوص الموجودة بها تمثل التقاء لثلاثة أنظمة أساسية : سياسية ودينية وتعليمية . وهدف البحث ليس دراسة أو التعمق فى ايديولوجية عبد الناصر أو حزب البعث ، وانما هو بيان الى أى حد تكون الاقوال الاشتراكية العربية الشرعية اسلاميا وفيه للتراث العربى الاسلامى الشرق الأوسطى . وقد تتوصل الدراسة الى معرفة ما اذا كانت السلطة والدين يقدمان للشباب العربى مثلا أعلى اجتماعيا وسياسيا ، قادرا على أن يتابع - مع انفتاحه على القيم الجديدة - التراث العربى الاسلامى ، أم أن الكتب هى مجرد كتب مدرسية غربية للتربية الوطنية والأخلاقية وقد ارتدت ثوبا اسلاميا ..

ويتضمن الفصل الثانى عرضا للكتب المدرسية التى ستنصب عليها الدراسة . وتضم هذه الكتب عديدا من الموضوعات : نصوص قرآنية ، احاديث نبوية ، عقائد ، عبادات ، تهذيب ، وسير وشخصيات اسلامية . وقد وجد الباحث أن الأهداف السياسية والاجتماعية لواضعى البرامج الرسمية ومؤلفى الكتب تتضح من خلال أجزاء معينة من الكتب وهى الخاصة بالعقائد والتهذيب واسماها الباحث الفصول الأساسية وجعلها موضوعا لتحليله .

وقد أوضح واضعو الكتب المصرية أن الهدف هو « تكوين ايمان لدى الشباب ، قادر على تطوير المجتمع على أسس متينة من الديمقراطية والاشتراكية ، عن طريق التعاون الذى ينادى به الاسلام » .

ويختلف المثل الأعلى الاجتماعى السياسى المقترح فى الكتب السورية ، فهو أقل برجماتية من المصرى وأقل اهتماما بالاشتراكية التعاونية ، وهو يوجه الطلاب نحو الانسانية والحضارة . ويقول السوريون : « نحن نبحث

فى ضوء التعليم الاسلامى عن الحضارة الاسلامية ، فالاسلام دين حضارة وقد استطاع عن طريق الشريعة أن يقيم نظاما محددا » ٠

أما الكتب العراقية فلا تضع كهدف لها المثل الأعلى الاشتراكى الانسانى وانما تبغى التوصل الى غذاء روحى والى « شخصية اسلامية » ٠

وقد وضعت الكتب المصرية وعددها عشرة كتب عام ١٩٥٩ وروجعت عام ١٩٧١ ، الا أن الكتب الوحيدة التى تغيرت بالمراجعة هى كتب المرحلة الابتدائية ٠ ووضعت الكتب السورية عام ١٩٦٦/١٩٦٧ وعددها عشرة : كتب المرحلة الابتدائيه وهى التى كانت تدرس بالمدارس المصرية حتى عام ١٩٧١ ، وكتب اعدادى وثانوى وهى مختلفة عن الكتب المصريه ٠ أما الكتب العراقية فهى : ٣ كتب للمرحلة الابتدائية موضوعة من فترة بعيدة (الطبعة السادسة عشرة ظهرت عام ١٩٦٦ بالنسبة للسنة السادسة الابتدائى ، والطبعة التاسعة عشرة عام ١٩٦٨ بالنسبة للسنوات الرابعة والخامسة الابتدائية) وثلاث كتب للمرحلة المتوسطة فى طبعات متأخرة (١٥ ، ١٧) ثم كتابين للمرحلة الثانوية ظهرا متأخرين عام ١٩٦٨ مع وجود حزب البعث فى السلطة ٠

ويتناول الفصل الثالث المنهج وعنوانه كالتالى :

نسق التحليل المركب للمفهوم فى الفصول الرئيسية للكتب المدرسية :

ويوضح الباحث هدف الدراسة مرة أخرى وهو الاهتمام بالجانب الاجتماعى ، فالمهم فى النصوص هى المعلومات الخاصة بالمضمون الايديولوجى وبنائه المنطقى ٠ ومن هنا فان التحليل الذى يقوم به هو تحليل منطقى وليس لغويا ، فالمهم هو التركيب المنطقى للنص ، ولذا يقوم الباحث بترجمة النص الخام - وهو باللغة العربية - الى لغة أخرى مكونة من مفاهيم مرتبطة داخل جمل منطقية ، ثم يعبر الكلام بعد ذلك عن مجموع الأنظمة المركبة لكل مفهوم ٠ ان الأنظمة المركبة هى مجموع الجمل المنطقية الخاصة بمفهوم معين ، وسوف تصنف هذه الجمل المنطقية حسب أشكالها تبعا لمعايير تجيب على مراكز الاهتمام فى البحث ٠ والسبب فى ترجمة اللغة الى رموز هو اننا لو حاولنا ترجمة اللغة الى لغة أخرى فقد نقع فى أخطاء بسبب كون كل لغة تشير الى أشياء لا تشير اليها اللغة الأخرى ، ولذلك لم يقم الباحث بترجمة النص العربى الى اللغة الفرنسية وانما ترجمه الى لغة رمزية مكونة من تعبيرات تركز على الوظيفة المعرفية وعلى النواه التنبؤية ، ولذا سمى التحليل بالتحليل المعرفى ٠

ويؤكد الباحث على ثلاثة أشياء :

١ ـ انه سيبدأ من مفاهيم وليس من مفردات اللغة ـ أى أن التحليل يكون للمفاهيم وليس للعبارات ٠

٢ ـ انه سيبحث عن السياق المنطقى الخاص بكل مفهوم داخل النص ككل وهو عبارة عن مجموع التعبيرات التى يظهر فيها المفهوم ، وهو ما أسماه الأنظمة المركبة فى النص ٠ ويتوصل الباحث الى ضبط معنى كل مفهوم داخل أجزاء النص ذات المعنى بفضل اقترابه أو ابتعاده المنطقى عن المفاهيم الأخرى ـ لذا يسمى التحليل « التحليل المركب للمفاهيم » ٠

٣ ـ يمثل السياق المنطقى البسيط لمفهوم معين أصغر تركيب ممكن لهذا المفهوم مع مفاهيم أخرى ٠ ويتمثل هذا فى الجملة المنطقية المكونة من نواة تنبؤية ثم التركيب التعبيرى المرتبط بها ٠

وسوف نقوم فيما يلى بتعريف المفاهيم ، والجملة المنطقية والأنظمة المركبة وكيفية تنظيمها وحسب أى مبادىء تؤول ، وذلك تبعا للتساؤلات السياسية الدينية المطروحة ٠

اولا : المفاهيم وتنظيم فئات التحليل :

تنبع الأسئلة الموجهة الى النص من مضمون النص نفسه ومن مضمون الفرض الذى يضعه الباحث ، ويتعلق الفرض فى هذه الدراسة باحتمال وجود اسلام سياسى تقدمى ٠

وتتمثل استمارة البحث فى شبكة للتحليل وقائمة بالمفاهيم التى توصل اليها الباحث ويتضح هذا فى قطبين رئيسيين ، وثلاثة محاور ، و ٢١٧ فئة من المفاهيم التى يمكن جمعها فى ٢٧ مبحثا (أو موضوعا) ٠

القطبان وهما غير متساويان يتمثلان فى قطب اسلامى ، وشبه قطب اجتماعى سياسى (أى غير اسلامى) ٠ وتعتمد هذه الطريقة على وجود أو عدم وجود سمة معينة وليس على مواجهة بين شيئين ٠ ولا يقتصر القطب الاسلامى على موضوعات روحية خالصة وانما يتضمن المجتمع كله والشريعة جزء منه ٠ ويتمثل هذا المجتمع المثالى فى بعض المبادىء الدينية التى قدمها القرآن ثم أثر عليها الفقه والحركات الاصلاحية ، يتضمن القطب الاسلامى اذن كل المفاهيم التى لا تحتوى على معنى خارج اللغة الدينية الاسلامية وكمثال على ذلك : الله ، الأمة ، الزكاة ، الرسول ٠٠٠٠ الخ ٠

أما شبه القطب الاجتماعى ـ السياسى فيجمع المفاهيم الأخرى ، وهى المفاهيم التى يمكن فهمها وتعريفها من جـانب شخص يجهـل كل شيء عن الاسلام ولكنه يهتم بالمجتمع • ويوجد فى تلك المفاهيم ما يعبر عن القيم التقليدية فى الحضارة الاسلامية مثل : الصبر ، الكرم ، الأدب ، الشرف ••

أما المحاور الثلاثة فهى : محور القيم ، ومحور الأشخاص ، ومحور الاقتصاد •

ويضم محور القيم المفاهيم التى تشير الى أفكار وقيم ومواقف جمعية ، ونماذج اجتماعية ، ولا تدخل هنا القيم التى تشير الى علاقة مع المجتمع أو مع الطبيعة فمثلا العدالة والعمل لا ينتميان الى هذه المجموعة وانما الى محور الأشخاص ومحور الاقتصاد • فالقيم التى تنتمى الى هذا المحور هى :

١ ـ المفاهيم التى تشير الى كائنات الهيئة أو ما يقع خارج العالم المرئى مثل : الله ، العالم الآخر ••

٢ ـ السلطات ذات الطابع المقدس مثل : الأنبياء ، القرآن •

٣ ـ مكونات الشخصية الانسانية مثل : العقـل ، الجسم ، الحياة ، الفطرة ••

٤ ـ الملكات ومؤشراتها الفردية والجمعية فى علاقتها بالشخصية مثل : العلم ، الضمير ، الانفعال ، الحب •

٥ ـ الحياة الداخلية للفرد فى حالة عدم ارتباطها الضرورى بالعـالم الخارجى المرئى مثل : الاعتدال ، الايمان ، اليقين •

٦ ـ القيم الأولى التى يطلق عليها القيم المتعالية فى الفلسفة التقليدية مثل : الخير ، الحق ، الشر •

٧ ـ الانساق الخاصـــة بالأفكار والمواقف أى الايديولوجيـــات بمعنى المضمون المذهبى للحركات الايديولوجية مثل : الاسلام ، الرأسمالية •

أما محور الأشخاص فيضم المفاهيم التى تشير بحكم تعريفها الى الادوار الاجتماعية والسلوك الجمعى (وليس الى المواقف الجمعية) ، والأنظمة • وتضم هذه المفاهيم :

١ - قيما اجتماعية مثل : العدالة ، السلام ٠

٢ - كائنات وظواهر اجتماعية مثل : المجتمع ، التقاليد ، الشعب ٠

٣ - تنظيمات مثل : الأسرة ، الدين ، الأصدقاء ، الطبقات ، القضاء ٠

ويضم محور الاقتصاد الادوار والسلوك والانظمة التى ترتبط بحكم تعريفها مع الأنشطة الطبيعية أى مع علم الاقتصاد بشكل عام ، فيجمع بين المفاهيم التى تشير الى :

١ - المساحة المورفولوجية والايكولوجية مثـــل : الكون ، والثروات الطبيعية ٠

٢ - الأماكن والأنشطة التكنولوجية الاقتصادية التى تدخل فى علاقة مباشرة مع المساحة السابقة مثل : الانتاج ، الخدمات ، العمال ، التجارة ، الاحتكار ، الربا ٠

وتوجد أحيانا مفاهيم تنتمى - حسب السياق - الى أكثر من محور واحد ، فمثلا : ينتمى المفهوم حرية الى محور القيم اذا كان يعنى الارادة الحرة للانسان بشكل عام ، وينتمى الى محور الأشخاص عندما يعنى وضع ما أو قدرة داخل المجتمع مثل الحريات ، حرية الرأى ، حرية الزواج ٠٠

وتعبر الجملة المنطقية التى تجمع عـــددا من المفاهيم عن موقف ، أو نموذج ، أو سلوك شخص ما ، أو أسلوب تنظيم ما ٠ وتعتبر الجملة المنطقية معيارية اذا كان أحد مفاهيمها منتميا الى محور القيم ، وتعتبر وصفية وتسمى واقعة اجتماعية اذا كانت كل مفاهيمها منتمية الى محور الأشخاص أو محور الاقتصاد ٠

ويساعد هذا الاطار المكون من قطبين وثلاثة محاور فى تعريف المفاهيم التى سندخلها فى ٢١٧ فئة تكون شبكة التحليل ٠ ويعنى هـذا التعريف بوضع الحدود للمضمون الذى يشير اليه المفهوم ٠ ويتم التعبير عن كل مفهوم بواسطة رمز يمكن فهمه بسهولة ، وهو عبارة عن ثلاثة حروف من كلمة فرنسية وأحيانا من كلمة عربية عندما نكون بصدد معانى تنتمى الى الاسلام او العقلية العربية ٠ وحتى لا يتضاعف عدد المفاهيم فان كل فئة مفاهيمية تضم عكسها بواسطة رمز يضاف الى المفهوم ٠

ويضم الملحق الأول الموجود فى آخر الكتاب ٢٢ موضوعا و ٢١٧ مفهوما موزعة حسب القطبين : اسلامى واجتماعى مع الرموز المختصرة الخاصة بكل موضوع وكل مفهوم • ويقدم الملحق الثانى قائمة منظمة ابجديا مكونة من رموز من ثلاثة حروف تشير الى فئات المفهيم مع تعريفاتها وقطبيها ومحاورها (قيم ، أشخاص ، اقتصاد) •

ثانيا : الجملة المنطقية وشكل التحليل :

تتم ترجمة النص الخام الى عبارات لها أحد الأشكال الآتية :
(ا) فاعل / فعل / مفعول ، أو فاعل / حاله •

(ب) فاعل / فعل رقم ١ / مفعول رقم ١ / فعل رقم ٢ / مفعول رقم ٢ أو فاعل / حالة رقم ١ / حالة رقم ٢ •

ويعتبر الفاعل هو المفهوم الأصل ، ونحتاج أحيانا لكى يتحول النص الخام الى عبارات منطقية أن نعيد صياغته حتى يتضح موقف المفهوم الأصل كفاعل فى الجملة المنطقية ويقع المفعول أو الحالة فى الوظيفة المنطقيه التى تمثل نهاية سير الفكر أو مكانة وسيطه • أما الفعل فهو يمثل الرابطة بين الفاعل والمفعول فهو يعبر عن معانى ايجابية أو معانى سلبية ، الايجابية هى : التوافق (*) والتماثل (=) ، والسلبية هى : التعارض (−) ، والإختلاف (≠) •

وهكذا يصبح لكل جملة منطقية — حسب شكل التركيب بين قطبيها — معنى محدد بالنسبة للغرض الذى وضعه الباحث وهو : كيف يتأكد وجود اسلام سياسى تقدمى ؟ رأى مفاهيم اسلامية تدخل فى مركب مع مفاهيم أخرى غير اسلامية (قد تكون سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو قانونية أو أسرية أو أخلاقية) • وعندما لا توجد أى علاقة بين القطبين فان الجملة المنطقية تعتبر قولا أساسيا أما اسلاميا خالصا أو غير اسلامى • وهو قول أساسى لأنه يدعم أفكارا أما اسلامية أو غير اسلامية قبل أن يلقى بها لكى تختلط فى اطار القطبين • وعندما توجد علاقة بين القطبين فان الجملة المنطقية تعبر عن قول ذى نزعة اجتماعية — اسلامية ، لأنه من جهة يجعل المفهوم أو المفاهيم الاسلامية اجتماعية ، ومن جهة أخرى يجعل المفهوم أو المفاهيم غير الاسلامية الموجودة فى نفس الجملة اسلامية • وتترجم هذه المحاولات للتركيب اما الى توكيدات بسيطة وتسمى تبريرية apologétique أو جمل مركبة وتسمى لاهوتية أو دينية thélogie

وتعبر الجملة المنطقية من جهة ثانية عن نمط من العلاقة بين محاور ثلاثة (القيم ، والأشخاص ، والاقتصاد) ، فى اطار القطبين اسلامى وغير اسلامى ، والمهم هو تحديد وفصل القضايا المعيارية عن الوقائع الاجتماعية أو الاجتماعية الاقتصاديه • فاذا فحصنا المحاور فاننا نجد اما غياب للعلاقة بين محور القيم ، ومحورى الأشخاص والاقتصاد أو علاقات متعددة بينهم ، فاذا لم توجد علاقة فاننا نكون بصدد معيار أساس (قيم فقط) ، أو واقعة اجتماعية او اجتماعية اقتصادية (مفاهيم خاصة بمحورى الاشخاص والاقتصاد) • فاذا كانت هناك علاقة بين محور القيم ومحورى الأشخاص والاقتصاد فاننا نكون بصدد معيار اجتماعى أو اجتماعى - اقتصادى ، احيانا يكون هابطا (اذا بدأت الحركة من القيم) أحيانا يكون صاعدا (اذا انتهت العلاقة عند القيم) •

وهكذا يمكن فى داخل المواجهة بين اسلامى وغير اسلامى تحديد وتقييم أهمية الوقائع الاجتماعية أو الاجتماعية - الاقتصادية بالنسبة للمعايير الاجتماعية ، وكذلك تقييم للمعايير الاجتماعية بالنسبة لمعايير الأساس • ويتيح هذا الاجابة على التساؤل التالى : هل المواجهة ومحاولات التركيب بين الاسلام والمجتمع غير الاسلامى يرتكزان على المعايير ؟ وأى معايير ؟ أم يرتكزان على الوقائع الاجتماعية - الاقتصادية ؟ وأى وقائع ؟

ثالثا : الأنظمة المركبة(*) والمؤشرات التأويلية :

تأخذ كل فئة من فئات المفاهيم وضعا داخل مجموعة الجمل المنطقية التى ينتمى بعضها الى النص المدرسى والبعض الآخر الى النصوص الدينية (متضمنة لأقوال من القرآن والسنة) • وتأخذ الجمل أشكالا محددة حسب العلاقة بين القطبين (اسلامى ، وغير اسلامى) ، وبين المحاور (القيم ، الأشخاص ، الاقتصاد) ، بالاضافة الى المعانى المصاحبة ، ويمثل هذا كله الأنظمة المركبة للمفهوم • ويخضع هذا للتأويل أو التفسير بالتركيز على المفاهيم الأكثر أهمية • وسوف نستخدم محكين للتأويل هما التماسك والتناسب أى التوازن النسبى •

وهناك ثلاثة تطبيقات لمحك التماسك لكل منها أهمية خاصة وهى :

١ - التماسك العضوى بين القول الدينى والنص المدرسى ، وبين قول

---

* ويضم الملحق الرابع قوائم للأنظمة الخاصة بالمفاهيم التى خضعت للدراسة وعددها ٢٧ مفهوما •

اجتماعى — دينى من القرآن والسنة وقول اجتماعى — دينى معاصر · فيوجد تماسك عضوى بين الاثنين اذا كانت جملة منطقية واحدة على الاقل موجودة فى أحدهما تتعلق بمفهوم واحد على الأقل موجود فى جملة منطقيــه تنتمى الى الآخر ·

٢ — التماسك العضوى بين قول أساسى (قد يكون اسلاميا اذا كان المفهوم ينتمى الى القطب الاسلامى أو غير اسلامى اذا كان المفهوم ينتمى الى القطب غير الاسلامى) وبين قول اجتماعى أو قول اسلامى · فيوجد التماسك العضوى اذا كانت جملة منطقية واحدة على الاقــل من القول الاجتماعى — الدينى تتعلق بمفهوم واحد على الأقل فى القول الدينى · وبعبارة أخرى هل تدور الأقوال حول نفس الموضوعات أما اننا بصدد نصوص منفصلة تماما ·

٣ — التماسك بين مجموعة الجمل المنطقية الخاصة بالأنظمة كل · ويكون من المهم هنا تسجيل أى تعارض أو شبه تعارض بين الجمل المنطقية · ونقول بوجود تعارض اذا كانت نفس فئات المفاهيم موجودة فى جملتين منطقيتين الا أن الوضع المنطقى للمفاهيم والعلاقات بينها فى احداها تعتبر نفى أو نقيض الوضع المنطقى للمفاهيم والعلاقات فى الأخرى · وكمثال : يدعم الاســلام الملكية الفردية/الاسلام لايشجع الملكية الفردية (نفى) ، الفطرة تدعو الى الحرب الفطرة تدعو الى السلام (نقيض) · ويوجد شبه تعارض اذا كانت فئتان للفاهيم متقاربتان موجــودتين فى جملتين منطقيتين مختلفتين بحيث يعبر المفهوم فى احداهما عن نقيض المفهوم فى الأخرى ، وكمثال : محمد يؤيد الملكية الخاصة/ الاسلام يحرم ارستقراطية الاقطاعيين الكبار ·

أما عن محك التوازن الذى يساعد على التأويل أو التفسير فهو خاص بكل أنماط الأقوال ، وكذلك بالشكلين الرئيسيين للجملة المنطقية (التوكيد البسيط والجملة المركبة) ، وأيضا بالأوضاع المنطقية الثلاثة المكنة للمفهوم فى الجملة المنطقية ويوجد ثلاثة أوضاع منطقية ممكنة هى : أصل ، وسيط ، نهاية · وأحيانا يكون للمفهوم أكثر من وضع منطقى ومن المهم تسجيل ذلك · وينبىء الوضع المنطقى عن البنية المنطقية للكلام المتعلق بمفهوم معين(*) ·

ولا بد من تحديد أى المفاهيم المنتمية الى أى الاقطاب والى أى المحاور تكون ما سميت بمجموعة السلطات الأولى أو شبه الأولى · وسوف تكون المفاهيم التى تقع فى وضع مهمين هى الأصول · أما المفاهيم التى تقع فى

---

* يتضمن الملحق الثالث تعريفا لكافة التعبيرات الفنية المستخدمة فى التحليل ·

النهاية فينظر اليها على أنها تتحدد بواسطة أشياء ومبادىء أخرى فتعتبر نتائج أو غايات أو أماني .

يتبقى بعد ذلك المقارنة بين أنظمة مفهوم ما فى قطاع معين بأنظمة نفس المفهوم فى قطاع آخر . ونعنى بقطاع جزءا من النص مأخوذا من مجموعة الكتب المدرسية ويخضع بعد ذلك للتحليل المركب للمفاهيم . ويتضمن القطاع المصري ٦٩٤ صفحة من الفصول الرئيسية المتضمنة فى عشرة كتب للتربية الدينيه . وتتناول كل الفصول والفقرات الحضارة والسياسة والاقتصاد والاسرة . ويمثل هذا قطاع رئيسى فى التحليل المقارن . ويستخدم نتائج تحليل القطاع المصرى فى تقييم نتائج تحليل القطاع السورى والعراقى . ويكتفى بالنسبة للكتب السورية والعراقية بالفصول الاكثر تركيبا ، حيث تكون الفكرة أكثر إكتمالا . ومن هنا نرى أن قطاع ما لا يتضمن كل ما هو موجود فى الكتب الدراسية .

ولما كنا بصدد ثلاثة قطاعات فان كل مفهوم له ثلاثة أنظمة مركبة : واحدة مصرية وأخرى سورية وثالثة عراقية ، ثم يتم مقارنة المضمون بحيث يمكن تحديد ما اذا كان يوجد قول مشترك بين القطاعات الثلاثة . ويحاول الباحث معرفة ما اذا كانت نفس الفكرة موجودة فى القطاعات الثلاثة وذلك بالنسبة للاسرة والمرأة والجماعه ، والأمة والوطن ، والنظام ، والزعيم السياسى ، والسياسة الدولية والحرب ، والنظام الاقتصادى ، والعلاقات بين الطبقات الاجتماعية . وتعتبر هذه الموضوعات محور اهتمام البحث ويمكن التوصل اليها من خلال نتائج التحليل فى القطاعات الثلاثة ثم يتم تأويلها ، وهو ما يتمثل فى الفصول التالية للكتاب .

ويقوم الباحث فى الفصول من الرابع الى الحادى عشر بتأويل للموضوعات السياسية والاجتماعية الهامة التى خضعت للتحليل المفاهيمى المركب فيناقش فى الفصل الرابع البنية العائلية وعنصرها الأساسى هو المرأة . ويعرض فى الفصل الخامس للانتماءات الجمعية والإجتماعية وعناصرها هى : القبيلة والقبلية ، الكفار ، اليهود والمسيحيون ، الفرد ، المجتمع ، الانسانية والمذهب الانسانى . ويتناول الفصل السادس الانتماءات القومية وعناصرها هى الأمة والحضارة الاسلامية ، الأمة العربية والعرب ، الوطن أو الدولة . ويحلل الباحث فى الفصل السابع السلطة وعناصرها هى : الزعيم ، الدولة ، الشورى ، الديكاتورية والديمقراطية . أما موضوع الفصل الثامن فهو الحرب والسلام وعناصره هو : الاستقلال ،

الامبريالية والاستعمار ، الدول الاجنبية ، اجهاد ، السلام · ونمثل الاموال موضوع الفصل التاسع حيث يتناول الباحث الزكاة ، الربا ، الصلح العام · ويحلل الباحث فى الفصل العاشر التدرج الاجتماعى أو الجماعات الاجتماعية - الاقتصادية فيتعرض لكل من الملكية الخاصة ، الفقراء والاغنياء ، الطبقات الاجتماعية والصراع الطبقى ·

. فاذا تناولنا نتائج التحليل بالنسبة للبنية العائلية وعنصرها الأساسى هو المرأة فسوف نجد ان الباحث يبدأ بوضع تعريف مبدئى ، فيعرف المرأة بانها الزوجة أو الأم فى مواجهة الزوج والاب · وينفصل مفهوم المرأة عن الفتاة التى تمثل مفهوما آخر وعن مفهوم الاقارب الذى يعنى الأب والأم معا · ثم ينتقل الباحث ليبين أهمية المفهوم فى القطاعات الثلاثة وذلك عن طريق تحديد عدد الجمل المنطقية التى ورد فيها المفهوم وترتيبهـــا بالنسبة لكافة المفاهيم ·

يتناول الباحث بعد ذلك المرأة من خلال القطاعات الثلاثة : المصرى ، السورى ، العراقى كل على حدة ثم يقارن بينها · وقد لاحظ الباحث أن التأكيد فى القطاع المصرى كان على ارتباطها العـــائلى دون أى ذكر لأدوارها السياسية والاقتصادية · وبينما لم يذكر اى شىء عن حجـــاب المرأة فى القطاع المصرى فقد ذكر فى القطاع السورى باعتباره حماية للمرأة وخاصة فى أماكن العمل وفى المناسبات الاجتماعية ·

ويركز القطاع السورى أكثر على المساواة بين الرجل والمرأة ، فينظر الى المرأة باعتبارها كائنا قائما بذاته وليس كجزء من الأسرة ، فالأسرة ليست أول عنصر فى المجتمع وانما الفرد ·

بالنسبة للقطاع العراقى فان هناك حـــديثا عن مسئوليات المرأة الاجتماعية والاقتصادية باعتبارها تؤدى الى أدوارها الأسرية ، وهناك اهمـــال تام لدورها السياسى · وتحذر الكتب العراقية من الاختلاط بين الرجل والمرأة ويمنع القانون العراقى الزواج المتعدد الا باذن من القاضى ، ويسمح للزوجـــة الأولى بطلب الطلاق بينما يذكر القطاع المصرى فقط الصعوبات التى تصاحب تعدد الزوجات ·

النص السورى وحده ينظر الى المرأة ككائن فرد له ، بجانب أعبائه العائلية ، مسئوليات اجتماعية واقتصادية وسياسية · وقـــد قام الباحث بالمقارنة أيضا بالأفكار الموجودة فى كتب التربية الدينية الاسلامية بكل من الأردن والكويت واسرائيل ·

واذا حاولنا تقييم منهج الباحث وأسلوبه فى الدراسة فلا شك أننا نلاحظ أنه استخدم منهجا خاصا به حاول من خلاله الوصول الى قدر كبير من الموضوعية ، وذلك على الرغم من اعتماده على التحليل المنطقى · فقد اعتمد الباحث على التحليل المركب للمفاهيم وليس مجرد تحليل تواتر المفاهيم ، كما اهتم بتسجيل وتفسير أشكال التراكيب التى ترد فيها المفاهيم، والعلاقات بينها وقد توصل بواسطة هذا المنهج الى مادة غزيرة اتاحت له الفهم العميق للنص كما ساعدته على تأويله · ومن الجائز ابتداء من المعطيات التى قدمها تصور أوضاع أخرى للتحليل ·

Appeard recently

Two phased study of an action research

to upgrade squater settlements in greater Cairo.

The first phase

"Relocation and upgrading" ;

Community programmes for urban settlements

The second phase

A Series of six "case studies of urban Settements in grater Cairo".

Upgrading programmes for urban settlements :

A multidisciplinary approach

METHODOLOGY

Appraisal of Public Housing in Helwan

Research team

Dr. Noha Fahmy first Investigator and rapporteur.

Dr. Wedad Morkoss

Dr. Ali Leila

Mrs. Amira Mashhour.

Mrs. Wafae El Telawi

Dr. Yehia Abdalleh Supervisor of the Architect Team

Mrs. Aleya Abd El Hadi

Mr. Mounir Sami

"MAIN REFERENCES"

1. **Allport, F.:** 'Theories of Perception and the Concept of Structure", Wiley Press, 1961.
2. **Audely, R.J.:** "A Stochastic Model for Individual Choice Behaviour", Psy. Rev., v. 67, 1960.
3. **Cartwright, O. and Festinger, L.:** "A Quantitative Theory of Decision", Psy. Rev., v. 50, 1943.
4. **Edwards, W.:** "The Theory of Decision Making", Psy. Bull., v. 51, 1954.
5. **Eysenck et al.:** 'Handbook of Abnormal Psychology", An Exp. App., New York, 1964.
6. **Festinger, L. et al.:** "Conflict, Decision and Dissonance", London, 1964.
7. **Osgood, C.E.:** "Method and Theory in Experimental Psychology" N.Y., 1953.
8. **Restle, F.:** "The Psychology of Choice and Judgment", New York, 1961.
9. **Nadirashivili, S.:** 'On the Modelling of Generalization Processes", A paper for conference, Tbilisi, 1965.
10. **Nadirashivili, S.:** "Set and Attitude" — in Russian". "The Concept of Set and Attitude in Medical Psychology", p. 151. A book in Russian, Georgian Academy of Science, Tbilisi, 1970.
11. **Prangishivili, A.:** "The Concept of Set in Soviet Psychology, in the light of Research by the Georgian Psy. School". Trans. from — Psychological Problems — Soviet Journal of Psy., 13, 1967.
12. **Sabry, Y.E.:** "Decision Making and It's Relation to Personality Traits" The Nat. Review of Social Sciences, Cairo, May, v. 7, 1970 (MA Desertation, Cairo Univ.)
13. **Uznadze, D.N.:**
    A. "The Psychology of Set", Trans. from Russian, New York, 1966.
    B. "Psychological Research", in Russian, Moscow, 1966.
    C. **D. Ouznadze:** "Principes essentiels de la Theorie d'attitude", p. 244, in : (Recherches Psychologiques in U.R.S.S., Moscow, 1966.

Then that measured set represented just preparing our subjects for first stage of action, and let us consider it first set phase. This is not even refused in western literature.

Shakow, 1946 insisted to understand the psychomotor performance in terms of set (Eysenck et al., 1961, p. 55).

This (preparatory set) as offered by Shakow retested by Tizard and Venables (1956), and they showed how set dissolved once another variable interfers in multiple choice situation. This variable can be distraction (Huston and Shef, 1952), or instructions (Lacy and Adamsen, 1953), or any intervening mediating variables (Tolman, Woodworth, Bruner, Luchine).

However, in Uznadzian framework, the starting point is that a (**Prepared Person** — Gatoveni Shelavek, Russian word), with his own potentialities... or with his whole personality towards any problematic situation...

Experimentally, this state of provisional readiness arises on bases of variability, and this is one of the best merit of Uznadzian theory...

We have actually types of set (Static, dynamic and unfixable) and corresponding types of personality.

Let us say, then, the same variable which facilitates the whole response and speeds it, would disrupt that performance, once it became so difficult to be solved by such fixated set... It is actually a set, but here a dissociated one... And this dissociation can get more significance for such groups who often fail to maintain the set in any choice situation (Eysenck et al., 1961, p. 248).

In other meaning, Guilford gave another concept called (adaptive flexibility) for the ability to change set in order to meet the requirements imposed by changing the nature of the problem. We have in Uznadzian sense a change of sets (ESMENI OSTANOVKA — Russian concept), "Uznadze, b. 1966, p. 388", concerned with decision making at level of phases... while it was fixated at first level, it has been inhibited in next level, so as to raise another in antognistic relation, and in this case, "not on basis of an actual need and corresponding situation, but on basis of a secondary imaginary need...". (Uznadze, 1966, A. P. 134).

Testing hypotheses in previous study by overall relationship, we have just got two highly significant negative correlation between decision time and dominace (—0.35), and for self-sufficiency (—0.59) — (Sabry, 1970), but for other five personality dimensions, the level of relationship was not highly accepted for prediction...

Statistically, in this research, we got two highly significant relationship between choice time and set, that is in the low level of choice situation between three alternatives...

If we got such high significant correlation between our two measures of decision time, with most of personality traits and the same was between the two measures for choice time, (in both five and seven conditions) and fixating set... Something interesting can obviously be attained more than just testing our null hypotheses...

That is to have a high psychological meaning for perceptual recognition test of decision process, for personality scaling, and for set Uznadzian measurement.

Unfortunately, this was not the actual case... Then Why ? For personality traits, we explained such problem methodologically and theoretically in previous work (Sabry, Y. 1767, p. 349).

For set situation, here is our word... We have indeed two situations not one:

a) **A Simple Situation,** where S—R condition, and choice from three alternatives, and here the relationship is confirmed...

b) **A Complex Situation,** where problem solving and critical thinking, played a role, and here the tie was dissolved...

From Uznadzian writtings, we have the convinced reply... "If the set is an integral modification of the personality or the subject in general, then there is no doubt that, having played its role, the set must immediately give way to another, **new set** to determine the next action". (P. 40, 1966. b, N.Y.).

The same idea is confirmed by him... "The set in this case..., has been suppressed and a new one, adequate to the situation, which persists for a longer or shorter time, until the fixated set has had the opportunity to develop". "(Uznadze, ibid, p. 17)".

Actually this is not our purpose, but just testing hypothesis by available framework... As Z. Lewin expressed it well, we need here a good theory, which has all the favourities of all what is practical.

II. Theoretically speaking, we have in decision making research about five approaches in addition to personality theory.

There is no objection that all these can say a nice word on our calculated table of mean decision time, where increasing time of output.

Systematically, we do have in decision time research such possible explanation... whether hypothetical field and Lewenian concept of valence is enough (Cartwright, 1943), or whether the concept of dissonance reduction is better (Festinger, L., 1964), or whether VTE is convinced (Mowrer, 1960), or whether information concepts (Crossman and Hyman, 1953), or signal detectability (Tanner and Swets, 1963) are helpful, or whether all of these hypothetical constructs — by themselves — are not enough or adequate for such understanding decision processes, but a wholastic approach is obviously needed, where structural and functional determinants would be together considered (Directive Theory by Bruner and Postman, 1950, Witkin, Curtchfield, Eysenck etc.)...

However, though such approach got now more attention, it faced some problems (see Allport, p. 337, 1961)... Then "By 1960, a great deal of work on personality variables in decision making has been completed, most of them expressing Lewenian points of view" (W. Edwards, 1961)...

Since that time varieties of works replied how personality steer persons toward decision making and risk taking (Brim et al., 1962), (Kogan, N., and Wallach, M. 1964). The same line was adopted by the writer in previous study on the relation of decision making and personality traits measured by Bernreuter Egyptianized test.

The link between this research and that in reporting, is the role of personality as a whole in Uznadzian concept of set...

Conditions				
(I)	(II)	(III)	(IV)	(V)
S—R	3 alt.	5 alt.	7 alt.	9 alt.
0.61	0.80	1.57	1.74	1.76

2. To test the hypothesis that there is a relation between choice time and size of illusion, controlled by set, we calculated the estimated value of r. for this expectation in five conditions.

By applying curvillinear correlation for 48 subjects, we got from the four conditions of choice one significant correlation between time with three alternatives and size of illusion.

The estimated value was 0.56 (which is bigger than 0.37 for sign. at level of 1% for degree of freedom).

For reaction time variable, we have the same high significant correlation, as the estimated value for 40 subjects was 0.53 (which is significant at both 1% and 5% level).

What we, generally, deduct from this result ?

There is actual and significant correlation between set, and the low level of multiplexity of situation such as **S—R**, and choice between 3 **alternatives** and presumably between less.

But once the conditions became more complex, such as 5, 7 and 9, where other participating variables interfere with, this significant tie became gradually fanted and has no meaning and needs other interpretation...

D. "Discussion and conclusions" :

I. What we could get benefit from such experimental work ?

To find out new model on decision by using Uznadzian concepts...

b) The Size of Illusion :

Was estimated by "Illusion—Meter" (Ullisometra - Russian concept), designed by Tbilisi University in year 1957, and new adapted model by Georgian Academy of science in 1962.

d) Procedure and Instructions :

Two successive experiments were demonstrated, one concerned with R.T. and D.T., the other to have the subject's size of illusion.

Apparatus were prepared and instructions were given as stated.

For dependent variable, e.g. decision time, subjects were asked firstly to get acquainted with performance by just pressing one button once correspondent bulb gets lighted, then secondly he was asked to press speedly on correct button responding to one alternative from four successive conditions :

3 alternatives, 5 alternatives, 7 alternatives and 9 alternatives... Three trials were given in each four conditions, chosen by experimenter from presentation of random numbers...

Same instructions given to subjects, when they sat beside illusion —, meter, facing two different circles in width, the left is 30 mm. diameter and the right is 15 mm. The time of exposure was 30 seconds, the variable for fixation set...

Subjects re-exposed to a circle of 15 diameter (as a standard object), and being asked to match the left one accurately as possible, with that exposed one.

This is manipulated by a key on left side. The size of illusion is calculated from dial-meter, indicated by experimenter.

C. General Results :

1. The mean time, estimated in seconds for 50 subjects, in five conditions of number of alternatives, as follows :

latency of time taken during choice situation with five conditions of possible alternatives.

b) **Subjects :**

We collected the data for 50 subjects, undergraduate students, varying in age from 17 to 29, from both sexes.

c) **Methods and Apparatus :**

We adopted the experimental techniques of two psychophysical methods :

1. **Reaction Time Method :**

This is classically put by Kellog, 1933, where we measure the latency of period, when subjects required to make a differential manual reaction by a suitable designed apparatus...

2. **Adjustment Method :**

Where there is a gross difference, to start with, between standard stimulus and comparison one, established by the experimenter, and requires from the observers to adjust the variable till the two being perceptually equated.

The two apparatus* used to face the following two requirements :

a) **Reaction Time Apparatus :**

Which is especially designed to give accurate estimation of time in mill/sec., by electionic chronoscope, indicated by 1/100 sec., and permitted to give chance of choice between one and ten stimulating bulbs.

In experimental situation, subjects were just have to press on one key in corresponding to correct choice of lighted bulb...

---

* I am very grateful for sincere assistance given by Dr. Givy Kuria, the experimental psychologist in Dep. of Psychology, Tbilisi Univ., who provided me with all laboratory equipments.

'This past act will be a future fact, in its being a conscious experience for my (I), as it wishes..." (Ibid — 1966 — b., p. 386).

d) **Moment of State (condition)**, In this moment of decision the subject feels some effort, which gets more strength for concentrated will.

Indeed by this phenomenological comprehension of decision processes, Uznadze adopted a dynamic approach for dealing with actual phase of decision, e.g. decision time...

On such purposive theory of decision, the relation between the situation and the "Internal World", is a dialectical and continuous one, where set, motive and selective process are interrelated in overt action by person as a whole... Hence, motivation takes essential role in decision act. He referred to this notion by his word. "The act of decision is usually proceeded by the conflicting motives". (Ibid, b. P. 400, 1966).

Motive takes place in that period proceeding the voluntary act, which Uznadze called it "preparatory period of decision act", and lately called by L. Festinger "predecision period".

Then, set or attitude (Uznadze, 1966, Nadirashivili, 1970) takes its fixation place as intervening organization, which can swing on or direct the person as a whole towards a certain decision, once he is facing a problematic situation needed to be solved... "We still know only one "thing", that in the basis of voluntary behaviour, stays the set, and this set still represents in the moment of decision making"... (Uznadze, 1966).

B. Experimental Work :

a) Purpose of the experiment :

In the light of previous literature, we conducted this non-replicated experiment in psychological laboratory of Tbilisi University, to investigate the possible relationship between the fixated set of subjects (through their size of visual illusion), and the

Will and volotion — in Uznadzian framework* — is understandable through checking process when person checks set before putting it in operation. Hence volition is an human faculty, by which complete objectivization can be put in practice. So, the faculty of will can convert the set on imagined activity into reality, where effort should be used...

X. Through this early propositions by D. Uznadze on will and volition, he wrote indeed a very good article, in his book (Psychological Research), 1966, on psychology of will and decision making from motivational cognitive view...

The act of decision (act Reshenia — Russian concept), is treated here through his comprehension for act of will, which is characterized by some aspects, i.e. its exclusion from impulsive type of behaviour, its consideration as objective experience of (I) in a certain moment, and where the conscious (I) is directed towards a plan for future, not present, behaviour...

Concerning the act of decision, it has a main place in process of will, as it takes place through the three periods of will.

Decision is known as primary voluntary act (this is the executive aspect), which represents four sequences or moments :

a) **Period of feeling of tense,** between two opposed aspects of object, like principle of (all or none). Uznadze referred here to role of conflict in predecision period.

b) Topic's (Subject's) period, where subject knows what to do.

c) **Actual moment,** where subject has specific experience and expresses his real désire. But how to understand this experience ?

---

* I. Bzhalava : «The Psychopathology of the Will»: in Russian, Georgian Academy of Science, 1944.

This preparedness to reaction in a specific way, necessarily conditioned by two factors : actual demand (need) and a provided (situation) to satisfy it. If both these conditions are presented, the person, as a whole, will develop a set towards a definite activity. In other way, as Prof. S. Nadirashivili* said "man's goal-directed behaviour is determined by the subject's anticipatory preparedness for such behavour, i.e. by his set".

Then, set is the necessary link between environment and psychological functions "It is the state of subject whose changes depend on problems which he faces and the conditions in which he solves them" (Uznadze, 1966, p. 224).

Clearly, the environment provides the activated person with field of goal-direction, which satisfies his needs, then the psychological functions — with basic level of perception — is cognitively organized by developing a suitable set.

VIII. As far as we refer to Uznadzian concept of set and its participating conditions, we see how this theory gave to psychology of motivation a good place.

Uznadze insisted that all stages of activity runs over serving the organism's needs to have his own goals. And set, as an intervening organization, has the same role of hypothetical constructs in the cognitive and purposive theories.

This is clear in most of Uznadze's writtings "On the basis of such set, as we already know, it constitutes impulsive behaviour" (Uznadze, b. 1966, p. 385).

IX. Historically speaking, through mentioned-definite relation between motivation, personality, and fixated set, the problem of will and volition was discussed in Uznadzian early writtings. The same is done by one of his contemporary psychologists, in Germany like Narcis Ach (Ax), 1905, who wrote a good book on psychology of volotional acts.

---

* Prof. Shota Naditashivili, D.Sc. (Psy.), Prof. of Social Psych., Tbilisi University and Chief in Deputy for Uznadze I. of Psy.

in recent work by L. Festinger. We actually used many concepts, much theorizing, extinsive experimentation, team work cooperation... but till now the decision making topic in psychological understanding suffers from many gaps... Extremely, we can say that, as far as we know better on our querry of (**How**) in taking a decision, we have more to be answered on the question (**Why**) ?

And here is the stressful need to find a fit theory outside we know from western literature to have adequate answer to both : **How** and **Why**...

The hope here perhaps within the Georgian Soviet school of decision process, as offered by D.N. Uznadze (1886-1950).

VII. We have to define what we mean by Uznadzian concept of set. The first time, D. Uznadze offered the concept of **Set** "OSTANOVKA — Russian Word" was in his presence of the IX International Congress of Psychology in year 1926, that it is after his first formulation in 1923. His best definition and formulation of set and its experimental conditions were in his book **"The Experimental Bases of Psychology of Set"***, published in Russian in the year 1948.

Demettri Uznadze defined Set (EINSTELUNG), as "a specific state which may be described as one of (preparedness), as a set towards a definite activity, which is the (Modus) of the subject at each concrete moment of his activity, an integral state which differs fundamentally from all his differentiated mental powers and abilities" (Uznadze, p. 205, 1948).

Hence, Uznadze dealt with the whole acting person, as set is the constituent integrative factor of activity, or as Prof. Pringshivili** expressed it, intervening organization of individual experience, preparing the organism as a whole to react "to a situation where there is a problem to be considered and solved" (Uznadze, ibid, p. 10).

* The book is translated to English, in the year 1966 — New York.

** Prof. Pringshivili is the Director of Uznadze Institute of Psychology, Georgian Academy of Science.

theorizing. We know also that both Cartwright and Festinger (1941-43), have proposed a theory about the time it takes to make decisions, which is in some way similar to that theories based on certainity in decision and expected utility. What they added here is the notion of restraining forces and deduced some axioms concerning decision time.

And these propositions worked experimentally pretty well (W. Edwards, 1954).

This line of research is Lewenian one, and there is no objection that its concept of valence is equal to utility, as purposive behaviour.

IV. Now, once psychologically, we succeded to have reliable scales of utility and also subjective probability, then we have many interesting questions to be raised for us.

One of these is : To what degree do people differ in decisions, and can these differences be correlated with environmental (social) or personality differences ?

Psychologists here should shed light on such complicated problem concerning decision in many fields of real life.

V. Going on through this question, we assured the dialectical aspect of decision making, which clearly considers the interaction between the personality of decision maker with his own "Inner world", and the external environment, or the concrete social situation perceived by person as a whole.

Such approach in decision behaviour got favorable and fruitful contributions since 1955 (Block and Peterson, 1955, P. Lavine, 1955, Siegel, 1957, Atkinson, 1957, Slovic, 1962, Brim et al, 1962, Wallach and Kogan, 1964), and even my research at Cairo University, 1964-67, and actually there were others either published or in progress.

VI. Examination of such different theories on decision making and relevant topics, we got the same conclusion expressed

The first psychological theory in decision — as classified by Estes — was the **analogical one,** which combined two models (**psychophysical** : Hinmon, 1917, Ach, 1905/9) and recent model of **information theory** (Shannon, 1948, Crossman, Hick, 1953).

But most recent studies on decision making, adopted the "**New Look**" in psycho-social research, under what we call the cognitive and purposive theories, which are based on hypothetical context for our cognitive organization (Postman and Bruner, Allport F. : in America, J. Piaget : in France, Bartlett : in England, and even Demetteri Uznadze : in Georgian Soviet Union.

II. The most interesting problem in choice study is usually raised in difficult situation, when the offered alternatives are so complicated and the person is in a forced condition, without being certain of the outcome (Restle, 1961, P. 60). The complex situation raised here from the participating of more than one phase in choice behaviour, such as identification or recognition, information (problem solving), possible solutions (critical thinking), evaluation (conflict research), selection of strategy (learning process, concept formation, expectancy). Hence, why psychologists of decision making have the pain of such wide and diversed specialization ? (Sabry, Y. 1967).

Restle was successful in his explanation, as psychologists here "are worked under handicap, working on perception, learning, personality and social behaviour" (Restle, 1961).

III. Much work have been done on the actual process of decision making, that is on decision time, or the question of how long it takes to make a decision ? This approach is based on dynamic view, which studied decision processes in a changing situation, either within decision maker or within environment.

However, choice time experiments were early done, even in sort of disjunctive reaction or discriminative response, which we still can't exclude from the field of our research (R. Audely, 1961), though some psychologists do. We know genious early experiments conducted clasically with same way (Hinmon, 1906-17), (Limon, 1927), Ach (1905-20), but they needed better

A Copy of Individual Paper :

"DECISION MAKING AND UZNADZIAN SET THEORY"*

Dr. Youssef Sabry, Ph.D. (Psy.)**

A. Introduction :

I. There is an agreement in most published research on decision making by western and eastern psychologists that our main concern is : How do individuals take a decision ?

This field of our psychological interest doesn't give more care to definition of the term decision as it is historically borrowed from economic studies, based on the notion of (utility), which is Benthamian. However, we know that the question is so early traced in philosophy of free will and moral determinism.

Little number of writers, who know that the story of choice research began by the genious economist Daniel Bernoli (1788), who put the bases of rational theories in decision making (Borel, 1920, Wald, 1939, Von Neuman, 1944, and for statistical aspect : Lyman and Pearson, 1928).

All of those, tried to give advice to rational decision maker, by maximizing something or utility.

The question is exposed in the psychological scene recently, when psychologists discovered that, we have in our research experimental situations, which demand from individuals to have a choice from certain alternatives. (G. Miller, 1964).

---

* This is an original copy of individual paper, accepted by the «xxi International Congress of Psy.», Paris, 18 July, 1976 — See Bull. of the Congress.

** National Center for Social and Criminological Research, Cairo, Egypt.

THE NATIONAL REVIEW OF SOCIAL SCIENCES

Issue 2 — 3 May — September, 1980 Volume 17

TABLE OF CONTENTS

The National Review of Social Sciences

Issued by :

The National Center for Social and Criminological Research, Egypt.

Price Per Issue	Issued Three Times Yearly	Annual Subscription
U.S. $ 4.00	January — May — September	U.S. $ 12.00

THE NATIONAL REVIEW OF SOCIAL SCIENCES

No. 2-3 May—September, 1980 Vol. 17



Issued by : The National Center for Social
and Criminological Research, Egypt

